

مصطفى غالب

أعلام الأسماء عجمية

منشورات

مركز الأبحاث والبحوث العربية

للتأليف والترجمة والنشر

بيروت - ١٩٦٤

مصطفى غالب

أعلام الأسماء العربية

منشورات

مركز اليقظة العربية
للتأليف والترجمة والنشر

بيروت - ١٩٦٤

جميع حقوق الطبع والترجمة والنشر والاقتباس
محفوظة

لدار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر

١٩٦٤

الاهداء

الى الأُمير سليمان العلي

مفيد الأُمير اسماعيل باي سلمية

عمي الحبيب :

في حياتك الزاخرة بالخدمات الجليلة كنت تنهد لما فيه خير الاسماعيلية ،
مضحيا بكل غال ورخيص في سبيل تنمية روح المحبة والاخاء في مجتمعنا
الصغير . ان أبناء الطائفة الاسماعيلية في سورية لا يزالون يذكرون بفخر
تضحياتك الجسام ، ويعتبرونك رمزا لنضالهم الطويل في تركيز وجودهم
في هذه المدينة ، ومثلا أعلى لقوتهم ، مستلهمين من روحك القدسية الطاهرة
التي تتخيلها أبدا رائدا يهيب بنا للرشف من منهل الاخلاص الذي عودتنا
عليه ؛ فالى روحك أيها العم الحبيب الغالي أرفع هذا السفر اعترافا بفضلك
العميم ، وخدماتك القصوى لعقيدتك الحققة ، وتقديسا لنزعتك الوطنية
اللامحدودة . فاهناً في رياض الخلود اتنا على أثرك لسائرون .

مصطفى

المقدمة

لنا في سيرة العظماء والمبدعين منهل عذب لا ينضب من المعرفة والعلم والايان العميق ، فهم كالقمم السماء ، والجبال الرواسي ، يتطلع اليها كل متشوق الى السمو ، نزاع الى الرفعة ، وهم كالمنارات ، تير الطريق للسفن التائهة في دياجير الظلمة الحالكة .

عرف هذا العصر الذي نعيش فيه ، بانطلاق الفكر الحر الوثاب بعيدا عن المؤثرات الدينية ، والعنصرية ، ليني ويفعل في كيان المجتمع البشري ؛ فقام العلماء والكتاب والمؤرخون في كافة أنحاء العالم ، يجوبون آفاق العلم والمعرفة ، ويبحثون عن حقيقة تاريخ الجنس البشري ، وتطوره منذ الازل ، معتمدين في ذلك على أحدث الاساليب العلمية الناهدة الى اكتناه جوهر الوجود ، رائدهم التجرد والنزاهة ، وخدمة العلم والحقيقة .

ولما كانت الدعوة الاسماعيلية تحتل مكان الصدارة في تاريخ الشعوب الاسلامية ، التي هي جزء فعال من الجنس البشري ، رأيناه ونحن الذين أخذنا على عاتقنا منذ أمد طويل دراسة تاريخ هذه الدعوة وتطورها العلمي والفكري والعقائدي ، أن تقدم للمهتمين بالدراسات الاسلامية ، كتاب (اعلام الاسماعيلية) ، وهو عبارة عن بحث تاريخي علمي استعرضنا فيه سير أشهر رجالات هذه الدعوة ، الذين عرفوا بمقدرتهم العلمية ، والفلسفية ، والسياسية ، وبتأثيرهم الفعال في تكوين النهضة الفكرية الاسلامية .

وقد توخينا في تأليفه الامانة ، والصدق ، والتجرد ، والبحث العلمي

الصحيح .

ومما لا جدال فيه أن رجالات هذه الدعوة ، قد عملوا على تطوير الفكر الاسلامي ، وجعله خصباً منتجاً يوزع العلم والمعرفة ، على أركان المعمورة في مختلف العصور والأزمنة ، ولقد كان لهؤلاء الاعلام ، أيداً بيضاء وجهود ملموسة ، في خلق الوعي الاشتراكي لدى كافة الطبقات الاسلامية ، وبذلوا جهودهم العلمية والسياسية لتخليص المجتمعات الاسلامية ، من الظلم والتحكم والسيطرة ، مما كان له أثره في كثرة الاقبال على الانخراط في صفوفهم واعتناق مبادئهم ، فطبقت شهرة منظماتهم الآفاق ، بعد أن انضم اليها الفلاحون والعمال وأصحاب الحرف ، وأصبحوا حجر الثقل في العالم الاسلامي .

لم تحظ عقيدة من الاهتمام والدرس والملاحظة لدى جمهرة الكتاب والنقاد والمؤرخين ، كما حظيت العقيدة الاسماعيلية خلال مراحل سيرها الطويل عبر الزمن ، وليس في هذا أي استغراب ، اذا ما عرفنا أن الدور الرئيسي الذي لعبته هذه العقيدة كان له الاثر الفعال في ترسيخ مداميك التأمل الفلسفي لدى العالم الاسلامي قاطبة ، غير ان مواطن الاستغراب تتوضح للدارس عندما يقف حائراً ، قلقاً ، أمام العديد من التيارات الفكرية المناوئة ، والاحكام المضطربة المتباينة ، التي ألقىها المؤرخون ، والنقاد ، والكتاب ، في جبين هذه المدرسة الفلسفية الاسلامية ، فحاولوا بدوافع متغايرة ، ولأسباب اما شخصية ، أو سياسية ، أو عقائدية ، تشويه هذه العقيدة ، ومسخ أصولها ، وتجريح صفائها ، كي تنال من سمو مرتبتها ، وعظيم خدمتها للمجتمع الاسلامي .

ونحن نعلم - دونما كبير عناء - أن الخلافة العباسية اتخذت من قرابة العباسيين للرسول ، أمضى سلاح في انتزاع الخلافة من الامويين ، وأنهم استعلوا بكل طاقاتهم ما لاقاه آل البيت من تقتيل ، وتشريد ، وابادة على أيدي الامويين ، مغتصبي الخلافة . غير أن العباسيين لم يعيدوا الامانة الى أصحابها الشرعيين - وهم الهاشميون - الاقرب منهم نسبا ، وأحقية في

تسبم سدة الخلافة ، بل ما ان اشتد ساعدهم ، وقضوا على الامويين ، حتى التفتوا الى الهاشمين أخوتهم في الكفاح ، وسندهم في استخلاص الخلافة ، فرموهم بنعوت الانحراف ، والتأمر ، وعملوا فيهم قتلا وتكبيلا وابادة ، مع علمهم الاكيد بأن الدعوة العباسية نفسها لم يكن ليتسنى لها النجاح ، ويكتب لها النصر ، لو لم تحظ بمؤازرة الهاشمين أنفسهم ، ولو لم تقم - أصلا - على محاربة الامويين باعتبارهم متجنين على الهاشمين آل رسول الله .

فحري والحالة هذه أن تتعرض الدعوة الاسماعيلية الى حملات عنيفة شنها العباسيون عليها في مختلف الميادين الفكرية والعقائدية ، والشخصية ، طالما كانت الدعوة الاسماعيلية تدعو لآل البيت دون سواهم في الخلافة والامامة .

فلقد جند العباسيون جميع امكانياتهم من أجل شل الحركة الاسماعيلية ، وابداء أئمتهم ليخلو الجو لهم بعد أن أعمتهم المناصب ، وغرثهم الحياة الدنيا ، فاسترسلوا في التثكيل بالأئمة وأتباعهم ، ودعاتهم ، وشردوهم في مناهات البلاد ، وأباحوا دماءهم ، ورجبوا الرعية على محاربتهم واستئصال شأفتهم .

وليت الامر وقف عند هذا الحد ، بل تعداه الى ميدان الفكر ، حيث وجد العباسيون ، أن الدعوة الاسماعيلية قد رسخت في مجال الفكر والفلسفة ، عقيدة اسلامية فلسفية سليمة ، وأشادت صرحا اسلاميا شامخا للفكر والمعرفة ، فهالهم وقد وجدوا أنفسهم عاجزين تمام العجز عن دحض الحجج والبراهين التي تؤكد صدق وأحقية المطالب الاسماعيلية ، والتزامها هدي القرآن الكريم والحديث الشريف ، فاعتمد العباسيون على شراء الضمائر من الكتاب والمؤرخين الذين خانوا الأمانة ، وانساقوا وراء غاياتهم الشخصية ، وماتت في ضمائرهم نفحة الحق ، وصرخة الوجدان الحي ، فسخروا أقلامهم للتجريح في آل البيت والأئمة الفاطميين ، وألصقوا في

الاسماعيلية وأعلامها المناضلين أبشع التهم ، وأحط الاحكام ، وصوروهم لدى العامة ، بأنهم دخلاء على الاسلام ، مبتدعون لأحكام وأنظمة مغايرة لأصول الدين الحنيف ؛ كل ذلك تلبية لرغبة العباسيين ، وخدمة لعرشهم الزمني المغتصب .

ومن هنا ، ونتيجة لذلك ، تضاربت أفكار وآراء الكتاب والمؤرخين في حقيقة الاسماعيلية ، ومدى شرعية رسالتها ، وعلى اعتبار أن دور الخلافة العباسية امتد فترة طويلة ، وأن القوة رافقتهم خلال حكمهم ، فطبعي أن تنصدر مؤلفات وكتب أنصارهم واجهات المكتبات العامة ، بينما أحرقت وأبيدت معظم المؤلفات الاسماعيلية ، بعد أن كان شبح الموت يهدد كل من يقتني أي مؤلف اسماعيلي ، أو يجهر بآراء تتفق مع النهج الفلسفي الروحي لدى الاسماعيلية . وكما أسلفنا من أن الدعوة الاسماعيلية كانت تعتمد قبل كل شيء على ضرورة وجود امام من آل البيت يسهر على تأمين العدل بين الناس ، ويخلصهم من الظلم والاضطهاد ، ويأخذون عنه علوم الدين ، لذلك التفوا حول أئمة آل البيت يدعون الى حقه الشرعي في حكم المسلمين . ومن الطبيعي جدا أن يوجس الحاكمون في تلك الاوقات خيفة من أمثال هذه الدعوات والتجمعات حول آل البيت ، اذ رأوا فيها خطرا عظيما يهدد سلطانهم ، فعمدوا الى تشويه صحة النسب لدى الأئمة الاسماعيليين ؛ غير أن شمس الحق لم تخف من جحافل الظلام وعمته الباطل ، فلم يختق صوت الحق على الرغم من البطش والظغيان ، بل كثيرا ما كان ينفخنا التاريخ بأعلام ومفكرين وقفوا وجودهم على قول الحق ، ورهنوا حياتهم في خدمة الحقيقة المطلقة ، فكنا نشهد في مجالس أحكام العباسيين العديد من الفقهاء والفلاسفة ، يجهرون بآرائهم ، ويتحدون طغيان العباسيين المستبدين ، مفضلين الموت حرقا ، أو سلخا ، أو شنقا على الانسياق في ركب المغتصبين ، وترينج جباههم على أعتاب السلطان الباغي .

كما وان الطريقة الايجابية التي اعتمدها الاسماعيلية في اعتماد

(الستر والتقية) والاستمرار في النشاط السري ، والتأليف المتواصل ، والتنظيم الرائع للحركة الاسماعيلية ، أدى بعد زوال كابوس العباسيين وتفكك أوصالهم ، الى جلاء الحقيقة ، وانتصارها لدى النفوس الواعية ، والعقول المتجردة . فكانت هذه المؤلفات والعقائد أساسا متينا سهل دونما كبير جهد لاقامة الدولة الفاطمية وانتصار نظرتها في الحياة .

فما من أديب أو فيلسوف ، أو عالم في الرياضيات ، أو متبصر في أي نوع من أنواع المعرفة ، حاول الجهر بالحق ، وجهد في تقييم الرسالة الاسلامية ، وأنكر عنت السلطات وانحرافها عن الخط الاسلامي الصحيح ، الا وتعرض لأبشع الاتهامات ، ورمي بالزندقة والالحاد والكفر ، ولعل الاسماعيلية ، قد حظيت بأكبر قسط من الجور والاضطهاد ، مما اضطرها الى الاعتصام في مواطن نائية منيعة ، يمز على الخصوم اقتحامها ، واستمروا في مزاولة نشاطهم ، مستميتين من أجل نشر دعوتهم ، فوصفوا بالحشاشين تارة ، وبالزنادقة والملحدين تارة أخرى ، بعد أن هال خصومهم ثباتهم الرائع على المبادئ الحققة ، والبذل السخي من أجل خلق مجتمع اسلامي صحيح ، خال من الشوائب والادران ، تتكافأ فيه القوى الخلاقة الخيرة المبدعة ، وتقدر فيه الامكانيات البناءة ، في ظل نظام اشتراكي علماني ، ثابت الاركان ، واضح الغايات والأهداف ، مستند الى أدق الحجج وأصدق البراهين .

ونحن الذين ، توخينا من كتابنا هذا كشف النقاب عن الحقائق التي تضاربت حولها الآراء ، نتيجة للاضطراب السياسي في تلك العصور ، كان لا بد لنا من التسلسل بحذر وتبصر ودراية ، الى مواطن توضع الاسماعيلية في قلاعهم وحصونهم ، ومرافقتهم في أعمالهم وتأليفهم وتفكيرهم ، وليس هنالك من سبيل يكفل لنا بغيثنا في الوصول الى تلك القلاع والحصون ، واقتحام الاسوار الشاهقة في ألموت ومصيف و الا سبيلا واحدا ، هو اعتمادنا كليا على الآثار والمخطوطات التي خلفها هؤلاء

الأعلام من الاسماعيلية ، والتي ترسم لنا صورة حية لمدى التفوق العقلي عند الاسماعيلية ، وتتحفنا بأدق التفاصيل عن مجريات حياتهم •

وإذا اعتبرنا أن الاسماعيلية حركة عقلانية هدفت الى اقامة مجتمع اسلامي رفيع ، تتضافر فيه جهود أبناء الامة لبلوغ الهدف الأمثل لدى الانسان الكامل ، كان طبيعياً أن تتعرض هذه الحركة لمناوءة عنيفة من الخصوم ، وحرب لا هوادة فيها ولا رحمة •

ولعل التجارب والاحداث الجسام أكسبت الاسماعيلية نظرة واقعية للامور ، فدفعتهم الى ضرورة انشاء دولة تخلصهم من دور التستر ، ومرارة التشريد الذي قاسوه زمناً طويلاً ، فكان للتخطيط الدقيق الذي اعتمده الدعاء الأفذاذ في سلمية أكبر الاثر في اقامة الدولة الفاطمية في المغرب ، ومن ثم اجتياحها لبلاد مصر ، وانتقال مركز الخلافة الفاطمية الى القاهرة حيث امتد نفوذ الفاطميين فيما بعد الى بلاد الشام وتعداها الى العراق معقل الخلافة العباسية •

ولكي يأتي كتابنا شاملاً من كافة نواحيه لتاريخ أعلام الدعوة وملاساتها ، وعلاقتها مع بقية التكتلات التي حصلت آنذاك ، رأينا أن نفرّد بحثاً خاصاً عن علاقة هذه الدعوة بحركة القرامطة ، لما لهذه العلاقة من صلة وثيقة في التاريخ الاسماعيلي العام ، ولما تمخضت عنه من آراء ومعتقدات كان لها أثر فعال في تطور المعتقدات الاسلامية بشكل عام •

كما واننا عمدنا الى تنظيم شجرات نسب لكافة الفرق التي خرجت عن الاسماعيلية منذ وجودها حتى الآن ، دون أن نعلق عليها أو نعطي رأينا فيها. ولأجل أن نعطي فكرة صحيحة للقارئ عمدنا الى كتابة فصل خاص أوردنا فيه عقائد الاسماعيلية بصورة واضحة مستقاة من مصادر اسماعيلية سرية وعلنية ، مطبوعة وخطية ، وبذلك تكون الفائدة أعم وأشمل •

وبطبيعة الحال أصبح من الضروري بمكان أن يعلم القارىء أيضا شيئا عن مراكز الدعوة الرئيسية التي لعبت دورا هاما في التاريخ الاسماعيلى، لهذا فقد أفردنا بحثا خاصا عن بلدة سلمية احدى مراكز الدعوة الاسماعيلية الهامة في سورية •

وختاما لا يسعنا الا أن نتقدم بالشكر الجزيل لكل من آزرنا في عملنا هذا حتى جاء مستوفيا الغرض ، وأخص منهم بالذكر أصحاب دار اليقظة العربية الذين قاموا على نشر هذا الكتاب راجين أن يوفقنا الله لما فيه خدمة العلم والحقيقة والتاريخ •

سلمية - مصطفى غالب

عقائد الاسماعيلية وتنظيماتها السرية

على الرغم من أن الغاية من تأليف هذا الكتاب ، هي استعراض سير أشهر رجالات الدعوة الاسماعيلية ، فانه من المحتم علينا أن نضع بين يدي القارئ لمحة دراسية مجملة لخطوط العقيدة الاسماعيلية البارزة ، وتبيان أسس مرتكزاتها ، وتنظيماتها السرية ، ليتسكن من الالمام بقسط مما تحمله هذه الدعوة في جوهرها من أهداف نبيلة ، وغايات سامية ، وما تزخر به من نظرات فلسفية الى الكون والوجود ، وتنظيمات دعائية تستمد أصولها من حقيقة الدين الاسلامي ونظراته الشاملة .

ليست الفكرة الاسماعيلية كما تفهمها نحن ، وليدة حادثة معينة ، أو تفكير استبد بشخص أو جماعة في أمر من الامور ، أو حال من الاحوال ؛ بل هي امتداد أزلي لنظرة أزلية عاشت في دم الانسانية منذ بدء الخليقة ، وستستمر في تجدها وتساعدنا نحو الاكمل ، ما دامت الخليقة ، وما دامت الحياة .

ولربما استطاع المؤرخون أن ينسبوا ميلاد الحركات والعقائد الى أحداث تاريخية معينة ، تسببت في خلقها ، وعملت على تطويرها وبلورتها . غير أن هذا المقياس لا ينطبق على الفكرة الاسماعيلية من حيث جوهرها الذي كان توأمًا للحياة عينها ، ولكننا لا ننكر ما للتاريخ من أثر في ظواهر العقيدة وهيكلها الخارجي بحيث أتت متكيفة مع الزمن ، متطورة بشكل يوافق العقلية البشرية النزاعة أبدا نحو الأفضل والأكمل .

ولعل الحدث التاريخي الهام الذي بلغت به الفكرة الاسماعيلية حد

الوضوح الكامل من حيث الشكل والمبنى ، يعود الى بعث النبي الهادي محمد رسولا الى العالمين •

لا ينكر أحد قط أن الرسالة الاسلامية الهادية التي أوحى بها الله الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم هدفت في غايتها الى اسعاد البشرية واثاقها من دوامة الفوضى التي تخبطت بها أجيالا طويلة ، فكان الايمان بها قويا ، وكان التمسك بها عظيما ، فتنشط المسلمون واتسعت آفاق دنياهم ، وترسخت أصول دولتهم تحت علم الاسلام ورايته الخفاقة •

ولم يكن المسلمون في بدء أمرهم - والنبي بينهم - بحاجة ماسة الى التبصر في اكتشاف حقائق الدين الاسلامي وتشريعاته ، والوقوف على مدلول الآيات الكريمة بدقة ، بل اعتمدوا على النبي المعلم الذي اتخذ دور المجيب على كل أمر ، والمعالج لكل معضلة تعترض سبيل المسلمين ؛ وكان من أسباب هذا الاعتماد على النبي أن أحدث غيابه - بعد وفاته - فراغا شعر المسلمون به ، وتحسسوا نفوسهم ، فوجدوا هوة سحيقة بين معارفهم البدائية ، وكنوز القرآن الكريم الخفية ، فتطلعوا بشغف الى شخص له من القدرة العلمية ، والتبصر الحكيم ، ما يستطيع أن يسد فراغ تعطشهم ، ويشبع نفوسهم ، وفهم اكتشاف دروب التقرب من الذات الالهية •

فمن لهم بالمرشد لذلك الشخص المؤهل أن يكون في منزلة تمكنه من تصريف أمور المسلمين والقيام بأعباء الدين بشكل يكفل الابتعاد عن الخطأ ، ومواطن الزلل •

لم يجد المسلمون الا كتاب الله العزيز دستوراً يتقيدون بأحكامه ، والحديث النبوي الشريف سنة يعتمدونها في معالجة أمورهم • ولم يكن المسلمون في مستوى علمي واحد ، أو ارتباط موحد بالاسلام ، فسرعان ما ظهرت التآويلات ، وتعددت التفسيرات ، وكثرت الآراء ، وتشعبت بحسب درجة الوعي ، وتأثير الغايات والخواطر ، فتولد عن ذلك أول بذرة

من بذور الانقسام في صفوف المسلمين ، وظهر هذا الانقسام بشقين لكل منهما مبرراته وحججه وبراهينه ، وكان أحدهما يرى في ان القرآن الكريم نص صراحة في بعض آياته على ضرورة وجود الامامة بعد الرسول . وأن النبي صدع بأمر ربه وأعلن عن امامة علي بن أبي طالب من بعده ، واستشهدوا بالعديد من الأحاديث النبوية ، والمواقف التي تدل اما صراحة أو استتاجا على امامة علي بن أبي طالب ، بينما تمسك الفريق الثاني بضرورة قيام الشورى بين المسلمين ، والاحتكام اليها معتمدين على آيات قرآنية وأحاديث نبوية أخرى .

ولسنا هنا في معرض المفاضلة بين أي الفريقين كان على حق ، ومن منهما كان على باطل ، اذ الغاية المتوخاة في كتابنا هذا هي دراسة تاريخية وعقائدية للاسماعيلية ، ولكننا أرغنا على وضع هذا التمهيد لكي نحدد بالضبط الحادثة التاريخية التي تولدت عنها الاسماعيلية بشكلها الظاهر .

فالفتنة التي والت علي بن أبي طالب وأقرت له بالامامة والخلافة من بعد النبي ، سميت بالشيعة لكونهم شايعوه وبايعوه . وتطورت العقيدة الشيعية بمرور الزمن . فأصبحت الولاية والامامة ركنا من أركان الدين . ودفعهم هذا التطور الى تقصي الاحكام الاسلامية في القرآن لدعم آرائهم ، واكتشاف الحجج التي تثبت معتقداتهم ، فاستنبطوا فلسفة شاملة تستمد أصولها من جذور القرآن ، وكانت ضرورة تسلسل الامامة وحصرها في آل البيت باعتبارهم منحدرين من أشرف عقب ، وأرفع نسب . كما وانهم راقفوا النبوة منذ ولادتها ، وكان لهم شرف الاعتراف من معينها الصافي ، فاقترنت ذاتهم ، بذات الرسول الاعظم ، حيث أعدهم مثلا أعلى للمسلمين قاطبة ، وحجة للفضيلة وضمانا للحق . فكانوا الشموس الهادية ، والمشاعل التي تير سبل البشر أجمعين .

وانطلاقا من هذه النظريات ، استمر الشيعة في دعم معتقداتهم واستخلاص الحجج المفيدة لهم ، فتولد عن ذلك العقيدة الشيعية المعروفة الآن .

والعقيدة الاسماعيلية ، اعتمدت في أصولها المذهبية على الاصول الشيعية ، والتقت مع الشيعة في أكثر من نقطة ، وأبعد من غاية •

وأبرز أوجه التلاقي عند الاسماعيلية والشيعة ، قضية الامامة ، وضرورة وجود الامام المنحدر من صلب علي بن أبي طالب صاحب الحق الشرعي في الامامة والخلافة بعد رسول الله (ص) • وان حفدة النبي أحق الناس بأن يعرفوا حقيقة رسالة جدهم ، فهم وحدهم ورثة علم النبي ، خصهم به ليكونوا حجة على المسلمين من بعده •

وذلك كله بأمر من الله تعالى الذي نص على ولاية علي بن أبي طالب يوم غديرخم في آية النص (يا أَيُّهَا الرِّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وان لم تفعلْ فما بكفرتْ رسالتكُ والله يعصمك من الناس ^(١)) والتي فهمها الشيعة وأولئها تأويلا يتفق مع مذهبهم وآرائهم في ولاية علي بن أبي طالب وأبنائه من بعده ، على أن يكون الابن الأكبر من أهل البيت • واعتبروه القائد الروحي للمسلمين ، وبالوقت نفسه الحاكم ، أي صاحب السلطان الديني والسياسي معا • لارتباط الدين والسياسة في تلك الايام بعضها ببعض ارتباطا وثيقا ، فالشيعة على هذا النحو طالبوا بقيام النظام الثيوقراطي في الاسلام ، هذا النظام الذي كان معروفا في العصور القديمة عند كل الدول ذات الحضارات القديمة التي كانت قبل الاسلام • ففي النظام الثيوقراطي ينظر الشعب الى الملوك نظرة دينية بجانب النظرة الدنيوية ، وكانت الحكومات حكومات الهية ، بمعنى أن الملك كان الها مقدسا ، فله أن يحكم البلاد حكما مطلقا ، لأن الحكم له بأمر الآلهة التي عبدها الشعب ، ومن هذه الآلهة كان ملكهم •

وطبعي أن يعمد خصوم الشيعة الى وصمهم بالكفر والمروق عن الاسلام ، وينسبون اليهم تأليه علي بن أبي طالب ، وما شابه ذلك من التهم التي تهدف

(١) سورة ٦٨/٥

الى تجريح الشيعة والظعن في معتقداتها بدافع الصراع العنيف الذي نشب بينهم •

غير أنه من التجني بمكان ، أن تقر في الشيعة مثل هذه الامور ، على الرغم من حالة التقديس التي أحاطوا بها أنتمهم ، واعتبارهم في مستوى العصمة والكمال من حيث المناقب والفضائل •

وما أن توفي الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ، حوالي سنة ١٤٧ هجرية - الذي التف حوله عدد كبير من الشيعة ، واعتبروه المؤسس الحقيقي للمدرسة الشيعية الدينية ، وواضع أصول العقيدة الشيعية - حتى انقسمت الشيعة الى فريقين ؛ فريق ساق الامامة الى ابنه موسى الكاظم واستمر في تسلسل الامامة في الأكبر سناً من عقبه حتى الامام محمد بن الحسن العسكري الذي دخل سردابا في مدينة سامراء - شمالي بغداد بالعراق - واختفى فيه خوفا على نفسه من بطش العباسيين وتنكيلهم بالشيعة عامة وأهل البيت خاصة ، ويقول شيعته انه لا يزال الى الآن حيا ، وأنه سيخرج من سردابه يوم القيامة على أنه (المهدي المنتظر) الذي سيملا الدنيا عدلا ويرد الحق الى أهله • وسميت هذه الفرقة بالموسوية نسبة الى موسى الكاظم ، أو بالامامية الاثني عشرية نسبة الى عدد الأئمة • أما الفريق الثاني فهم الاسماعيلية الذين قالوا بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق فنسبوا اليه • وتدور حول امامة اسماعيل قصص وروايات أتينا على ذكرها في ترجمة حياة اسماعيل بن جعفر الصادق •

ولا تنكر أن الصراع بين مختلف المذاهب في ذلك الحين ، بلغ من العنف والاحتدام شأوا بعيدا ، وكان لزاما على كل فرقة أن تعتمد الى دحض الاتهامات التي يلصقها بها خصومها ، فتولد عن ذلك شحذ الفكر ، واستنشاق للهمم العلمية ، فكثر الجدل والمناظرات ، مما تسبب بايجاد ثروة علمية شغلت الفكر زمنا طويلا ، وتمخض عنها العديد من النظريات الفلسفية التي لم يكن للمسلمين سابق وعي لها •

ومما لا شك فيه أن الاسماعيلية كانت السباقة في هذا المضمار ، ويعود لها الفضل الاول في اقتحام ميادين الفلسفة ، وفتح مغاليق النفس البشرية الى دنيا زاخرة بالمعرفة والكوامن الفلسفية ، فكانوا بحق رواد الفكر الاسلامي في عالم الفلسفة ، وحملة مشعل العلم أحقابا طويلة ، وأصبحت الاسماعيلية مادة البحث لدى الفلاسفة والمؤرخين العالميين ، وكنزا غنيا للاقلام ، ومادة وفيرة للكتب حتى الآن •

أسرار نظام الدعوة :

لم توجّه أية دولة من الدول ، أو فرقة من الفرق اهتماما خاصا بالدعاية وتنظيمها ، كما اهتمت بها الاسماعيلية ، حيث أحدثت التخطيط الدعاوي المنظم ، وابتكرت الاساليب المبنية على أسس مكيئة مستوحاة من عقيدتها الصميمة •

وإذا قورنت أحدث التنظيمات العصرية الحديثة مع تنظيمات الاسماعيلية ، وأجهزتها الدعائية ، لتبين لنا ان الاسماعيليين كان لهم القدح المعلى في هذا المضمار ، من حيث الدقة في التنظيم • فقد برعوا براعة لا توصف في تنظيم أجهزة الدعاية — على قلة الوسائل في ذلك العصر — واستطاعوا أن يشرفوا بسرعة فائقة على أقاصي بقاع المسلمين ، ويتسمون أخبار أتباعهم في الابعاد المتناهية ، وذلك بما نظموا من أساليب وأحدثوا من وسائل ، وقد كان للحمام الزاجل — الذي برع في استخدامه دعاة الاسماعيلية — أثره الفعال في تنظيم نقل الاخبار والمراسلات السرية الهامة • وعلى أيدي الدعاة العلماء — الذين اشتهروا بحججهم القوية ، ومنطقهم السليم ، ومعرفتهم التامة العميقة لاصول كافة الاديان والمذاهب ، والعادات والتقاليد — انتشرت الدعوة الاسماعيلية في مختلف الاقطار والامصار • وأخذ هؤلاء الدعاة على عاتقهم التفاني في سبيل نشر دعوتهم والدفاع عنها سواء بالقلم أو باللسان •

ولقد كان الامام الاسماعيلي - والذي يعتبر رئيسا للدعوة - يعتبر انداعة عسبا مهما بالنسبة للدعوة ، فينتخب الدعاة من ذوي المواهب الخارقة ، والقدرة الفائقة في بث الدعوة والعمل على نشرها بين مختلف الطبقات ، وقد جعل الدعاة من (حدود الدين) ، امعانا في اسباغ الفضائل عليهم ، ليتكفوا من نشر الدعوة وتوجيه الاتباع دونما أية معارضة أو مخالفة . لأن مخالفتهم ومعارضتهم تعتبر بنظر الاسماعيلية مروقا عن الدين وخروجا عن طاعة الامام نفسه ، لأنهم من صلب العقيدة وحدودها .

ولقد وفقت الحركة الاسماعيلية بين جهاز الدعاية الذي نظمته خير تنظيم ، وبين نظام الفلك ودورته ، فجعلوا العالم - الذي كان معروفا في عصرهم - مثل السنة الزمنية ، فالسنة مقسمة الى اثني عشر شهرا ، واذن فيجب أن يقسم العالم الى اثني عشر قسما ، وسوا كل قسم « جزيرة » ، وجعلوا على كل جزيرة من هذه الجزر داعيا ، هو المسؤول الاول عن الدعاية فيها ، واطلقوا عليه لقب « داعي دعاة الجزيرة » أو « حجة الجزيرة » . وقالوا ان الدعوة لا يمكن استقامتها الا باثني عشر داعيا يتولون ادارتها ، يقابلهم في عالم الفلك الواحد اثني عشر برجاً : الحمل ، الثور ، الجوزاء ، السرطان ، الاسد ، السنبله ، الميزان ، العقرب ، القوس ، الجدي ، الدلو ، الحوت . يطابقها في جسد الانسان اثني عشر تقبا هي : العينان ، والاذنان ، والمنخران ، والثديان ، والسيلان ، والفم ، والسرة . يقابلها في عالم الحجب اثني عشر حجابا هم : حجاب القدرة ، وحجاب العزة ، وحجاب العظمة ، وحجاب الهيبة ، وحجاب الجبراوت ، وحجاب الرحمة ، وحجاب النبوة ، وحجاب الكربة ، وحجاب المنزلة ، وحجاب الرفعة ، وحجاب الشفاعة ، وحجاب السعادة . وقالوا أيضا ان النبي قال : « طوبى لمن حفظ الرأس وما حوى ، والعقل وما طوى ، والقلب وما وعى ، وذكر القبر والبلى ، ولم يتأثر بالحياة الدنيا » . أي طوبى لمن حفظ رأس دعوة الحق والائمة من ولده ، ويقولون بأن الرسول أراد من قوله (العقل وما وعى) ، أي ان في

العقل اثني عشرة قطعة دليلا على اثني عشر داع الذين هم في جزائر الارض ، وهم في الدنيا مشهورون : العرب ، والترک ، والبربر ، والزنج ، والحبشة ، وخزر ، والصين ، وفارس ، والروم ، والهند ، والسند ، والصقالبة . ولما كانت الابراج ستة قبلية ، وستة شمالية ، كذلك اقتضى أن تكون الثقوب ستة في الجانب الايمن ، وستة في الجانب الايسر ، يطابقها أن شهور السنة على نوعين : سنة شمالية ، وسنة جنوبية ، فالسنة الشمالية عدد أيامها ثلاثون يوما ، ويسمون بالاشهر الكاملة ، والسنة الجنوبية ، عدد أيامها تسعة وعشرون يوما ، ويسمون بالاشهر الناقصة .

والشهر ثلاثون يوما ، ولذلك كان لكل داعي جزيرة ثلاثون داعيا تقريبا لمساعدته في نشر الدعوة ، وهم قوته التي يستعين بها في مجابهة الخصوم ، وهم عيونهم التي بها يعرف أسرار الخاصة والعامة ، فكانوا بمثابة وزراءه ومستشاريه في كل ما يتعلق بجزيرته .

واليوم مقسم الى أربع وعشرين ساعة ، اثنتي عشرة ساعة بالليل ، واثنتي عشرة ساعة بالنهار ، فجعل الاسماعيلية لكل داع تقيب أربعة وعشرين داعيا ، منهم اثني عشر داعيا ظاهرا كظهور الشمس بالنهار ، واثني عشر داعيا محجوبا مستترا استتار الشمس بالليل . وبعملية حسابية نجد أن عدد الدعاة الذين بثهم الاسماعيلية في العالم كان حوالي ٨٦٤٠ داعيا ، في وقت واحد ، وذلك بخلاف عدد آخر من الدعاة لا يشملهم هذا الاحصاء ، وهم الدعاة الذين يكونون دائما في مركز الدعوة الرئيسي مع الامام ، علما بأنه كان لكل فئة من هؤلاء الدعاة عمل خاص لا يتعداه حفظا لنظام الدعوة وسريتها ، فدعاة النهار الاثني عشر في كل جزيرة كانوا يعرفون بالمكاسرين أو المكالين وهم أصغر طبقة في درجات الدعاة ، وعلى عاتق المكالين تقع مهمة مجادلة العلماء والفقهاء أمام جماهير الناس ، وكأنهم تلاميذ يريدون الافادة من أساتذتهم ، دون أن يخالج الشك العلماء والفقهاء أو الجماهير المجتمع للآخذ عن هؤلاء العلماء أو الفقهاء ، بأن من يجادله ويناقشه مناقشة

علمية عنيفة أنه من الدعاة ، وفي أغلب الاحيان يظهر عجز العالم عن الجواب ، الصحيح ، أو تبدو منه أخطاء فيسخر منه الداعي المكاسر ويتركه ، وهنا تظهر عبقرية الداعي المكاسر فيسرع اليه الناس يلتمسون منه الجواب الشافي عن الاسئلة التي طرحها والموضوعات التي ناقش فيها العلماء ؛ ومن الظاهر ان الداعي المكاسر كان يختار اختيارا خاصا ، ولا يسمح له بالمكاسرة الا بعد امتحان عسير وتجارب كثيرة ، ونجد في بعض الكتب الاسماعيلية الشروط الواجب توفرها عند اختيار الداعي المكاسر والخصال التي يجب أن يتحلى بها ، من ذلك أن يكون من نفس البيئة التي سيكاسر فيها ، ولد ونشأ بها ، حتى يكون معروفا عند الجمهور ، ويجب أن يكون حسيبا ونسيبا بين قومه ، فالحسب والنسب يكسبانه بعض الاحترام ، وان يكون معروفا بالصدق والامانة والتقوى والورع ، فهذه الصفات تزيده احتراما في قومه ، فاذا وثق داعي الجزيرة في شخص تتوفر فيه هذه الشروط شرع في تعليمه العلوم الاسلامية حتى يتبحر فيها ، فاذا تم له ذلك ، أخذ يلقنه مسائل اختلاف المذاهب وآراء أهل الملل والنحل كلها من فرق اسلامية وغير اسلامية ، ويظهر له مواطن الضعف في كل مذهب وفي كل رأي ، ثم يعلمه كيف يجادل في اختلاف هذه الآراء ، وكيف يناقش أصحابها ، فاذا تم له ذلك يبدأ الداعي في تدريبه على تفهم نفسية كل جماعة من الجماعات ، وكيف يخاطب كل طائفة من الطوائف حتى يستميل الناس اليه ، فاذا أتقن كل هذه الامور وتدرّب عليها ، ونجح فيها النجاح الملحوظ سمح له الداعي أن يكاسر ويجادل الفرق الاخرى دون أن يشعر أحدا بأنه اسماعيلي المذهب بل يجب أن يكتم ذلك كتمانا شديدا ، ولذلك يجب أن يكون المكاسر ذكيا ذا فراسة حتى لا يخطيء في معرفة نفسية المجتمع أو تقدير الناس الذين يخاطبهم ، فاذا فرض ووجد المكاسر أمامه خصما عنيدا أكثر منه علما وتبحرا في مختلف الفنون ، وجب على المكاسر في هذه الحالة أن يلج في المسائل الفلسفية العميقة التي لا حد لها والتي لا يفهمها العامة ، ويدخل

معه في مناقشات باطنية هي من أخص خواص الفلسفة الاسماعيلية التي لا يعرفها غير الدعاة • وبذلك ينجو المكاسر من الظهور بمظهر الضعف أمام العامة ، بل ربما عظم شأنه في أعينهم لأنه يتحدث عن أشياء لا يفهمونها ولا يعرفون كنهها ، هكذا كان شأن الداعي المكاسر أو « الداعي المكالب » الذي كانت مرتبته أقل مراتب النظام الاسماعيلي للدعاية ، فاذا كان هذا هو شأن أصغر الدعاة استطعنا أن ندرك ما كان عليه أمر كبار الدعاة على اختلاف درجاتهم وتباين مراتبهم •

وفي حالة توصل الداعي المكاسر الى اقناع أحد المستجيبين ممن يرغبون الوصول الى معرفة الحقيقة ، يأخذه الى أحد الدعاة الذين هم أعلى منه مرتبة ، فيلطفه ويفاتحه في لين ورفق دون أن يظهر له صفته المذهبية أو شيئاً من عقائده ، بل يكتفي باطلاعه على بعض المسائل المذهبية ويلمح له ببعض التأويلات الباطنية التي لا ضير في كشفها ، فاذا أصر المستجيب على الاستزادة من المعرفة أحاله الى الداعي المأذون وهو من دعاة الليل الذي يبدأ بأخذ العهود والمواثيق ، فاذا وثق باخلاص المستجيب بدأ يكاشفه ببعض الأسرار الخفية التي لا ينفر منها ، ويتدرج به حتى يطمئن الداعي المأذون الى اخلاصه ، ويطمئن المستجيب الى الداعي ويثق به ، عندئذ ينقله الى الداعي الذي هو أرقى منه رتبة ، وهكذا يتدرج المستجيب بين الدعاة حتى يسمح له أخيراً بحضور مجالس داعي دعاة (الجزيرة) الذي له وحده الحق في أن يعلم الناس التأويلات الباطنية للدين والقرآن والحديث ، كما يعلم الدعاة فلسفة الدعوة المذهبية أي (علم الحقيقة) • صحيح كان داعي الدعاة يلقي المجالس والاحاديث على العامة الذين أخذت عليهم العهود والمواثيق دون أن يصلوا بعد الى درجة عالية في علوم الدعوة ، ولكن هذه المحاضرات كانت بعيدة عن الاسرار الاسماعيلية العليا •

على هذه الصورة الدقيقة نظم الاسماعيليون دعوتهم ودعاتهم ، وحددوا

صلاحيات ومهمة كل واحد من هؤلاء الدعاة ، وامعنوا في تكريم الدعاة واسباغ المناقب والفضائل عليهم ، فجعلوهم من (حدود الدين) الذين يجب أن يعرفهم ويتوالاهم جميع المؤمنين •

أما الدعاة الذين يكونون « القيادة العليا » للدعوة ، والذين يظنون بمعية الامام دائما ، فالامام يختارهم بنفسه من أقوى واعلم دعاة الجزائر ، ويطلق على الداعي المختار لهذه المهمة « داعي الدعاة » ، واليه حق الاشراف على الدعوة في جميع الجزائر ، ويكون الوساطة بين دعاة الجزائر وبين الامام ، ويكون معروفا بين الدعاة جميعا وبين حاشية الامام في أدوار الستر والظهور • وعلى عاتقه تقع مهمة عقد مجالس الحكمة التأويلية على اختلاف درجاتها ، ومع مرتبة داعي الدعاة كانت هناك مرتبة « الحجة » ويسمى صاحبها « حجة الامام » ، وأحيانا كان الامام يولي المرتبتين لشخص واحد ، وأحيانا أخرى كان يجعل كل مرتبة لشخص ، وفي هذه الحالة يستر اسم صاحب مرتبة الحجة فلا يعرفه أحد حتى داعي الدعاة نفسه • وهناك مرتبة سرية أخرى وهي مرتبة « باب الابواب » ولا يعرف شاغل هذه المرتبة الا الامام نفسه • وقد وصف أحد الدعاة الاسماعيلية العلماء هذه المرتبة بقوله : « وحدّ الباب هو من الحدود الصفوة واللباب فهو أفضل الحدود وهو حد العصمة ولا ينتهي الى ذلك الا الآحاد والافراد » ويقول آخر : « باب الابواب هو باب صاحب الزمان الذي يؤتى منه اليه وحجته على الخلق وحامل علمه وصاحب دعوته » • فمرتبة باب الابواب أو « الباب » فقط من أرفع مراتب الدعوة وتلي مرتبة الامام الدينية مباشرة ، وهي مرتبة سرية للغاية ، ولقد قال عنها الفيلسوف أحمد حميد الدين الكرمانلي في كتابه راحة العقل : « الباب وله مرتبة فصل الخطابة » • ومهما كان الامر ، يمكننا أن نرتب مراتب كبار الدعاة الذين كانوا يلزمون مركز الامامة كما يلي :

- ١ - مرتبة (الباب) ، وهي أعلى المراتب كلها ، وهي مرتبة سرية للغاية .
 - ٢ - مرتبة الحجّة .
 - ٣ - مرتبة داعي البلاغ .
 - ٤ - مرتبة داعي الدعاة ، أو الداعي المطلق ، وهي أعلى مرتبة ظاهرة .
- وهناك الترتيبات العامة الرئيسية والتقسيمات التي تعتبر الاساس الذي اقيم عليه جهاز أنظمة الدعوة وهي :

- ١ - الناطق وله رتبة التنزيل .
- ٢ - الاساس وله رتبة التأويل .
- ٣ - الامام وله رتبة الامر .
- ٤ - الباب وله رتبة فصل الخطاب .
- ٥ - الحجّة وله رتبة الحكم فيما كان حقا أو باطلا .
- ٦ - داعي البلاغ وله رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد .
- ٧ - الداعي المطلق وله رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية .
- ٨ - الداعي المحدود وله رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرة .
- ٩ - المأذون المطلق وله رتبة أخذ العهد والميثاق .
- ١٠ - المأذون المحدود وله رتبة جذب الانفس المستجيبة وهو المكاسر^(١) .
- ١١ - لاحق
- ١٢ - الجناح

على هذه الصورة رتب الامام رئيس الدعوة الاسماعيلية الحدود الجسمانية في النظام الاسماعيلي ، واجتهد الائمة بأن لا يخلو بلد من دعائهم ، حتى ان الامام المعز لدين الله قال : « ان أكثر الناس يجهلون أمرنا ويظنون أنا لا نعني الا بمن شاهدناه وكان بحضرتنا ، ولو كان ذلك

(١) المشرع السادس من السور الرابع من كتاب راحة العقل للكرماني .

لكننا قد ضيعنا من بعدنا ، وقد أوجب الله على جميع خلقه ولايتنا ومعرفتنا ،
وابتباع أمرنا والهجرة والسعي إلينا من قرب ومن بعد ، ولكننا للرافة بهم ،
ولما ندعوه ونحبه من هدايتهم قد نصبنا بكل جزيرة لهم من يهديهم إلينا
ويدلهم علينا » •

وبفضل هذا التنظيم الدقيق انتشرت الدعوة الاسماعيلية بشكل لم
تعهد به أية دعوة اسلامية أو غير اسلامية من قبل في جميع الاقاليم ، وبين
كل طبقات المجتمع على السواء •

ولا بد لنا من الاشارة ، بأن هناك بعض الاختلافات البسيطة في أسماء
ورتب بعض الدعاة ، قد يجدها الباحث في بعض الكتب الاسماعيلية ،
ولربما كان مرد هذا الاختلاف الى ظروف واسباب خاصة ، أو نتيجة لعدم
تعمق المؤلف ووقوفه على التمييز بين كل واحد وآخر • الا أن كتب الحقيقة
السرية التي ألفها كبار الدعاة والعلماء والفلاسفة تتفق مع التنظيمات التي
ذكرناها آنفا ، واذا صدف ووجدت تنظيمات مخالفة لما أوردناه وذكرناه
فهي لا شك وليدة تعليقات لا تسجّم مع واقع الحقيقة ، لأن التنظيمات
التي ذكرناها ظلت باقية ومعمول فيها حتى نهاية العهد الفاطمي في مصر •

ولما انتقلت الدعوة الاسماعيلية النزارية الى فارس ، أجرى الامام النزاري
بعض التعديلات الجديدة ، وأوجد تنظيمات تتناسب مع ظروفه وعصره ،
ومع ذلك ظل القسم الخاص بالدعاية الدينية قريب الشبه من النظام السابق ،
ولو أن عدد الدعاة تقلص ونقص ، فالامام النزاري جعل رتبة « الشيخ » في
دعوته بدلا من رتبة (داعي الدعاة) ، وعين له النواب في كل منطقة من
المناطق الاسماعيلية ، وألحق بنائب الامام أو حجته أو « الشيخ » عددا
غير محدود من الدعاة الذين كانوا يدعون الناس للمذهب الاسماعيلي
النزاري • أما القسم الثاني ، فهو خاص بالفدائية ، والجيش ، وهؤلاء
كانوا يتبعون مباشرة مركز الامامة أو نائب الامام في قطره ، ويتلقون الاوامر

والمهمات السرية منه مباشرة • وكان الفدائية على ثلاث درجات :

أولا — الرفاق أو المقدمون ، وهم قادة الجيش ، والفدائية يشرفون على تدريبهم ، ويسهرون على تنفيذ المهمات العسكرية وغير العسكرية •

ثانيا — مرتبة الفدائيين الذين ينتقون من العناصر المخلصة المعروفة بالتضحية والاقدام والشجاعة النادرة ، والجرأة الخارقة ، فيكلفون بالتضحيات الجسدية وبتنفيذ أوامر الامام أو نائبه •

ثالثا — المستجيبون ، وهم الذين يقضون دور التدريب والتعليم ، وهؤلاء يدخلون مدارس الفدائية وهم في سن مبكرة ويتلقون التدريب والتعليم في المدارس الخاصة بهم ، على أيدي كبار المقدمين • ويسهر على تدريبهم وتعليمهم الامام نفسه ، أو نائبه « الشيخ » • وقد عمل بموجب هذه الانظمة جميع الاسماعيلية النزارية في جميع المناطق ، وقد أطبقت شهرة الفدائية وأعمالهم الخارقة الآفاق • أما الآن ، فالاسماعيلية البهرة ، يجعلون في كل بلد من البلدان التي فيها جماعة منهم ، رجلا من رجال الدين الذين تخرجوا من (الجامعة السيفية) بمدينة سورت في الهند ، ويسمونه (العامل) وهو المكلف بجمع أموال الخمس و (السلة - فطرة) ويقدمها للداعي المطلق بمناسبة عيد الفطر وغيره ، ويقوم على شؤونهم الدينية من تنظيم عقود الزواج والطلاق ، وغير ذلك •••

أما الاسماعيلية النزارية في عصرنا الحاضر ، فتنظيماتها الدينية ، لا تتفق بأي حال من الاحوال والتنظيمات التي كانت معروفة في العصور السابقة ، وعلى الأغلب ان التنظيمات القديمة لم تعد تتلائم والعصر الحديث ، بدليل أنه قد أصبح للقضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التأثير الأكبر •

ونلاحظ الآن أن الدعاية الدينية ، وهي الأهم ، في المعتقدات الاسماعيلية مفقودة تماما ، ولم يعد لها أي وجود • كما وأن المثقفين ثقافة دينية عالية ليس لهم وجود في صفوف الاسماعيلية النزارية ، بالنظر لانعدام المدارس

الدينية الخاصة ، والمدرسين الأكفاء الذين كانوا يعقدون المجالس الخاصة ، والندوات لاعطاء المستجيبين العلوم الاسماعيلية • كما وأن الوظائف أصبحت وفقا على رجال الاقتصاد ، وعلى الظروف والمناسبات ، فلا تراعي مطلقا الكفاءات العلمية ، أو الثقافية •

ونأمل أن يكون عصر امامنا الحاضر صاحب السمو (آغا خان الرابع) عصر ازدهار ينظر فيه الى هذه النواحي الحيوية الهامة •

والوظائف المعروفة الآن هي :

(الهيئة الدينية) :

١ - سيف الدعوة - أو وزير الدعوة : وهي رتبة شرفية ولقب فخري لكبار زعماء الطائفة •

٢ - مكّي : يشرف على تعيين موظفي المساجد ، ويراقب جباية الأموال وجمعها ويتراس المصلين ، وفي أغلب الاحيان يكون صاحب هذه الرتبة لا يتمتع بأي ثقافة دينية ، ولا تراعى في تعيينه أية ناحية من النواحي المعروفة في العهود السابقة •

٣ - كامريا : أي أمين خزينة الدعوة ، ويهتم بالشؤون المالية فقط •

٤ - ناظر : مهمته سير أمور الدعوة من الناحية المالية •

٥ - واعظ : مهمته وعظ الأتباع ، وحضور المآتم لتلاوة آيات القرآن ولا يتمتع بأي ثقافة دينية •

(المجلس الاسماعيلي الاعلى) :

مهنة هذا المجلس الاشراف على شؤون الاسماعيلية الدينية والثقافية والاقتصادية ويعين تعيينا من قبل الامام ، ويتألف من : الرئيس ، وأمين السر ، وعدد من الاعضاء قد يصل في بعض الاحيان الى العشرة •

(اللجنة الثقافية) :

وتتألف من : الرئيس ، وأمين السر ، وعدد من الاعضاء يصل في بعض الأحيان الى الخمسة عشر عضوا . ومهمة هذه اللجنة الاشراف على الامور الثقافية والمدارس وارسال البعثات العلمية . وفي الاقطار الاسماعيلية الاخرى ، كالهند وأفريقيا والباكستان وغيرها ، عدة تنظيمات أخرى ، كالجمعيات الخيرية ، والنسائية ، والصحية ، وروابط الطلبة . الخ . . وما هنالك من تنظيمات عصرية تتناسب مع المناطق والبلدان التي يقطنها الاسماعيلية . وقد كان لهذه التنظيمات أثرها الفعال في نهضة الطائفة الاسماعيلية في مختلف المجالات ، وفي بعض البلدان بلغت الذروة .

عقائد الاسماعيلية :

اذا اعتبرنا الفكرة الاسماعيلية كائنا حيا يتمتع بالحسية المطلقة ، والادراك الكامل للواقع من مختلف نواحيه ، كان لا بد أن ينمو هذا الكائن الحي ويستمد أسباب نموه ، اما من ذاته ، بما يفجر من طاقات روحانية في عالم النفس ، واما اكتسابا مما يحيط به من مؤثرات في عالم المادة . لهذا رافقت الحركة الاسماعيلية في مسيرتها ، مسيرة الزمن ، وأخت في حياتها وحدة الحياة . فكانت مزدوجة في تلمصها دور المعلم الذي يشق طريق السعادة للبشرية ، ودور المجرب الذي يتكشف أسرار ما غلق على النفس ، ويستخلص من تجاربه عصارة الحياة ليحقن بها قوة زخمة تدفعه خطوات أسرع نحو التقدم والسمو من أجل الكمال . ومن هنا كانت الحركة الاسماعيلية قديمة في جدتها ، عتيقة في حداثتها ، فاكسبت في ذلك مناعة ضد الهرم ، ولبست من نصاعة جوهرها ثوبا لا يشيخ ، ولا تعبت به عناكب البلى .

وانطلاقا من هذه الحقيقة الواضحة ، نستطيع أن نبين أن الحركة

الاسماعيلية مبنية على عقيدة جامعة شاملة لكامل أمور الحياة ومتفرعاتها • وهذه العقيدة تترتب في حقائق أزلية ثابتة ، رافقت الكون منذ البدء ، وستستمر الى ما لا نهاية • ومن معتقدات متطورة جديدة تتلاءم مع مقتضيات الحياة نفسها ، ومتطلبات الزمن المتجدد • غير أن هذه المعتقدات الجديدة المتطورة تبقى في تلازم متين مع صلب العقيدة الجامعة الاولى ، ومتماسكة مع لحمتها ، كي تزيد في اتقادها ، وتمعن في اشعاعها ، فتضمن لها استمرارا أزليا •

فالعقيدة الاساسية الجامعة للاسماعيلية تترسخ في حقائق ثابتة هي :

١ - العبادة العملية (أي علم الظاهر) : وهو ما يتصل بفرائض الدين وأركانها •

٢ - العبادة العلمية (أي علم الباطن) : من تأويل ، ومثل عليا للتنظيمات الاجتماعية ، ومثل عليا للإدارة السياسية • وكل هذه النقاط تعتبر من صميم العقائد ، تتداخل مع بعضها تداخلا كليا ، وتعتمد كل واحدة على الاخرى ، فهم يقولون بالباطن والظاهر معا ، وذهبوا الى تكفير من اعتقد بالباطن دون الظاهر ، أو بالظاهر دون الباطن • وفي ذلك يقول الداعي المؤيد في الدين : « من عمل بالباطن والظاهر معا فهو منا ، ومن عمل بأحدهما دون الآخر ، فالكلب خير منه وليس منا » •

ومن أصول ومرتكزات العقيدة الاسماعيلية ضرورة وجود الامام المعصوم ، المنصوص عليه ، من نسل علي بن أبي طالب ، والنص على الامام يجب أن يكون من الامام الذي سبقه ، بحيث تتسلسل الامامة في الاعقاب ، أي أن ينص الاب على امامة أحد ابناءه • ولا تزال الامامة المحور الذي تدور عليه كل العقائد الاسماعيلية وفلسفتها ، لأن الامامة ركن أساسي لجميع أركان الدين ، فدعائم الدين هي : الطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد ، والولاية •

والولاية هي أفضل هذه الدعائم ، فان أطاع المؤمن الله تعالى وأقر برسالة الرسول الكريم ، وقام بأركان الدين كلها ثم عصى الامام ، أو كذب به ، فهو آثم في معصيته ، وغير مقبولة منه طاعة الله وطاعة الرسول . وتدور حول هذه النقطة أكثر أبحاث علماء الاسماعيلية الذين يعتبرون الامام كالهرم ، رأس الهرم : الرأس ، والرأس هنا هو الامام بكل ما حاز من فضائل ومثل ، والقاعدة : هم الاتباع ، ومن الطبيعي أن تتطلع القاعدة الى القدوة في اتخاذها الكمال ، فتلتقي نظرتهم عند رأس الهرم ، واعتبروا الامام كالبحر الخضم تصب فيه كافة العيون والسواقي والانهار ، فهي منه ، أي منه انبثقت ، واليه معادها . أو كالمولد الكهربائي الذي يشع نوره في المصابيح ، وتفقد هذه المصابيح قدرتها على الاشعاع عندما يمتنع المولد عن مدها بالنور . والاسماعيلية يعتبرون من حيث الظاهر أن الائمة من البشر ، وأنهم خلقوا من الطين ، ويتعرضون للأمراض والآفات والموت ، مثل غيرهم من بني آدم ، ولكن في التأويلات الباطنية يسبغون عليه (وجه الله) ، و (يد الله) ، و (جنب الله) ، وأنه هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة ، وهو الصراط المستقيم ، والذكر الحكيم ، الى غير ذلك من الصفات . وفي هذه الاقوال أدلة على كل صفة من هذه الصفات ، فمثلا : ان الانسان لا يعرف الا بوجهه ، ولما كان الامام هو الذي يدل العالم على معرفة الله ، فبه اذن يعرف الله ، فهو وجه الله ، الذي يعرف به الله ، وان اليد هي التي يبطش بها الانسان ويدافع بها عن نفسه ، والامام هو الذي يدافع عن دين الله ، ويبطش بأعداء الله ، فهو على هذه المثابة يد الله ، ومن جهة ثانية نرى الاسماعيلية يجردون الله من كل صفة ، وينزهونه التنزيه كله ، وينفون عنه جميع ما يليق بمبدعاته التي هي الاعيان الروحانية — ومخلوقاته — التي هي الصور الجسمانية — هي الاسماء والصفات ، ويعتبرون نفي المعرفة ، هو حقيقة المعرفة ، وسلب الصفة هو نهاية الصفة .

وقد دعموا هذه المعتقدات بنظريات فلسفية وتأويلات باطنية ، اما

اكتساباً أو استتباطاً • فأصبحت الفلسفة وسيلة بنظرهم لتقييم العقيدة ، وطريقاً الى تكشف جوهر الخالق والدين • ونادوا بوجود التأويل الباطن ، لأنه من عند الله ، خص به علياً بن أبي طالب ، كما خص الرسول بالتنزيل • واستدلوا على ذلك بقصة موسى مع الرجل الصالح المذكورة في سورة الكهف • وعمدوا الى احاطة علوم الباطن بالستر والكتمان ، وحظروا اظهارها الا لمن يستحق ذلك فقط • وقد نظم داعي الدعاة المؤيد في الدين في عقيدة التأويل الباطن ، ووجوبه ، وضرورة ستره ، الا لمن يستحقه بقوله :

في ذاك ، أسلناهُ للخصام
من كل قول مع كل زمره
يجعل أصنامكم جُذاذًا
قال : معي لن تستطيع صبرا
فلم يكن اذ ذاك الا قاصرا
من قصّها ، ان لم تكونوا نوّما
اذن أسأتم للنفوس النظرا
كمثل نور ضمه ظلام
في معقلٍ من أحرز المعائل
وأكثر الأنام عنها غفل
بهم الهي علمه قد خزنه
خُصّوا بهذا النور من ربهم^(١)

وانّ أجزنا ظاهر الكلام
ففي اختلافات القرآن كثره
يا قوم ، سر الملكوت هذا
سر له صاحب موسى الخضرا
وقال موسى : سوف ألقى صابرا
تدبروا القصة ، ماذا يما
لعلكم أن تحسبوها سَمرا
وربّ معنيّ ضمه كلام
باقٍ بقاء الحب في السنابل
وانما باب المعاني مقفل
مفتاحه أضحي بأيدي خَزَنته
كيما يلوذ الخلق طُراً بهم

(١) المجالس المؤيدية ٥١/٢ ، القصيدة الاولى من ديوان المؤيد في الدين

داعي الدعاة .

واعتبروا التأويل الباطن نظرية دينية فلسفية ، تتلخص كما ذكرنا في أن الله سبحانه وتعالى جعل كل معاني الدين في المخلوقات التي تحيط بالانسان ، لذا يجب أن يستدل بما في الطبيعة ، وبما على وجه الارض ، على ادراك حقيقة الدين ، وقالوا ان المخلوقات قسمين : قسما ظاهرا للعيان ، وقسما باطنا خفيا ؛ فالظاهر يدل على الباطن ، وما ظهر من أمور الدين من العبادة العملية ، وما جاء في القرآن هي معاني يعرفها العامة ، ولكن لكل فريضة من فرائض الدين تأويلا باطنا لا يعلمه الا الائمة وكبار دعائهم وحججهم وحدودهم .

وللاسماعيلية أدلة عقلية على وجوب التأويل استقوها من القرآن الكريم ، فذهبوا الى أن مثالة الدين تؤخذ من خلقة السموات والارض ، وتركيب الأفلاك ، وجميع ما يتأمل مما خلقه الله ، فقد ركزت في المخلوقات كل معاني الدين الذي حمله القرآن الكريم ، فأيات القرآن اذن في حاجة الى من يخرج كنوز هذه المعاني^(١) ، واستنادا لهذه الطريقة ، أوجدوا نظرية المثل والمثولون ، والباطن والظاهر ، وجعلوا الظاهر يدل على الباطن ، وسموا الباطن ممثولا ، والظاهر مثلا ، وفي ذلك قال المؤيد في الدين : « خلق الله أمثالا ومثولات ، فجسم الانسان مثل ، ونفسه مشول . والدنيا مثل والآخرة مشول . وان هذه الاعلام التي خلفها الله تعالى ، وجعل قوام الحياة بها ، من الشمس والقمر والنجوم لها ذوات قائمة يحل منها محل المثل ، وان قواها الباطنة التي تؤثر في المصنوعات هي مشول تلك الامثال^(٢) . وجاء في المجالس المستنصرية : « معشر المؤمنين ، ان الله تعالى ضرب لكم الأمثال جملا وتفصيلا ، ولم يستح من صغر المثل اذا بين به ممثولا ، وجعل ظاهر القرآن على باطنه دليلا^(٣) » . ويقول المؤيد :

(١) المجالس المؤيدية ٥٢/٢ .

(٢) المجالس المؤيدية : المجلس الثامن من المائة الثانية .

(٣) المجالس المستنصرية : ص ٩٨ - ٩٩ .

أقصد حمى مثوله دون المثل ذا ابر النحل ، وهذا كالعسل^(١)
 وبناء على نظرية المثل والمثول هذه يجب أن يكون في العالم الارضي
 عالم جسماني ظاهر يماثل العالم الروحاني الباطن ، فالامام هو مثل السابق ،
 وحجته مثل التالي ، وكل خصائص العقل الاول (السابق) جعلت للامام .
 وقالوا : ان الله سبحانه وتعالى متعال عن المراتب كلها كمالا ونقصانا ،
 ووحدة وكثرة ، وأول ما ترتب أولا في الوجود وهو موجود وجد على
 طريق الابداع والاختراع لا على طريق الفيض كما يقول الفلاسفة ، وهذا
 الموجود الاول علة أولى يتعلق بها ويترتب عنها وجود ما سواها من الموجودات
 ومثله في هذا كمثل الواحد الذي هو في الاعداد التي ترتب عنه ، بمثابة
 العلة الاولى في وجودها .

فان الاول ان لم يثبت وجوده لم يكن للشاني طريق الى الوجود ،
 والثاني ان لم يثبت وجوده لم يكن للثالث طريق الى الوجود ، واذا لم يكن
 للثاني والثالث وجود الا بثبوت وجود ما يكون اولاهما وسببا لوجودهما^(٢) .
 فمن وجود الثالث والرابع وغيرهما من الموجودات قيام الدليل على وجود
 أول لها ثابت ، وسبب لولاه لما وجد ما سواه ، فقد ثبت للموجودات
 بوجودها مبدأ أول ، عنه ترتبت في الوجود ، وذلك المبدأ الاول نسميه :
 العقل الاول ، والموجود الاول ؛ الذي وجوده لا بذاته بل بابداع المتعالي
 سبحانه اياه . ولما كانت الموجودات موجودة ثابتة ، ثبت أن العلل ثابتة
 وانها لا تزال ترتفع عن الكثرة عند التوجه نحو الاول منها ، وتقل الى أن
 تنتهي الى شيء واحد ثابت هو علة تنتهي اليها العلل ، مثل التسعة من الاعداد ،
 التي وجودها يدل على وجود الثمانية ، ووجود الثمانية يدل على وجود
 السبعة ، فلا تزال ترتفع عن الكثرة تحليلا الى ما منه وجدت الى أن تنتهي

(١) القصيدة الاولى من ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة .

(٢) راحة العقل : للكرماني ص ٥٩ .

الى واحد ثابت هو علة لجميعها ، وبه قوامها • فيكون ذلك الواحد المتقدم الرتبة وجوده لا بذاته ، بل هو في ذاته فعل عن لا يستحق أن يقال انه فاعل ، وهو مفعول لا من مادة ، وهو فاعل لا في مادة هي غيره • وانما قلنا انه هو فعل في ذاته لكونه أول موجود •

ولما كان الانسان الذي هو آخر الموجودات ، وهو النهاية الثانية لها منحلًا الى أشياء كثيرة مفعولة فيها هي كالمادة التي منها فعل وهي كلها دار الطبيعة ، والى أشياء كثيرة فاعلة صارت دار الطبيعة مادة لها تفعل فيها لاجراج ما من شأنه أن يوجد منها الى الوجود مثل الانسان وغيره ، وهي كلها قائمة بالفعل ، وهي الملائكة الموكلة بالعالم ، فالانسان فاعل في مواد هي غيره عند ايجاد الصورة الصناعية ، ومفعول من دار الطبيعة ، وفعل للملائكة القائمة بالفعل ، وفاعليته بكونه فعلا لغيره الذي قام بفعله ، أعني ايجاده ، ووجدنا دار الطبيعة والفاعلين فيها منحلّة الى أشياء ليست في الكثرة ، مثل دار الطبيعة ، بما تجمعها ، والفاعلين فيها ، بل أقل ، وهي الهيولى والصورة معا ، وما صارت الهيولى والصورة مادة له في تكوين الافلاك والاستقصات من الملائكة أعني العنصر القائم بالفعل ، ودار الطبيعة والفاعلون فيها فاعلة للانسان وغيره من أنواع الموجودات ، ومفعولة مما منه وجدت ، أما دار الطبيعة فمن الهيولى والصورة ، وأما الفاعلون فمن فاعل مثلهم سابق عليهم ، وفعل للملك القائم بالفعل الذي هو سابق للجميع ، وفاعليتها بكونها فعلا الذي قام بفعله اياها ، ووجدنا الهيولى والصورة والفاعل فيهما متحللين الى شيء واحد منه وجودها بانتهاء التحليل الى أول الكثرة بالذوات التي ليس وراء أولها الذي هو اثنان الا الواحد ، وامتناع الامر في انحلالهما الى شيئين يجريان منهما مجرى الآباء والامهات والفاعلين فيها من الانسان والهيولى ، والفاعلين فيها من الآباء والامهات لاتصال الامر فيه أن لو كان كذلك الى مالا يتناهى ، يكون سببا للا وجودية الموجودات ، فقد ثبت بانتهاء التحليل الى واحد به يتعلق وجود ماسواه ، أن هذا الواحد هو العلة الثابتة،

وهو فعل في ذاته ، وفاعل في ذاته ، ومفعول بذاته . ثم نقول : لما كان كل قائم بالقوة ناقصا ، وكان خروجه الى الفعل الذي هو درجة الكمال لا يكون الا بالذي يستند اليه في ذلك ، فمن هو قائم بالفعل تام في ذاته وفعله ، وكانت أنفوس البشر في دار الطبيعية قائمة بالقوة ناقصة ، فخروجها الى الفعل اذن لا يكون الا بالذي هو قائم بالفعل ، تام في ذاته وفعله . ولما كان موجودا من أنفوس البشر من خرج الى الفعل مثل الانبياء والاوصياء والائمة عليهم السلام وتابعيهم بنهم الكمالين ، واستيفائهم السعادتين ومصيرهم مجمعا للفضائل ، صفرا من الرذائل تاما ، كان القائم بالفعل التام في ذاته وفعله الذي به كان كمالهم وارتقاؤهم الى درجة القيام بالفعل وباستنادهم اليه كان وجودهم تامين ولولاه لما كان لهم خروج الى الفعل موجودا (١) .

وتحدث الفلاسفة الاسماعيليون عن وجود الله فأثبتوا ضرورة وجوده عن طريق وجوده عن طريق ليسيته ، وضرورة استناد الموجودات واحتياجها الى موجد ، ونفوا عن الله الأيسية كما نفوا عنه الليسية ، وقالوا : ان الله لا يمكن أن يكون ليسا ولا أيسا ، أي أنه لا يصح أن يكون الله غير موجود ، ولا أن يكون موجودا من نوع الموجودات التي وجدت عنه ، ويطلق عليه اسم المبدع الاول ، والعقل الاول ، والمحرك الاول الذي لا يتحرك باعتباره مبدأ لحركة جميع المتحركات في عالمي العقل والجسم وعلّة لوجود الموجودات الكائنة ، كالواحد الذي هو أول الاعداد (٢) .

ويأتي بعده في ترتيب العقول : العقل الثاني ، الذي وجد عن العقل الاول عن طريق الانبعث ، كما أن وجود العقل الاول عن الله عن طريق الابداع ، لذلك أطلق على العقل الثاني اسم المنبعث الاول ، كما أطلق على

(١) راحة العقل ص (٦١ - ٦٢) .

(٢) المصدر نفسه ص (٩٢ - ٩١) .

العقل الاول اسم المبدع الاول ، والمنبعث الاول • ويسمى في السنة الالهية :
(القلم) • ويأتي بعد المنبعث الاول المنبعث الثاني ، وهو أول الموجودات
القائمة بالقوة ، وهو الهيولى المسماة في السنة الالهية اللوح ، لكونه قابلا
للصور قائما بالقبول ، كقبول اللوح من القلم صور التخطيط ، التي تعرف
بالهيولى المقترن وجودها مع الصورة • (١) .

ويوجد عن العقل الاول والمنبعث الاول عقول سبعة وجد كل منها عن
الآخر صاعدا الى المنبعث الاول • كما أن كلا منها ساطع سار فيما وجد عن الاول
من الهيولى والصورة التي منها وجود السماوات والارض وحركاتها ؛ ومن
تمامية الدور بالسبعة بعد الناطق والاساس وقيام العاشر في مقام الناطق
بالدعوة الى أمر جديد في دور آخر على وقوف الانبعث عن وجود المثل
عند انتهائه الى العاشر من العقول ، وقيام العاشر مقام الاول في تدبير أمر
دار الجسم ، وكون أئمة كثيرة فيما بين الأئمة السبعة ، على أن بين العقول
المنبعثة ملائكة كثيرين بحسب كثرة الاكر في دار الجسم ؛ ومن كون مراتب
الأئمة شيئا واحدا من الامامة والكمال ، على أن مراتب العقول شيء واحد
في كونها برية من الأجسام والمواد • ولما كان محصول ضرب الواحد فيما عنه
ذاته من الفردين اثنين ، كان ذلك موجبا أن يكون الموجود عن الابداع الذي
هو المبدع الاول بفعله في ذاته احاطة بها ونظرة اليها التي هي على نسبتين
وكمالين اثنين ، وهما المنبعثان الاولان أولا وثانيا : اللذان هما العقل الثاني
القائم بالفعل ، والعقل القائم بالقوة الذي هو الهيولى والصورة ، كما أن
الموجود عن الناطق اثنان الوحي القائم بالفعل مقامه والكتاب الذي هو امام
قائم بالقوة ، وهو بمنزلة الهيولى والصورة التي مادة تتضمن كل شيء • ولما
كان الطرف الاول من الاثنين أجل من الطرف الآخر بقربه مما عنه وجوده
وبعد الطرف الآخر وان كانا في الوجود معا ، كان ذلك موجبا أن يكون أحد

(١) راحة العقل ص ١٢٤ للكرماني .

الموجودين عن المبدع بقيامه بالفعل احاطة بذاته ، واغتباطا بها الذي هو العقل الثاني أجل وأشرف من الآخر الذي هو الهيولى القائمة بالقوة المفعول به . كما أن الوصي القائم مقام الناطق هو أشرف من الكتاب المعمول به ، ولما كان محصول ضرب اثنين في اثنين أربعة ، وكانت مع الحاصل في الوجود ستة من واحد واثنين وثلاثة وعشرة ، وكانت العشرة مكانها في العشرات كالواحد من الآحاد ، كان ذلك موجبا أن يكون ما وجد بالابداع والانبعاث من العقول الفاعلة في ذواتها بذواتها عشرة^(١) تم بها عالم الابداع والانبعاث الذي هو المبادئ الشريفة ، وقام العاشر منها لعالم الجسم مقام المبدع الاول في عالم الابداع الاول والانبعاث الاول ، كما ان الموجود في الدور من الحدود العشرة أولها الناطق والوصي وسبعة من الاتماء الذين يتمون الادوار الصغار ، والعاشر هو الذي يقوم مقام الناطق في دوره ثم يظهر بأمر جديد في دور جديد .

وعلى هذه الصورة يمكننا أن نرتب العقول العشرة مع مايقابلها من مراتب الدعوة الاسماعيلية ، ومراتب الموجودات ومطابقتها لها على الشكل التالي :

١ - العقل الاول أو المبدع الاول = الناطق .

٢ - العقل الثاني : (فلك الكواكب الاعلى الحاوي لكل ما في عالم الجسم الثاني الذي يأتي في الترتيب بعد عالم الجسم الاول وهو عالم الهيولى والصورة) = الاساس .

٣ - العقل الثالث (فلك زحل) = المتمم الاول = الامام .

٤ - العقل الرابع (فلك المشتري) = المتمم الثاني = الباب .

٥ - العقل الخامس (فلك المريخ) = المتمم الثالث = الحجة .

(١) المصدر نفسه ص ١٢٦ للكرماني .

- ٦ — العقل السادس (فلك الشمس) = المتمم الرابع = داعي البلاغ •
 ٧ — العقل السابع (فلك الزهرة) = المتمم الخامس = الداعي المطلق •
 ٨ — العقل الثامن (فلك عطارد) = المتمم السادس = الداعي المحدود
 ٩ = العقل التاسع (فلك القمر) = المتمم السابع = المأذون المطلق •
 ١٠ — العقل العاشر (مأذون فلك القمر) = المتمم الثامن = المأذون المحدود = المكاسر = المكالب •

كما وأن الموجودات الروحية والمادية التي وجدت عنه تعالى بإبداعه لها واختراعه اياها ، فقد رتبت على الشكل التالي :

- ١ — أول الموجودات ، هو المبدع الاول ، أو الموجود الاول ، الذي ليس وجوده بذاته ، والذي هو علة الموجودات تنتهي اليها هذه الموجودات • وهو عين الابداع وعين المبدع من ناحية ، وعين الوحدة وعين الواحد من ناحية أخرى •
 ٢ — ثاني الموجودات ، هو العقل الثاني ، أو المنبعث الاول ، العقل القائم بالفعل ، وهو في الكمال كالعقل الاول ، كما أنه لا جسم ولا في جسم •
 ٣ — وثالث الموجودات ، هو العقل القائم بالقوة ، أو المنبعث الثاني الاول ، وهو الهيولى والصورة ، وقد سمي بالمنبعث الثاني الاول لانه ثاني في الرتبة بعد المنبعث الاول من ناحية ، ولانه أصل لعالم الجسم ، فهو أول بالنسبة لما ينشأ عنه من الاجسام من ناحية أخرى •
 ٤ — وعن العقل الثاني القائم بالفعل يصدر الملائكة الموكلون بعالم الطبيعة ، وهم كثيرون ، ووجود كل منهم عن الآخر •
 ٥ — وعن العقل القائم بالقوة الذي هو الهيولى والصورة يصدر عالم الطبيعة بأفلاكها وكواكبها •

وكذلك وجد في الجسد سبع قوى فعالة جسمانية وهي : الجاذبية ،
 والماسكة ، والهاضمة ، والدافعة ، والغازية ، والنامية ، والمصورة . وسبع
 قوى روحانية حساسة خفيفة لطيفة وهي : الباصرة ، والسامعة ، والذائقة ،
 والشامة ، واللامسة ، والناطقة ، والعاقلة ، ومن هذه القوى الحساسة خمسة
 منها تشبه الكواكب الخمسة الجارية في السماء : المريخ والمشتري وعطارد
 وزهرة وزحل . والقوى الناطقة مناسبة للقمر ، والقوى العاقلة مناسبة
 للشمس .

وقالوا : ان للقوى الفاضلة التي هي : العاقلة ، والمفكرة ، والذاكرة ،
 والمتخيلة ، والمميزة ، والحافظة ، والناطقة ، في الدنيا نظير ، السبعة النطقاء ،
 ودعائم الاسلام السبعة التي هي : الصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة ،
 والجهاد ، والولاية ، والطهارة . وقسموا هذه العلوم الى ثلاثة أقسام :
 رياضية وطبيعية ، والهيئة . وقالوا : ان العلوم الرياضية هي دون فلك القمر ،
 والعلوم الطبيعية في الفلك التاسع الى فلك القمر ، أما العلوم الالهية فهي
 فوق الفلك التاسع ، مثل العقل ، والنفس ، والامر ، والباري ، وقد أشرف
 على كل نوع من هذه العلوم عقول تسيروها وترعاها ، ففضلوها ورتبوها
 حسب أهميتها ، فجعلوا المرتبة الاولى للعلم الالهي ، وموضوعاته تبحث
 عن كنه الله تعالى ، وكنه النفس الناطقة العلامة بالقوة ، الفعالة بالذات ،
 معتمدين على قول الرسول : (من عرف نفسه فقد عرف ربه) ، و (أعرفكم
 بنفسه أعرفكم بربه) . ومن يتوصل الى معرفة نفسه اطلع على الخفايا
 والأسرار ، وأصبح اسمه لدى العامة (النقال) أي الذي ينقل النفوس من
 الظلمات الى النور ، ويخرج من الفجار أشخاصا أخيارا ، ويجعل من الكافر
 الملحد ، مؤمنا وليا ، وهذا النقال لا يعرج على قرية خاوية الا وأحيائها ،
 ولا أرضا قاحلة الا وأخصبها ، يهيمء الاسباب ، ويرفع الحجاب ، ويهوّن
 الامور الصعاب ، ويحمل نورا من أنوار الله يقذفه في قلب من يشاء من عباده
 واتباعه الصالحين ، ويرشدهم الى جوهر العقول ، وأسرار النفوس ، وأنوار

الافكار ، وحكم الازهار ، ويطلعهم على السر المكنون ، والنور الشريف اللطيف ، وهو علم الربوبية ، والسر الامري ، والرحمة الواسعة التي يخص بها من يشاء •

وقالوا : ان الانسان هو النفس قبل الجسم ، لان نفسه لبست زمنا طويلا حتى عرفت وعقلت المعقولات ، أي عرفت امام عصرها وزمانها ، ولما عرفته ارتقت الى عالمها النوراني ، عالم الملكوت الاعلى •

وقالوا : بان الله أبدع من نوره الشعشعاني صورة أزلية كاملة دعاها العقل الكلي ، فكان حدا من حدوده أطلق عليه السابق لسبقه الحدود الروحانية الى معرفة الخالق وتوحيده ، فكان أولا لاحقا ، ثانيا موجودا ، ثالثا واحدا ، رابعا تاما ، خامسا كاملا ، سادسا أزليا⁽¹⁾ ، سابعا عاقلا ، ثامنا عالما ، تاسعا قادرا ، عاشرا حيا ، وأطلق المبدع على هذا الملاك الاول والحد الاول ، اسم (القلم) وقال له : أقبل ، فأقبل ، وقال له : أدبر ، فأدبر ، فقال : بعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أعز منك ، بك أثيب ، وبك أعاقب ، وبك تبلغ النفوس المنازل العالية ، قد جعلتك وسيلتي لجميع عبادي ، من أطاعك فقد أطاعني ، ومن عصاك فقد عصاني ، وأفاض الله من نوره ومن العقل الكلي الفعال ، جوهرًا آخرًا في كماله ، دونه في رتبته • فكان ملاكا ثانيا قابلا للصورة •

وعن الملائكة وعالم الطبيعة يصدر الانسان بالنفس والجسم • فترجع نفس الانسان الى ما عنده وجدت وهو الملائكة ، ويرجع جسمه الى ما عنده وجد وهو الهيولى والصورة •

وتقابل مراتب الموجودات أو مراتب عالم الصنعة الالهية ، ومراتب عالم الصنعة النبوية أو عالم الدين كما يلي :

(1) اسرار النطقاء على هامش جامع الحقائق ٦/٢

- ١ - الناطق وهو الاصل الذي يصدر عنه الدين بما فيه من علم وعمل، وبمن فيه من أئمة يدعون الى التحقق بكمال العلم عن طريق العبادة العلمية الباطنية ، والى التحقق بكمال العمل عن طريق العبادة العملية الظاهرة .
 - ٢ - وعن الناطق الذي هو أصل عالم الدين من جهة التركيب ، وجد الامام القائم بالفعل وهو الاساس .
 - ٣ - وعن الناطق أيضا وجد الامام بالقوة وهو الكتاب .
 - ٤ - وعن الامام القائم بالفعل الذي هو الاساس وجد الأئمة القائمون بحفظ الشريعة ، وهم كثيرون .
 - ٥ - وعن الامام القائم بالقوة الذي هو الكتاب وجدت الشريعة الجامعة للعبادتين الباطنة والظاهرة علما وعملا ، وهي أشياء كثيرة .
 - ٦ - وعن الأئمة والشريعة يحصل كمال النفس البشرية ، اذ بالشريعة يحصل كماله العملي الذي يأتي من العبادة الظاهرة ، ومن الأئمة يحصل كماله العلمي الذي يأتي من العبادة الباطنة .
- وعدا عن هذه الآراء الفلسفية والنظريات العميقة أوجدوا نظريات الهياكل السبعة والادوار السبعة ، فقالوا عن الهياكل : انها على نوعين : سبعة مؤتلفة ، وسبعة مختلفة . والنطقاء سبعة ، وأسهم سبعة ، والأئمة سبعة . فالنطقاء السبعة والأسس السبعة هم : آدم ، وأساسه شيث ، ونوح وأساسه سام ، و ابراهيم وأساسه اسماعيل ، وموسى وأساسه شمعون الصفاء ، ومحمد وأساسه علي بن أبي طالب ، واسماعيل وأساسه قدامح الحكمة . والأئمة السبعة هم : علي ، والحسين ، وعلي زين العابدين ، ومحمد الباقر ، وجعفر الصادق ، واسماعيل ، ومحمد بن اسماعيل ، وطابقوا هذه النظرية على الاعداد ورتبوها كما يلي^(١) :

(١) البيان لمباحث الاخوان : للشادلي تحقيق مصطفى غالب ص ١٤ - ١٣

آدم : بمنزلة الآحاد ومنه السلالة .

نوح : بمنزلة العشرات وهو كالنظفة في الصورة الجسمانية .

ابراهيم : بمنزلة المئات وهو كالعلقة في الصورة الجسمانية .

موسى : بمنزلة الآلاف وهو كالعظام في الصورة الجسمانية .

عيسى : بمنزلة عشرات الالوف وهو كاللحم في الصورة الجسمانية .

محمد : بمنزلة مئات الالوف وهو كالصورة التمامية

القائم : بمنزلة آلاف الالوف وهو كالنقطة الاخيرة .

قائما بالتقبول ، أطلق عليه اسم اللوح المحفوظ ، فكان حدا ثانيا ، أبدعهما الله بالكلمة القدسية (كن) فكان ، الكاف منها دليلا على السابق ، والنون اشارة الى تاليه .

ف (كن) كلمة من كلام الله الساري وحيا بلا واسطة ، فكان حدا ثالثا أطلق عليه اسم (الجد) ، آخذا من قوله تعالى « وانه تعالى جد ربنا »^(١) وتتج عن ذلك الحد الرابع الذي هو (الفتح) ، لانه فتح بالذكر ماصح بالفكر ، فتم بهذا الابداع ، الحد الخامس الذي أطلق عليه اسم (الخيال) لانه كان أول عارض تخيل بالفكر ، والنافخ الاول في نفخة البعث ، وبذلك قال أحد الدعاة :

غدا السابق السامي اليه وناله مع الجد والفتح والخيال الملاوم

وأطلق على هذه الحدود الخمسة اسم الحدود العلوية الروحانية ، وقيل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : تسلمت من خمس ، وسلمت الى خمس ، وبينى وبينى ربي خمس ، وأنا وآل بيتي خمس .

١ — آدم : وحظه : بحيرة الراهب .

(١) سورة ٧٢ / ٤

- ٢ - نوح : وحظه : خديجة بنت خويلد •
 ٣ - ابراهيم : وحظه : ميسرة
 ٤ - موسى : وحظه : عمر بن نافل •
 ٥ - عيسى وحظه : زيد •

أما الخمسة التي سلّم اليهم ملكة الدين هم : الأساس ، والوحي ، والامام ،
 والحجة ، والداعي • والخمسة التي بينه وبين ربه هم : العقل ، والنفس ،
 والجد ، والفتح ، والخيال • يقابلهم في عالم الملائكة ، القلم ، واللوح ،
 وميكائيل ، واسرافيل ، وجبرائيل ، وقوله : أنا وآل بيتي خمس ، يقصد :
 محمد ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين •

وقالوا : ان جميع الانبياء ، لم يأخذوا التأييد ، ولا اتصل بهم الوحي
 الا عن طريق الحدود الروحانية ، الغير متشخصة ، وقد فسر أحد الفلاسفة
 الاسماعيلية قوله تعالى « وما كان لبشرٍ أن يكلمه الله الا وحيا ، أو من
 وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء ^(١) » بأن القسم الاول من
 هذه الآية هو رتبة (الجد) الذي هو كلام الله وحيا ، وكلمة من وراء حجاب ،
 هي رتبة ، (الفتح) ، وكلمة ويرسل رسولا هي : رتبة (الخيال) ، وأفضى
 السابق الى تاليه بالمادة الارادية ، والمشئة المقتضية ، وأفضى التالي الى
 الجد ، وهو اسرافيل بما يجري في العالم الروحاني ، فافضى به اسرافيل الى
 الفتح وهو ميكائيل الذي أبلغه الى الخيال ، جبرائيل ، فبلغه جبرائيل الى
 الناطق الحي ، الذي يمثل في دوره ، السابق ، كما يمثل الحجة أي الأساس
 دور التالي ، وبمثل الداعي الجد ، والمأذون الفتح ، والمكاسر ، الخيال في
 كلا الدورين • فقول النبي : اني أخذ الوحي عن جبرائيل ، وجبرائيل
 يأخذه عن ميكائيل ، وميكائيل يأخذه عن اسرافيل ، واسرافيل يأخذه عن
 اللوح ، واللوح يأخذه عن القلم ، أنه يعني بذلك ، اني أخذ الوحي عن

(١) سورة ٤٢ / ٥٠ .

الخيال ، الذي يأخذه عن الجد ، عن التالي^(١) الذي يأخذه عن السابق ، فيكون قد أخذ عن خمسة حدود علوية اتصل عنهم خمسة حدود أرضية هم : النطقاء عن السابق ، والاوصياء عن التالي ، والدعاة عن الجد ، والمأذونون عن الفتح ، والمكاسرون عن الخيال .

والمأذونون ، والمكاسرون أقرب الحدود الى المستجيبين ، ومرتبتهما كبيرة ، لا تتوافر الا فيمن كان على علم تام بالعقائد ويعرف مواضع الضعف فيها ، ليتمكن من مجادلة أصحاب الفرق الاخرى واظهار ما في معتقداتهم من أخطاء لترغيب المستجيبين ، واذا ما طبقنا نظرية المثل والمثول يكون في العالم الارضي حدود جسمانية تماثل الحدود العلوية وتتصف بصفتها وتسمى بأسمائها ، لأن الله سبحانه وتعالى المنزه عن الاسماء والصفات ، أقام العالمين العلوي والسفلي بعشرة حدود كاملة ، خمسة حدود روحانية ، وخمسة حدود جسمانية ، فالحدود الجسمانية أو الارضية هم : النبي والوحي والامام والحجة والداعي ، يقابل كل منهم : السابق والتالي والجد والفتح والخيال^(٢) وان العالم العلوي يمد العالم السفلي ، وعالم العرش يمد عالم الكرسي ، وعالم الكرسي يمد فلك زحل ، وفلك زحل يمد فلك الشمس ، وفلك الشمس يمد فلك زهرة ، وفلك زهرة يمد فلك عطارد ، وفلك عطارد يمد فلك القمر ، وفلك القمر يمد فلك الحرارة ، وفلك الحرارة يمد فلك الهواء ، وفلك الهواء يمد فلك الماء ، وفلك الماء يمد فلك التراب . والوجود بحد ذاته تأسس من علتين : احدهما الامر وهو علة العلل ، والثاني العقل الفعال وهو علة ومعلول ، والامر هو المادة الالهية التي تمد العلة الثانية ولا تستمد منها ، والامر والباري كلمة واحدة تستمد منهما كافة الحدود الروحانية ، وقد يظهر الامر في العالم السفلي متجسدا في صورة الحجاب

(١) المجالس المؤيدية ٢١١/٢

(٢) الفترات والقرانات ص ٦٩ .

البشري ، وقيامه بالمدة المقررة ، فاذا غاب الامام انتقل الامر الى شخص آخر من ولده بموجب النص ، فهو اذن علة الوجود كما ان الواحد علة الاعداد ، ومنه تكونت كسورها واعدادها ، والامر هادي بذاته ، لأنه يمد ولا يستمد ، بينما العقل يمد ويستمد ، فهو هادي بهديته ، لأن مادته من الأمر استمدتها لأنه علته ، والأمر ظهر في العالم السفلي في صورة الحجاب البشري ، والأمر هو الامام بالحقيقة لأنه هادي بجوهره وهو الأمر ، والجسم البشري حجابه قد سمي باسمه .

وقالوا في التوحيد : « ان كون المبدع سبحانه لا مثل له ، ليس يتعلق بتوحيد الموحدين ، ولا بتجريد المجريدين ، فيخرج من أن يكون لا مثل له ، اذا لم يوحد الموحدون أو عن نعوت مبدعاته اذا لم يجرده المجردون ، بل هو تعالى — تكبر ووحده الموحدون أو لم يوحد ، وجرده المجرد أو لم يجرد — لا مثل له ، اذ لو كان لكائنا اثنين ، ولكائنا من حيث كونهما اثنين يوجد في كل واحد منهما ما يباين به الآخر ، وبه تقع الاثنينية فيكون لكل واحد منهما جزآن بهما ، وجود ذاتهما . أحدهما مشترك والآخر خاص ، فيجب بذلك ما يتقدم عليهما جميعا ، ويكون هو الذي أعطى^(١) كلا منهما ما اختص به وبابن الآخر وهو بالالهية أخرى ، وهو تعالى من العلاء في ذروة لا يجوز أن يكون غير يسبقه أو يتأول عليه ، والذي يكون بهذه المثابة لا يكون له ضد ولا مثل .

وليس التوحيد تدقيق المعنى في الاخبار عن الله تعالى بأنه فرد ، فيكون المدقق موحدا ، ولا تخصيص الله تعالى بمعنى من المعاني فيثبت أنه بذلك المعنى فرد ، اذ عظمة كبريائه في حجاب من الامتناع عن أن تكون الحروف تترجم عنها بوجه من الوجوه ، وكيف تترجم الحروف عنها ولا تعلق لها منارا في تأليف ليدل الا وماء قدرته يفيض ولا ينبىء منها نبأ لينطق بمعنى

(١) الرسالة الدرية : للكرماني ص ٢١٨ وراحة العقل للكرماني ص ٤٨ .

يدق أو يجل الا وعجزها يفرخ ويبيض ، وتعالى الاله المعبود عن قضايا العقلیات ، وتقّس عن نعوت الطبعیات • وانما هو (أي التوحيد) مصدر على التفضيل ، وله من معناه وجهان أحدهما منسوب الى ابداع المبدع تعالى وتقّس ، والآخر منسوب الى فعل المؤمن الموحد ، فالذي هو منسوب الى ابداع المبدع تعالى وتقّس هو أن يقتضي موحدًا ، وهو الفاعل للواحد ، وموحدًا وهو المفعول للواحد ، واذا كان التوحيد فعل الموحد بمعنى الفاعل للواحد فكان الواحد قد يقال على أوجه منها : أن يكون الواحد واحدًا بتناهي ذاته الى جهات يفارق غيره ، مثل أشخاص الاشياء المحسوسة ، وهو مستحق من هذه الجهة لأن يقال انه واحد ، وتناهيه الى الجهات واستيعاب الحدود جملة يدل على أن هذا الواحد محدث^(١) •

ومنها أن يكون الواحد واحدًا ، بمعنى أن يختص بمعنى لا يوجد في غيره ، مثل قوة حجر المغناطيس في حجر الحديد ، وهو مستحق من هذه الجهة أن يقال انه واحد ، واختصاصه بهذا المعنى من دون غيره يوجب أن يكون هذا الواحد محدثًا^(٢) •

ومنها أن يكون واحدًا مطلقًا ، فالواحد المطلق ناطق عن ذاته بالازدواج الذي هو الوحدة وحاملها ، وجميع هذه الوجوه توجب أن يكون الواحد على الاطلاق محدثًا ، واذا وجب أن يكون الواحد على الاطلاق محدثًا ، كان منه الايجاب بأن التوحيد وهو فعل الواحد الناطق عن ذاته بحدته لا يليق بمجد المبدع سبحانه وتعالى كبرياؤه ، اذ المبدع تقّس موحد بمعنى أنه مبدع الواحد والاحد^(٣) والله بريء من الصفات الواقعة تحت اختراعه ومتقّس عنها لا سيما أنه تعالى فاعل على هذه الصفات وفاعل الاشياء كلها •

(١) الرسالة الدرية للكرماني ص (١٩ ، ٢٠ ، ٢١) •

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣

(٣) المصدر نفسه ص ٢٤

هذه هي الخطوط الرئيسية التي تتركز عليها عقائد الاسماعيلية ، والتي تستمد أصولها من جوهر الاسلام الصحيح ، وتلتقي في أهدافها العليا مع أحكام الله في آياته البينات ، وتقر بوحداية الخالق وتنزهه عن الصفات والاشياء ، مع الاستمسك بكافة الشرائع السماوية والاعتصام بآل رسول الله الائمة الاطهار .

« يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ . فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ^(١) » .



(١) سورة ٤/٦٠

القرامطة والاسماعيليون

يعتبر البحث في حركة القرامطة بحد ذاته بحثا شاقا ، ترسم حول معظم النقاط الاساسية فيه علامات استفهام كبيرة ، تتأرجح بين الشك واليقين .
فما ظنك في بحث نود أن نخوض غماره في طائفتين لم يتمكن المنقبون والباحثون من تحديد خط بياني واضح للعلاقة بينهما ، وهما : الاسماعيلية والقرمطية ؟

فبقدر ما تتقارب أهدافهما من بعضها ، وتذوب في انطلاقة واحدة ، وغاية مشتركة ، سرعان ما تتسع من جديد ، وتزداد في الاتساع حتى يخيّل للدارس أنهما على طرفي نقيض .

ونحن ، وقد أدركنا جسامه المهمة في ايضاح العلاقة بين الطائفتين ، اعتمدنا الرواية المطلقة ، في البحث والتنقيب ، وجمعنا الشواهد التاريخية ، والمخطوطات المتناثرة من أقاصي فارس ، حتى حدود سلمية ، وتلمسنا خيط الحقيقة الدقيق الذي يصرح ضمن سطور هذه المخطوطات ، فتكللت مهمتنا بقسط عظيم من الدقة ، وأتت أقرب ما تكون من الحقيقة ، التي اكتنفت هذا الموضوع الشائك .

فالقرامطة فرقة اسماعيلية محضة ، لا أثر للجدال في صحة نسبها الاسماعيلي ، ولا مجال للابهام في أنها أسست على أساس اسماعيلي صرف ، الغاية منها أن تكون قاعدة ينطلق منها دعاة الاسماعيليين الى مختلف أصقاع الدنيا .

ففي مطلع القرن الثالث الهجري كانت حركة التأويل والتفسير ناشطة في جميع أرجاء بلاد المسلمين ، وكانت الاضطرابات الاقتصادية والتفكك

الاجتماعي من أهم الاسباب التي دفعت سواد الشعب المسلم ومفكرية الى الانعطاف على التعاليم الاسلامية ، علمهم يجدون فيها حولا جذرية سريعة تتقدمهم من حمى الفوضى ، ومصائب البلبلة ، التي أحدثها انحراف المسؤولين ، واتباعهم أهواءهم الشخصية ، وانقساماتهم حسب آرائهم وأفكارهم الخاصة ، فتعددت بذلك الدعوات ، وكثرت المتناقضات ، وتشعبت الآراء ، فضاعت بذلك صرخة الحق ، وخبث شعلة الهدى ، وادعى أتباع كل دعوة أنهم أصحاب الحق ، وأن سواهم هم الضالون .

في هذه الحالة العارمة بالفوضى ، سير الامام الاسماعيلي وحجته عبد الله ابن ميمون القداح - وهما في الاهواز - الى سواد الكوفة في العراق الداعي الحسين الاهوازي ، فبلغ هذا الداعي سواد الكوفة ، واستطاع بما أوتيته من حجة بالغة في الاقناع ، وتفقه عميق لاصول التعاليم الاسلامية أن يضم اليه لفيما من المؤيدين لدعوته ، وكان أبرزهم حمدان بن الاشعث المعروف بقرمط^(١) الذي خلف معلمه الاهوازي في اتمام رسالته ، والنهوض بأعباء^(٢) الدعوة الاسماعيلية ؛ وقد وفق بعد حين ، حيث استطاع أن يضم الى دعوته جميع منطقة سواد الكوفة ، فأمر أتباعه سنة ٢٧٦ هجرية بشراء الاسلحة ، وأنشأ أول دار للهجرة في السنة التالية . ويقول النويري^(٣) :

(١) اختلف المؤرخون في أصل كلمة قرمط ، قال المقريري (اتعاض الحنفا ص ١٠١) ان حمدان بن الاشعث ، كان قصير القامة والسير ، وكانت خطواته متقاربة ، فأطلق عليه اسم قرمط ، وفي القاموس ما يوضح هذا الاشتقاق اذ يقول : القرمطة دقة الكتابة ومقاربة الخطو ؛ وقيل أيضا انه كان في القرية رجل أحمر العينين يحمل على اثار له ، يسمونه كرميته لحمرة عينيه (ومعناه بالنبوية أحمر العين) ، فسمي باسم الرجل الذي في دار كرميته ، ثم خفف اللفظ فصار قرمط . وقيل معنى قرمط في الارامية ، المعلم السري .

(٢) ابن الاثير ١٤٧/٧ ، النوبختي ورقة ١٤٤ .

(٣) نهاية الارب : مخطوط بدار الكتب المصرية ٢٣/ورقة ٦٩

« ثم ان الدعاة اجتمعوا واتفقوا على أن يجعلوا لهم موضعا ، يكون وطننا ودار هجرة يهاجرون اليها ويجمعون بها ، فاختاروا من سواد الكوفة •• قرية •• فحازوا اليها صخرا عظيما ، وبنوا حولها سورا منيعا ، عرضه ثمانية أذرع ، ومن ورائه خندق عظيم ، وفرغوا من ذلك في أسرع وقت ، وبنوا فيها البناء العظيم • وانتقل اليها الرجال والنساء من كل مكان ، وسميت دار الهجرة ، وذلك سنة سبع وسبعين ومائتين • فلم يبق حينئذ أحد الا خافهم ، ولا بقي أحد يخافونه ، لقوتهم ولتمكنهم في البلاد » •

وقد لاقت الدعوة الاسماعيلية على يد حمدان قرمط رواجاً عظيماً بين العرب ، حيث أخذ هو واتباعه ينشرون الدعوة بين العناصر العربية ، وسن حمدان قرمط نظاماً مالياً متقناً ، ونادى بالاشتراكية « وأخذ (بالالف) وأمر أن تجمع الاموال في موضع واحد ، وأن يكون الجميع فيه اسرة واحدة • لا يغفل أحد صاحبه ولا أخاه في ملك يملكه ، وأقام الدعاة في كل قرية رجلاً مختاراً من ثقاتها • يجمع عنده أموال أهل قريته ، من بقر وغنم وحلي وممتع وغيره • وكان يكسو عاريهم ، وينفق على سائرهم ما يكفيهم ، ولا يدع فقيراً بينهم ولا محتاجاً ولا ضعيفاً ؛ وأخذ كل رجل منهم بالاجتهاد في صناعته والمكسب جهده ، فيكون له الفضل في رتبته • وجمعت المرأة كسبها من مغزلاها ، والصبي أجره نظارته للطير ، وأتوه بها ؛ فلم يملك أحد منهم الا سيفه وسلاحه »^(١) وكان عبدان صهر حمدان قرمط من أكبر مساعديه ودعاته ؛ وكان مشهوراً بعلمه ، وتعمقه في أصول المذهب الاسماعيلي ، وقد أخذ عنه كبار دعاة الاسماعيلية والقرامطة كافة العلوم ، وحتى أن أبا سعيد الحسين بن بهرام الجنابي مؤسس دولة القرامطة في بلاد البحرين ، وزكرويه ابن مهيويه زعيم قرامطة الشمال ، أي شمال غربي بلاد العراق وبادية السماوة وبعض بلاد الشام ، قد أخذوا الدعوة عنه •

(١) القريري : اتعاظ الحنفا ص ١٠٤ - ١٠٥

وبهذه السياسة الاشتراكية العملية ، قدروا أن يضموا كثيرا الى صفوفهم ، وأن يكونوا جماعة متحمسة ، لا فقير فيها ولا غني ، كما استطاعوا أن يعدوا العدة لنضال عنيف مع العباسيين . ولم يلبث أن اختفى حمدان قرمط ، وقتل عبدان ، فتحول نشاط القرامطة نحو الشمال على يد زكرويه ، ونحو الجنوب على يد أبي سعيد الجنابي كما سيأتي^(١) :

قلنا ان زكرويه بن مهرويه كان من أكبر دعاة حمدان قرمط ، وقد نشأ في إحدى قرى سواد الكوفة حيث أخذ يدعو الى امامة محمد بن اسماعيل . وبالتفاهة حمدان وعبدان على رئاسة الدعوة انضم زكرويه الى دعاة الاسماعيلية وساعدهم على التخلص من حمدان وقتل عبدان . فأخذ قرامطة السواد والعباسيون يضيقون عليه الخناق ، فاختمى عن الانظار ، وبدأ يوجه دعوته في الخفاء ، وبعث أبناءه لنشر الدعوة الاسماعيلية في بني كلب على مقربة من الرقة ، ونجح ابنه يحيى بن زكرويه في جذب طائفة من هؤلاء العرب اليه .

وامتد نشاط هذا الفرع في شمال العراق الغربي وبادية السماوة وبعض مدن الشام . وتسمى هذه الحركة (حركة الجزيرة العراقية والشام)^(٢) . ويقول الطبري^(٣) : « فأرسل زكرويه أولاده اليهم فبايعوهم وخالطوهم ، واتموا الى علي بن أبي طالب ، والى محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وذكروا انهم خائفون من السلطان ، وأنهم ملجؤون اليهم ، فقبلوهم على ذلك . ثم دبوا فيهم بالدعاء الى رأي القرامطة . فلم يقبل ذلك أحد منهم ، أعني من الكلبيين ، الا الفخذ المعروفة ببني العثليين بن ضمضم بن عدي ابن جناب ، ومواليهم خاصة ، فبايعوا في آخر سنة تسع وثمانين ومائتين

(١) تاريخ الدولة الفاطمية : حسن ابراهيم حسن ص ٣٨٨

(٢) Bernard Lewis : the origins of ismailism, p.p. 74.

(٣) ج ٨ ص ٢١٤ الاستقامة حوادث عام ٢٨٩

بناحية السماوة ، ابن زكرويه المسمى يحيى والمكنى أبا القاسم ، ولقبوه الشيخ ، على أمر احتال فيهم ولقب به نفسه ، وزعم لهم أنه أبو عبد الله ابن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب وانحازت اليه جماعة من بني الاصبح وأخلصوا له ، وتسموا بالفاطميين ، ودانوا بدينه » •

ولم تلبث دعوة يحيى بن زكرويه أن انتشرت في بلاد الشام ، حتى انه حاصر دمشق نفسها سنة ٢٨٩ هجرية وضيق الحصار على طعج بن جف ابي محمد بن طعج الاخشيد ، وكان يلي بلاد الشام من قبل الطولونيين • ولم ينقذه الا بدر الكبير الذي أرسله اليه هارون بن خمارويه • وقتل يحيى على أبواب دمشق ، فانتقلت رياسة الدعوة الى أخيه الحسين بن زكرويه الذي ادعى ، كأخيه يحيى الانتساب الى محمد بن اسماعيل^(١) • وسمى نفسه أحمد ، وتكنى بأبي العباس ، وعرف بأبي مهزول •

ودعا الناس فأجابه أهل البوادي من تنوخ ، وبكر ، وتغلب ، وقضاة ، القبائل التي كانت تنزل ديار ربيعة ومضر ، واستتجد من بالبحرين من عقيل ، وتغلب ، وعبد القيس ممن كان استجلبهم أبو سعيد الجنابي الى الدعوة فخفوا لنجدته حتى تجمع لديه خلق كثير ، فأظهر شامة في وجهه ، وزعم أنها آيته ، واطلق على نفسه اسم صاحب الشامة ، وقصد دمشق محاصرا وأمعن في أهلها تقتيلا ، وفي أرضها تبشيرا ، حتى دخل في دعوته أكثر من هم حول دمشق من سكان الغوطة ، وسير الدعاة الى جبل لبنان في منطقة وادي التيم ، والبقاع ، وصالحه أهل دمشق على مال دفعوه اليه^(٢) • وتظاهر أهل حمص بما يبطنون ، وكتبوا الى أبي مهزول صاحب الشامة ، الحسين ابن زكرويه ليأتي اليهم ، وقوبل بالحفاوة فيها وخطب له على منابرها ،

(١) التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٣٢٢ ، الكامل لابن الاثير ١٧٣/٧ •

(٢) خطط الشام : كرد علي ٣٠٧/١

• وضرب نقودا ، ولقب بأمير المؤمنين^(١) .

واستمرت حركة الحسين بن زكرويه مصدرا للقلق والانزعاج في بلاد الشام ، حتى قضى عليه محمد بن سليمان الكاتب ، قائد الخليفة العباسي المكتفي سنة ٢٩١ هجرية • فتحول مركز نشاط قرامطة الشمال نحو الكوفة نفسها • وخرج زكرويه من مخبئه وحارب ضد العباسيين ، وفنك بقوافل الحجاج انتقاما لقتل ابنه ورغبة في نشر الدعوة الاسماعيلية الى أن قضت عليه جيوش العباسيين سنة ٢٩٤ هجرية^(٢) .

وكذلك انتشرت الدعوة الاسماعيلية في القطيف على يد الحسين بن بهرام الجنابي ، ويكنى أبا سعيد الجنابي^(٣) ، وقيل انه فارسي الاصل • وقد التف حوله جماعة من الاعراب والنبطيين الذين رحبوا بدعوته ، فاستفحل أمره وقويت شوكته ، وقتل من وقف في طريقه من أهل القطيف •

وفي سنة ٢٨١ هجرية سار الى القطيف رجل من كبار دعاة الاسماعيلية ، يدعى يحيى بن المهدي ، وادعى أنه رسول المهدي من بيت علي بن أبي طالب • فأجاب دعوته أهل هذه المدينة وسائر بلاد البحرين ، ولم يلبث يحيى أن غاب عن الناس مدة ، عاد يحمل كتابا من الامام المهدي الى أتباعه ، يأمرهم فيه بأن يدفع كل منهم الى يحيى خمس أموالهم ففعلوا^(٤) .

وأغار أبو سعيد على مدينة هجر عاصمة بلاد البحرين فاستولى عليها بعد حصار سنتين ، واتخذ الاحساء عاصمة لدولة القرامطة الجديدة ، وقد استطاعت هذه الدولة أن تبسط نفوذها في الجزيرة العربية ، وقامت حكومة ملكية وراثية في بيت الجنابي يعاونها مجلس من ١٢ عضوا ، وضع لها

(١) تاريخ ابي الفداء : ٦٢/٢

(٢) اتعاظ الحنفا : القريري ص ١٢٣ - ١٢٤

(٣) نسبة الى جنابة ، وهي بلدة على ساحل الخليج الفارسي شرقا .

(٤) ابن اثير : الكامل ١٧٥/٧

القوانين والانظمة ، وأوجد نظاما حربيا كما أعد جيشا قويا ؛ مما أثار مخاوف الخليفة العباسي المعتضد فأرسل الى الجنابي جيشا بقيادة العباس بن عمرو الغنوي ، فهزمه الجنابي ووقع القائد بالاسر ، وهكذا استطاع الجنابي أن يقيم دولة اسماعيلية قوية بالبحرين ، امتد نفوذها على هجر والاحساء ، والقطيف وسائر بلاد البحرين والطائف^(١) . وقتل في الحمام بيد أحد خدمه في سنة ٣٠١ هجرية . ولما تولى ابنه سعيد (٣٠١ - ٣٠٥ هجرية) سار على سياسة أبيه التي تنطوي على التقرب من العباسيين والتباعد عن الفاطميين ، لذا قرر الخليفة الفاطمي في المغرب خلعه وتولية أخيه أبا طاهر سنة ٣٠٥ هجرية^(٢) . وقد أخذ أبو طاهر على عاتقه تنفيذ سياسة الفاطميين ، التي ترمي الى القضاء على العباسيين . وفي الوقت الذي كانت تغزو فيه جيوش الفاطميين مصر ، كان أبو طاهر يوجه حملاته الارهابية الى العباسيين . ففي سنة ٣٠٧ هجرية حاول الاتصال بجيوش الفاطميين في مصر بزعامه قائده أبي القاسم بن عبد الله المهدي ؛ ولكن مؤنسا الخادم قائد الخليفة العباسي المقتدر حال دون تحقيق ذلك الاتصال^(٣) . فعهد القرامطة الى شن غاراتهم البحرية على جنوب غربي بلاد فارس ، في الوقت الذي تتوجه فيه جيوش الفاطميين لغزو مصر سنة ٣٢١ هجرية . وفعلوا ذلك بقصد اشغال جيوش العباسيين ليتيحوا الفرصة للفاطميين لامتلاك مصر ؛ وفي سنة ٣١٧ هجرية هاجم القرامطة مكة واقتلعوا الحجر الاسود ، ولما بلغ ذلك الامام الاسماعيلي المهدي في المغرب كتب الى أبي طاهر ينكر ذلك عليه ويلومه ويقول : « حقت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والاحاد بما فعلت » . وأمره في الكتاب بأن يعيد الحجر الاسود الى موضعه ، فأعادته^(٤) .

(١) ابن الاثير : الكامل ٨٨/٤ - ٨٩ .

(٢) ابن خلدون : العبر ٨٨/٤ - ٨٩ .

(٣) ابن خلدون : العبر ٨٩/٤ .

(٤) ابن رزام النويري : مخطوط في باريس ورقة ٧ - ٨ ف ، ابن الاثير

ومن هنا يتضح لنا أن الائمة الاسماعيليين كانوا على صلة وثيقة بالقرامطة ويتدخلون في تولية زعمائهم رياسة الدعوة الاسماعيلية في البحرين .

ولما توفي ابو طاهر في سنة ٣٣٢ هجرية ، أقر الخليفة الفاطمي القائم ، أخاه أحمد في رياسة الدعوة هناك ، وولي سابور العهد من بعده . ولكن أحمد كان يؤثر ابنه الحسن الاعصم على ابن أخيه سابور . لذلك دب النزاع بين بيت أبي طاهر ، وبيت أخيه أحمد ، وانتهى الامر بقتل سابور سنة ٣٥٨ هجرية ، وتولية الحسن الاعصم عهد ابيه أحمد ، ونفي أنصار سابور الى جزيرة أوال^(١) .

ولقد أغضب قتل سابور ونفي مؤيديه الامام الاسماعيلي الذي كان قد عينه وليا للعهد بعد عمه أحمد ، واعتبر قتله خروجاً على طاعته . مما أدى الى انقسام القرامطة بسبب ذلك الى فريقين :

الفريق الاول بزعامة بيت أبي طاهر ، وقد ظل على اخلاصه للفاطميين ، وفريق آخر بزعامة بيت أحمد بن أبي سعيد وعلى رأسه الحسن الاعصم ، خرجوا على الفاطميين وتقربوا من العباسيين^(٢) . لذلك نشب نزاع مسلح بين المعارضين والمؤيدين للفاطميين ، فاتخذ حسن الاعصم من استيلاء الفاطميين على دمشق بقيادة جعفر بن فلاح سنة ٣٥٨ هجرية ، ومنعهم الجزية التي كانت تدفع للقرامطة من قبل ، ومقدارها ثلاثمائة ألف دينار كل سنة ، فرصة للانتقام من الفاطميين ، فسار الى بلاد الشام ، للاستيلاء عليها وأخذ هذه الجزية بالقوة .

وقد حاول الحسن الاعصم أن يعقد حلفاً مع الخليفة العباسي المطيع ضد الفاطميين ، ولكن الخليفة العباسي ، رفض هذا العرض وقال : « كلهم

(١) اوال : بوزن سحاب ، جزيرة كبيرة في البحرين عندها مفاص اللؤلؤ .

(٢) المسالك والممالك : ابن حوقل (طبعة لندن سنة ١٨٧٢ . م) ٢١/٢ - ٢٢

قرامطة وعلى دين واحد : فأما المصريون ، فأماتوا السنن ، وقتلوا العلماء ، وأما هؤلاء فقتلوا الحاج وقلعوا الحجر الاسود»^(١) . فعمد الحسن الأعصم الى التقرب من البويهيين ، الذين مدوا له يد المساعدة بالاموال والرجال والعتاد ، فسار الحسن الأعصم الى الشام ، واشتبك مع جعفر بن فلاح في ناحية الدكة على نهر يزيد بمقربة من دمشق ، فقتل جعفر بن فلاح في ٦ ذي الحجة سنة ٣٦٠ هجرية . واستولى الحسن الأعصم على دمشق ، وسار الى الرملة مصمما غزو مصر ، وفي الرملة انضم اليه كثير من الاخشيدية والكافورية ، واستأنف السير الى مصر فاستولى على الفرما في محرم سنة ٣٦١ هجرية ، وأمعن السير داخل البلاد حتى وصل الى عين شمس حيث عسكر بجنده ، وأخذ يهدد مدينة القاهرة ، ولما علم جوهر بذلك ، أعد العدة للحيلولة دون وصوله الى القاهرة ، فحصنها .

وفي أوائل شهر ربيع الاول سنة ٣٦١ هجرية بدأ القتال بين الفاطميين والقرامطة ، عند باب مدينة القاهرة ، وانهت المعركة بهزيمة القرامطة ، وارتدادهم الى القلزم^(٢) . ولما سمع الامام المعز وهو في المغرب خبر غزو القرامطة لمصر ، أرسل اليها جيشا بقيادة أبي محمد الحسين بن عمار ، فازدادت قوة جوهر العسكرية ، فتوجه الى مدينة تيبس وأخضعها ، وعفا عن أهلها .

عاد الحسن الأعصم الى دمشق ، كما انسحب أسطوله من النيل ، وأخذ يعد العدة لغزو مصر من جديد ، ولكنه اضطر الى العودة الى الاحساء ، لاختامد ثورة أنصار أبي طاهر . وفي أواخر سنة ٣٦٢ هجرية وصل الامام المعز الى مصر ، واتخذ القاهرة عاصمة لدولته ، وارسل الى الحسن بن أحمد القرمطي كتابا طويلا يهدده فيه ويتوعده ، ويعرض عليه في نهاية الكتاب أن

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧٤/٤ .
(٢) القرينزي : اتعاظ الحنفا ص ٨٦ .

يختار لنفسه احدى ثلاث خصال ، والا أصبح الحكم بينهما للسيف وحده^(١) .

« ونحن عارضون ثلاث خصال ، والرابعة أردى وأشقى لبالك . وما أحسبك تحصل الا عليها ، فاختر : اما قدت نفسك لجعفر بن فلاح وأتباعك بأففس المستشهادين معه بدمشق والرملة من رجاله ورجال سعادة بن حيان ، ورد جميع ما كان لهم من رجال وكراع ومتاع الى آخر حبة من عقال ناقة وخظام بعير وهي أسهل مايرد عليك . واما أن تردهم أحياء في صورهم وأعيانهم وأموالهم وأحوالهم ، ولا سبيل الى ذلك ولا اقتدار .

واما سرت بمن معك بغير ذمام ولا أمان ، فأحكم فيك وفيهم بما حكمت، وأجريكم على احدى ثلاث : اما قصاص واما من بعد ، واما فداء ، فعسى أن يكون تمحيصا لذنوبك واقالة لعترتك . ان آيت الا فعل اللعين ، فاخرج منها فانك رجييم وان عليك اللعنة الى يوم الدين . . . »^(٢) . وكان رد الحسن الاعصم ، أن ظهر ثانية في عين شمس في ربيع الثاني سنة ٣٦٣ هجرية . فاستعرت الحرب بين الفريقين فهزم جيش الحسن ، واسترد الفاطميون دمشق، وهرب القرامطة عائدين الى البحرين .

وفي عهد الامام العزيز وصل الاعصم الى دمشق فتحالف مع افتكين ، وتوجها بجيوشهما الى الرملة حيث تقابلا مع جيوش العزيز الفاطمي التي كان يقودها بنفسه في موقعة (نهر الطواحين) وحلت الهزيمة بالقرامطة وافتكين .

ولقد احدثت هذه الحروب في صفوف القرامطة التفكك ، فثار آل طاهر على آل الحسن الاعصم واضطروهم الى الهجرة ، بينما أعلن البقية الولاء والعودة الى حظيرة الدعوة الاسماعيلية ، ومحاربة العباسيين .

(١) المقرئزي : الخطط ٢/ ١٣٨ .

(٢) من يرغب في مراجعة الكتاب كاملا فليراجع كتابنا تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص : (١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ حتى ص ١٥٥) .

واستمر القرامطة فيما بعد على ولائهم للاسماعيلية الى أن زالت دولتهم من جزيرة أوال سنة ٤٥٩ هجرية ، ومن البحرين سنة ٤٧٠ هجرية .

يتضح مما تقدم أن القرامطة هم اسماعيليون في بدء حركتهم قلبا وقالبا ، ولكن الاحداث المضطربة التي اجتاحت أرجاء الدولة الاسلامية في ذلك الحين ، أحدثت بعض العوامل الجذرية التي تسببت بوجود بعض الشقاق والانكماش لدى القرامطة ، الذين تعنتوا حول بعض النظريات الاسماعيلية التي تلقنوها عن كبار دعائهم الاول ، ورفضوا أن يقتنعوا بأن هذه النظريات والمعتقدات تتطور مع تطور العصر ، وتظهر بمظهر جديد لا يؤثر على جوهرها، بل يبقى سليما خاليا من الشوائب .

فمن البدهي أن يختط الامام الاسماعيلي ومجالس دعاة العلياء ، سياسة عليا للدعوة الاسماعيلية ، ويضع منهاجا مفصلا للترتيبات التي تكفل قيام المجتمع الاسماعيلي الكامل ، متوفرة فيه جميع التشريعات الاسلامية الحقبة التي تتلاءم مع جوهر الدين وصلب العقيدة ، ولم يكن للقرامطة سبيل الى الاطلاع على هذه السياسة العلياء والوقوف على مجمل أهداف الدعوة الاسماعيلية وغاياتها ، نظرا لما كان الأئمة الاسماعيليون في ذلك الوقت يعتمدون السرية التامة ، والتستر والتقية ، خوفا من بطش العباسيين وتنكيلهم .

فالمعضلة الرئيسية التي حملت في طياتها بذور الفرقة بين الاسماعيليين والقرامطة هي مرحلة التستر عينها ، التي حالت دون استمرار التماس بين الفئتين ، واطلاعها على الأهداف العلياء . فلقد كان الامام الاسماعيلي محاطا بأسوار كثيفة منيعة من السرية التامة ، وبمعزل الا عن المقرين المخلصين له ، وكبار الدعاة والحجج والابواب ، الذين اعتمدتهم الامام واسطة العقد بينه وبين أتباعه . لهذا لم يتسن لجميع الاتباع أن يقفوا على أخبار امامهم ، ولا محل اقامته بالضبط حرصا على سلامته ، فاتخذوا من الدعاة قدوة واعتبروا تعاليمهم صحيحة لا تغير فيها طالما تحظى بتأييد الامام وقراره .

ولكن دور الستر والتقية ينتهي عند الأئمة بعد بلوغ الدعوة مرحلة النضج ، وانطلاقها في مرحلة التأسيس لدولة اسماعيلية حقة . وما أن تنأى للقرامطة أن الامام هو عبيد الله المهدي ، حتى التبس عليهم الامر ، لانهم كانوا لا يزالون يدينون بالطاعة والولاء للامام محمد بن اسماعيل الذي في حياته تم نشر الدعوة بينهم ، واعتبره المهدي المنتظر . ولم تفلح الحجج والبراهين التي اعتمدها الدعاة في أقناعهم بأن الامام عبيد الله المهدي هو الامام الشرعي بحسب النص الذي تركه الامام محمد بن اسماعيل الى ولده ومنه الى ولده حتى وصلت اليه .

ويرجع هذا التعنت من القرامطة الى انقطاعهم في البادية، وعدم احتكاكهم الدائم في مركز الدعوة الاسماعيلية في سلمية وتتبعهم تطورات هذه الدعوة فاعتبروا أن هذه التطورات خارجة عن مفهوم التعاليم الاولية التي لقنوها . فأحدث هذا الامر لدى القرامطة شيئا من الاضطراب العقائدي ، وبلبله في تفكيرهم تجاه الامام عبيد الله المهدي ، حتى أنهم ذهبوا الى أبعد من ذلك ، فاعتبروا أن عبيد الله المهدي ربما كان قد اغتصب الامامة من أصحاب الحق الشرعيين .

وثمة معضلة أخرى كان لها الاثر البارز في انحراف القرامطة عن سير الحركة الاسماعيلية ، وهي أنهم كانوا تواقين بعنف الى امام مهدي منتظر يسارع الى انقاذهم من الفوضى الاقتصادية التي عصفت بهم ، والقلق النفسي الذي تملك مشاعرهم ، فأصروا على الامام أن يباشر فوراً في اعلان دولة اسماعيلية في بلاد الشام ، يطبق فيها النظام الاشتراكي الذي تعلموه من الدعاة الاسماعيليين الاوائل ، وكانوا قد أعدوا أنفسهم لتقبله ، حيث شرع الجميع بحصر ممتلكاتهم في بيت للمال واحد ، وسنوا بعضاً من التشريعات تحدد صلاحية الفرد ، وتبين حقوقه الاشتراكية ضمن المجموع ، وضمنوا حياة العاجز والعاقل ، والعامل والصانع والفلاح .

كما وأن القرامطة باعترادي قد انكروا على الامام الاسماعيلي المرونة

وسياسة الملاينة التي اعتمدها في كسب العناصر غير الاسماعيلية ، وتمسكوا في أن تكون الدولة الاسماعيلية قائمة بكافة أجهزتها ودعاماتها على الاسماعيليين دون سواهم ، وأن تبقى وقفا عليهم وحدهم .

كل هذه الامور الجوهريه والسطحية بالاضافة الى بعض العوامل الشخصية ، أحدثت شقة ، ولو صغيرة ، بين القرامطة والاسماعيلية ، وكانت من أسباب انعطاف القرامطة الى منحى جديد ، ونهج آخر مغاير لروح الاسماعيلية وتعاليمها .

لكن التاريخ لم يسجل أي عداء صريح ، أو اصطدام مكشوف بين القرامطة والاسماعيلية . بل استمر القرامطة في ولائهم التقليدي العقائدي الامام الاسماعيلي ، وليس أدل على ذلك من مسارعتهم للحاق بالامام عبيد الله المهدي حتى الرملة في فلسطين ، ومحاولين اقتناعه بالعدول عن الذهاب الى المغرب وتأسيس الدولة الاسماعيلية المنشودة في بلاد الشام بدلا من المغرب .

كما نستطيع الاعتماد على استخدام الامام الفاطمي فيما بعد سلطته الروحية لدى القرامطة عندما أمرهم باعادة الحجر الاسود الى الكعبة الشريفة ، سببا وجيها يبين مدى تأثير الامام فيهم وعظيم مرتبته عندهم .

ومما لاجدال فيه أن الامام كان يشرف بنفسه على تعيين أمراء القرامطة ورؤسائهم .

جميع هذه الاسباب تعتبر من الشواهد الحسية على أن التعاليم الاسماعيلية بقيت تسري في دماء القرامطة . وتؤكد أيضا أن الاختلاف والمنازعات كانت الوسيلة التي يمكن اعتمادها لاقامة المجتمع الاشتراكي الاسماعيلي الصحيح . كما أنه يجدر بنا من خلال تتبعنا سير قادة القرامطة وزعماءهم ، أن لا نغفل المطامح الشخصية ، وحب الاستئثار بالسلطة لدى البعض منهم ، وتمردهم في بعض الاحيان على أوامر الامام في تنفيذ وصاياه بخصوص تعيينهم .

ويمكن أن نعلل أسباب عدم ذوبان القرامطة في الدولة الاسماعيلية الفاطمية ، والوقوف كليا بجانبها ، الى أن أجهزة الدولة الفاطمية اعتمدت مرونة سياسية في تصريف شؤون الدولة ، وجعلت نصب أعينها في المرحلة الاولى تثبيت أركان الدولة الفاطمية وكسب المناوئين لها الى صفوفها بالترغيب والليونة ، مما دفع المغالين من الدعاة الى اعتبار سياسة اللين هذه انحرافا عن النظرة الاسماعيلية العميقة ، ومخالفة صريحة للتعاليم الاولى التي تلقنها القرامطة ، والتي تقر في أن يكون الاسماعيليون كل الدولة ، وعليهم وحدهم تقع مهمة النهوض بأعبائها ، وأن الدولة الاسماعيلية يجب أن تصهر جميع أفرادها في بوتقة اسماعيلية خالصة. فكانت نظرة القرامطة أن تستمر الاسماعيلية في كفاحها ضد الخلافة العباسية دونما هوادة أو استكانة حتى تستأصل شأفة الفساد والفوضى ، وتقيم المجتمع الاشتراكي السليم الخالي من الشوائب والادران •

ونحن - وان كنا في دور المؤرخين فقط - انما يجدر بنا أن نعطي العذر للقرامطة في نظرته هذه ، لقللة تمرسهم في أصول السياسة ، ولما لاقوه من ظلم واضطهاد وتفكك اقتصادي واجتماعي وديني ابان الخلافة العباسية •

وخلاصة القول ، ان القرامطة اسماعيليون بكل ما في الكلمة من معنى • آمنوا بالعقيدة الاسماعيلية طريقا للخلاص الى مجتمع مثالي صحيح ، عن طريق الثورة الجذرية العارمة ، غير أن أحداثا عديدة متشابكة تجمعت كلها فأحدثت صدعا في بنيان القرامطة ، وساقتهم الى التمسك بمواقف تتغاير مع السياسة العليا التي اعتمدها الخلفاء الفاطميون ، فزادوا في انحرافهم ، واشتطوا في تصرفاتهم ، حتى ناصبوا أئمتهم العدا ، ووقفوا على النقيض من أصول منبتهم • ومن ثم تكشفت لهم سبل الهداية ، فتيبنوا الاخطاء التي ارتكبها بعض القادة فيهم ، فانتظموا في سلك الدعوة الاسماعيلية من جديد ، واستمروا في نشاطهم وولائهم للأئمة حتى زوال دولتهم •

سلمية

سلمية ، هذه المدينة التاريخية ، العريقة في القدم ، الجاثمة على مدخل البادية السورية ، خلت في السنوات الاخيرة ، خطوات سريعة نحو النمو والازدهار ، وامتازت عن بقية المدن المجاورة بالروح التعاونية التي تسيطر على مجتمعها المحلي ، فاستيقظ الفرد وأصبح يعرف معنى لوجوده في الحياة ، ويدرك أنه عضو عامل في الهيئة الاجتماعية ، وأنه جزء لا يتجزأ من الكل ، سيما وان سكان سلمية - بالرغم من ازدياد عددهم على مرور الايام - ينحدرون من أصل واحد وسلالة واحدة .

تقع مدينة سلمية على بعد ٣٢ كيلو مترا ، في الجنوب الشرقي من مدينة حماه ، وعلى مسافة ٤٤ كيلو مترا ، في الشمال الشرقي من مدينة حمص ، على خط عرض ٣٥ درجة ، وخط طول ٣٧ درجة شرقي غرينيتش .

قال عنها بطليموس : « مدينة سلمية طولها ثمان وستون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وخمس دقائق ، طالعها خمس وعشرون درجة من السرطان من الاقليم الرابع ، ولها شركة من الاسد مع القلب ، ولها شركة في الدب الاصغر ، ولها شركة تحت عشر درجة من السرطان ، يقابلها مثلها من الحمل ، عاقبتها مثلها من الميزان » .

وتبلغ مساحة المدينة مع المزارع التابعة لها (١٩٥١٥) هكتارا ، وتقسم الى أربعة مناطق مساحية هي : (بركان وبين الجبال والمزرعة والشيخ علي) ، وتقدر مساحة منطقة سلمية بكاملها بما فيها القرى والنواحي التابعة لها (٤٥١٣٢٠) هكتارا .

• ويبلغ ارتفاعها الوسطي عن سطح البحر ٤٥٥ م .

ومناخ سلمية متأثر بالمناخ السوري المنحصر بين خط أمطار ٥٠٠ - ٢٥٠ مم وباعتبارها منحرفة نحو الجنوب تتأثر بالنفوذ البحري لفتحة (حمص - طرابلس) ، هذا المناخ الانتقالي جعلها تتميز بأمطار أقل انتظاما ، وحرارات ذات فروق كبيرة ، وفصل جاف قد يستمر أكثر من أربعة أشهر ، وقد تتعرض المنطقة للقمح اذا ما قلت كمية الامطار الهائلة سنويا عن ١٢٠ مم .

والحرارة قد تصل في أشهر الصيف وخاصة في تموز وآب الى ٤٠° ، والمعدل الوسطي في كانون الثاني ١٦° وفي تموز ٣٠° ، والرياح التي تهب على المنطقة غير شديدة ، ففي فصل الشتاء تأتيها الرياح الغربية التي تجلب الامطار ، وأحيانا تهب الرياح الشمالية الشرقية وتسبب طقسا باردا ، وفي فصل الصيف تهب على منطقة سلمية الرياح الغربية الجافة ، وفي أكثر الاحيان ثور الزوابع وتملأ الجو بالغبار . وفي فصل الشتاء تبلغ الرطوبة النسبية ٩٠٪/ أما في تموز فتبلغ ٤٥٪/ ، لذلك تصبح ليالي الصيف فيها منعشة . المعدل السنوي للامطار هو بين ٢٥٠ - ٣٥٠ مم ولكنها تهطل في فصل الشتاء .

ومدينة سلمية واقعة في سهل كبير منبسطة مترامي الاطراف ينتهي شرقا بسلسلة جبال البلعاس . وتشرف على المدينة من الجهة الغربية الشمالية تلال منبسطة بارتفاع ٦٠٠ - ٦٥٠ م . وهي (جبل عين الزرقا وقلعة شميميس وجبل الاطوز وجبل الخضر) . أما من الناحية الشمالية فتتصل بالبراري الممتدة نحو خرائب الاندرين ، وقصر ابن وردان ، ومن الجنوب يحدها المنبسطة الذاهبة الى حمص .

وسلمية بحد ذاتها واقعة في مجرى السيول التي تأتيها أحيانا من الشرق ، والجنوب الشرقي . وباعتبارها واقعة على المدخل الرئيسي للبادية السورية ، فقد كانت منذ القديم محطة لتأمين البدو والقوافل والجيوش التي كانت تزحف من مختلف البلدان في شتى العصور . ولقد ساعد موقعها

الجغرافي ووفرة مياهها السطحية على ازدهارها وتقدمها ، وأصبحت محط أنظار الفاتحين في العصور القديمة والحديثة لكثرة مروجها الخضراء السندسية ووفرة مراعيها وخصبها .

ومما ساعد على تجديد بنائها واعمارها كونها كانت معقلا من معاقل الدعوة الاسماعيلية في القرن الثاني والثالث الهجريين ، ومنها انطلق الامام الفاطمي عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب .

ولقد اختلفت آراء المؤرخين وتضاربت أقوالهم حول تسمية هذه المدينة بهذا الاسم ، باعتبار سلمية مدينة عريقة في القدم ، بدليل ما استخراج منها من آثار ونقوش تدل دلالة واضحة على قدمها في التاريخ ، وقد عرفت منذ عهد السومريين عام ٣٠٠٠ - ٢٤٠٠ ق.م ومن قبل الآموريين عام ٢٤٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م واجتاحت خلال عام ٢٠٠٠ - ١٦٠٠ ق.م بالتوالي من الحثيين والميتانيين ، وفي عام ١٥٠٠ ق.م مرت تحت سلطة الهكسوس ، ثم سكنت من قبل الآشوريين وعرفت باسم (سلمياس) في العهدين اليوناني والروماني حينما ضمت الى أفامية ومن ثم لحمص . وازدهرت في العهد الروماني حيث حفرت فيها الاقنية الكثيرة لتروي مساحات واسعة من الاراضي الخصبة . وفي العهد البيزنطي كانت سلمية مقر أبرشية مسيحية .

وقيل انها سميت سلمية ، تخليدا لمعركة (سالميس) التي انتصر فيها اليونان على الفرس عام ٤٨٠ ق.م بقيادة (تمستوكل) أو نسبة للبلدة المشهورة (سالميس) .

ولكن ياقوت يقول في معجم البلدان : ان أصل اسمها مشتق من كلمة (سلم مائة) نسبة للمائة رجل الذين نجوا من خراب المؤتفكة ، فنزحوا الى سلمية فعمروها وسكنوها وتحرفت الكلمة على مر الازمان^(١) وانقلبت

(١) معجم البلدان ١١٢/٥ .

الى سلمية ، بفتح أوله وثانية وسكون الميم وياء مثناة من تحت خفيفة •
ويستدل من أقوال المؤرخين أن سلمية كانت خرابا خلال القرن الأوّل
الهجري وفي أواخر عهد البيزنطيين ، حتى جاءها صالح بن علي بن عبد الله
ابن عباس الهاشمي وعمّرها وبنى هو وولده فيها الأبنية ، وأجروا اليها
الأقنية ، وزرعوها ، وكان فيها المحارِب السبعة ، ويقال أن تحتها قبور
التابعين ، وفي طريقها الى حمص قبر النعمان بن بشر •

ويذكر الطبري في كتابه الرسل والملوك ، أن معركة قامت في مرج
الاحرم (الكريم الآن) سنة ١٢٢ هجرية بين عبد الله بن علي العباسي ، أول
قائد وعامل عباسي في بلاد الشام ، وبين أبي الورد بن الكوثر الكلابي من
قواد مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين ، وكان النصر حليف العباسيين ،
ولما استتب لهم الامر ، جاء عبد الله بن صالح بن علي في ولاية أبيه صالح
ابن علي العباسي على قنسرين وحمص ودمشق ، وكان عبد الله هذا محبا
للبناء والعمران ، فعمر هو وأولاده سلمية ونزلوها ، وأجروا اليها الاقنية ،
وكان لعبد الله هذا لدى أبناء عمه العباسيين مكانة سامية ، فزاره الخليفة
العباسي المهدي في سلمية سنة ١٦٣ هجرية فأعجب بما شاهده في سلمية
وهو في طريقه الى بيت المقدس ، فدعى عبد الله الى العراق وزوجه أخته ،
وأصبح جميع سكان سلمية من أقرباء عبد الله بن صالح وغيرهم من بني
هاشم • وقال عنها ابو الفداء : انها كانت مأهولة بالنصارى ثم دمرتها
الحروب في العهد العباسي ، ولم يبق منها سوى انقاض وأثر دير على رأس
رابية في الجهة الشمالية يسمى الآن لدى العامة (الخضر) ، وكانت هذه
المدينة على قسط عظيم من الرقي والازدهار ، لما كان يكتنفها من العمران
والمدينة ، كما كانت حلقة اتصال بين المدن الغربية السورية الشاطئية ومدينة
بغداد ، فكان أمراء المقاطعات يتنازعونها لموقعها الجغرافي •

وازدهرت سلمية ودب فيها النشاط الفكري والعلمي عندما أصبحت

مركزا للدعوة الاسماعيلية ، وكعبة لكبار فلاسفتها ومفكرها ، حيث قدم اليها الامام الاسماعيلي المستور واستوطنها ، وجعل منها ندوة فلسفية وعلمية يتوافد اليها الدعاة وطلاب العلم من جميع أنحاء العالم الاسلامي ، ويحدثنا عنها محمد اليماني فيقول^(١) : « أتوا الدعاة الاسماعيلية الى سلمية ، وكانت مدينة محدثة بناها محمد بن عبد الله بن صالح لما أخرجه الخليفة من بغداد ، وقال له : ارحل عني ، واطلب لنفسك مدينة تبني وتسكن بها . وكان فيها أربعة وعشرون ديرا للنصارى ، فبنى عليها رسوما وسكن بها مع عبيده ، وأخرج أهلها منها وبعث الى الخليفة ابن عمه ببغداد وقال له : اني وقعت في مدينة في طرف الدنيا ، ولكن أحب عمارتها فتأمر لي بالنداء في الامصار والتجار أن يحضروا سوقها - يعني سلمية - حتى تعمّر ، فجعل السوق يعمر ثلاثة أشهر لا يفتر عنه كل يوم ، فكان التجار يأتون الى هذا السوق ويتسوقون منه . وهي مدينة كثيرة الخيرات ، وكان التجار اذا أتوها لا يحبون الزوال منها ، ويسألون صاحبها أن يسكنوا بها ويأذن لهم ، فيقيمون ويوجهون بياعهم وعبيدهم يحملون اليها بضائعهم ويسألون المقام معه ، فحصلت سلمية قطائع لأولئك التجار ، فقال لهم صاحبها اختطوا ، فاختط أهل بلخ ، وأهل مدينة الرسول ، وأهل حلب ، وأهل الرقة ، وأهل كل ناحية .

وأتى الدعاة الاسماعيلية الى محمد بن عبد الله بن صالح فقالوا له : ان هاهنا رجلا بصريا من التجار يسألك فيما يسألك به هؤلاء التجار ، فأمرهم أن يطلبوا موضعا يصلح له ، وفرح به وأنزله في مجرى المدينة من ناحية سوقها ، فاشتروا له دار ابي فرحة ونزل ع .م بسلمية كسائر التجار ، فلما نزل بها زاد دورا كثيرة وهدم وبنى وتأهل وأتى اليه طوائفه ودعائه وأحدث قصرا شامخا^(٢) . وكانت الأموال تحمل من كل بلد من قبل الدعاة

(١) سيرة جعفر الحاجب ص ٩٤ - ٩٥

(٢) سيرة جعفر الحاجب ص ٩٦

الى سلمية ، وكان الامام الاسماعيلي قد حفر سردابا في الصحراء الى جوف داره في سلمية طوله اثنى عشر ميلا ، وكانت الاموال والذخائر تحمل على الجمال ، فيفتح لها باب السرداب في الليل وتنزل فيه بأحمالها عليها حتى تحط في داخل الدار ، وتخرج في الليل ويغنى على باب السرداب بالتراب فلا يدري به أحد ، وكانت الاموال عظيمة » •

وفي مطلع القرن الثالث الهجري أصبحت سلمية مركزا رئيسيا لدعوة الائمة الاسماعيلية المستورين ، وما أدى الى تحول الشرق الادنى ، وبلاد المغرب الى معسكرات اسماعيلية ؛ ولا غرو فان قرب سلمية من العراق وبلاد العرب ساعد الدعوة الاسماعيلية على الانتشار • ويكفي سلمية فخرا أنها أنجبت جماعة (اخوان الصفاء) ، ومنها انطلقت جحافل الامام عبيد الله المهدي لتأسيس الدولة الفاطمية في المغرب • وظلت سلمية تزدهر وتتمو حتى جاءها القرامطة وهدموها وفتكوا بأهلها وذلك سنة ٢٩٠ هجرية^(١) بعد أن كان الامام الاسماعيلي عبيد الله المهدي قد غادرها متوجها الى المغرب مع ولده ودعاته •

ومن ثم استولنت من قبل اعراب البادية ، وقد غزاها سيف الدولة الحمداني عام ٣٤٤ هجرية أثناء مطاردته للاعراب الذين شقوا عليه عصا الطاعة ، ففتك بهم في المعركة الفاصلة التي جرت بينهم في مروج سلمية ، وبذلك قال المتنبى من قصيدة له يمدح فيها سيف الدولة :

فأقبلها المروج مسومات ضوامر لاهزال ولا شيار
تشير على سلمية مسبطرا تآكر تحته دون الشعار

ويذكر التاريخ أنها أصبحت سنة ٤٧٦ هجرية من أعمال الامير خلف ابن ملاعب الكلابي صاحب حمص ، حتى جاء (تنش) أخو السلطان ملكشاه

(١) الطبري ٢٨١/١١

السلجوقي واستخلصها هي وحمص ، وظلت تابعة لحمص حتى سنة ٤٩٦ هجرية حيث دخلت في حوزة رضوان بن تتش السلجوقي صاحب حلب • وفي سنة ٥٣٢ هجرية جاءها عماد الدين الزنكي وخرج منها لمقاتلة جيوش الروم في شيزر • وفي سنة ٥٧٠ هجرية استخلصها صلاح الدين الايوبي من يد فخر الدين بن الزعفراني أحد أمراء نور الدين محمود ، وفي سنة ٥٧٤ هجرية أعطاها صلاح الدين الى ابن اخيه الملك المظفر تقي الدين عمر ، فازدشرت في عهد الايوبيين الذين بنوا فيها الحمام وقلعة (شيميس) والتي قيل ان (شيركوه) الايوبي صاحب حمص هو الذي عمرها •

وفي عهد التتار أصبحت سلمية ممرا لجيوشهم ومركزا لتموين قواتهم ، ولما كسرهم الملك المظفر في معركة (عين جالوت) اقطعت سلمية للامير مهنا آل الفضل من ربيعة مكافئة له على مساعدته للملك المظفر أثناء قتاله مع التتر فظلت بيده ، ويد ابنه عيسى وحفيده مهنا وأعقابه من بعده ، فازداد انحطاط سلمية في عهد هؤلاء •

ولما اجتاحت جيوش تيمورلنك بلاد الشام سنة ٨٠٣ هجرية - وهو في طريقه من حلب الى دمشق - دمرت سلمية وأصبحت خرابا ، وظلت كذلك مدة خمسة قرون ينزلها عربان البادية من آل عيسى ، وفي القرن التاسع تبدل اسمهم وعرفوا بأل جبار ، ثم صاروا في القرن العاشر يدعون بأل أبي ريشة وهم فخذ من آل جبار ، وسمي الاعراب الذين يلتفون حولهم بالموالي ، وظلوا يضربون في جهات سلمية حتى أقطعها العثمانيون لهم لقاء ضريبة يدفعونها للدولة •

وفي القرن الحادي عشر هجري عندما سيطر الامير فخر الدين المعني أمير جبل لبنان على حمص وحماه حالفه الموالي آل أبي ريشة وظلوا في جهات سلمية ، حتى غزتهم قبائل شمر النازحة من نجد طلبا للمرعى والسكن في سلمية لما عرف عنها من الخصب والمراعي العظيمة ، فاشتبكوا مع الموالي

في معارك لمدة عشر سنوات ، وبالنهاية انتصرت الموالي على شمر وأجبرتها على النزوح الى الجزيرة •

وفي أواخر القرن الثاني عشر هجري أغارت قبائل عنزه على الموالي في جهات سلمية فاضطرتهم الى النزوح نحو الشمال ، وذلك في أواخر القرن الثالث عشر هجري • وظلت سلمية مرتعا خصبا للقبائل البدوية حتى جاءها الاسماعيليون بزعامه الامير اسماعيل ابن الامير محمد ابن الامير سليمان سنة ١٨٤٠ ميلادية في عهد السلطان عبد المجيد العثماني • فسكنوا القلعة في أول الامر لتقيهم غارات القبائل البدوية المجاورة ، وبعد أن أخذت جموع الاسماعيلية تأتيها من كل حذب وصوب شرعوا في التوسع فخرجوا من القلعة وأخذوا يبنون المزارع والمنازل ، ويفلحون الارض ويستثمرونها بعد أن وزعها عليهم بالقسطاس زعيمهم الامير اسماعيل المذكور ، هذا ولما كانت الروايات متعددة والاقوال متضاربة حول تجديد بناء سلمية للمرة الاخيرة ، أجرينا اتصالات كثيرة مع كبار المعمرين في سلمية وبعد جهود طويلة ، عثرنا على وثيقة خطية كتبها الشيخ محمد المير أحمد منذ ثلاثين عاما تقريبا وقد عاش الشيخ محمد المذكور حتى بلغ المائة • ويستنتج من الوثيقة المذكورة ومن الروايات الكثيرة ما يلي : اثر النكبات والمصائب التي ألمت بالاسماعيلية في مصر على يدي السلطان صلاح الدين الايوبي نزحت عائلات كثيرة من مصر الى بلاد الشام فاستوطنوا في جهات الخوابي والقدموس ، ومع الوافدين جاء أجداد الامير اسماعيل بن الامير محمد بن الامير سليمان واستقروا في قرية (تعنيته) وما جاورها من جهات القدموس ، وبنفس الوقت وصلت من بلاد فارس عائلات اسماعيلية أخرى ومن بينهم عائلة (آل ميرزا) فاستقروا في بلدة القدموس (لا يزال فيها نبع ماء يسمى بنبع بيت ميرزا) ويستدل من التاريخ الاسماعيلي أن ذلك كان في عهد دولة الاسماعيلية في مصيف التي كان يتزعمها سنان راشد الدين • وفي عهد السلطان العثماني عبد المجيد تسلم زعامه الاسماعيلية في جهات القدموس

الامير اسماعيل بن الامير محمد ، باعتباره كان من الرجال المشهورين بالتقوى والورع ويتمتع بأخلاق عالية ، كل هذه الصفات جعلت الاسماعيلية في تلك المنطقة يسلموه قيادتهم ويقرون له بالفضل على بقية الامراء ، وفي نفس الوقت تسلم زعامة الاسماعيلية في جهات مصيف الامير ملحم .

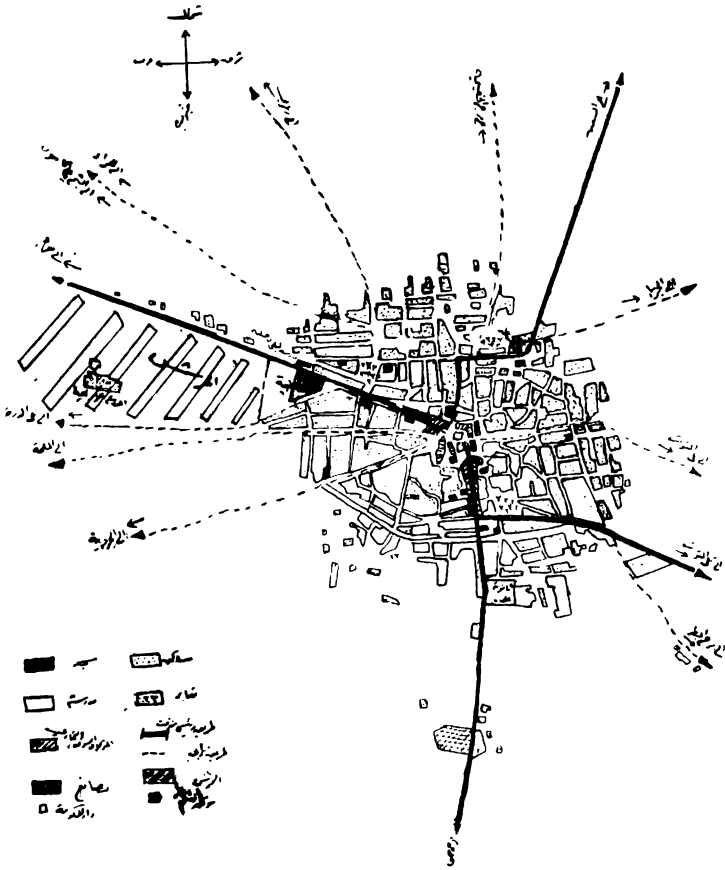
والظاهر أن بعض أفراد عائلة الامراء من آل ميرزا الذي كان يتزعمهم الامير تامر الاكبر قد شقوا عصا الطاعة على الدولة العثمانية وتمردوا عن دفع الضرائب المترتبة عليهم للدولة ، ولما كان الامير اسماعيل هو المسؤول الوحيد تجاه الحكومة فقد كلفته بجمع تلك الاموال ، ولكن هؤلاء سوفوا وماطلوا قللة ما بيدهم ولسوء مواسمهم الزراعية ، واعتصموا في قلعة (المرقب) الحصينة ، وأجبروا الامير اسماعيل على الاعتصام معهم ، وهنا أرسلت السلطات العثمانية في اللاذقية أحد كبار موظفيها المدعو (مصطفى بربر) على رأس كتيبة من الجند وزودوه بالاورام المشددة لتحصيل الاموال بالطريقة التي يراها مناسبة ، وما كاد يصل بلدة القدموس حتى عمل فيها نهبا وسلبا وانتهاكا للحرمات . وهنا تدخل أحد وجهاء القدموس السيد (عبدو الجندي) وتمكن من اقناع (مصطفى بربر) بأن يمنح الاسماعيلية الفرصة لجمع تلك الاموال ، فعاد الى اللاذقية .

ثم أوفدت الحكومة العثمانية بعد فترة السيد (أحمد هارون) وعينته مديرا لناحية القدموس ، وما كاد يستقر به المقام حتى أرسل يطلب الامير اسماعيل للتفاوض بشأن تقسيط الاموال ليسهل دفعها على الاسماعيلية ، وما كاد الامير تامر يعلم بعرض (أحمد هارون) حتى قال للامير اسماعيل : لا تذهب الى القدموس ، انها مكيدة مديرة للقبض عليك ، وأقسم أنه اذا ذهب الى القدموس وسجنه المدير ، فانه سينتقم منه ، ولما كان الامير اسماعيل مجبا للسلم ويرغب في وضع حد لهذه القضية خشية أن تؤدي الى المزيد من الاعمال الارهابية ، فقد قرر مقابلة (أحمد هارون) مهما كانت النتائج ، وبالفعل غادر القلعة وتوجه الى القدموس ، وكانت النتيجة كما

توقع الامير تامر ، فقد وضع الامير اسماعيل في السجن ، وهنا ثارت نخوة الامير تامر وتوجه ليلا مع بعض رجاله وصعدوا القلعة حيث قتلوا (أحمد هارون) وحطموا السجن وأخرجوا الامير اسماعيل الذي حاول أن لا يغادر السجن حقنا للدماء ، ولكن الامير تامر هدده بالقتل ، فخرج معه واعتصموا جميعا في قلعة المرقب .

بعد هذه الحادثة أخذت الامور تتطور وتزداد سوء فخاف الامير ملحم زعيم مصياف من تقمة (آل هارون) في طرابلس واللاذقية ، لما كانوا يتمتعون به من نفوذ لدى السلطات العثمانية ، فقرر مع جماعة من أتباعه في القدموس أن يحتال على الاميرين اسماعيل وتامر ويخرجهما من القلعة ثم يسلمهما للدولة لتفعل بهما ما تشاء .

توجه الامير ملحم الى القدموس حيث دبر المكيدة في بيت آل زريق مع شخص آخر يدعى أبو حيدر ، فأرسلوا (محرمة) الامان للمعتصمين في قلعة المرقب من الامراء وطلبوا منهم أن ينزلوا الى القدموس للتفاوض بشأن جمع الاموال من عموم الاسماعيلية حقنا للدماء . وانطلت الحيلة على الاميرين اسماعيل وتامر فحضروا ليلا مع كل من قاسم العقده ، ومصطفى الامير حسن ، وبعد أن تناولوا طعام العشاء في منزل آل زريق أعطى الامير ملحم الاشارة المتفق عليها وهي (أن يأخذ الامير ملحم بيده ابريق الماء ويخرج) فهجم رجاله الكثيرون على الامير تامر خاصة لما كان يتمتع به من قوة جسدية وشجاعة نادرة ، وبعد معركة استمرت عدة ساعات تكاثروا عليه ورموه أرضا ثم ذبحوه من الوريد الى الوريد ، واجتزوا رأسه ووضعوه برقبة الامير اسماعيل بعد أن أوثقوه واكلوا يديه ، وقيل ان الشخص الذي قطع رأس الأمير تامر يدعى (حسن زريق) ، ومن ثم اقتادوهم ليلا الى طرطوس حيث وضعتهم السلطات المسؤولة في جزيرة أرواد ، ومن جزيرة أرواد تمكنوا من الهرب الى نهر الخوابي فأقاموا في قرية (دويرطه) مدة اسبوع ، ولما علم بهم زعيم نهو الخوابي في ذلك الوقت الشيخ أحمد الحاج ، استقدمهم الى



قرية (برمانه رعد) ومن هناك أرسلوا من جاءهم بعائلاتهم واستقروا فترة من الوقت استمرت مدة سبع سنوات .

وفي أحد الايام جاء الى نهر الخوابي أحد المأمورين ويدعى (طاهر باشا) على رأس قوة عسكرية لاجراء بعض الاحصاءات وسوق المكلفين للخدمة ، فاغتمت هذه الفرصة زعيم اسماعيلية الخوابي الشيخ أحمد الحاج واجتمع به حيث سرد على مسمعه قصة الامير اسماعيل وجماعته وطلب منه أن يسعى لدى الباب العالي لاصدار عفو خاص عنهم والسماح لهم بتعمير مدينة يقطنون فيها في الجهات الشرقية ، وقيل انه اجتمع بالامير اسماعيل وتفهم قضيته ووعده بالمساعدة ، وبالفعل ما كاد يمر اسبوع حتى استدعى طاهر باشا المذكور الامير اسماعيل وسلمه (فرمان) من السلطان العثماني عبد المجيد يقضي بمنحه وأتباعه العفو ، ويسمح لهم باختيار المنطقة التي يرغبون تعميرها ، شريطة أن يرافقوا بقوة عسكرية لحمايتهم ، وأن يعني جميع صحبه من الجندية والضرائب ، وقد حدد (فرمان) المذكور المنطقة بما يلي : غربا عاصي حماه ، وشرقا البادية السورية .

وعلى الفور جمع الامير اسماعيل جماعته ، وكان عددهم لا يتجاوز الخمسين رجلا مع نسائهم وأطفالهم ومواشيهم ، وتوجهوا عن طريق حصص فوصلوا (المشرفة) فلم تعجبهم الاقامة بها فساروا حتى وصلوا سلمية فاستقروا بالقلعة فترة من الوقت ريثما تستقر الامور . وأخذوا يبنون ويعمرون ، بينما بدأت جموع الاسماعيليه تأتيهم من كل حذب وصوب ، حتى ضاقت بهم القلعة فخرجوا منها وأخذوا ببناء المزارع والبيوت ، وبينما هم على هذه الحالة ، أغار على مواشيهم التي كانت ترعى (عين الزرقاء) عرب البادية فنهبوا ، ولما جاء الخبر الى القلعة كان أول من علم به ولد الامير اسماعيل ، الامير سليمان وأخوه محمد ، فتبعاه مع ثلاثة عشر فارسا من الاسماعيليه ، حتى سهول (تلسنان) ، فجرت بينهم معركة ضارية

أسفرت عن اعتقال ثلاثة من زعماء الغزاة واسترجاع المواشي ، واقتادوا الجميع الى سلمية •

ولما علم متصرف حماه بوجود ثلاثة من الاسرى أرسل في طلبهم لتأديبهم، ولكن الامير اسماعيل رفض تسليمهم وأكرمهم وخلع عليهم ثم أطلق سراحهم بعد أن قال لهم : لا تحاولوا مرة ثانية الاغارة على سلمية • ولما عادوا الى ذويهم وقصوا عليهم ما كان من الامير اسماعيل ومعاملته الحسنة لهم ، جاء وفد من كبار القبيلة الى سلمية وقدم الشكر للامير والمصادقة معه •

وبعد مضي ستة اشهر على هذه الحادثة لجأت الى سلمية قافلة كبيرة من الجمال خوفا من قبائل الموالي التي أغارت عليها ، فحماها الامير اسماعيل وصحبه حتى جاءت نجدات من فرسان غزاه بقيادة سليمان المرشد ، الذي تمكن من ابعاد الموالي واتقاذ القافلة ، ومنذ ذلك الوقت أخذ الامير اسماعيل يعقد الصداقات مع القبائل المجاورة حتى استتب له الامر وثبت أقدامه في سلمية بالقوة •

وليست هذه هي العقبة الوحيدة التي اعترضت الامير اسماعيل وصحبه بل هنالك عملية استقدام الاسماعيلية الذين كانوا موزعين في مختلف البلدان السورية ، وتأمين الارض والسكن لهم ، فكان يذهب بنفسه في فترات متقطعة الى حيث يعلم بأن هناك عائلة أو عائلتين من الاسماعيلية فيقتنعهم بوجود النزوح الى سلمية لاعادة بنائها وتعميرها ، فكانوا يتوافدون يوميا بالعشرات فيجمع الاموال ويقدم لهم القروض والماشية ويوزع عليهم الارض بالتساوي لا فرق بين أمير وشخص عادي ، بل كل يأخذ حقه بالعدل والمساواة ، وما كادت تمر سنوات حتى ازداد عدد الاسماعيلية فضاقت بهم سلمية ، فتوسعوا شرقا وجنوبا وشمالا • وفي سنة ١٩٠٠ ميلادية جعلت الحكومة التركية سلمية مركز قضاء وألحقته بمتصرفية حماه •

وظل هؤلاء ينعمون بالرخاء ويعمرون القرى والداكر حتى عاد وفد

الاسماعيلية الذي ذهب الى الهند للاجتماع بالامام الاسماعيلي آغا خان الثالث سلطان محمد شاه الحسيني وقدم بين يديه أموال الزكاة ، فسر سرورا عظيما لاعادة بناء سلمية وزودهم بالتعليمات والارشادات . وما كاد الوفد المذكور يصل سلمية حتى قام بعض الموترين ببلاغ السلطات التركية ، بأن الاسماعيلية في جهات سلمية والخوابي أصبحت لهم علاقات مشبوهة مع دولة أجنبية ، فناصرتهم الحكومة التركية العدا ، واعتقلت جميع زعماء الاسماعيلية ، وصادرت أموال الزكاة ، وأغلقت دور العبادة ، وحرمت عليهم مزاوله نشاطهم الديني ، وقدمت الزعماء والمشايخ للمحاكمة أمام المحكمة العرفية بدمشق ، وقد مات بعض الزعماء في سجون دمشق ، وظلوا على هذه الحالة من الاضطهاد حتى عام ١٩٠٩ ميلادية حيث أصدر فرمان بحرية الاديان . والظاهر أن هذا فرمان لم يشمل الاسماعيلية فشنت عليهم الحكومة التركية الغارات الاستفزازية الانتقامية وصادرت أموال الزكاة وهي في طريقها الى الهند وتقدر بعشرين ألف ليرة ذهبية ، وذلك سنة ١٩١٠ ميلادية ، فأنفقت قسما منها على بناء المدرسة الزراعية التي لا تزال حتى الآن ، وتبخر القسم الآخر . ولقد تدخل الامام آغا خان دوليا بالامر فقابل السلطان التركي عبد الحميد وطالبه بأن يمنح أتباعه الاسماعيليين في سورية كامل حريتهم لمزاوله شعائرهم الدينية وأن تعاد الاموال المصادرة ، ويسمح لهم باعادة افتتاح مساجدهم بأسرع وقت ممكن . وقد وافق السلطان العثماني على جميع هذه المطالب الا انه ادعى أن الاموال قد أنفقها والي دمشق على بناء المدرسة الزراعية .

ومع كل هذا لبث الاسماعيليون في سورية يقاسون الظلم والاضطهاد العثماني حتى زالت الدولة العثمانية من الوجود .

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها تنفس الاسماعيليون الصعداء ، واستبشروا خيرا ، ولكن الاسماعيليين الذين كانوا يقطنون الجبال السورية الغربية (القدموس - مصيف - نهر الخوابي) تعرضوا لغارات النصيرية

عام ١٩١٩ ميلادية ، ونهبت مواشيهم ، واضرمت النيران في منازلهم ، وبالرغم من أنهم كانوا عزل من السلاح فقد دافعوا دفاعا قويا ، وتمكنوا من دحر العصابات النصرية وردوهم على أعقابهم أكثر المعارك ، وفي ٢٨ آب سنة ١٩١٩ ميلادية • تدخلت السلطات الفرنسية الموجودة في اللاذقية لفض هذا النزاع ، وعقدت اجتماعا بين المتخاصمين في قرية (الشيخ بدر) ، ونتيجة لذلك الاجتماع شكلت لجنة خاصة لتقدير الخسائر التي لحقت بالاسماعيليين ، الا ان تلك اللجنة عجزت عن التعويض عليهم •

وفي ١٢ آذار سنة ١٩٢٠ ميلادية هاجمت العصابات النصرية بقيادة الشيخ صالح العلي مدينة (القدموس) وحاصرتها عدة أيام ، وبعد أن نفذت موادهم التموينية وذخيرتهم اضطروا للاستسلام ، فعملت العصابات النصرية في البلدة نهبا وسلبا وتقتيلا ، وغادر النساء والاطفال الاسماعيليون المدينة حفاة عراة باتجاه سلمية ، فعمروا الحارة الغربية من الناحية الشمالية المسماة باسمهم (حي القدامسة) •

وبعد أن احتل الشيخ صالح العلي القدموس واحتل قلعتها أمر أفراد عصابته أن يجمعوا له ما يعثرون عليه من كتب الاسماعيليين أثناء تفتيش المنازل ، وأمر بأن تجمع في الساحة العامة وتحرق حتى لا يستفيد منها أحد ، وهكذا قد قضي على المكتبة الاسماعيلية السورية قضاء مبرما •

وفي ١٧ نيسان سنة ١٩٢٠ ميلادية تجمع الاسماعيليون من كل حذب وصوب وهاجموا القدموس فاحتلوها وطاردوا النصرية حتى اعتصموا في الجبال والمعاصي الصعبة المسلك •

وأخيرا دخلت الجيوش الفرنسية البلاد وانتهت تلك الحوادث وعاش الجميع بسلام ووافق ، وقد منحت فرنسا الحرية الدينية للاسماعيليين التي فقدوها أبان الحكم العثماني • وافتتحت مساجدهم وأصبحوا يزاولون شعائرهم الدينية ، كما ان دستور البلاد قد صان لجميع المواطنين حرية

المعتقدات الدينية وكفل للفرد حق التعبير عن آرائه ومعتقداته ضمن حدود القانون .

وعلى الفور شكل الاسماعيليون في سورية وفدا أرسلوه الى الهند للمثول بين يدي الامام الاسماعيلي آغا خان الثالث ، وعرض عليه أوضاع الاسماعيليين في سورية ، وقد استقبلهم استقبالا حارا وأخذ كافة مطالبهم بعين الاعتبار ، وبعد دراستها دراسة واقعية على ضوء المصلحة العليا ، زود الوفد بتعاليمه وارشاداته وخصص لهم المبالغ الطائلة لتنفق على تنفيذ المشاريع الحيوية التي أمرهم أن يوجدها في بلادهم ليتمكنوا من النهوض من كبوتهم التي طال أمدها ، وللحاق بركب الحضارة السريع .

عاد الوفد يحمل تعاليم وارشادات ، ومشاريع كثيرة كانت أكبر عوناً لهم في اداء مهمتهم الاصلاحية ، كما شكلت لجنة خاصة للاشراف على تسيير أمور الاسماعيليين في سورية ، ولتنفيذ المشاريع التي أمر بها آغا خان الثالث .

وتلك التعاليم تكفل للفرد الاسماعيلي حق التعلم والمداواة على حساب صندوق الطائفة . وشيدت عدة مدارس في منطقة سلمية بالاضافة للمدرسة الزراعية التي بنيت بأموال (آغا خان) وتأسست في نهر الخوابي المدرسة المحمدية وبدأ التدريس فيها سنة ١٩٣٠ ميلادية ، وفي برهة وجيزة انتقلت سلمية من الظلام الدامس الذي غرقت فيه طوال نصف القرن الاخير بعد أن كانت منهلا عذبا للظالمين ، وعادت الى النهوض من جديد بفضل المساعدات المادية التي قدمها (آغا خان) فأصبحت المدارس منتشرة بكثرة في منطقة سلمية ، وأقيم في سلمية بناء حديث على انقاض المدرسة الابتدائية السابقة وأصبح مدرسة ثانوية كبرى تستوعب أكبر عدد ممكن من الطلاب ، ويرعى المجلس الاسماعيلي الاعلى الآن في سلمية عدة مدارس تجهيزية وثانوية للذكور وللانات ، ويزداد الاقبال على التعليم يوما عن يوم ولم تشهد سلمية في تاريخها الطويل مثل هذا الاقبال على ارتشاف العلم والتزود بسلاح

المعرفة وخاصة بعد عهد الاستقلال حيث عمت المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية جميع المنطقة ، وارتفع عدد المعلمين بسرعة مذهشة ، وتنوعت اختصاصاتهم في مختلف المجالات ، فأصبح منهم الاطباء ، والمحامون ، والمفتشون ، والضباط ورؤساء الدوائر ، ونبغ من سكان منطقة سلمية اديباء وشعراء وصحافيون مشهورون احتلوا مكانا لاثقا في جميع الاوساط الادبية والعلمية في العالم العربي .

وازداد زيادة ملحوظة عدد الذين يحملون الشهادات الجامعية من مختلف جامعات العالم ، فهناك عدد كبير من الطلاب يتابعون دراساتهم العالية في الجامعات الاجنبية . وكذلك خُطت مدينة سلمية خطوات سريعة في السنوات الاخيرة نحو النمو والازدهار ، فشيّدت فيها الابنية العصرية الحديثة ، وشق في وسطها الشوارع الجديدة ، وازدهرت فيها الحركة الاقتصادية ، فكثر التصدير وقل الاستيراد ، واستعمل الاهلون الآلات الزراعية الحديثة بكثرة ، واتسعت زراعة القطن اتساعا كبيرا في سلمية والقضاء حتى كادت تشمل ثلاثة أرباع مساحة الاراضي الصالحة للزراعة وذلك بين ١٩٥١ - ١٩٥٦ وازداد الدخل الفردي مما ساعد على تأسيس المشاريع الزراعية الخاصة التي تعتمد على استنباط المياه السطحية أو الجوفية لارواء مساحات واسعة من الاراضي الزراعية الخصبة المنتجة التي تزرع الحبوب والخضار والقذح والبصل والقطن ؛ ولقد أدى هذا التوسع في استنباط المياه السطحية وتركيب المحركات النارية الى استئصال جميع الكروم التي كانت منتشرة في سلمية والاستعاضة عنها بزراعة القطن بدون أن يدور بخلد أولئك المزارعين ان الكروم ثروة لا تعوض وخاصة بعد أن جفت معظم المياه السطحية في سنوات القحط الاخيرة ، وكنتيجة حتمية للازدهار الزراعي وخاصة بعد عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٥٤ أصبحت سلمية تعيش في بجوحة فدب النشاط في الاسواق ، واتسعت الحركة التجارية وأسست المحالج ، والمصانع التي لم تكن معروفة من قبل واستبدلت أغلب الابنية الترابية بالبناء الحجري

الحديث ، وتعددت الطوابق واستعمل البيوتون المسلح والحديد واللبن الاسمنتي ، وكثر عدد الغرف ، وعدد المخازن التجارية ، والمستودعات الخاصة بالمحروقات . واتسعت المواصلات وزاد عدد وسائط النقل وشقت الطرق التي تصل سلمية بكافة القرى المجاورة وبالمدن القريبة .

ومن الطبيعي أن تنعكس آثار التقدم الزراعي والاقتصادي والثقافي والعمراني على المجتمع السلموني فتسير فيه في طريق التقدم والرقي والانسجام والتآلف ، وقد شذبت جميع الظواهر الاجتماعية الريفية وسأيرت تقدم البلدة وتطورها نحو مجتمع سليم متأخ . ولا تزال بعض العادات والتقاليد العشائرية والطائفية تسيطر على المجتمع السلموني الذي سيتحرر منها حتما وبوقت قريب .

ولا بد من الاشارة الى ان المرأة الاسماعيلية أخذت تلعب دورها الفعال في بناء المجتمع السلموني وتطوره ، فقد شجع السفور الذي أمر به (آغا خان) المرأة الاسماعيلية على التحرر والانطلاق ، فمنحت حقوقها كاملة وأصبحت تعيش وتعامل بالتساوي مع الرجل ، لذلك نشاهد الآن المرأة الاسماعيلية قد ترقى وسارت في موكب العلم والحضارة ، وخاصة في مجال العلم والثقافة وأصبحت تضاهي زميلتها في أرقى المدن السورية .

ومع مرور الايام زالت الفوارق الطبقية ، وانصهرت عائلات الامراء مع عائلات الشعب ليعيشوا سوية على قدم المساواة ، مع الاخذ بعين الاعتبار مكانة الامراء واثقيااد الشعب اليهم في المشورة والارشاد والتوجيه لما فيه مصلحة البلد .

ولا يزال المواطنون يذكرون دائما فضل الامير اسماعيل الذي عمر سلمية وأوصلها أحفاده الى ما هي عليه من التقدم والازدهار ، فأصبحت بين عشية وضحاها مدينة مشهورة ومحط أنظار المسؤولين في الجمهورية السورية الذين بذلوا الكثير في سبيل الاخذ بيدها أثناء محنة الجفاف التي ألمت بها

في السنوات الاخيرة ، فاضطرت المواسم الزراعية ونقصت بشكل هائل ، مما حدى بقسم كبير من الناس الى الهجرة من سلمية الى بقية المدن السورية وخاصة الى دمشق واللاذقية ، ومنهم ذهب خارج البلاد السورية الى العراق والكويت والسعودية •

ولقد أدت هذه الهجرة الموقته الى تحسين الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية لأن مبالغ كبيرة من الاموال أخذت تتدفق على المدينة •

ونحن اذ نكتفي بهذا القدر الذي سيكون لدى الباحث فكرة عن هذه البلدة التي تتمتع بمكانة تاريخية مرموقة بالنسبة لمن يود دراسة تاريخ الدعوة الاسماعيليه ، باعتبارها كانت دار هجرة ومركزا من مراكز الدعوة العلمية الرئيسية ، ومنها انطلق أول خليفة فاطمي الى المغرب حيث أسس الدولة الاسماعيليه المعروفة •



أعلام الأسماء العائلية

ملاحظة هامة

تسهيلا للاستفادة من هذا الكتاب وسرعة الرجوع الى ترجمة كل علم من أعلامه فقد رتبنا هذه الاعلام على حروف الابجدية ، بدءا من حرف الالف حتى انتهاء حرف الياء وبالله المستعان .

المؤلف

حرف الالف

ابراهيم بن اسماعيل العجمي

من كبار دعاة حلب في عهد الملك رضوان ، لا نعلم شيئاً عن تاريخ حياته قبل أن يصبح نائباً من أصحاب النفوذ الواسع لدى الملك رضوان حيث كان ينوب عنه في المحافظة على قلعة حلب ، ويستدل من لقبه (العجمي) على أنه من أصل فارسي ، وربما وفد كغيره من الدعاة الذين أرسلهم الحسن ابن الصباح لنشر الدعوة الاسماعيلية النزارية في بلاد الشام . فاستقر في مدينة حلب واتصل برضوان فوثق به وسلمه أخطر المناصب في ذلك الوقت . ومن الواضح جدا بحسب منصبه أنه كان همزة الوصل بين مقدم الاسماعيلية في حلب والملك رضوان ، ويمكننا أن نقول بأنه كان من القواد العسكريين الذين يثق فيهم رضوان حتى توصل الى أن ينييه عنه في المحافظة على القلعة التي كان يلجأ اليها الملك ورجال الدولة في الملمات ، فلو لم يكن من ذوي النفوذ العسكري لما استطاع أن يحتل هذا المنصب . وعلى ما يظهر أنه أبعد عن منصبه بعد وفاة الملك رضوان وتمكن من الالتجاء الى قرية شيزر بعد مذابح ألب أرسلان المشهورة ، وهناك عمل على جمع فلول الاسماعيلية من أهالي أفامية ، وسرمين ، ومعرة النعمان ، ومعرة مصرين^(١) فوثبوا على حصن شيزر فملكوه واتخذوه ملجأ لهم . ويشير ابن القلانسي الى ذلك بقوله^(٢): « ورد الخبر من شيزر بأن جماعة من الباطنية من أهل « أفامية » و « سرمين » و « معرة النعمان » و « معرة مصرين » ، في فصح النصارى ، وثبوا في حصن شيزر على غفلة من أهله ، في مائة راجل ، فملكوه وأخرجوا

(١) الدول والملوك : ابن الفرات : ١ ورقة ٧١ .

(٢) ذيل تاريخ دمشق : ابن القلانسي : ص ١٩٠ .

جماعته ، وأغلقوا باب الحصن ، وصعدوا الى القلعة ، فملكوها وأبراجها « .
ويقول ابن الفرات : « بعد الايقاع بالاسماعيلية الباطنية في حلب ، تجمعوا
الى « شيزر » وصار بها جماعة كثيرة ، ورتبوا أحوالهم ، وفكروا في تحصين
حصن « شيزر » . والذي جذبهم الى هذا الحصن حسن موقعه ، فقد كان
يستقر فوق جبل منيع يتعذر الوصول اليه ، ويقع بالقرب من نهر الاورنت
— العاصي — فكان الدافع الى امتلاكه هو حسن موقعه أولا ، والرغبة في
الاستقرار ببلاد الشام ثانيا . أما طريقة احتلالهم هذا الحصن ، فانه ما كاد
امراؤه من بني منقذ ، يخرجون منه يوم الشعانين لمشاهدة حفلات ذلك
اليوم ، حتى انقض النزارية عليه واحتلوه ، وهكذا « اغتتم الاسماعيلية
الباطنية ، الذين تجمعوا بشيزر ، خلو البلاد من العامة ، وخلو القلعة من
الامراء والجند ، واجتمعوا ، ووثبوا في الحصن ، وملكوه (١) » .

ولم يستقر هذا الداعي وجماعته طويلا في هذا الحصن المنيع لأن
أصحابه ، هاجموا ليلا وتسلقوا الجدران ، وفتكوا بجميع الاسماعيلية ،
قيل أنفؤهم عن آخرهم ، وعلى رأسهم الداعي ابراهيم بن اسماعيل العجمي ،
وتتبعوا كل من كان على مذهب الاسماعيلية في القرية وفتكوا بهم . وقيل
ان بني منقذ وجدوا مع الاسماعيلية رقعة من الحسن بن الصباح فيها :
« رحمكم الله يا اخواننا ! لن يصاد من الطير الا من يحسن التسييح لا غير »
وكان ذلك سنة ٥٠٧ هجرية .



(١) الدول والملوك : ابن الفرات : ١ ورقة ٧١ .

ابراهيم بن الحسين الحامدي

كان من كبار الدعاة الذين أوجدتهم المدرسة اليمنية ، واسمه السلطان ابراهيم بن الحسين بن أبي السعود الحامدي الهمداني ، أصبح داعيا للامام المستور من سلالة المستعلي الفاطمي ، وذلك بعد وفاة الداعي المطلق الذؤيب ابن موسى ، فجعل مقره صنعاء ، وهدف الى دراسة العلوم ونقل التراث الاسماعيلي العلمي وجمعه وتدرسه للدعاة التابعين لمدرسته ، ووزع الدعاة في بلاد اليمن والهند والسند ، وفي سنة ٥٣٦ هجرية وهو تاريخ تسميته داعيا مطلقا أعلن عدم تدخله في سياسة الدولة وواظب على التأليف والنشر والقاء المحاضرات العلمية ، ويذكر التاريخ له عدة مؤلفات علمية بحتة تبحث في فلسفة الدعوة الاسماعيلية وفي التأويل والحقائق ، ومن مؤلفاته القيمة كتاب كنز الولد وقد تعرض فيه لرسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ولرسالة الجامعة وأشار الى نظرية الشخص الفاضل مؤلف الرسائل والجامعة ، ومن مؤلفاته أيضا (١) :

١ - كتاب الابتداء والانهاء .

٢ - كتاب تسع وتسعين مسألة في الحقائق .

٣ - كتاب الرسائل الشريفة في المعاني اللطيفة .

وعثر له مؤخرا في كتاب اسماعيلي يمني يسمى (كتاب مجموع التربية) على بحوث ومقالات ورسائل جملها في الابحاث المذهبية الاسماعيلية . وفي عهده تعرضت الدعوة المستعلية الى أيام عصيبة ، لأن ملوك آل زريع في عدن

(١) المرشد الى أدب الاسماعيلية : W. Ivanow (ص ٥٤) .

مالوا الى الدعوة المجيدية التي انتشرت في أنحاء اليمن حتى في قلب الدعوة المستعلية ومعانها ، كحراز ونجران واليمن الاسفل ، كما أعلن ملوك همدان اليامين في صنعاء وبلاد همدان عن تحررهم من جميع المذاهب والدعوات^(١) .
 وجعل ابراهيم بن الحسين الحامدي الشيخ علي بن الحسين بن جعفر مأذونا له ، فساعده على نشر الدعوة في السر والجهر حتى توفي ، ولم يعمر بعده طويلا فقد وافته المنية سنة ٥٥٧ هجرية في شهر شعبان •



(٢) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن للهمداني (٢٧١ - ٢٧٢) •

أحمد بن ابراهيم النيسابوري

ما أكثر الدعاة المغمورين في تاريخ الدعوة الاسماعيلية السرية ، فالباحث المنقب يقضي الشهور الطوال وهو يتحرى ويفتش حتى يعثر على القليل من آثارهم الكثيرة ، وبالرغم من جهودنا الكثيرة واتصالاتنا مع المهتمين في الدراسات الاسماعيلية في جميع أنحاء العالم ، لم يتسن لنا الا معرفة القليل عن الشيخ الجليل والداعي العظيم سيدنا أحمد بن ابراهيم النيسابوري وقد وجدناها في مصادر متفرقة وبلغات عديدة ، نوجزها بما يلي^(١) :

ولد سيدنا أحمد بن ابراهيم أو محمد النيسابوري في مدينة نيسابور بفارس في أواخر القرن الرابع الهجري في بيت عرف بانتمائه للاسماعيلية ، ففي هذا البيت استوعب عقائدها ، وانخرط في شبابه في تنظيمات الدعوة السرية •

وفد على القاهرة في عهد الامام العزيز بالله ، في ذلك العهد المشهور بالرخاء والتسامح الديني والثقافي ، وقد كغيره من الدعاة الكثيرين للتزود من العلم والانتهاج من ينابيع الفكر الفلسفية ، المتدفقة في دار الحكمة ومن الثابت أنه تلقى المزيد من العلوم الفلسفية الباطنية على أيدي كبار الدعاة وسمع المجالس التأويلية ، التي كانت تلقى للعمامة والخاصة ، ومن المرجح أنه وضع أكثر مؤلفاته في القاهرة ، وتوفي في عهد الامام الحاكم الفاطمي ، أي في أوائل القرن الخامس الهجري •

والمصادر التاريخية لا تشير الى مكان وفاة النيسابوري وتاريخها الا أن

(١) هذا البحث مأخوذ من مقدمتنا لكتاب اثبات الامامة الصفحة (١٣ - ١٤)

بعض الدعاة في فارس قد لمحوا الى ذلك فقالوا انه عاد الى فارس وتسلم رئاسة الدعوة فيها وظل قائما بالامر حتى وفاته بدون أن يشيروا الى تاريخ الوفاة ومكانها .

ترك النيسابوري عدة مؤلفات أتى على ذكرها ايثانوف في كتابه المرشد الى أدب الاسماعيلية وهي (١) :

- ١ - كتاب اثبات الامامة (٢) .
- ٢ - رسائل استتار الامام (٣) .
- ٣ - الموجزة الكافية في آداب الدعاة والحدود .
- ٤ - الظاهرة في معرفة الدار الآخرة .
- ٥ - كتاب التوحيد (٤) .



(١) المرشد الى الادب الاسماعيلي ص (٤٢) .

(٢) حقق هذا الكتاب وقدم له المؤلف .

(٣) نشره ايثانوف في مجلة كلية الآداب المجلد الرابع الجزء الثاني ١٩٣٩

(٤) منه نسخة خطية موجودة في مكتبي الخاصة .

أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين الجعفي الكندي

قد يتساءل البعض عن علاقة المتنبي بالاسماعيلية ، ولماذا ورد اسمه في كتاب كهذا يضم سير أعلام الدعوة الاسماعيلية ؟ وهل ان كتاب الاسماعيلية - كما يقولون - اعتادوا على الادعاء بأن كل عالم وعقري وفيلسوف يجب أن يكون اسماعيليا ؟

ونحن نرد على هؤلاء فنقول لهم :

الامر ليس بجديد فلقد سبقنا الى هذا الاكتشاف أدباء كبار ، وعلماء منصفون أكدوا أن المتنبي كان على علاقة وثيقة بالقرامة الاسماعيليين ، وحتى أنهم ذهبوا الى القول بأنه كان أحد دعائهم لدى القبائل . والظاهر انه فضل أن يظل أمره من الاسرار الغامضة ، فعمد الى حذف أغلب أشعاره التي تدل على هذه العلاقة من ديوانه .

اننا في هذا المجال لا نريد تقديم المتنبي كشاعر فحل ، وأديب كبير ، فالمتنبي له من الشهرة الشعرية والادبية ما يكفيه ، وان الكتب والمقالات التي كتبت عنه أكثر من أن تحصى ، ولكننا أردنا من وراء هذا اظهار علاقة المتنبي بالاسماعيلية ، أو القرامة ، وليس من شك عندي أن المتنبي درس في مدارس الدعوة الاسماعيلية في الكوفة ، فتعلم أصول المذهب وفروعه واضطلع على الفلسفة وعلم التأويل والفقہ ، فجاء شعره كما يقول الدكتور طه حسين متأثرا بأراء القرامة ، ولم يكن بعيدا في شعره عن أمور القرامة وأخبارهم ، وهذه الايات الثلاثة التي استبقاها المتنبي من قصيدة لعلها كانت

مطولة ، فلما أراد المتنبى جمع ديوانه حذف منها أكثرها ، مداراة للظروف ،
 واشفاقا من السلطان (١) .

الى أيّ حين أنتَ في زيِّ مُحْرِمٍ وحتى متى في شقوةٍ والى كمِ ؟
 والّا تمّتْ تحتَ الشيوفِ مُكْرَمًا تمّتْ وتُقاسِ الذلَّ غيرَ مُكْرَمِ
 فُتِبَ واثقًا باللهِ وَثَبَةً ماجِدٍ يرى الموتِ في الهيجا جنى النحلِ في الفمِ

وأردف قائلا : ان هذه الايات تصور ما عاد به الغلام من البادية بعد
 أن عاش في بيتها الخسنة المقنعة بالمذهب الجديد ، المنتظرة من وراء هذا
 المذهب وانتشاره الخير كل الخير (٢) . واذا كانت هذه الايات تصور تأثر
 المتنبى بالبيئة العملية القرمطية ، فان هناك قصيدة أخرى طويلة بعض الشيء
 تصور تأثر المتنبى بالمذهب النظري للقرامطة وغلاة الشيعة ، وهي التي مدح
 بها المتنبى رجلا يعرف بأبي الفضل :

يا أيُّها الملكُ المُصَفَّى جَوْهَرًا من ذاتِ ذي الملكوتِ أسمى من سما
 نورٌ تَظَاهَرَ فيكَ لاهوتِيَّهٌ فتكاد تَعْلَمُ عِلْمَ ما لن يُعْلَمَا
 ويَهْمُ فيكَ اذا نَطَقْتَ فَصاحَةً من كلِّ عَضْوٍ منك أن يتكلّمَا
 أنا مُبْصِرٌ وأظنُّ أنِّي نائِمٌ مَنْ كان يحلُمُ بالالهِ فأحلُمَا
 كَبُرَ العِيانُ عَلَيَّ حَتَّى اتَهُ صار اليقينُ مِنَ العِيانِ تَوَهُمَا

« فنحن هنا بازاء رأي صريح في الحلول ؛ فالمتنبى يرى أن صاحبه ملك
 قد صفي جوهره من ذات ذي الملكوت ، أي ان روحه قبس من ذات الله .
 وهو يرى أن هذا القبس نور لاهوتي قد استقر في صاحبه ، فكاد يظهره
 على الغيب . وعندي (القول للدكتور طه حسين) أن المتنبى حين ارتحل الى

(١) مع المتنبى : طه حسين ص ٤٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٤

البادية انما اتصل فيها بداع من دعاة القرامطة الذين كانوا يجولون في البادية ومن يدري ! لعل هذا الداعي كان أبا الفضل نفسه هذا الذي يمدحه المتنبى • وانما عاد مستصحباً رجلاً آخر أو قوماً آخرين ، يريدون أن يستقروا في الكوفة وأن يدعوا فيها لمذهب القرامطة » ويستخلص الى القول « فاني أجد في نفسي شعوراً قويا جدا بأن المتنبى قد نشأ نشأة شيعية غالية ، لم تلبث أن استحالت الى قرمطية خالصة (١) » •

هذا رأي أكبر أديب وعالم في عصرنا الحاضر أكد فيه بقوة العلاقة المتينة التي كانت تربط المتنبى بالقرامطة ، ونحن نضيف الى ذلك القول بعض المعلومات التي حصلنا عليها من مصادر اسماعيلية تتعرض لذكر زيارات المتنبى المتواصلة الى سلمية وتؤكد أنه كان يقضي فيها أوقاتاً طويلة ، وسلمية في ذلك الوقت كانت عاصمة النشاط الفكري في الشرق الاسلامي ومركز توزيع الافكار الاسماعيلية • وفيها قال المتنبى :

فأقبلها المروج مسومات ضوامر لا هزال ولا شيار

تشير على سلمية مسبطرا تناكر تحته دون الشعار

ولقد استطاع المتنبى أن يجد له في سلمية مدرسة فكرية استمد منها تعاليمه المذهبية ، وباعتقادي أنه كان من دعاة الاسماعيلية المتجولين في البادية ، وكان يزور سلمية لتقديم تقاريره السرية عن نشاط الدعوة وانتشارها في تلك النواحي • ومن جهة اخرى كان المتنبى يتردد على (بدر آل عمار) في اللاذقية ويمدحه ، وبدر هذا كان من (آل عمار) الاسماعيليين ، ومهما يكن فلا نستطيع أن نجزم بأن المتنبى ظل حتى وفاته مخلصاً عاملاً في الحقل الاسماعيلي ، لأن الشعراء قلما يظهرون عقائدهم ،

(١) مع المتنبى : طه حسين ص ٤٤ - ٤٥

وخاصة في عصر مضطرب كعصر المنتبي حيث كان يصول ويجول على مسارح السياسة أمراء لا ينظرون بعين الرضا الى كل من ينتسب الى القرامطة الاسماعيليين ، وحياة المنتبي تدلنا على أنه كان فقيرا يتكسب من شعره ، فيضطر الى مدح هؤلاء الامراء ونيل رضاهم ، فليس غريبا أن يكتف عقيدهته .

واسمه : أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي ، ولد في الكوفة سنة ٣٠٣ هجرية ، نصب له جماعة كميناء في الطريق وهو عائد الى الكوفة ، فقاتلهم وليس معه الا ابنه و غلام حتى قتل سنة ٣٥٤ هجرية . له ديوان شعر ضخمة .



أحمد بن الحسين

(دندان)

لا تزال الروايات مضطربة والاقوال متناقضة حول حياة هذا الداعي الكبير الذي يعتبر بحق من الدعاة الافذاذ الذين قدموا للدعوة الاسماعيليه في دورها الاول أعظم الخدمات . لم تتمكن من معرفة تاريخ ولادته بالضبط ، ولكننا استطعنا أن نستنتج بأنه ولد بنواحي الكرخ ، وكان أبوه راوية وعالما من علماء الشيعة ، ورد اسمه في المصادر الشيعية كما يلي :

دندان أبو جعفر أحمد بن الحسين بن سعيد بن حماد بن سعيد ابن مهران^(١) . وقيل محمد بن الحسن بن جهار نجار الملقب دندان^(٢) ، والمصادر متفقة على أنه عاش في أصفهان والاهواز ، وعرف بالثراء والعلم ورواية الحديث ، ويذكر التاريخ أنه سجن في مدينة بغداد وهناك تعرف على حجة الامام عبد الله بن سيون القداح فتجادلا وتناقشا وتعلما وكانت النتيجة أن خرج من السجن معتقاً المذهب الاسماعيلي ، وابتدأ بالدعوة من جهة الجبل فدخل في دينه كثير من الاكراد ، ولم يقف نشاطه عند هذا الحد بل قدم للدعوة المساعدات المادية ، فدفع اعانة مالية قدرت بمليون دينار وضعت في الخزينة الاسماعيليه في السلمية لتصرف على نشر الدعوة في خراسان وفارس والاهواز واليمن^(٣) .

(١) الطوسي : ٢٦ ، ١٠٤ ، ابن شهرآشب : ١٠ ، ٣٥ منهاج المقال : ٣٤ ، ١١٣ الدرعية : ٢٨١ .

(٢) نهاية الارب في فنون الادب للنويري (٢٦) .

(٣) النويري : نهاية الارب : ٢٣/٢٦ .

وباعتباره كان من علماء عصره فقد صنف عدة مؤلفات عرفنا منها :

١ - كتاب الاحتجاج •

٢ - كتاب الانبياء •

٣ - كتاب المثالب •

٤ - كتاب المختصر في الدعوات •

ظل ينتقل بين سلمية وفارس ينشر الدعوة ويلقي المحاضرات ويصنف الكتب حتى توفي في قم بفارس ودفن فيها • وقيل انه أوصى بثروته الطائلة لتوضع تحت تصرف الامام الاسماعيلي لتنفق في سبيل تقوية الدعوة ونشرها ، وكانت وفاته في منتصف القرن الثالث الهجري •

هذا ما استطعنا تقديمه عن حياة هذا الفيلسوف الكبير والداعي العظيم ، وكل ما ورد حوله من روايات لا يتعدى التحامل والدس •



أبو حاتم الرازي

هو ابو حاتم أحمد بن حمدان الليثي الورسني الرازي^(١) من أكبر الدعاة العلماء الذين أنجبتهم الدعوة الاسماعيلية والذين كان لهم شأن كبير في عالم الدعوة وفي عالم الادب والفلسفة والتأليف ، حيث أخذوا على عاتقهم مهمة التفاني في الدفاع عن الدعوة بالقلم واللسان ، والعمل على جذب العامة والامراء بنفس هذا السلاح العلمي ، ويعتبر أبو حاتم الرازي من أعلام النهضة العلمية الاسلامية البارزين في القرنين الثالث والرابع الهجري . ولقد مثل نشاط الدعوة الاسماعيلية في بلاد الري في عهد امامة عبيد الله المهدي وخلافته ، وقد تأثر الى حد كبير بمدارس الدعوة في بلاد اليمن والمغرب ، فلعب دورا عظيما في الشؤون السياسية في طبرستان والديلم ، لا سيما في أصفهان والري حتى استجابت له جماعة من كبار الدولة مثل أسفار بن شيويه ومرداويج بن زيار^(٢) وكان لجهود أبي حاتم الاثر الفعال في اتصال مرداويج بالامام عبيد الله المهدي ، وكذلك أسهم أبو حاتم الرازي في النهضة العارمة بالمذهب الاسماعيلي كما أسهم في نشر الثقافة الاسلامية عامة ، فتحدث في الفلسفة واللغة ، والتفسير والفقه ، وشرح نظريات الاسماعيلية وعقائدهم ، وله نظريات كثيرة في مبدأي الستر والظهور ، حتى قيل عنه انه أول من وجه هذين المبدئين في الاسلام توجيها جديدا ؛

(١) لسان الميزان للحافظ رقم ٥٢٣ . وبالرغم من التنقيبات الكثيرة لم نعثر على تاريخ ولادته ونشأته قبل أن ينضم للدعوة الاسماعيلية ومن المحتمل أنه تخرج من مدرسة دعاة اليمن ، ومنها أوفد الى بلاد الري .

(٢) مقدم الديلم ، تاريخ الخلفاء ص (٢٥٩) نظام الملك : سياسة نامه ج ٢ ص (٢٧٢) .

ومن أهم مؤلفات الرازي : كتاب الزينة ويحتوي على ١٢٠٠ صفحة وهو من أقدم كتب آداب الدعوة التي احتفظت بها الاسماعيلية وهو في الاحرف ومعانيها وفي الكلمات العربية والدخيلة التي نطق بها القرآن وسنها مسلمون وصارت فيما بعد المصطلحات الاسلامية^(١) . ومن مؤلفاته أيضا كتاب (أعلام النبوة^(٢)) ويعد من أهم كتب فلسفة المذهب الاسماعيلي ، وقد تناول فيه الكلام على نظريات الاسماعيلية في الرسل ، وفي الله تعالى وفي النفس والهيولى والزمان والمكان ، وفي هذا الكتاب يرد الرازي على أحد الزنادقة الملاحدة ، ويحتوي هذا الكتاب أيضا على ما جرى بينه وبين الفيلسوف محمد بن زكريا الرازي من مناظرة في مسألة النبوة وأمر الدين^(٣) . ولا يقل كتاب (الاصلاح) أهمية عن هذه الكتب ويتكون من خمسمائة صفحة ، وترجع أهميته الى ما أورده المؤلف من تأويل الآيات القرآنية ، وما ذكره عن الانبياء . ويذكر له ابن النديم^(٤) كتاب (الجامع) .

ولم يسلم الرازي من اضطهاد السنيين ، وخاصة الديالمة ، فاتهمه البعض بالباطنية والزندقة والثوية والدهرية (ولا يلاحظ في مؤلفاته شيء من هذا) فاضطر الى الاختفاء في آخريات حياته ومات سنة ٣٢٢ هجرية وقيل سنة ٣٢٣ هجرية .



(١) الفهرست ص ١٨٩

(٢) نشر جزء منه بأول كرادس في Roginal Orient V على أساس النسخة المخطوطة الموجودة في M. S. H.

(٣) ومن كتاب الاقوال الذهبية للكرماني يتضح أن الذي ناظره كان معاصره ومواطنه الفيلسوف محمد بن زكريا الرازي .

(٤) الفهرست ص (٢٤٦) .

أحمد حميد الدين الكرمانى

ذكرنا أكثر من مرة في هذا الكتاب أن حياة أكثر الدعاة والفلاسفة الاسماعيلية وخاصة نشأتهم الاولى من الصعب جدا على الباحث أن يذكرها بدقة ووضوح ، لأن أغلب المصادر التاريخية التي هي بين أيدينا لا تشير اليها لا من قريب ولا من بعيد ، وكل ما نعلمه عن هذا الفيلسوف العظيم ونشأته الاولى أنه كان من دعاة الاسماعيلية في عهد الامام الحاكم بأمر الله الفاطمي ، ويلقب بحجة العراقين ، وكبير الدعاة الاسماعيلية بجزيرة العراق . واسمه كما ورد في المؤلفات الاسماعيلية : هو سيدنا الشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى صاحب التأليف العديدة في المذهب الاسماعيلي ، واثبات الامامة للفاطميين والرد على مخالفيهم ، وصفه الداعي ادريس عماد الدين فقال :

« حتى ورد الى الحضرة الشريفة النبوية الامامية ، ووفد الى الابواب الزاكية الحاكمة باب الدعوة الذي عنده فصل الخطاب ، ولسانها الناطق بفصل الجواب ، ذو البراهين المضيئة ، والدلائل الواضحة الجليلة ، مبين سبل الهدى للمهتدين ، حجة العراق أحمد عبد الله الملقب بحميد الدين الكرمانى قدس الله روحه ورضي عنه^(١) » وقال عنه أيضا : « مهاجرا عن أوطانه ومحلّه ، وواردا كورود الغيث الى المرعى بعد محلّه ، فجلى ببيانه تلك الظلمة المدلّمة ، وأبان بواضح علمه ونور هدايه فضل الائمة ... والداعي حميد الدين أحمد ابن عبد الله هو أساس الدعوة التي عليه عمادها ، وبه علا ذكرها ، واستقام منارها ، وبه استبانّت المشكلات ، وانفرجت المعضلات^(٢) . » .

(١) عيون الاخبار : ٤٥/٦ .

(٢) المرجع السابق .

واستخدم الامام الحاكم هذا المفكر الكبير والعالم التحرير فجعله رئيسا لدار الحكمة التي كانت مغلقة منذ زمن • وقيل ان سبب قدوم الكرمانى الى مصر هو أن داعي الامام الحاكم ختكين قد استدعاه ، عندما اشتدت الفتن الدينية وخدم النشاط العلمي ونسب الغالون الالوهية الى الحاكم ، فوصل القاهرة سنة ٤٠٨ هجرية وجادل أصحاب هذه الفتنة (الدرزية) الذين زاغوا عن دعوة الاسماعيلية ، وألف رسالته المسماة بالواعظة ، وهي عبارة عن لون من ألوان مناقشته للذين ألّهوا الحاكم ، وفي هذه الرسالة يبرىء الحاكم من ادعائه الالوهية ، ويعترف بأن الامام الحاكم هو عبد خاضع لله تعالى ، له يسجد ، وعليه يتوكل ، واليه يفوض الامر كله •••

وبكل أسف نقول : ان المعلومات التي نستطيع على ضوءها أن نصور شخصية الكرمانى وتقدم له ترجمة وافية ، قليلة ، ولكننا نستنتج من لقبه (الكرمانى) أنه من أصل فارسي وعلى الأرجح أنه ولد في كرمان بفارس ، وارتحل الى القاهرة كغيره من دعاة الاسماعيلية للتزود من العلم ، وبعد أن بلغ درجة علمية كبيرة عين حجة في العراقين ، (فارس - العراق) ، ومنذ ذلك الوقت عرف (بحجة العراقين) وتمكن من استمالة والى الموصل المقلد بن يوسف فاعتنق الاسماعيلية وخطب للامام العزيز على منبر الموصل سنة ٣٨٢ هجرية • وهذا ما يوضح أنه قدم للقاهرة في أول مرة في عهد الامام العزيز ، واستدعي اليها ثانية عام ٤٠٨ هجرية في عهد الامام الحاكم حيث جادل الفرق التي ثارت على التعاليم الاسماعيلية بزعامه (الدرزي) وصحة •

خلف الكرمانى للدعوة الاسماعيلية مؤلفات كثيرة بعضها كتب طوال ، وبعضها الآخر رسائل قصيرة ، عرض فيها لكثير من المشكلات الفلسفية ، ومزج تعاليم الاسماعيلية بعلوم الشرع والمعارف الفلسفية الاخرى ، مما يشهد برسوخ قدمه وعلو كعبه في العلم وتضلعه في فقه الدعوة • ومن

أهم مؤلفاته : كتاب المصايح^(١) في اثبات الامامة وتنبه الهادي والمستهدي ، وكتاب معاصم الهدى ، والاصابة في تفضيل علي على الصحابة ، والاقوال الذهبية في الدفاع عن أبي حاتم الرازي ، وفصل الخطاب وابانة الحق المتجلي عن الارتياب ، وكتاب المحصول ، ورسالة الوضيئة ، وكتاب الرياض أو الاصلاح بين الشيخين ، عدا رسائل كبيرة نخص بالذكر منها : الرسالة الدرية في معنى التوحيد ، ورسالة النظم في مقابلة العوامل بعضها بعضها ، والرسالة المضيئة في الامر والامر والمأمور ، والرسالة الحاوية في الليل والنهار ، ورسالة مباسم البشارات ، والرسالة الواعظة ، والرسالة الكافية ، ورسالة المعاد ، والفهرست ، والمقادير والحقائق ، وتاج العقول ، وميدان العقل ، وكتاب النقد والالزام ، واكليل النفس ، وكتاب المقاييس ، وكتاب المجالس البغدادية والبصرية ، ورسالة الشعري والخواص ، وكتاب راحة العقل ، مما يشهد بما يتمتع به هذا الفيلسوف من منزلة في عالم الفلسفة .

ومن أعظم كتب الكرمانى التي تدل على تعمقه في الفلسفة واحاطته بشاردها وواردها كتاب راحة العقل ، الذي ينقسم الى أسوار ، ويشمل كل سور عدة مشاريع ، وبذلك يصبح الكتاب كأنه مدينة ، ويشتمل على سبعة أسوار ، وكل سور الى سبعة مشاريع ، ويتألف الكتاب من ٧٩ مشرعا . وهذه الاسوار السبعة تقابل السيارات السبعة ، التي لها تأثير على المواد الجسمانية من معدنية ونباتية وحيوانية .

أما المشاريع فهي تقابل الافلاك الكبار والصغار ، ومن يطلع على كتاب الكرمانى هذا يلمس ولوعه بالتأويل المعروف عن دعاة الاسماعيلية ، وهو يريد أن يضم كتابه : المعارف والفضائل التي ينبغي أن تتحلّى بها النفس الانسانية علما وعملا ، فيتھياً لمن يقرؤه ويستوعب ما فيه ، الراحة ، والهداية ،

(١) المرشد الى الادب الاسماعيلي ايقانوف (ص ٤٣) .

والسعادة ، والنجاة • ولذلك سمي الكتاب : (راحة العقل^(١)) •

وللكرماني فوق كل هذه المؤلفات عدة رسائل عرفت في أدب الاسماعيلية باسم رسائل الكرماني ، وهي تشتمل على ثلاث عشرة رسالة • وله أيضا كتابان أحدهما يعرف بالمجالس البغدادية والآخر يعرف بالمجالس البصرية ، جمع فيهما محاضراته التأويلية في العراق والبصرة وبغداد^(٢) •

وهذه المؤلفات الضخمة التي تركها الكرماني والتي تبحث في جميع العلوم تدل على ما كان يمتاز به من المهارة العلمية الفائقة بألوان العلوم المختلفة لاسيما ما كان منها عقليا ، كما تؤكد على رسوخ قدمه بفلسفة الدعوة الاسماعيلية ، فضلا عما تظهرنا عليه من المهارة الفائقة والقدرة العجيبة على التأليف بين العناصر المستقاة من مصادر متباينة في موضوعاتها وطبيعتها ومنهجها •

والخلاصة لا يسعنا الا أن نعتبر الكرماني شيخ فلاسفة الاسماعيلية بحق وصدق ، ولقد أحرز قصب السبق في ايجاد بعض النظريات والمذاهب الفلسفية التي لم تكن معروفة في عصره ولا قبل عصره ، فأصبحت معنا يرتشف منها الفلاسفة ، الشرقيون والغربيون ؛ وكما كانت حياة الكرماني من الغموض على هذا الوجه ، فكذلك كان تاريخ وفاته • فالخلاف بحيث لا يمكن ذكره على سبيل القطع : فقد قال ايثانوف عن تاريخ وفاة الكرماني انه ليس معروفا ، ولكنه توفي سنة ٤٠٨ هجرية بقليل ، وهي السنة التي يؤرخ بها اتمام تأليف أحد كتبه^(٣) • على ان الكرماني نفسه قد ذكر في كتابه (راحة العقل) بأنه ألفه سنة ٤١١ هجرية ، وهذا يعني أن وفاته لا يمكن أن تكون الا بعد هذا التاريخ ، أي بعد سنة ٤١١ هجرية •

(١) راحة العقل للكرماني (ص ١١) •

(٢) الرسالة الواعظة (ص ٢) •

(٣) المرشد الى ادب الاسماعيلية (ص : ٤٣) •

أبو العلاء المعري

(أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري)

عرف العصر الذي وجد فيه هذا العبقرى الشاعر الفيلسوف بنضوج الحياة الفكرية عند الاسلام ، وبكثرة المناقشات والمناظرات بين المفكرين والفلاسفة والفقهاء والعلماء . وكانت المعرة حين ولادة ابي العلاء تخضع لسيطرة الدولة الحمدانية ، ثم أصبحت تحت حكم الفاطميين .

ولد الشاعر الفيلسوف العبقرى أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد^(١) المعري التنوخي في اليوم السابع والعشرين من ربيع الاول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة هجرية في بلدة « معرة النعمان » من ابوين اسماعيليين ، وقد ذهب بصره قبل أن يبلغ الرابعة من عمره لاصابته بمرض الجدري ، وقد أشار الى ذلك في بعض رسائله الى داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي^(٢) .

وقد استعاض عن فقد بصره بنور بصيرته ، فلم يعقه في تحصيل العلوم والآداب ، وقد أجمع المؤرخون على شدة ذكائه وقوة ذاكرته ، درس العلم والأدب وأصول المذهب الاسماعيلي على أبيه أولا ، والذي كان رئيسا للدعوة في منطقة المعرة ، ثم على جماعة من علماء المعرة . وكان ابو العلاء يحفظ ما يسمعه للمرة الأولى . وقال الشعر وهو في الحادية عشرة من عمره ، وانتقل بعد ذلك الى بعض المدن الشامية المعروفة بالعلم حينئذ كانطاكية وحلب واللاذقية وطرابلس الشام ، فدرس على علمائها ، واستفاد

(١) في معجم الادباء ١٠٧/٣ : (. . بن داود بن المظهر . . .)

(٢) سيرة المؤيد الشيرازي داعي الدعاة : ورقة ١٣٠

من مكتبة أمراء (آل عمران) الشهيرة في طرابلس الشام ، ويظهر أنه اشتغل بدراسته بنفسه بعد العشرين من عمره فلم يدرس بعدها على أحد من الشعراء .

وفي سنة ٣٧٧ هجرية بلغه وفاة والده في حمص فحزن عليه وتألم وتفجع وقال من قصيدة له :

فيا قبر آه من ترابك لينا عليه ، وواهٍ من جنادلك الخشن
لاطبقت اطباق المحارة فاحتفظ بلؤلؤة المجد الجديدة بالحزن

وقام برحلة الى بغداد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة هجرية فمكث فيها مدة سنة وتسعة أشهر ، وقيل سنة وسبعة أشهر^(١) اطلع فيها على علوم الفلسفة وناظر وناقش وجادل في العلوم والاديان والمذاهب والفرق ، وكان خلال اقامته في بغداد يتردد على البصرة ، واشتهر حتى اتهم بالزندقة والالحاد وبالميول الباطنية .

ويذكر التاريخ حادثة جرت له في بغداد كانت من الاسباب الرئيسية التي جعلته يعود الى معرة النعمان ، كان يوماً في مجلس الشريف المرتضي ، وكان هذا يبغض المنتبي ، وكان المعري معجبا به يفضله على كل شاعر ، وجرى حديث المنتبي فتنقصه المرتضي ، وجعل يتبع عيوبه ، فقال المعري : لو لم يكن للمنتبي من الشعر الا قوله : « لك يا منازل في القلوب منازل » لكفاه فضلا ، فغضب المرتضي فسحب برجله ، واخرج من مجلسه ، ثم قال لجلسائه :

أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة ؟ فان للمنتبي ما هو أجود منها لم يذكرها ، فقالوا : السيد أعرف ، فقال : أراد قوله في هذه القصيدة :

(١) معجم البلدان ٣/١٠٨

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأني كاملٌ
ويظهر أن المعري اشتاق الى والدته وقد بلغه مرضها ، وقلّ ماله ، فرحل
الى المعرة والى ذلك يشير مخاطبا اخوانه وجماعته :

أثارني عنكم أمران : والده لَمْ ألقها وثناء عاد مسفوتا
ولما رجع المعري الى المعرة وجد أن أمه قد فارقت الحياة ، وكان ذلك
سنة ٤٠٠ هجرية ، فجزع لموتها ورثاها رثاءً مفاجئاً باكياً ، وقال في مطلع
ميميته المشهورة :

مضت وقد اكتهلت ، فخلت أني رضيع ما بلغت مدى الفطام
ولزم داره معاهدا الله بأن لا يبرحها حتى يوافيه الأجل ، وسمى نفسه
« رهين المحسبين » ، يعني حبس نفسه في المنزل ، وترك الخروج منه ،
وحبسه عن النظر الى الدنيا بالعمى • وكان الطلاب والأدباء والرواة والعلماء
والمتفلسون يقدون عليه ليغرفوا من بحر علمه ، ويقتبسوا من روائع حكمته ،
فغصت بيوت المعرة بمريديه ، ولم يعد بيته يستوعب هذا العدد الضخم من
طلاب العلم ، فاضطر الى جعلهم حلقات مختلفة ، فريقاً يجيء وفريقاً ينصرف ،
والمعري متربع لا يتزحزح الا حين تدعوه حاجة كالأكل والشرب • وقد أشار
الى مدرسته هذه بقوله :

يزورني الناس هذا أرضه يمن من البلاد وهذا أرضه الطيبس
قالوا سمعنا حديثاً عنك ، قلت لهم : لا يبعد الله الا معشرا لبسوا
يبنون مني معنى لست أحسنه فان صدقت عرتهم أوجه" عبس
أعانتنا الله ، كل في معيشته يلقي العناء ، فدرّني فوقنا دبس

وعزلة المعري هذه لم تمنعه عن العمل • فقد نظم في هذا الدور
لزومياته ، وألف أكثر كتبه ورسائله ، وتربع على عرش المجد العلمي والأدبي
والفلسفي ، يزوره الأمراء ويخطب وده الملوك ، ويذكر الفيلسوف الاسماعيلي

ناصر خسرو الذي زاره في المعرة أثناء رحلته الى مصر : « انه رجل ذو نفوذ عظيم في بلده وذو غنى ينفق على الفقراء والمعوزين » • وحرّم المعري على نفسه أكل الحيوان وما يشتق منه ، مكتفياً بالنبات والفاكهة والدبس ، وعاش عزباً الى أن مات سنة تسع واربعين واربعمائة هجرية بالمعرة ، وأوصى أن يكتب على قبره :

هذا جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد

وقيل ان الناس حزنوا لموته حزناً شديداً ، ووقف على قبره زهاء ثمانين ومائة شاعر فيهم الفقهاء والمحدثون والفلاسفة والمتصوفون •

ترك لنا هذا الشاعر الفيلسوف مؤلفات كثيرة في الشعر والأدب واللغة والفلسفة والدين وقد ضاع أكثرها بسبب الحروب الصليبية ، وله رسائل كثيرة ، ولقد اعتبره النقاد لصدقه ونبله واخلاصه وتفانيه في مهاجمة الفساد في طليعة شعراء العربية وكتابها وفلاسفتها ومفكرها بالرغم من اسلوبه المعقد ؛ ومن مؤلفاته المشهورة : سقط الزند ، واللزوميات ، والدرعيات ، ورسالة الغفران ، وكتاب الأيك والغصون ، ويعرف باسم الهزمة والردف ، ويقع في مائة مجلد تبحث في الأدب وأخبار العرب والعلم ، ورسالة الملائكة ، وكتاب الفصول والغايات ، وكتاب معجز أحمد ، وهو شرح لديوان المتنبّي ، وعبث الوليد ، وهو شرح لديوان البحري ، وذكرى حبيب ، وهو شرح لديوان أبي تمام ، الخ ••

ولا بد لنا قبل أن ننهي كلمتنا هذه عن هذا الشاعر العبقرى من أن نتعرض الى ناحية هامة في حياته ، وهي مذهبه وعلاقته بالدعوة الفاطمية ، أو بالأحرى بالمذهب الاسماعيلي ، والجدير بالاهتمام أن أغلب الذين كتبوا عن المعري قد أغفلوا هذه الناحية ، حتى طلع علينا أخيراً الأديب اللبناني الكبير مارون عبود في كتابه (زوبعة الدهور) ، فأكد أن المعري كان على صلة تامة بالفاطميين ، وكان من من كبار دعواتهم في سورية ، وذهب الى القول :

« فأبو العلاء هو الفاطمي العظيم الذي لم يرتد ساعة ، وان رأى فاطميو اليوم في كتابه ، بل في كتبه شيئاً يستوقفهم لحظة فليذكروا أن شاعر الدعوة الأعظم كان قبل ما وصل اليهم من رسائل ، وأن عقلاً كعقل أبي العلاء يحق له أن يفسر ويؤول كما فسر وأوّل غيره من رجال الدعوات والديانات الذين جاؤوا على آثار المؤسسين^(١) » •

ويذهب الى أبعد من هذا فيقول : ان أبا العلاء قد ذهب الى بغداد للكشف عن أحوال الدعوة هناك ، واتصل بالجمعية السرية الفاطمية ، ودعم أقواله هذه ببعض العبارات التي جاءت في رسالة المعري التي كتبها الى أهل المعرة ، وقد ناقش هذه الرسالة فقرة فقرة فخرج منها على أن المعري كان من كبار أعلام الاسماعيلية ، واعتبر لزومياته كتاباً خاصاً في أصول المذهب الفاطمي •

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فقد تعرض الى اقامة الداعي الاسماعيلي اسماعيل التميمي في المعرة فقال : ان الامام الحاكم الفاطمي رأى أنه بحاجة الى شخص عالم كالمعري في دار الحكمة فأوفد الداعي التميمي وأمره أن يحضر مجالس المعري ويدرس عليه ، ثم يرغبه في الحضور الى القاهرة ليلقي الدروس على الدعاة في « دار الحكمة^(٢) » وبالفعل وصل التميمي الى المعرة وأخذ يحضر مجالس المعري دون أن يعرفه بنفسه وبالمهمة التي جاء من أجلها ، وأخيراً وبعد أن يتأكد التميمي من قوة حجج المعري وعبقريته الفذة يبسط بين يديه المهمة التي جاء من أجلها ، فيبتسم أبو العلاء ويقول له : كان ذلك قبل النذر ، خذ عني ما تشاء ، واكتب ما تشاء ، وخبر « الامام » بما رأيت وسمعت ، أما ذهابي الى القاهرة فهيات • هيات أن يحمل عني مولانا الحاكم وزر يميني • نحن قوم ، وأنت من العارفين ، ندين بالصدق ، ومن

(١) زوبعة الدهور : مارون عبود : ص ٧٨ - ٧٩

(٢) المصدر نفسه : ص ١١١

يكذب على نفسه يكذب على الامام والاخوان ، والعياذ بالله ، واستمر الأخذ والرد طوال اقامة التيميمي في المعرة ، وهو يدور حول الشيخ ويداوره ويأخذ عنه ، ويزين له الاقامة في القصر ودار الحكمة ، والشيخ ثابت لا يتحول ولا يتزعزع^(١) . وأدرك التيميمي ان ما يأخذه من علم الشيخ وما ينقله عنه الى مولاه خير وأبقى ، فكتب دفاتر كثيرة أملاها عليه الشيخ . واكب على الدفاتر التي لم تمل فأخذ منها ما شاء ولسان حاله يقول : أنا على سفر لا بد من زاد والخلاصة عاد التيميمي الى القاهرة وأبلغ مولاه بأن المعري فضل البقاء في المعرة ، وعرض أمام الامام الحاكم كل ما تمكن من معرفته عن هذا العالم الكبير . ونحن من جانبنا نوافق الاستاذ عبود على أن المعري كان على صلة تامة بكبار دعاة الاسماعيلية الذين كانوا يترددون عليه من وقت لآخر ، باعتبار أن والده كان رئيسا للدعوة في معرة النعمان ، ومما لاشك فيه أن المعري اعتنق هذا المذهب ، وأصبح من كبار الفلاسفة والدعاة الذين يعتمد عليهم في الجدل والمناظرات ، وباعتقادي أن المعري كغيره من فلاسفة الاسماعيلية حاول ادخال بعض النظريات والآراء في فروع فلسفة المذهب الفاطمي ، وهذا ليس بغريب على كل عاقل مفكر يسعى الى الأفضل والأكمل .



(١) المصدر نفسه : ص ١١٤

أحمد بن عبد الله

(محمد التقي)

عرف عهد الأئمة الاسماعيلية المستورين بالخصب والانتاج ، ففي هذا العهد بلغت العلوم الاسماعيلية الذروة ، وانتشرت الدعوة انتشارا منقطع النظير على أيدي دعاة علماء عرفوا بحججهم القوية ، وعبقريتهم الخلافة المنتجة ، مما جعل الكثيرين من الملوك والأمراء وحكام المقاطعات يميلون الى اعتناق المذهب الاسماعيلي ، والى تقديم جميع الامكانيات والمساعدات الى الدعاة لنشر دعوتهم وتعميمها في جميع الأقطار الشرقية ، وفي عصر هذا الامام العالم المفكر بلغت الدعوة أسمى درجات الرقي والازدهار ، مما ساعد على تأسيس الخلافة الفاطمية في المغرب التي كانت مقدمة للخلافة الكبرى في مصر •

تدل المصادر الاسماعيلية السورية على أن ولادة الامام أحمد بن عبد الله ابن محمد بن اسماعيل المعروف (بمحمد التقي) أو (تقي محمد) كانت في سلمية سنة ١٩٨ هجرية •

وتسلم الامامة بعد وفاة أبيه عبد الله (الوفي أحمد) سنة ٢١٢ هجرية ، وكان في الرابعة عشر من عمره • اشتهر هذا الامام بكرمه النادر ، وعلمه الجهم ، ونشاطه المستمر في سبيل نشر الدعوة • وكان حجته وباب أبوابه أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح ساعده الأيمن ورئيس مدرسة دعائه في سلمية ، وعرف الامام تقي محمد بكثرة التجول والتنقل ليشرف بنفسه على تفقد شؤون أتباعه وتنظيم دعوته ، وكان يختار بنفسه الدعاة الأكفاء فيوزعهم على جميع المدن والبلاد الاسلامية ، تجول في جميع المدن السورية

وذهب الى الري وهمذان وأزريجان ، وقيل أنه ذهب الى استنبول حيث أدركته الوفاة سنة ٢٢٩ هجرية^(١) .

ونحن نستغرب جدا أن يذكر بعض المؤرخين أن وفاته كانت باستنبول ونعتبر هذا القول مردود ولا أساس له من الصحة ؛ فالامام محمد التقي ظل يتجول منتقلا بين أتباعه في العراق وفارس وسورية حتى أصيب بمرض خطير فعاد الى سلمية حيث عقد مجلسا للدعاة ونص على امامة ولده (رضي الدين عبد الله) وتوجه الى مصياف للاستشفاء بناء على نصيحة طبيبه الخاص ، وفي مصياف توفي سنة ٢٢٩ هجرية ودفن في قمة جبل مشهد .

وتشير المصادر أن الدعوة ازدهرت في اليمن على يد ابن حوشب رئيس مدرسة الدعاة فيها ، وكذلك في فارس وكثير من بقاع العالم الاسلامي ، مما أثار مخاوف العباسيين بعد أن أخذ الضعف يدب في جسم الخلافة العباسية وأحاطت بهم الثورات من كل جانب ، وفي عهد هذا الامام انتقلت أنظمة الدعوة من دور التأسيس والتكوين وخلق المبادئ الى طور العمل .



(١) طائفة الاسماعيلية لكامل حسين ص ١٨ .

أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح

الخدمات الجليلة التي قدمتها اسرة القداح للدعوة الاسماعيلية لا تقدر ولا يمكن للمرء مهما أوتي من قوة التعبير وحسن الاسلوب أن يستطيع تعداد تلك الخدمات التي كان لها أكبر الأثر في تركيز دعائم الدولة الاسماعيلية في المغرب ومصر ، وتعتبر أعمال آل القداح الأسس القوية التي بنيت عليها أنظمة الدعوة الاسماعيلية .

ولقد لعبت أسرة آل القداح دورها الفعال في نشر الدعوة الاسماعيلية في مختلف بلدان العالم الاسلامي ، مما جعل أغلب المؤرخين يحيطون هذه العائلة العريقة باسماعيليتها بهالة من الاحاد والزندقة ، فيضفون عنها الروايات والقصص التي لا أساس لها من الصحة .

لذا جاءت الروايات كلها مضطربة متناقضة لا يمكن للمؤرخ المنصف أن يعتمد عليها في أبحاثه حول هذه الاسرة التي رافقت الدعوة منذ عهد الامام اسماعيل وحتى انتهاء دور الستر الأول بتأسيس الخلافة الفاطمية في المغرب ، وقد كان أغلب أبناء القداح نوابا وحججا للأئمة المستورين سموا بأسمائهم ليحيطوهم بستر كثيف من السرية خشية الأضداد ، مما حدا بالمؤرخين الى الخلط بين أسماء هذه الاسرة وأسماء أئمة دور الستر ، حتى أن بعضهم ذهب الى القول بأن الأئمة الاسماعيلية المستورين هم من ولد القداح .

تدل المصادر الاسماعيلية السورية التي اعتمدنا عليها في معلوماتنا عن هذا الداعي الكبير والفيلسوف العظيم على أن ولادته كانت في سلمية سنة ٢٠٤ هجرية ، وما كاد يبلغ أشده حتى انتسب الى مدرسة الدعاة في سلمية ، وبعد أن تخرج منها ، أظهر ذكاء نادرا ، ومقدرة علمية لا تجارى ، أوفده

حجة الامام عبد الله بن ميمون والده الى اليمن ، ومن ثم جعل مجاله الحيوي في العراق وفارس ، وكان يتردد على البحرين لتفقد شؤون الدعاة فيها •

ولما أعلنت وفاة أبيه (حجة الامام) عبد الله بن ميمون سنة ٢٦٦ هجرية انتخب من قبل رئاسة الدعوة في السلمية ليحل محل أبيه نظرا لما كان يتمتع به من مقدرة علمية فائقة • فجاء الى السلمية حيث أصبح بابا من أبواب الامام المستور وحجة له •

قال الداعي أدريس عماد الدين^(١) :

« كان حجة ثالث الأئمة المستورين أي الحسين بن عبد الله بن محمد ابن اسماعيل تسلم من عبد الله بن ميمون ، فأصبح الحجة الجليل قدرها ، العظيم خطرها ، وأرفع الحجب وأسماها ، وألطفها وأعلاها » •

ولقد انتشرت في عهده الدعوة في كثير من البلدان الاسلامية ، وعرف بـ (أحمد الحكيم) ، ولقب كما تذكر المصادر (أبا الشلمع) • اتصل بالقرامطة فحسن العلاقات التي كانت قد ساءت بعض الشيء في عهد والده عبد الله ، وأخذ يتجول في كافة البلدان التي يقطنها الاسماعيليون ليشرف بنفسه على تنظيم الدعوة ، مستعينا على نشر دعوته بأعظم الدعاة وأعلمهم ، ولما عمت شهرته البلدان ، أثار مخاوف العباسيين فأخذوا يطاردونه ويقتفون أثره ؛ وما زال ينتقل من مكان الى مكان يلقي المحاضرات والمجالس في علم التأويل والفلسفة ؛ حتى استقر في آخر أيامه في مركز الدعوة الرئيسي بالسلمية ؛ ومنها أرسل الداعي الحسين الأهوازي الى البحرين^(١) • وقيل انه هو الذي أخذ اليهود والمواثيق على الداعي علي بن الفضل وسيره الى اليمن لينضوي تحت لواء ابن حوشب ، كما وجه عناية خاصة لمركز الدعوة

(١) زهر المعاني : للداعي ادريس ص ٦٤ •

(١) شرف : تاريخ الاسماعيلية السياسي : ٤٨/١

في المغرب ومصر ، فعمل جاهدا على تنظيم تلك المراكز ، فسارت الأمور كما ينبغي مما مهد الى انتشار الدعوة انتشارا عظيما في تلك البلاد •

وهكذا نرى أن هذا الداعي الكبير قد استطاع بما كان يتمتع به من مقدرة علمية فائقة ورجاحة عقل أن يجني ثمار ما غرسه أبوه وجده ؛ ومما لا شك فيه أنه كان كثير التصنيف والتأليف ، ولكن ومع مزيد الأسف الشديد ، ذهبت كل مؤلفاته كما ذهب غيرها من مؤلفات كبار رجال العلم والفلسفة الاسماعيليين •

وكانت وفاة أحمد بن عبد الله في سلمية سنة ٢٧٥ هجرية ودفن في الجامع الكبير بقرب قبر الامام رضي الدين عبد الله •



أحمد بن عبد الملك بن عطاش

هو داعي العراقيين^(١) ومن أكبر علماء فارس وأعظم دعاة المذهب الاسماعيلي فيها . ولد في نيسابور حوالي سنة ٤٣٧ هجرية من أبوين اسماعيليين ، كان والده عبد الملك حكيما متعمقا في علوم الفلسفة والفقه ، فنشأ ابنه مقتديا به ، فأصبح في مدة وجيزة من الدعاة المشهورين ، فأوفده أبوه الى القاهرة سنة ٤٦٠ هجرية لينهي دراسته المذهبية^(٢) ، ومن ثم عاد الى الري حيث أصبح داعي دعاة العراقيين فوصلها سنة ٤٦٤ هجرية وعرض عليه الحسن ابن الصباح فأعجب به كثيرا وأمره بالمسير الى مصر ، ومن دعائه المشهورين : أبو نظم ، والحسن الصباح ، وأبو مؤمن ، وغيرهم من الدعاة الأفاضل الذين نشروا الدعوة في أذربيجان ودمشق وصيدا وعكا والطائف وغيرها من البلاد الأخرى .

وبذل جهودا جبارة في سبيل تأليف جيش اسماعيلي تمكن بواسطته من الاستيلاء على عدد من الحصون المنيعة بالقرب من أصفهان كقلعة (خالنجان) و (شيركو) و (خورخوس) وغيرهما من الحصون المنيعة التي أصبحت فيما بعد ، أكبر عون له في تحقيق أمانه^(٣) ، فاستقرت أحواله واستتب الامن في مناطق نفوذه وعظم أمره ، وشيد مدرسة لتنشئة الدعاة القديرين والتلامذة

(١) العراق العجمي والعراق العربي .

(٢) المقصود من ارسال الدعاة الاسماعيلية الى مقر الدعوة في القاهرة لتلقي العلم وحضور المجالس التأويلية أولا ، ولزيارة الامام المفروضة على كل من بلغ أعلى المراتب . وهذه الزيارة مفروضة كالحج ، لأن الاسماعيلية يعتبرون زيارة الامام الحج الباطن ، وزيارة بيت الحرام الحج الظاهر .

(٣) البنداري : ص ٩٠ ، ٩٢ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٨٥

المخلصين ، فوزعهم على مختلف المناطق فتمكنوا من استمالة ٣٠٠٠٠ من أهالي تلك البلاد ونتيجة لهذه الجهود تجمع الاسماعيليون من كل المناطق وفي احتفال مهيب توجوا ابن عطاش بتاج الذهب الخالص تقديرا لخدماته واعترافا بفضله وبما بلغته الدعوة على يديه من تقدم وازدهار .

شعر السلطان محمد السلجوقي بأن خطر الاسماعيليين وانتشار دعوتهم السريع أخذ يهدد دولته ويحيط ببلاده من جميع الجهات فأمر بتعبئة الجيوش لقتالهم وخرج بنفسه سنة ٤٩٤ هجرية فتمكن من اجتياح بعض المعاقل الاسماعيلية بعد أن دافعوا عنها دفاع المستميت وقتل منهم عدداً كبيراً . وسرعان ما وصلت النجدات من بقية القلاع فتمكنت من دحر الجيوش السلجوقية ، ولكن السلطان عاد لقتالهم ثانية بعد أن جمع فلول جيشه وزوده بالعتاد والمؤن والاسلحة الكثيرة وكان ذلك في شعبان سنة ٤٩٥ هجرية فطوقت جيوشه قلعة (شاه دزا) مقر القيادة الاسماعيلية ومركز ابن عطاش ويذكر ابن الأثير ذلك الحصار فيقول^(١) : خرج السلطان محمد السلجوقي على رأس عساكر جرارة لقتال الاسماعيلية فحاصروهم في شعبان سنة ٤٩٥ هجرية وتجمع لحربهم جموع كثيرة فما أحاطوا بجبل قلعة (شاه دز) ورتب الأمراء لقتالهم فكان يقاتلهم كل يوم أمير ، فضاقت الأمر بهم واشتد الحصار عليهم فاستبسلا في معاقلمهم ونفذت الأطعمة منهم ففتحت قلعته بعد حصار طويل وأخذ شيخ الجبل أسيرا في السجن ثم أمر به فشهق في جميع البلاد وسلخ جلده حتى مات . وقتل ولده كما أن زوجته فضلت أن تقذف بنفسها من أعلى القلعة فماتت .



(١) ابن الأثير : الكامل ١٠/١٠٨

اسلام شاه

(أحمد بن قاسم بن شمس الدين محمد)

أخذت موجات من الاسماعيلية الذين فروا من المغول بعد ما حل بهم من أهوال ومذابح تتوجه الى أذربيجان حيث كان يستقر الامام ، والى بلاد الشام والهند بصورة خاصة حيث أسسوا لهم مراكز دعوة في مثلتان والسند ، والبنجاب وبامير ، وكشمير ، وهندكوش ، وكانوا يعملون على نشر دعوتهم سرا ، وامتنعت أغلب هؤلاء المهاجرين التجارة والصناعة .

وما كاد الامام أحمد بن قاسم بن شمس الدين محمد يتسلم الامامة بعد وفاة والده قاسم شاه سنة ٧٧١ هجرية حتى وجه عناية خاصة لتنشئة الشيعة الاسماعيلية تنشئة صالحة تمكنهم من السير بخطى سريعة نحو الرقي والازدهار^(١) .

ولد الامام أحمد بن قاسم بن شمس الدين محمد في مدينة (قائم أباد) ، وتسلم الامامة سنة ٧٧١ هجرية ولقب (باسلام شاه) وجعل مقره موزعا على ثلاث مدن في فارس ، فكان ينتقل من (شهري بابك) الى (كاهاك) ثم الى (الديرشة) ليشرف على ادارة شؤون الاسماعيلية^(٢) وجعل من قصوره في المدن الثلاثة مراكز علمية يؤمها طلاب العلم والمعرفة من مختلف البلدان الاسماعيلية ، وكان الامام اسلام شاه يشرف بنفسه على أمور التدريس عدا عن نخبة ممتازة من الدعاة العلماء الذين أظهروا مقدرة علمية في جميع

(١) نور مبین جبل الله المتین : جنارا : ص ٤٩٣ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية مصطفى غالب : ص ٢٣١ .

(٢) الشيعة في الهند : Hollister : ص ٣٣٣

المنظرات والمجادلات والمحاضرات التي كانوا يرتبونها في تلك المدارس ،
وقيل ان الامام اسلام شاه تزوج من ابنة كلزار شمس نامي (خليفة بي بي) .

ومن الدعاة المشهورين الذين عملوا بمعيته ، العلامة الكبير پيرصدر الدين
مثل الامام في الهند والبنجاب^(١) وپير شمس الدين داعي دعاة كشمير
والسند . وبالفعل تمكن هذان الداعيان من نشر الدعوة بشكل ملحوظ .

وتذكر المصادر التاريخية على أن علاقات الامام السياسية مع الملوك
والأمراء كانت على ما يرام كونه لم يتدخل في الأمور السياسية بل كان ينفق
الأموال الطائلة لانشاء المدارس وبناء المساجد ودور العبادة ، ومراكز
الاجتماعات ، والدور الواسعة لايواء الفقراء والعجزة من أبناء جميع الطوائف
على السواء .

ولما تعرضت ايران لغزو التتر بقيادة تيمرنك ، حاول الأخير أن يكسب
رد الاسماعيليه فذهب لزيارة الامام اسلام شاه وقطع له وعدا بالمحافظة على
أتباعه في كافة المناطق التي يقطنونها شريطة أن لا يقوموا بأي نشاط سياسي
أو حربي .

وفي سنة ٢٩٥ هجرية اجتاحت جيوش تيمرنك شيراز وقتل حاكمها
(مظفري خاندان) فنصب تيمرنك (أمير شيخ مرزا) الاسماعيلي حاكما
لها مما ساعد على انتشار الاسماعيليه في تلك المنطقة .

وعلى العموم وصلت الاسماعيليه في عهد الامام اسلام شاه الى درجة
علمية عظيمة خولتها لاحتلال المكان الفكري الأول في الهند ، والسند ،
وكشمير ، وايران . وتوفي الامام اسلام شاه في مدينة (كوهك) سنة ٨٢٧
هجريه .

(١) نور مبین جبل الله المتین : جنارا : ص ٤٩٥ ، الشيعة في الهند :
Hollister : ص ٣٣٤ .

الملك المكرم أحمد الصليحي

عُرف أبو علي أحمد المكرم بن علي بن محمود الصليحي الهمداني ملك اليمن في تاريخ الدعوة الاسماعيلية في اليمن ، شجاعا شهما جوادا ، وفارسا مقداما ، ومن أخلص دعاة الفاطميين ، وعلى يديه بلغت الدعوة الأوج ، وفيه يقول صاحب قلادة النحر^(١): « كان المكرم ضخما شجاعا ، وفارسا مقداما » . وقد منحه الامام المستنصر بالله الخليفة الفاطمي لقب (المكرم) في سنة ٤٥٦هـ^(٢) وأصبح وليا لعهد أبيه بعد وفاة أخيه الأكبر محمد الأعز في هذه السنة . ولما عزم والده على الحج سنة ٤٥٩ هجرية أنابه عنه في حكم البلاد ، وكان قبل ذلك قد استعمله على الجند وما جاورها من البلاد ، ولما علم باغتيال أبيه الملك علي الصليحي في المهجم ، وأسر والدته الملكة السيدة الصليحية أسماء بنت شهاب وغيرها من نساء بني الصليحي ، وقتل خيرة رجال دولته ، احتار المكرم وكاد يُقتضى على الدولة الصليحية قضاء مبرما ، لأن اعداءها لم يقفوا عند هذا الحد ، بل شرع المناققون ينقضون العهود والمواثيق حتى أوشك أن يخرج أمر الصليحيين من كافة بلاد اليمن ، وبالحقيقة لم يبق لهم الاّ التّمسك ، الذي كان مطوقا من قبل العبيد ، كما حاصروا مالك بن شهاب الصليحي في حصن مسار .

وتأمّرت القبائل من كحلان وهريان وعنس وزُبيد ويحصب على الصليحيين ، وبلغت العدوى صنعاء نفسها حيث كان الملك المكرم يقيم مع المخلصين من أتباعه الذين لا يتجاوز عددهم على الستمائة من الحجازيين .

(١) ٢/٢ ورقة ٦٢٧

(٢) عيون الاخبار للداعي ادريس عماد الدين ج ٧٦/٧

لذا قرر المكرّم أن يقاتل كل الذين خرجوا عليه من الأمراء والرؤساء والقبائل ، فأخذ يقوي عزيمة أتباعه ويثبتهم على الدين ويبشرهم بما وعد الله عباده الصابرين . وقد جاء على ذكر هذا الموقف صاحب عيون الأخبار فقال^(١) : « .. وكان المكرّم يثبت أصحابه على الدين ، ويذكرهم بما وعد الله به عباده الصابرين ، وبما ابتلى به مواليه الطاهرين ، ويتلو ما أنزل الله في كتابه المبين : « الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ » .

ولقد تمكن المكرم وأتباعه من رفع الحصار عن صنعاء وتتبعوا الأعداء ، فانتصروا في ناحية حَضُور انتصارا تنفسوا بعده نسيم الأمل ، « وحارب الأعداء في كل مكان ، والله يعطيه النصر ويسط يداه عليهم^(٢) .

ولقد فعل هذا النصر فعلا عجيبا في أتباع المكرّم فشجعهم على الاستماتة في الدفاع عن دعوتهم ووجودهم كقوة فاعلة تؤمن بالحق والعدالة ، وسجل قائده اسماعيل بن أبي يعفر الصليحي بجهة (كَحْلان وهرّان) أكبر نصر عرفته تلك البلاد ، ومن وقتها بدأت الشدة التي حاقت بالمكرّم تنقشع تدريجيا بفضل شجاعته وحسن قيادته ، وبسالة جيشه العربي وحكمة قواده الأبطال الفر الميامين ، فالتفت المكرّم الى اعداد العدة لتحرير البلاد من المنافقين والخونة ؛ ولما علم قواده عامر بن سليمان الزواحي ومدافع بن حسن الجنبى وعمران بن الفضل اليايى والحسن بن عمر السنحاني وهم في طريقهم الى مكة لأداء فريضة الحج مع والده الملك علي بن محمد الصليحي^(٣) بالأمر قفلوا راجعين الى صنعاء وقد لاقوا في طريقهم صعابا كثيرة من

(١) عيون الاخبار للداعي ادريس عماد الدين ج ٩٣/٧

(٢) ص ٤٩ من مجموع الرسائل لحسين بن علي بن القم .

(٣) عيون الاخبار ج ٩٣/٧

الأعداء « فأوقعوا في طريقهم سبع عشرة واقعة ، في كلها يمنحون النصر على من عاداهم ، والظفر ببركة مولاهم (١) » .

وكان وصولهم الى صنعاء في وقت كان الملك المكرّم بأمس الحاجة الى نجدتهم ، ففرح بهم فرحا عظيما ، وخر ساجدا لله شكرا على وصولهم . « فلما اجتمعوا به تواصلوا بينهم بالصبر على قتال الباغين المفسدين ، والمحاماة والجهاد عن الدين ، وتواصلوا ألا يطالبون الملك المكرم بدينار ولا درهم حتى يظفر بالعبيد ، وينال منهم ثأره بمدينة زيد ، وتعاقدوا على ذلك وعاهدوا الله سبحانه (٢) » . ونتيجة لهذه الانتصارات أخذ أنصار المكرّم يلتفون حوله فنظم صفوفهم وهو المعروف بحسن قيادته وتدييره ، وقوة عزيمته ورأيه الصائب ، وصمم على الأخذ بالثأر معتمدا على الجموع التي بدأت تلتف حوله ، كما عزم على تخليص والدته السيدة أسماء من الأسر . فبادر الى ارسال قائده عامر بن سليمان الزواحي على رأس قوة ضاربة الى بلاد حمير لاصلاح الفساد . فقاتل الثائرين قتالا شديدا ، وتبعهم في السهل والوعر حتى استجاروا بالملك المكرّم في يوم السبت العاشر من ذي الحجة سنة ٤٥٩ هجرية (٣) .

وكذلك حقق قائده اسماعيل بن أبي يعفر الصليحي انتصارات عظيمة على أهل يحضب ورُعَيْنَ بجهة كحلان وهريان ودانوا له بالطاعة بعد حرب ضروس (٤) مما ساعد على تقوية الروح المعنوية لجيش المكرّم فدفعهم الى انتصارات أخرى .

وبينما كان المكرّم وقواده مشغولين بمحاربة المناطق التي يسيطر عليها

(١) ٥٠ مجموع الرسائل لحسين بن علي بن القم .

(٢) عيون الاخبار ج ٧/٩٤ ، رسائل القم ٥١ .

(٣) نفس المصدر ج ٧/٩٤ .

(٤) عيون الاخبار ج ٧/٩٤ .

الأعداء ظهرت في الأفق فتنة داخلية شغلتهم فترة من الوقت ، وهي الحركة التي قام بها الأمير الداعي حمزة بن أبي هاشم بن عبد الرحمن بن يحيى الحسني في سنة ٥٩٤ هجرية بعد أن التف حوله فريق الناس وبايعوه على القيام بدعوته . فقام هذا الداعي مدعيا الامامة ، وسمى نفسه أمير المؤمنين ، فجمع حوله القبائل وزحف الى صنعاء بخسمائة فارس وخمسة عشر ألف راجل^(١) الى أن بلغ الملوي^(٢) فأرسل المكرم يدعو قائده عامر بن سليمان الزواحي فوصل في صبيحة الثلاثاء التاسع عشر من ذي الحجة سنة ٥٩٤ هجرية في خمسمائة من حمير ، وتوجه من صنعاء برفقة القائد أحمد بن المظفر الصليحي فوافوا الداعي الشريف بالملوي ووقع قتال بين الطرفين فانهمز أتباع الشريف وتركوه مع ولده فقتلا مع زعماء القبائل من أتباعهما . ويذكر الداعي ادريس هذه الموقعة فيقول^(٣) : « فما انجلت الموقعة الا عن ثمانمائة قتيل من أصحاب الشريف » . وفي هذا النصر وفيما كان من أمر يحضب ورعين قال الشاعر عمر بن يحيى الهيثمي :

لك الله ، ذا السيفين يكلأ ناصر

فمجدك بعد الأوحد الملك قاهر

وبعد هذه المعركة الجبارة عمد المكرم الى استئصال كافة العناصر المعادية وضربهم بقوة فأوفد قواده : أحمد بن المظفر الصليحي واسماعيل ابن أبي يعفر الصليحي وعامر بن سليمان الزواحي الى حراز ، لفك الحصار عن حصن مسار حيث كان به مالك بن شهاب الصليحي ، فتمكنوا من استمالة بعض القبائل في طريقهم وقدموا فروض الطاعة ، وبعد أن تم لهم فك الحصار عن

(١) يقول الداعي ادريس في عيون الاخبار ج ٧/٩٥ انهم ثمانية آلاف

راجل وعدد كبير من الخيل .

(٢) الملوي في بلاد أرحب .

(٣) عيون الاخبار ج ٧/٩٥

حصن مسار أقاموا فيه ثمانية أيام أخذوا خلالها العهود والمواثيق على القبائل المجاورة ، ثم توجهوا لمحاربة بكيل فبلغها جيش المكرم في أول محرم سنة ٤٦٠ هجرية ونشبت معارك ضارية احتلت على أثرها بكيل واستقرت الأمور في تلك الجهات ، فعاد القواد الثلاثة الى صنعاء تكلم هاماتهم أكاليل الظفر والنصر .

وبعد القضاء على الثائرين والمنتفضين استقرت الأمور وثبتت أقدام الدولة الصليحية فقرر الملك المكرم أن يتوجه لتخليص والدته من الأسر بعد أن وصله كتاب منها تطلب فيه الاسراع لاتقاذها ، فجمع الناس وخطب فيهم فقال : « من يكن يرغب في الحياة فلا يكن معنا^(١) » وما زال يخطب حتى انضم اليه جماعة كثيرة من العرب فخرجوا قاصدين العبيد في زيد وكان ذلك يوم الجمعة التاسع عشر من شهر صفر من نفس السنة ، وترك المكرم في صنعاء اسماعيل بن أبي يعفر الصليحي نائبا عنه ، ومعه جماعة من أهل الحجاز وأهل حراز .

وفي يوم الاربعاء لست بقين من شهر صفر خرج المكرم من قرية العمّد في عشرة آلاف راجل وفارس^(٢) فوطئ تهامة حتى شرقي زيد فعبا جيشه ونظمه خير تنظيم ثم أقبل على العبيد وكانوا ستة كراديس وعددهم ثمانية عشر ألفا فقاتلهم قتالا شديدا حتى هزموا شر هزيمة فجالت عليهم الخيل فانطحنوا طحن الرحي وأتى القتل على أكثرهم^(٣) وكان سعيد الأحول قد أعد خيلا مضمرة على الباب الغربي المسمى بباب النخل ، فهرب مع من سلم من أعوانه الى البحر ، وقد أعدت له سفن هناك فركبها وسار نحو جزيرة دَهْلِك^(٤) واحتلت جيوش المكرم زيد فتوجه المكرم الى المنزل الذي تقيم

(١) قرّة العيون لابن الديبع ورقة ٢٣

(٢) ٥٥ مجموع رسائل ابن القم .

(٣) الكفاية . ٥٠ والاعلام للخزرجي .

(٤) با مخرمه : ثغر عدن ٨/١

به والدته ووقف تحت الرأسين المصلوبين^(١) قرب طاقة الملكة فقال وقد أبصر والدته من الطاقة : « أدام الله عزك يا مولاتنا ! » فقالت : « مرحبا بأوجه العرب » . ثم سألته وكانت لا تعرفه من أنت ؟ فقال لها : « أنا أحمد بن علي ابن محمد » . فقالت : « ان أحمد بن علي في العرب كثير ، فاحصر لي عن وجهك حتى أعرفك » ففك اللثام عن وجهه . فقالت : « مرحبا بمولانا المكرم ! من كان مجيئه كمجيئك فما أخطأ ولا أبطأ » . ثم دخل رؤساء العرب فسلموا عليها وقد كشفت عن وجهها ، وكانت هذه عاداتها أيام زوجها لسمو قدرها عنمن يحتجب عنه النساء^(٢) وقد نزل المكرم عن ظهر جواده ، وسجد لله شكرا على ما أحرزه من نصر ، وغفر خذه في التراب ، وأحرق الدار التي استعصم بها العبيد^(٣) ودخل المكرم زبيد وأمر أتباعه بأن يحافظوا على حريم بني نجاح كما أطلق من وقع بيده من أولاد العبيد . وبهذا قال عمارة^(٤) : « ونادى منادي المكرم يومئذ برفع السيف بعد الفتح وقال للجيش : « اعلموا أن عرب هذه البادية يستولدون الجوارى السود فالجلدة السوداء تعم العبد والحر » .

ولقد اكتفى المكرم بتخليص والدته وأقاربه من الاسر وعامل الناس بالحسنى حتى ملك قلوبهم فأحبه الموالي والمعاند ، وآثروا الخضوع اليه لا خوفا من بطشه ، بل رغبة في شهامته ، وقبل أن يغادر زبيد نقل الرأسين من مكانهما وبنى عليهما مشهدا وفي ذلك قال عمارة :

« أنا أدركت مشهد الرأسين » وأقام أياما مهد فهياً قواعد البلاد ، وأقام

(١) رأس علي الصليحي وأخيه عبد الله ، نقلهما من امام دار شحار بزبيد الى مكان الدفن في صنعاء . رسائل القمى ٢٦

(٢) عمارة/كاي ٢٦ ، الكفاية والاعلام للخزرجي ٥٠

(٣) عيون الاخبار ج ٧/١٠٠

(٤) عمارة/كاي ٢٦ .

رسم الدعوة الهادية على العادة الجارية^(١) وقل عائدا الى صنعاء في الثاني عشر من ربيع الاول سنة ٤٦٦ هجرية .

ولما وصل المكرّم الى صنعاء وجد الوالي اسماعيل بن أبي يعفر الصليحي قد اشتدت علته ، ولم يمهل المرض سوى عشرة أيام حتى وافاه الأجل ، فحزن المكرّم لفقده ، وعين مكانه ابنه عبد الله ، وأخذ المكرّم يعالج أمور المملكة التي تعقدت أثناء غيابه ، فأصلح ما أفسده الطامعون ، وقضى على الفتن والثورات ، فعم الهدوء أنحاء المملكة ، وفي شهر رمضان سنة ٤٦١ هجرية فكر في القضاء على سعيد الأحول ليستريح من شره فاستهض العرب لقتاله ، وبالفعل سار الى زييد وحاصر سعيد الأحول الذي كان يعتصم في الجبال فحمل عليهم وهزم العبيد هزيمة منكرة ، وأدرك رجل من رجاله سعيد الأحول فقتله عند قرية مابة^(٢) وأتى برأسه الى الملك المكرّم^(٣) .

وبعد القضاء على الأحول ولي المكرّم على زييد السلطان أبا حمير سبأ ابن أحمد المظفر الصليحي وكلفه بملاحقة فلول جيش بن نجاح الذي تمكن من الفرار ، وعاد الى صنعاء حيث وصلته السجلات المستنصرية المتضمنة تشريفات وزيادة في الألقاب لما حققه من نصر للخلافة الفاطمية .

وفي سنة ٤٦٧ هجرية توفيت والدته أسماء بنت شهاب في صنعاء .

والخلاصة أن الدعوة الاسماعيلية بلغت أقصى درجات الازدهار والانتشار في عهد هذا البطل المجاهد المنافع ، وقد قدّر له امامه المستنصر بالله هذه الانتصارات فلقبه بـ (ذي السيفين) و (داعي السيف) . ويذكر التاريخ أنه كان فارسا مقداما ، وجوادا هاما ، فصيحا خطيبا مشهورا بالثبات

(١) عمارة/كاي ٢٦

(٢) مابة : قرية في رأس جبل بني الحارث ، ومتصلة بجبل الشعر مباشرة .

(٣) عيون الاخبار ج ١١٣/٧ .

والاقدام ، ولم يكن في زمانه من يتعاطى حمل رمحه وسيفه وقوسه وشدة قوته وعظيم خلقته •

وفي أواخر أيامه نقل مقره الى (ذي جبله) بعد أن عين على صنعاء عمران بن الفضل الياامي وأبا السعود بن أسعد بن شهاب ، واستقر بدار العز التي بناها ، وبعد أن أقام بها مدة اشتد عليه مرض الفالج الذي أصابه في زييد فأشار عليه الاطباء أن يحتجب عن الناس لذلك السبب^(١) فترك ذي جبله وطلع الى حصن (التعكر) بعد أن فوض شؤون ادارة الملك لزوجته السيدة أروى الصليحي • وتوفي في جمادى الأولى سنة ٧٧ هجرية •



(١) عيون الاخبار ج ٧ / ١٢٢ •

أبو الفوارس أحمد بن يعقوب

يكتنف تاريخ الدعوة الاسماعيلية في سورية الغموض الشديد ؛ ولا بد للباحث المنقب حول هذا الموضوع من أن يبذل جهودا كبيرة جدا عله يحصل على بعض المعلومات التي تنير له الطريق لمعرفة نشاط الدعاة السوريين الذين كانوا يعيشون بالستر والتقية ، ويحرصون أشد الحرص على أن تظل مؤلفاتهم بعيدة عن أيدي كل من ليست له علاقة بالدعوة ، مما أدى الى ضياع أكثر مؤلفاتهم ؛ ونستطيع أن نؤكد لكل باحث يرغب في الغوص الى أعماق معظم المخطوطات الاسماعيلية السورية بأنه لن يجد فيها الا الاشعار والقصائد والأراجيز التي لا تثنى ولا تغني من جوع . أما فيما يتعلق بترجمة حياة بعض الدعاة السوريين فدونه خرق القتاد .

وباعتقادي أن جميع الكتب التي تبحث في تاريخ الدعوة قد فقدت كليا ، أو أحرقت نتيجة للنكبات التي حلت بالاسماعيليين السوريين .

ومهما يكن الأمر فقد عثرنا على ترجمة موجزة عن حياة هذا الداعي الكبير ضمن مخطوط اسماعيلي سوري نادر جدا لدى بعض الاسماعيلية في نهر الخوابي ، وقد جاء فيه ما يلي^(١) :

« سيدنا الداعي الأجل الشيخ أبو الفوارس أحمد بن يعقوب صاحب كتاب (بيت الدعوة) الاسماعيلية ، المولود سنة ٣٦٠ هجرية في مدينة طرابلس الشام ، وقد على دار الدعوة في القدموس ، وكان من المصلين

(١) كتاب الازهار مخطوط اسماعيلي ، مؤلفه مجهول فيه اشكال والوان

العارفين بأمور الدعوة وطرقها ، فأقام مدة عندنا يعلم القرآن ، ويدرس الصبيان أصول الدين ، وكان رضي الله عنه ، يلبس الجبة ، والعمامة الخضراء ، وقد ذكر أنه قادم من لدن مولانا الامام الكريم الحاكم بأمر الله ، الغفور الرحيم في مصر حيث درس هناك أصول الدين الاسماعيلي ، وتشرف بحضرة مولانا وامامنا ، حاكم الحكام ، وسيد الأنام لذكره السجود ، فأمره أن ينضم الى المشايخ ، والدعاة في بلاد الشام ، فوصل الى فلسطين ومنها الى طرابلس الشام ، وطرطوس ، واللاذقية ، ثم وصل الى القدموس ، وقال رحمة الله عليه أنه قبل أن يذهب الى السدة السنية ، والمرتبة العلية السمرمية ، في القاهرة المعزية ، درس العلوم الأولية ، في معرة النعمان لمدة ثلاث سنوات ونصف •

وفي القدموس تغلب سيدنا الشيخ على جميع مشايخ النصيرية ، عندما تبارزوا سوياً ، وسأله ستين مسألة عن الامامة الرضية ، ذات الانوار العلية ؛ وبعد هذه المناظرة بسنتين علمنا بغيبة الامام الحاكم ، وبعد مدة سنتين مرض الشيخ ومات ، وقبرناه بعد الصلوات » •

ومن ذلك يتضح لنا أن وفاته كانت سنة ٤١٣ هجرية ، لم يذكر له الا مؤلفان فقط وهما :

١ - كتاب (بيت الدعوة الاسماعيلية^(١)) و (رسالة الامامة^(٢)) وله قصائد وارايجز في كتب متفرقة •



(١) هذا الكتاب موجود في مكتبتنا الخاصة ويبحث في التجريد والتنزيه والتوحيد

(٢) ذكرها ايقانوف في كتابه المرشد الى ادب الاسماعيلية ص ٤٧ . والظاهر انها تضم مسائل الشيوخ النصيرية ، وردده عليها .

اخوان الصفاء ، وخلان الوفاء

البحث في جماعة اخوان الصفاء بحث معقد طالما تضاربت الآراء فيه ، وتنوعت الأبحاث حوله ، فملاً الدنيا وشغل العلماء والمؤرخين حقبة طويلة من الزمن ، ولا يزال حتى الآن مثارا للجدل والتخمين والاستنتاج العقلي الذي قلما يكشف الستار عن حقيقة هذه الجماعة التي أحاطت نفسها بسياج متين من الكتمان ، فلم يتركوا في رسائلهم الفلسفية ما يكشف عن أسمائهم ، وفي ذلك يقولون : « اننا لا نكتب أسرارنا عن الناس خوفا من سطوة الملوك ذوي السلطة ، ولا احترازا من شغب جمهور العوام ، ولكن صيانة لمواهب الله عز وجل لنا^(١) » . وتشددوا في تداول رسائلهم فيقولون لمن حصل على هذه الرسائل : « وليتحرز في حفظها واسرارها واعلانها واطهارها كل التحرز ، ويحرسها غاية الحراسة ، ويصنها أحسن الصيانة^(٢) » . وهذا الكتمان الشديد الذي رغبوا فيه زهدا في الشهرة وحرصا على حياتهم المهددة من الحاكمين في ذلك العصر المضطرب ، مما جعل الناس يحترقون في أمر هذه الجماعة وفي الرسائل التي صنفتها ، ومع هذا فقد نالت فلسفتهم قبولا عظيما لدى العرب ، فراجت رسائلهم رواجاً منقطع النظير ، لأن الوقت الذي ظهروا فيه كانت الفتنة بين السنة والشيعية على أشدها ، والقلق الاجتماعي كان قد تسرب الى الطبقات الكادحة العاملة ، بعد أن تجمعت الثروات والسلطات في أيدي جماعة من الفاسدين الذين جعلوا هدفهم ارهاق الضعفاء واذلالهم ، فتعددت الانتفاضات الاجتماعية ، ونشطت الجماعات الناقمة والمظلومة فسعت لبلوغ غايتها وتحقيق أهدافها عن طريق اعداد الأذهان لثورة فكرية

(١) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٢١٥

(٢) رسائل اخوان الصفاء ج ١ ص ٢٠

لاهبة ، وكانوا الجماعات السرية التي نشطت آنذاك وعمموا أفكارهم وبثوها بين طلاب الحكمة ورواد المعرفة .

ومن أجل هذا الكتمان الشديد حار الناس في أمر هذه الجماعة قديما وحديثا ، فيقول القفطي في تاريخ الحكماء : « ولما كنتم مصنفوها - أي الرسائل - أسماءهم ، اختلف الناس في الذي وضعها ، فكل قوم قالوا قولاً ، بطريق الحدس والتخمين ، فقوم قالوا : هي من كلام بعض الأئمة من نسل علي بن أبي طالب ، واختلفوا في اسم الامام الواضع لها اختلافا لا يثبت له حقيقة^(١) » . وقال آخرون : هي تصنيف بعض متكلمي المعتزلة في العصر الأول ؛ ورأى غيرهم أنها من تأليف الحكيم المجريطي . ويقول أحد الكتاب المحدثين ما نصه بالحرف الواحد : « في وسعنا القول ان اخوان الصفا علويون وباطنيون واسماعيليون ومعتزلة وفيشاغوريون ، وأفلوطينيون ومجوس^(٢) . كل هذه التخمينات والاستنتاجات دفعتنا لمعالجة الموضوع على ضوء الأدلة الدامغة المستقاة من (رسائل اخوان الصفاء) وغيرها من المؤلفات الاسماعيلية ، وسنبين أن هؤلاء الحكماء ينتسبون الى الاسماعيلية ويعتبرون بحق من المؤسسين للمذهب الاسماعيلي . ولا نهدف من وراء ذلك سوى كشف الستار عن موضوع غامض يشكل أهمية كبرى في الدراسات الفلسفية الاسلامية ، والواجب العلمي يفرض بحث الأمور على ضوء التجرد وايراد الحقائق خالية من الشوائب ؛ وفي مرقى من الشك .

قال الداعي نور الدين أحمد صاحب كتاب فصول وأخبار^(٣) : أما الامام (عبد الله بن محمد) فقد ظهرت في عهده أحكام الشريعة والحقيقة والدين ،

(١) مقدمة زكي باشا على الرسائل ج ١ ص ٢٢

(٢) اخوان الصفاء لجبور عبد النور ص ٢٤ .

(٣) « كتاب فصول وأخبار » مخطوط اسماعيلي للداعي السوري نور الدين

أحمد المولود (٨١٧ هـ) المتوفي سنة (٨٤٩ هـ) .

وكان قمر دولة بني العباس كل يوم على مزيد ، وقد أرسلوا الى (سلمية) جيوشا جراحة للقبض على الامام والتكليف بأحفاد محمد وعلي ، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك ، أما الامام « عبد الله بن محمد » فقد كان سريع التنقل من (المعرة) الى (حماه) الى (حمص) الى (الشام) الى (مصيف) وغيرها من البلدان الشامية التي كان له فيها دعاة ينادون باسمه ويدعون له ، ولما علم بما آلت اليه الشريعة في عهد العباسيين من الانحطاط والضعف شرع بتأليف كتاب (رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء) وهو كتاب وضعه لتأييد الشريعة والحقيقة معا وقد أمر حدوده الأربعة « الحرم^(١) » وكان مقرهم في (سلمية) وهم أقرب الحدود اليه أن يكتبوا ما ينصه عليهم ويصل منه اليهم ، فأخذ كل واحد بكتابة ما يشير به عليه من العلوم أو يرسله اليه اذا كان غائبا في مكان بعيد حتى جاء عدد رسائل الكتاب مطابقا لعدد ركعات صلوات الفريضة والسنة والنوافل . فالصلوات الخمس احدى وخمسون ركعة كما جاء في الناموس تضاف اليهم ركعتان جلوس في صلاة العشاء ومقامهما مقام ركعة واحدة يصليهما المصلي وهو جالس على ركبتيه فيصير المجموع اثنتين وخمسين ركعة . وأما حقيقة هذه الصلوات فتتطبق على التعاليم الاسماعيلية الفقهية للصلاة كما وردت مفصلة في كتاب « دعائم الاسلام » للقاضي الفقيه (النعمان بن حيون المغربي^(٢)) ودعائم الاسلام هو قانون المذهب الاسماعيلي الفقهى ودستور الاسماعيلية ، قال النعمان :

« وعن جعفر بن محمد (صلعم) انه قال : ما أحب أن أقصر عن تمام احدى وخمسين ركعة في كل يوم وليلة . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : ستة ركعات قبل صلاة الظهر وهي صلاة الزوال وصلاة الأوابين حين تزول

(١) الحرم هم الدعاة الاربعة الذين يرافقون الامام ، وهم المطلعون على كل أسرار الدعوة وعددهم مطابقا لعدد الشهور الحرم .

(٢) دعائم الاسلام ج ١ ص (١٦ - ١٨٩ - ٢٤٦ - ٢٥٠)

الشمس قبل الفريضة وأربع بعد الفريضة وأربع قبل صلاة العصر ثم صلاة الفريضة ولا صلاة بعد ذلك الى غروب الشمس ويبدأ في المغرب بالفريضة ويصلى بعدها صلاة السنة ستة ركعات وأربع ركعات قبل العشاء الآخرة وصلاة الليل أربع ركعات بعد صلاة العشاء الآخرة وثلاث ركعات للوتر وركعتان من جلوس بعدهما تعدان بركة واحدة • لأننا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : صلاة الجالس لغير علة على النصف من صلاة القائم وركعتا الفجر قبل صلاة الفجر فذلك أربع وثلاثون ركعة مثل الفريضة والفريضة سبع عشرة ركعة فصار الجميع احدى وخمسين ركعة في كل يوم وليلة » •

وهذه النصوص الفقهية التي أوردتها القاضي النعمان في قانون المذهب الاسماعيلي تكاد تكون مطابقة لما قصده (اخوان الصفاء) بقولهم : « الصلاة دائرة ناموسية دينية ظاهرة والرسائل دائرة علمية ناموسية حقيقية ، وفي الدائرة الناموسية الدينية صورة لما في الدائرة العلمية • كما أن في الدائرة العلمية معرفة ما في الدائرة الدينية الناموسية » • وهذا القول مطابق لنظرية المثل والمثول الاسماعيلية •

وقيل ان الامام « عبد الله بن محمد » عندما جعل عدد رسائل اخوان الصفاء اثنين وخمسين رسالة وضعها لحكمة وطبقها على عدد حروف اسمه بحساب (الجمل) وهذا النوع من الحساب أول من استعمله في العهود الماضية هم « الاسماعيليون » •

واليك المثال :

ع ب د ا ل ه ب ن م ح م د = عبد الله بن محمد

٥٢ = ٤ ٤ ٨ ٤ ٥ ٢ ٥ ٣ ٣ ١ ٤ ٢ ٧

ويقول الداعي الاسماعيلي أبو المعالي^(١) : « فلما انتقل الامام محمد ابن اسماعيل الى دار البقاء تسلمها ولده المستور أحمد الوفي وهو أول من ستر نفسه عن الأضداد من أهل عصره المخالفين ، لأن زمانه كان زمان فترة ومحنة ، وكان المتغلبون من ولد بني العباس يطلبون من يشار اليهم منهم حسدا وبغضا لأولياء الله تعالى فأوجب ذلك الاستتار المعروف للأئمة وكنيت الدعاة بأسمائهم تقية عليهم مما هم فيه ويليق بهم وتاهت فيهم أولو الضلال حتى قالوا ان الامام من ولد محمد بن اسماعيل هو (عبد الله بن ميمون) المعروف بقداح الحكمة وزيد الهداية ، وزعم البعض أنه لا (عبد الله بن سعيد ابن الحسين) أو (عبد الله بن مبارك) أو (عبد الله بن حمدان) وان هؤلاء الأربعة قد اجتمعوا مع غيرهم وصنفوا رسائل طويلة في شتى العلوم والفنون عددها اثني وخمسون رسالة » .

ويحدثنا الداعي الاسماعيلي ادريس عماد الدين^(٢) فيقول : « وقام الامام التقي أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بعد أبيه بأمر الامامة وبث دعائه في الآفاق من سلمية ، واتصل به الدعاة ودعوا اليه وهم مخفون لمقامه كاتمون لاسمه . . . وكان المأمون حين احتال على (علي بن موسى الرضي بن جعفر) ظن أن أمر الله قد انقطع وحجته عن الارض قد ارتفعت . . . فحين ظن المأمون العباسي ذلك الظن ووهم ذلك الوهم سعى في تبديل شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وتغييرها . وان يرد الناس الى الفلسفة وعلم اليونانيين . . . وخشي الامام عليه السلام أن يميل الناس الى ما زخرف المأمون عن شريعة جده فألف رسائل اخوان الصفاء . وهذه فهرست الرسائل التي ألفها « الامام » جمع فيها أنواع العلوم الفلسفية والهندسية وجعل « الجامعة » هي منها الغاية التي يتبين منها المراد ويتضح المعنى للمرتاد وقصرها على

(١) رسالة الاصول والاحكام للداعي ابو المعالي حاتم بن عمران بن زهرة .

(٢) كتاب عيون الاخبار للداعي اليميني ادريس عماد الدين ج ٤ ص ٢٢٩

خلصاء شيعته وخيرة خاصته . . . وانما ألفت الامام أحمد تلك الرسائل لتقوم الحجّة على المأمون وأتباعه حين انحرفوا عن علم النبوة ، ثم ان الامام أمر أن تبث تلك الرسائل في المساجد . . . فحين وقع عليها الناس رفعت الى المأمون فعلم انه لم يضع شيئاً وان امارته من قطع جبل الامامة لا يكون » •

وقال الداعي الاسماعيلي شرف الدين^(١) : « حتى همّ المتسمى بالمأمون أن يرد الأمة الى دين القول بالنجوم وقال ما جاء محمد صلى الله عليه وسلم الا بناموس ملك به الناس وحقيقة وأساس حتى اظهر ولي الله وابن رسول الله (رسائل اخوان الصفاء) وفيها ما تحير فيه جميع العالم من العلوم في كل فن والاستشهاد على شرعة الرسول وهو صلى الله عليه وسلم ، ان ذلك في كهف التقيّة مستتر ودعائه الباكون متفرقون لتلك الرسائل في كل شهر وقطر . . . فرجع اللعين عما هم به من ذلك ، وجاء في كتاب قلائد الجواهر^(٢) :

« ان العلامة الفهامة أحمد بن عبد الله هو مصنف اثنين وخمسين رسالة موسومة باخوان الصفاء وخلان الوفاء » •

ويؤكد المستشرق كازانوف^(٣) أن آراء الاسماعيلية الفلسفية توجد كلها في رسائل اخوان الصفاء ، وكلاهما يتفق في القول بالامام المستور والمهدي المنتظر •

ويذكر المستشرق M. C. Defremory^(٤) أن سنان بن سليمان الملقب براشد الدين ، وهو من أجلّ وأفخم رؤساء الاسماعيلية قد خدم في (الموت)

(١) شرف الدين جعفر بن محمد بن حمزة في الرسالة الموقظة .

(٢) قلائد الجواهر باللغة الفارسية ص (٢٧) .

(٣) في مقال له في المجلة الاسيوية ص (١٥١ - ١٥٩) ١٨٩٨ عنوانه :

Sotice sur un Manuscrit Sela secte ses assosains

(٤) في مقال له في المجلة الاسيوية عدد يناير سنة ١٨٥٥ ميلادية عنوانه :

« بحث جديد على الاسماعيلية الباطنية بالشام في علاقاتهم مع ممالك الفرنج » .

المقدمين الذين كانوا قبله ، وزاول علوم الفلسفة ، وأطال نظره في كتب الجدل والخلاف وأكب على مطالعة رسائل اخوان الصفاء •

ويقول ماكدونالد^(١) : لقد تلقى الاسماعيلية تعاليم اخوان الصفاء ، وزادوا فيها في حصونهم الجبلية ومقر قواهم ، ويجب أن نكون على ذكر أن الاسماعيليين لم يكونوا عصابات من اللصوص تنشر الرعب بأساليبها الشنيعة ولكن كلا الفرعين الشرقي والغربي قد عكف على العلم وربما وجد في حصونهم الجبلية أصدق مظاهر التنافس في طلب العلم الصحيح ، وحينما استولى المغول على قلعة (ألموت) وجدوها غنية برسائل اخوان الصفاء وبآلات هندسية ورياضية وفلكية من كل نوع •

وقال الدكتور حسين الهمداني^(٢) : ان الاسماعيلية يرون القرآن الكريم كتاب العامة ، ويرون رسائل اخوان الصفاء كتاب الأئمة •

ويحدثنا عمر الدسوقي^(٣) فيقول ان الشيعة الاسماعيلية المعاصرين يعتقدون أن مؤلف رسائل اخوان الصفاء أحد الأئمة من آل البيت ، وأن هذا الامام هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق واعتقادهم هذا يدل على ما لرسائل اخوان الصفاء عندهم من منزلة رفيعة ، وانها تحوي تعاليم الطائفة •

وقال الداعي ادريس عماد الدين^(٤) : فقام الامام أحمد بن عبد الله صلوات عليه بأمر الله ووجه وهو الثاني من الخلفاء وحجته « عبد الله ابن ميمون » وأحمد بن عبد الله ممثل النطفة في دورهم مقابل لنوح ثاني

(١) Muslim Theology p. 197

(٢) في مقال له في مجلة المعرفة السنة الاولى نوفمبر ١٩٣١ (ص ٧٩٧).

(٣) اخوان الصفاء للدسوقي ص ١٢١ •

(٤) زهر المعاني للداعي ادريس عماد الدين (١٧٠ - ١٨٢) •

النطقاء ولجده الحسين بن علي ثاني الاتماء ، فنشر العلوم ظاهرا وباطنا
وصنف الرسائل وجعلها على العلوم الاربعة ثم جعلها ثلاثة وخمسين رسالة
شاهدة له ودالة عليه لأن اسمه بحساب الجمل ثلاثة وخمسون •

وقال غلام أحمد القادياني^(١) : ولما خشي الامام أحمد بن عبد الله أن
يزيغ المسلمون عن الشريعة المحمدية الى علوم الفلاسفة ألف رسائل اخوان
الصفاء وخلان الوفاء وجمع فيها من العلوم والحكمة والمعارف الالهية
والفلسفية والشرعية •

وقال الاستاذ عارف تامر^(٢) : قد بينت بأدلة قاطعة مستقاة من رسائل
اخوان الصفاء وخلان الوفاء نفسه ومن الرسالة الجامعة انتساب هؤلاء
الحكماء المبرزين الى الاسماعيلية وصلتهم الوثيقة بها ، وقدمهم بالانتساب
اليها ، وعراقة أصلهم بمعرفة اصولها وتعاليمها ، واعتبارهم من المؤسسين
لهذه الرسالة الفلسفية العظيمة ، ومن المركزين لدعائهما القوية التي نهض
عليها فيما بعد بناء فلسفي شامخ متين لا يزال حتى اليوم موضع دراسة
واهتمام مفكري وعلماء العالم ، وهذه الفلسفة هي بالحقيقة الفلسفة
الاسماعيلية التي بذر بذورها اخوان الصفاء •

وبعد أن بين علاقة اخوان الصفاء بالاسماعيلية وانتسابهم بصورة عامة
اليها ، وناقش المصادر التاريخية الاسماعيلية الحديثة وقابلها مع ما ورد في
الرسائل ذهب الى القول بأن الرسائل هي من تأليف الامام عبد الله بن محمد
حيث أمر حدوده الأربعة الحرم^(٣) الذين هم « عبد الله بن ميمون المعروف

(١) رسالة العسل المصفى في تحقيق اسم مصنف رسائل اخوان
الصفاء .

(٢) حقيقة اخوان الصفاء ص ٨ .

(٣) الحرم بالتعريف الاسماعيلي هم الدعاة الاربعة الذين يرافقون الامام
ويسمون الابدال ومن بينهم (الباب) وهو أفضلهم ، وعددهم جاء مطابقا لعدد
شهور الحرم وشمولهم فصول السنة .

بقداح الحكمة ، وعبد الله بن سعيد بن الحسين ، وعبد الله مبارك ، وعبد الله ابن حمدان « أن يكتبوا ما ينصه عليهم ويصل منه اليهم ، فأخذ كل واحد بكتابة ما يشير به عليه من العلوم أو يرسله اليه اذا كان غائبا في مكان بعيد ، وقبل أن تتم الرسائل أدركت الامام عبد الله بن محمد الوفاة فأتتها من بعده ولده أحمد بن عبد الله (١) .

وأخيرا تدل هذه الأقوال دلالة واضحة على أن رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء هي من تأليف الامام الاسماعيلي المستور أحمد بن عبد الله الملقب بالوفي أملاها على دعائه الحرم وغيرهم من كبار رجالات الدعوة في ذلك العصر ، ومن المصادر التاريخية الاسماعيلية الحديثة يستنتج أن طائفة من العلماء الاسماعيلية قد اجتمعوا برئاسة رئيس الدعوة الامام أحمد ابن عبد الله في مدينة سلمية نحو سنة ٢٠٩ هجرية وألّفوا اثنين وخمسين رسالة فلسفية سموها (رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء) ولخص الامام بنفسه هذه الرسائل برسالة واحدة سماها (رسالة الجامعة) ، وأتبعها برسالة أخرى جمعت علوم جميع الرسائل وسماها (جامعة الجامعة) ؛ ونحن لا نستبعد أن تكون الأسماء التي أوردها الاستاذ عارف تامر هي الأسماء الحقيقية لـ اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، ولا نوافقه مطلقا على أن واضع الرسائل هو الامام عبد الله بن محمد بن اسماعيل لأن ما ذكره الداعي ادريس عماد الدين المؤرخ الاسماعيلي الكبير يدل دلالة واضحة على أن الرسائل تذكر أغلب المصادر الاسماعيلية التي اعتمد عليها الاستاذ تامر في كتابه أن واضع الرسائل ومؤلفها هو الامام أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل .



(١) حقيقة اخوان الصفاء ص (١٦) واستند الاستاذ تامر في قوله هذا على ما جاء في رسالة (الاصول والاحكام) للداعي السوري (أبو المعالي) .

أدريس عماد الدين القرشي

يعتبر الداعي سيدنا ادريس عماد الدين بن الحسن بن عبد الله بن علي ابن محمد بن حاتم القرشي ، من أكبر علماء ومؤرخي الدعوة الاسماعيلية في العهد الفاطمي ، وأغلب المؤرخين في العصر الحاضر يعتمدون في دراساتهم الاسماعيلية على ما خلفه هذا الداعي العظيم من كتب تاريخية ، لها أكبر الاثر في اجلاء بعض الحقائق التاريخية التي رافقت الدعوة الاسماعيلية منذ عهد الرسول حتى نهاية العهد الفاطمي ، وكتابه نزهة الافكار يبين بصورة واضحة جلية تاريخ الدعوة الفاطمية في اليمن حتى أيام الداعي أدريس عماد الدين المذكور . ولذلك يعتمد كل باحث منقب على مؤلفات هذا الداعي الكبير ويجعلها أساسا ومصدرا لابهائه ، باعتبار أن رواياته ومعلوماته بالرغم من تأخره مستنقاة من اتصالاته الشخصية بالرواة ، ومن معاصرتة لعهد الصليحيين وما سبقه من العهود في تاريخ الدعوة في اليمن ، ولا غرو فأدريس عماد الدين كان وارثا لتقاليد الدعوة من عدة قرون ، محتفظا بكتبها ، لذا فقد ألم الماما كبيرا بتاريخ الدعوة اليمنية ، وكانت له معرفة واسعة بحوادثها وتواريخها . ولعل ذلك يعود الى ظروفه التي مكنته من الاطلاع على كثير من الروايات المنقولة اليه ، والوثائق المحفوظة بجبال حراز المنيعة المحروسة . كما كان له ولاسرتة وأسلافه قسط كبير في حفظ كيان الدعوة وصياغة تاريخها . ومن مؤلفاته التاريخية القيمة ، كتاب عيون الاخبار ، ويتألف من سبع أجزاء هي: (١)

الجزء الاول : تحدث فيه عن فضل النبي وسيرته وعن زواج فاطمة وعلي .

الجزء الثاني : ذكر فيه سيرة علي ابن أبي طالب .

(١) الصليحيون والحركة الفاطمية باليمن للهمداني (ص ٤) .

- الجزء الثالث : ذكر جهاده للقاسطين والمارقين •
- الجزء الرابع : ذكر الائمة من الحسن الى المهدي •
- الجزء الخامس : يصف فيه الحوادث التي أدت الى قيام الخلافة الفاطمية في شمال افريقية وينتهي حتى آخر حكم المنصور بالله •
- الجزء السادس : ذكر فيه صورة واضحة عن حكم الخلفاء : المعز لدين الله والعزيز بالله ، والحاكم بأمر الله ، والظاهر ، والمستنصر •
- الجزء السابع : يصف فيه حكم المنتصر وقيام الدولة الصليحية باليمن ، وحكم الملكة أروى ، وحكم المستعلي وقيام النزارية ، وقيام الدعوة في اليمن تحت رياسة الداعي المطلق الذؤيب بن موسى الوادعي •
- وذكر المستشرق ايفانوف للداعي أدريس عماد الدين عدة مؤلفات هي^(١):
- ١ - كتاب عيون الاخبار سبعة أجزاء •
 - ٢ - كتاب نزهة الافكار في جزئين - ذكر في الجزء الاول تاريخ الدعوة في اليمن من أيام قيام الداعي الذؤيب بن موسى حتى أيام جده عبد الله • وفي الجزء الثاني استمر في ذكر الحوادث التي جاءت في الشطر الاخير من حياة الداعي عبد الله حتى سنة ٨٥٣ هجرية •
 - ٣ - كتاب روضة الاخبار وبهجة الاسمار : وهو تكملة لسرد حوادث اليمن التاريخية من سنة ٨٥٤ حتى سنة ٨٧٠ هجرية •
 - ٤ - كتاب ذكر المعاني •
 - ٥ - كتاب البيان لما وجب من معرفة الصلاة في نصف رجب •
 - ٦ - كتاب أسماء نفوس المهتدين وقسيمة ذكر المقتدين •

(١) المرشد الى ادب الاسماعيلية (ص ٦٤)

٧ - كتاب هداية الطالبين •

٨ - رسالة في الرد على علي بن ابراهيم •

٩ - رسالة في الرد على الزنديق المسمى بالجمال •

١٠ - ديوان •

١١ - مهديات البهتان •

هذه هي المؤلفات التي تركها الداعي أدريس عماد الدين كما يقول ايفانوف وغيره من المؤرخين ، ولا نعلم فيما اذا كان له مؤلفات غيرها •

ومن المؤكد أن نخبة من الاساتذة الجامعيين قد باشروا منذ فترة بدراسة وتحقيق كتابه التاريخي العظيم عيون الاخبار ، وسيظهر الى الوجود قريبا ليكون مرجعا لكل من يرغب في دراسة تاريخ الدعوة الاسماعيلية •

وبالرغم من جهودنا الكثيرة لم نستطع التحقق والتأكد من تاريخ ولادته الا أن ايفانوف أشار اليها في كتابه فقال كانت ولادته سنة ٨٣٢ هجرية وتوفي سنة ٨٧٢ هجرية • ولم نجد في المصادر الاخرى ما يؤكد تاريخ الولادة ، أما تاريخ الوفاة فعلى الأرجح أنها كانت سنة ٨٧٢ هجرية (١) •



(١) الصليحيون والحركة الفاطمية باليمن للهمداني (ص ٥) •

المظفر أرسلان البساسيري

مما لا شك فيه أن فرائص الخلفاء العباسيين كانت ترتعد من قوة الخليفة الفاطمي في مصر ، لأن استيلاء الاسماعيلية على مصر بسط نفوذهم في بلاد الشام وفلسطين والحجاز . وخافوا أن تسهل لهم هذه الانتصارات الاستيلاء على بغداد نفسها قاعدة الدولة العباسية في ذلك الحين .

وبالحقيقة لم يدخر الفاطميون وسعا في سبيل نشر دعوتهم في العراق ، فأقيمت الدعوة لهم في الموصل ، وكذلك استمال الامام المستنصر بالله الخليفة الفاطمي بعض أمراء المقاطعات الذين أعلنوا تأييدهم للدعوة الاسماعيلية ، وأخذوا يقدمون المساعدات للدعاة الذين بذلوا جهودا جبارة حتى استطاعوا ان يستميلوا أغلب أمراء العراق ، وقد استجاب لدعوتهم أمير الحلة وأمير واسط وأمير الكوفة وأمير بلاد الجزيرة وغيرهم . ولما علم المستنصر بأن الوقت قد حان للاستيلاء على بغداد كتب الى أتباعه من الاتراك وأمرهم أن يوحّدوا صفوفهم ويسلموا قيادهم للقائد الكبير (البساسيري) . وكتب أيضا للبساسيري يقول : « ولما وجدك أمير المؤمنين من السابقين الى النداء بشعاره في بلاد العراق ، والمبرزين بفضيلة السبق على أوليائه في فضائل الآفاق ، المشمر عن ساعد الجد بما يجعل عرضاتها بفيض عدله مشرقة بأنجم السعود ، ويعيد اعداد منابرها بذكر آل الرسول صلى الله عليه وسلم ناضرة العود ، مغسولة درجاتها من وطء أقدام الانجاس بماء الايمان ، مقصورة غرفها على الثناء منها على أهل العدل والاحسان ، رأى أمير المؤمنين - وبالله توفيقه - أن يطوقك طوق ولاية رجالها ، ويقيم على رأسك ، لمزية التقدمة ، راية جمالها ، وينوط بك أمورها كلها اليك عقدها وحلها (١) .

(١) سيرة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي ورقة ١٨٤ .

وأمدته بالمال والسلاح والرجال وأرسل له داعي الدعاة المؤيد في الدين على رأس تلك الامدادات الضخمة ، وكذلك أوعز الامام للامير ديبس بن علي ابن مزيد أمير عرب الفرات لينضم الى صفوف البساسيري .

وفي سنة ٤٤٩ هجرية اكتملت الاستعدادات وجهزت الجيوش فسار البساسيري حيث لاقى جيوش الخليفة العباسي في سنجار ، فجرت بينهم معارك قاسية انتصر على أثرها البساسيري واستولى على بغداد في شهر ذي القعدة سنة ٤٥٠ هجرية^(١) .

ويحدثنا أبو المحاسن عن دخول البساسيري الى بغداد فيقول : « دخل أبو الحارث البساسيري بغداد في ثامن ذي القعدة بالرايات المستنصرية ، وعليها ألقاب المستنصر صاحب مصر ، فمال الى البساسيري أهل الكرخ ، وفرحوا به لكونهم رافضة ، وانضموا الى البساسيري وكشفوا عن أهل السنة ، وأعلنوا بالاذان حيء على خير العمل ببغداد وخطب يوم الجمعة ببغداد للمستنصر بجامع المنصور وأنشأ بعضهم يقول^(٢) :

يا بني العباس صدئوا ملك الارض مَعَدئ
مُلككُمْ كان معاراً والعواري تُستردئ

وظل البساسيري في بغداد مدة سنة انتشر في العراق خلالها المذهب الاسماعيلي انتشارا سريعا ، ولولا أن تحالفت بعض القوى المعادية مع طغربك السلجوقي ويعود المؤيد في الدين الى مصر لاكتسحت جيوش الاسماعيلية البلاد الاسلامية في الشرق وأخضعوها لسلطانهم حتى جبال هيملايا .

(١) الاشارة الى من نال الوزارة ص ٤٤ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ - ٦ ، ١٢ .

وفي منتصف ذي الحجة سنة ٤٥١ هجرية هوجمت بغداد من قبل طغرلبيك، ونشب القتال فأصيب البساسيري بسهم طائح، فلحق به من عرفه، واجتهد أن يأخذه حيا، ويحمله الى طغرلبيك فلم يستطع ذلك اذ كان السهم أصاب منه المقتل، فجز رأسه وحمله الى السلطان^(١) وأخذت أموال أهل بغداد وأموال البساسيري مع نسائه وأولاده وهلك من الناس الخلق العظيم، وأمر السلطان بحمل رأس البساسيري الى دار الخلافة، فحمل ونظف وغسل وجعل على قناة وطيف به وصلب قبالة باب النوبي.

والبساسيري كان قبل أن يعتنق الاسماعيلية مقدا على الاتراك خصيصا عند القائم بأمر الله العباسي، لا يقطع أمرا دونه، ولما اعتنق المذهب خرج على الخليفة العباسي وأعلن الثورة. واسمه كما ورد في المصادر التاريخية: أبو الحارث أرسلان البساسيري التركي الملقب بالمظفر. كان أميرا على واسط، فابعد عنها في رمضان سنة ٤٤٧ هجرية^(٢).



(١) ابن الاثير ٩ - ٤٤٧ سيرة المؤيد في الدين ص ١٨٣ .

(٢) ابن الاثير : ٩ - ٤١٧ .

السيدة الحرة أروى الصليحي

في الوقت الذي كانت فيه المرأة في اليمن لا قيمة لها في المجتمع الا من حيث خدمة الزوج ، وانتاج النسل والقيام بمهام تدير المنزل ، وكان يقال عنها في تلك البلاد : (المرأة ناقة وان هدرت) • أقول في ذلك الوقت بالذات ظهرت السيدة الحرة الملكة أروى بنت أحمد الصليحي ، وكانت مثلا أعلى للمرأة المسلمة في عصرها ، لعبت دورا هاما في السياسة اليمنية ، وأثبتت كفاءة وجدارة في ادارة شؤون البلاد ، ويقظة تامة ، واخلاصا منقطع النظير في نشر المذهب الاسماعيلي • وحرصت أشد الحرص على تمتين العلاقة مع امامها المستنصر بالله الخليفة الفاطمي ، فتفانت في اطاعة أوامره ونشر دعوته وتقويتها في كافة المناطق الواقعة تحت نفوذها ، مما جعل الامام يوليها ثقته ، ويفوضها في أمر تعيين الدعاة في المناطق البعيدة عن اليمن •

وتبين الرسائل التي كان يزودها بها الامام المستنصر بالله من وقت لآخر مدى تقديره لاخلاصها الذي لا يتزعزع ، كما وأنها تشيد بايمانها العميق وبمقدرتها السياسية • وكان أهل اليمن يتفانون في الاخلاص لها فيخاطبونها بلقب « سيدتنا الحرة الملكة » حبا فيها واجلالا لها •

ولدت السيدة الحرة أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي^(١) سنة ٤٤٠ هجرية ، أمها الرراح بنت الفارع بن موسى الصليحي ، أشرفت على تربيتها وتهذيبها وتأديبها السيدة الحرة أسماء بنت شهاب زوجة الملك علي الصليحي ، فترعرعت في بيئة طيبة فاضلة ، ووجه الملك علي الصليحي كل

(١) عيون الاخبار للداعي أدريس عماد الدين ٢١٨/٧ - ٢١٩ - ٢٢٣ •

اهتمامه لتشتتها تشئة علمية أدبية صالحة ، فكان كثيرا ما يقول للملكة أسماء « أكرمها ، فهي والله كافلة زرارينا ، وحافظة هذا الامر على من بقي منا » .
 وكانت على جانب كبير من الذكاء والاخلاق الفاضلة ، الى جانب ما وهبها الله من جمال الحلقة ، فكانت بيضاء اللون مشربة بحمرة ، مديدة القامة ، معتدلة البدن ، تميل الى السمنة ، كاملة المحاسن جوهريية الصوت ، قارئة ، كاتبة ، تحفظ الاخبار والاشعار والتواريخ وأيام العرب^(١) ولها تعليقات وهوامش على الكتب تدل على غزارة مادتها . ولقت ببلقيس الصغرى لرجاحة عقلها وحسن تديرها^(٢) ، ويذكر الداعي أدريس فيقول : « كانت الملكة الحرة متبحرة في علم التنزيل والتأويل ، والحديث الثابت عن الائمة والرسول عليهم السلام . . . وكان الدعاة يتعلمون منها من وراء الستر ، ويأخذون عنها ويرجعون اليها^(٣) » . وامتازت السيدة أروى بالصلاح والتقوى والخبرة الواسعة ، والمعرفة الفائقة بأحوال الناس ، مما ساعدها على ادارة شؤون بلادها في ظروف سيئة أحاطت بالبلاد .

قال الداعي أدريس^(٤) : « وكانت امرأة فاضلة ذات نسك وورع ، وفضل وكمال وعقل وعبادة وعلم ، تفوق الرجال فضلا عن ربات الحجال ، وتستحق مدح الشاعر حيث قال :

« وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال »

وقال أيضا^(٥) : « وقد استحققت التقديم والتفضيل على الفضلاء من الرجال . وكان الامام المستنصر أصدر اليها أجل أبواب دعوته ، فأفادها

(١) تاريخ اليمن لعمارة/كاي (ص ٥٩) . الكفاية والاعلام للخزرجي (ص ٥١) .

(٢) الكفاية والاعلام للخزرجي (ص ٥١) .

(٣) عيون الاخبار ٢٠٨/٧ .

(٤) عيون الاخبار ١٢٢/٧ .

(٥) عيون الاخبار ١٣١/٧ .

من علوم الدعوة ورفعت عن حدود الدعاة الى مقامات الحجج^(١) » •

ومن المعقول جدا بعد أن نبغت السيدة أروى هذا النبوغ وهي تعيش في كنف السلطان علي الصليحي وزوجته وقد أشرفا بنفسهما على تربيتهما واعتنيا بها أشد الاعتناء ، أن يختاراهما زوجة لابنهما الامير أحمد المكرم ، فاقترنت به بعد أن تولى ولاية العهد سنة ٤٥٨ هجرية وكان لها من العمر ١٨ سنة • وفي هذا الزواج قال الشاعر الحسين بن علي القمي من قصيدة جاء فيها^(٢) :

وكريمة الحسين يكنف قصرها أسد تخاف الأسد من صولاتها
وتكاد من فرط الحياء تفض عن تمثالها المرئي من مرآتها
طفرت يدك بها ، فبخ انما لك تذخر العلياء مضموناتها

وكان الصليحي أصدقها عدن حين زوجها ابنه المكرم ، ولم يزل ارتفاع عدن من حين زواجها يرفع اليها وهو مئة ألف يزيد وينقص^(٣) •

فانجبت عليًا ومحمدا وفاطمة وأم همدان • فأما علي ومحمد فستكلم عنهما فيما بعد ، وأما فاطمة فقد تزوجت من شمس المعالي (علي بن سبأ ابن احمد الصليحي) وتوفيت سنة ٥٣٤ هجرية ، وتزوجت ابنتها الثانية (أم همدان) من ابن خالها (احمد بن سلمان بن عامر بن سليمان ابن عبد الله الزواحي) فرزقت منه بعبد المستعلي ، وتوفيت سنة ٥١٦ هجرية^(٣) •

وبدأت نشاطها السياسي في عهد زوجها المكرم ، وفي ذلك قال عمارة :

(١) الحجة في مصطلح الدعوة الاسماعيلية هي درجة من درجات الحدود تلي درجة داعي الدعاة أو باب الابواب ، ويكون الحجة ممثل الامام في جزيرة من جزر الدعوة .

(٢) عمارة اليمني/كاي (ص ٤٩) .

(٣) عمارة اليمني/كاي ص ٢٩ .

« لما توفيت اسماء بنت شهاب والدة المكرم ، فوض الامر لزوجته الملكة السيدة الحرة ، ولما توفي زوجها سنة ٤٧٧ هجرية تحملت وحدها عبء هذه المسؤولية الجسيمة ، وأصبحت بتفويض من الخليفة تتصرف في أمور الدولة والدعوة في الهند واليمن وعمان ، فوقفت حائلا دون تيارات الفتن والخلافات الداخلية لما عرفت به من حسن التدبير ومعرفة اختيارها للرجال وتقديرها الصحيح لعواقب الامور^(١) » •

ومن المؤكد ان افراد اسرة الصليحي وعلى رأسهم السيدة الحرة أروى كانوا دعاة مخلصين يحرصون أشد الحرص على اظهار ولائهم للخليفة الفاطمي كامام روعي لهم •

ومما مدحت به الملكة الحرة الصليحية قول الخطاب بن الحسن الحجوري^(٢) وهو لا يمدح أحدا الا الحرة الملكة ، وذلك من خالص ولائه وعظيم اجلاله لها :

وبها تبين كبارها وصفارها
ببصيرة لاحت له أخبارها
تبديه من همم النفوس ثمارها
تحوي بها مما ابتغت آثارها
وشعارها من مخضه وثمارها
في الارض دولتها وقرارها
منها حبائل ما استترم مغارها
مر الزمان وصرفه أسرارها
تخذل وطالت في الوري أعمارها
موصولة بدوامها أطيارها

همم النفوس على النفوس مدارها
واذا تفرس في الوري متفرس
ان النفوس فروع أجسام وما
وحياة أفضلها التقى اذ بالتقى
كوحيدة الزمن التي أضحي التقى
رضى الأئمة سعيها فتوطدت
وتواصلت بركاتها ممدودة
موصولة بجبالها تبقى على
واذا الملوك أطاعت الرحمن لم
وجرت لها بيمان وسعادة

(١) عمارة اليميني (٣١) . الكفاية والاعلام (ص ٥٢) .

(٢) عيون الاخبار للداعي أدريس عماد الدين ٧/٢٢١ - ٢٢٢ .

لاحت أدلتها وطال مَنارُها
ادراكها فقصارها اقصارُها
وسواكم أصدافها وبحارُها
تلك اللآلي الفائقات كبارُها
كانوا بها طامٍ بهم تيارُها

كما مدحها الشاعر الحسين بن علي بن القم^(١) في قصيدة أولها :

ومن الصَّفاح محاجرا ونهودا

أما عَلاكِ فانها مشهورة
شهدتِ عداكِ بها فان همَّ طالبوا
أنتم بنو الأصلوح جوهر يعرب
ولأنت يا ابنة أحمدٍ تميمك من
أقذت من يمِّ الضلالة أهلها

أعلمت أن من الرماح قدودا
ومنها :

وأتم أعراقا وأصلب عودا
بشر لكنت ذلك المعبودا
هابت سليمانا ولا داودا
ياها ، فكانت للوفود وفودا
ثمدا^(٢) ولا معروفها مجودا
فوق البرية ظلها ممدودا

أعلى الأنام أبا وأكرم طيبة
لو كان يعبد للجلالة في الورى
أو كان في أثوابها بلقيس ما
وإذا الوفود تأخرت وفدت عطا
هي نعمة الله التي ماؤها
هي رحمة الله التي ما زال من

هذه الصفات التي لم تجتمع قط الا في قليل من نساء العالم ، قد تجمعت
في السيدة الملكة الحرة في بلد كان ولا يزال الرجل ينظر الى المرأة نظرة أمة
مملوكة لأبيها ان كانت في عصمته ، ولزوجها ان كانت في حصاته^(٣) .

وعندما توفيت الملكة الوالدة ، أي والدة احمد المكرم زوج السيدة
أروى ، كتب الامام المستنصر بالله كتابا يدعو فيه أروى لاقتفاء أثر الفقيده
والسير على منوالها فقال^(٤) :

(١) ديوان أبي عبد الله حسين بن علي القمي ورقة ٥ - ٦

(٢) التمد : الماء القليل لا مادة له .

(٣) قلب اليمن لمحمد حسن ص ١٥ والصليحيون والحركة الفاطمية للهمداني

(ص ١٤٦) .

(٤) السجلات المستنصرية ، السجل رقم (٢٠) .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين »

« معلوم لك أيتها الحرة المخلصة المكيبة ، السيدة ، ذخيرة الدين ، عمدة المؤمنين ، كهف المستجيبين ، ولية أمير المؤمنين ، حفظها الله تعالى وأحسن توفيقها ، اصطناعنا للحرة والدة : الملك الأوحد ، المنصور ، المظفر في الدين ، نظام المؤمنين ، عماد الله وغيث الامة ، شرف الايمان ، ومؤيد الاسلام ، عظيم العرب ، سلطان أمير المؤمنين وعميد جيوشه ، أدام الله تمكينه وعلوه ، وكبت حسدته وعدوه ، رحمها الله ، وأخرجنا اياها من زمرة ربوات الجمال ، الى سياسة الدولة وتقديم الرجال ، لما لمع لنا نور ايمانها ، ونيتها وايقانها ، وانها بالزهد معروفة ، وبالنقى موصوفة ، فاستحقت ما خولنا لها ، وقامت بشكر ما أئلناها ، ورعت أحوال المؤمنين رعاية وفت على رعايا الدعاة، وسلكت في تربيتهم مسلكا قارب مسلك الهداة ، وكان المقدم لديها من تحلى بحلية الدين ، وجانب أمور الضالين ، وظهر اندرن أردانه ، وأبعد من الخنا جوارحه ، ومن الرفث لسانه ، فاذا أطلعت على من هذه صفته ، ورأت من هذا حليته ، قدمته الى كفئها وتعاهدته في كل حين ببرها ، ومن كان عن هذه الحالة بائنا ، ولشرائط الايمان خائنا ، لم يكن له عندها مجال ، ولا مجال لديها مثال ، ولم تزل على هذه الحالة الى أن لحقها الأجل المحتوم ، والقضاء الموقت المعلوم ، ونحن لأفعالها شاكرون وعليها مترحمون ، ويجب عليك أيتها الحرة التدرع بمدارعها ، والسلوك في أحسن مسالكها ، والاقتناء لأثرها ، والعمل بمشور أخبارها ، فأنت من العقل والسادد بحيث كانت تلك . كتب في العشر الاواخر من شوال من سنة ٤٧٢ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . والحمد لله وحده ، وصلى الله على جدنا محمد رسوله خاتم النبيين ، وسيد المرسلين وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين وسلم تسليما ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

وبلغ من ثقة الامام فيها أن كتب الى السلاطين وكافة المؤمنين يأمرهم

باتباع أوامرها ونواهيها بالطاعة • كما أن الامام فوضها بإدارة شؤون الدعوة في الهند وعمان ، رغم خروجهن عن نطاق حكمها ، وهناك وثائق ورسائل عديدة تبودلت بينها وبين الامام المستنصر لا نرى مجالاً لذكرها خشية التطويل • ومن تلك الرسائل رسالة يدعوها فيها لمناصرة الامير عبد الله ابن علي العلوي والي الاحساء ، ليتمكن من اعادة الامن الى بلاد الحجاز ، فسارت على رأس جيش جرار ، وتمكنت من اخماد الفتنة واعادة الامن الى تلك البلاد •

وفي سنة ٤٧٨ هجرية توفي زوجها الملك أحمد المكرم ، فاختلف رأي أمراء اليمن الصليحيين والرواحيين فيمن يتولى الحكم بعده ، فلم تقف السيدة الحرة مكتوفة اليدين عند هذا الاختلاف فأرسلت خطاباً الى الامام المستنصر تعلمه فيه بوفاة زوجها واختلاف الامراء على تولي الحكم ، وتتوسل اليه ليوافق على تعيين ابنها الوحيد (عبد المستنصر) الذي كان لا يزال طفلاً خلفاً لوالده ، فوافق الامام المستنصر وكلف عضد الدين أبا الحسن جوهر المستنصري ان ينقل تعزيتة الى السيدة أروى ويثني على اخلاصها ووفائها للدعوة ، وبنفس الوقت كتب الى أمراء اليمن يدعوهم الى الاتحاد والتضامن ونبذ الضغائن والاحقاد ، ويحضهم على طاعة السيدة الحرة وابنها • وما كادت أوامر الامام المستنصر تسلم الى الامراء الصليحيين والرواحيين حتى عقدوا اجتماعاً فوق العادة انهوا على أثره كافة الخلافات ، والمنازعات التي نشبت فيما بينهم عقب وفاة زوج السيدة الحرة الملك أحمد المكرم الصليحي، وأعلنوا عن تأييدهم المطلق لعبد المستنصر الذي نصبه الامام المستنصر خلفاً لايه ، على أن يكون للسيدة الحرة حق الوصاية وادارة دفة الحكم ريثما يبلغ عبد المستنصر أشده •

ويقول أدریس عماد الدين : « ان المكرم عندما توفي كتمت الحرة الملكة الامر الى أن جاءها سجل أمير المؤمنين المستنصر بالله باقامة ولد المكرم الاصغر

عبد المستنصر علي بن المكرم أحمد^(١) » .

كما أمر المستنصر بأن ترسل كل المراسلات الى علي بن المكرم ، وكلفه بالقيام بمرافق الدعوة وأمور الدولة بقوله^(٢) : « ٠٠٠ وقد رأى أمير المؤمنين أن يصطنعك ويلحقك برتبة أيبك وينصبك منصبه ويرقى بك درجته ٠٠٠ وأمره (أي الامير أبي الحسن جوهر المستنصر) أن يقلدك النظر فيما كان أبوك تقلده من الدعوة الهادية والاحكام في سائر اليمن وسائر الاعمال المضافة اليه برا وبحرا وسهلا ووعرا ونازحا ودانيا وقريبا ونائبا ٠٠ حتى خصك من ملابس الامامة بشريف الحباء » .

وهكذا بقيت السيدة الحرة بعد موت زوجها تدير دفة السياسة اليمنية ، فأظهرت كفاءة نادرة في ادارة شؤون البلاد ، ويقظة تامة في أمور الدعوة الاسماعيلية . ولم يعمر عبد المستنصر طويلا ، فقد وافته المنية اثر مرض عضال ، فعاد الخلاف يزر قرنه من جديد بين الداعي سبأ بن احمد المظفر (الذي كان يهدف الى حكم اليمن والتزوج من السيدة الحرة) ، وبين السيدة الحرة التي أظهرت كرهها لهذا الزواج واستعدت للقتال .

وبالفعل اشتعلت نيرات الحرب بينهما أياما ، وكادت أن تعم جميع أنحاء المملكة اليمنية لو لا أن تدخل قسم كبير من الامراء الصليحيين والرواحيين لفض النزاع ، خشية أن تتعرض الدعوة للانهايار ، ولقد أعلنت السيدة الحرة ، بأنها لن تجيب الداعي سبأ الى مراده الا بأمر الامام المستنصر^(٣) فأوفد الداعي سبأ بن احمد الى الامام المستنصر رسولين ، هما القاضي أبو عبد الله الحسين بن اسماعيل الاصبهاني وأبو عبد الله الطيب . ليعرض الامر على الامام عسى أن يوافق على هذا الزواج حقنا لدماء الاسماعيلية . فلما وصل

(١) عيون الاخبار للداعي أدريس عماد الدين ١٢٦/٧ - ١٣٠ .

(٢) السجلات المستنصرية رقم ١٤ .

(٣) قرة العيون لابن الديبع ورقة ٢٥ .

هذان الرسولان الى القاهرة وعرضا الامر على الامام المستنصر الذي لم يرض عن بقاء هذا النزاع بين أنصاره ، فكتب الى السيدة الحرة يأمرها بقبول أمر الزواج . وأرسل كتابه مع أحد الاستاذين ويعرف بحامل الدواة يمين الدولة^(١) فسار بصحبة هذين الرسولين حتى دخلوا على السيدة الملكة ، وهي بدار العز في ذي جيلة . فتكلم الاستاذ الرسول وهو واقف بين وزرائها وكتابها وأهل دولتها قيام لقيامه ، فقال : « أمير المؤمنين يقرأ السلام على الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية وحيدة الزمن سيدة ملوك اليمن عمدة الاسلام ذخيرة الدين عصمة المؤمنين كهف المستجيبين ولية أمير المؤمنين كافلة أوليائه الميامين ، ويقول لها : وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أن يَكُونَ لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا . وقد زوجك مولانا أمير المؤمنين من الداعي الاوحد المنصور المظفر عمدة الخلافة أمير الامراء أبي حمير سبأ بن احمد المظفر الصليحي ، على ما حضر من المال وهو مائة الف دينار عينا وخمسون ألفا أصنافا من تحف ولطائف وطيب وكساوى » . فقالت : « أما كتاب مولانا فأقول : اني ألقى اليّ كتاب كريم ، انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا أقول في أمر مولانا : أيها الملأ أقتوني في أمر ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون . وأما أنت يا ابن الاصبھاني ! فوالله ما جئت الى مولانا من سبأ نبأ يقين ، ولقد حرفتم القول عن موضعه ، وسولت لكم أنفسكم أمرا فصبرا جميلا والله المستعان على ما تصفون » ، وأعلنت عن قبولها بهذا الزواج تحقيقا لرغبة أمير المؤمنين .

وبالرغم من أن السيدة أروى أصبحت زوجة للداعي سبأ فانها لم تمكنه من السيطرة على شؤون البلاد بل استأثرت بالسلطة وظلت موالية للمستنصر

(١) عيون الاخبار ١٤٣/٧ وأنباء الزمن ٤٣ .

حتى وفاته ، والدليل على ذلك الرسائل العديدة التي تبودلت بينها وبين الامام المستنصر ووالدته واخته .

وتوفي ابن الملكة الاصغر وهو الامير محمد بن احمد المكرم في حياة أخيه علي بن احمد .

ولما توفي الامام المستنصر سنة ٤٧٨ هجرية وانقسمت الاسماعيلية على نفسها الى نزارية ومستعلية أيدت السيدة الحرة أبا القاسم المستعلي فساعد هذا التأييد الخليفة المستعلي ووقف حائلا دون تسرب الدعوة النزارية الى بلاد اليمن مدة من الوقت .

ظلت السيدة الحرة تعمل جاهدة في سبيل نشر الدعوة المستعلية في اليمن وتقويتها حتى أعلن الخولانيون انضمامهم للدعوة النزارية سنة ٥٠٤ هجرية فاشتد النزاع بينهما ، فأخذ الخليفة المستعلي يقدم المساعدات والامدادات للسيدة الحرة ، ولما تعقدت الامور ، أرسلت السيدة الحرة الى مقر الخلافة بمصر تطلب منها ارسال من يساعدها في تدبير شؤون دولتها ، فشعرت الخلافة الفاطمية بأن مركز الدولة الصليحية بدأ يتزعزع ، فبادر الوزير الافضل بن بدر الجمالي سنة ٥١٣ هجرية الى ارسال الامير الموفق علي بن ابراهيم بن نجيب الدولة بصحبة عشرين فارسا^(١) مختارة منتقاة الى بلاد اليمن ، ليقوم بهذه المساعدة . ولما وصل الى اليمن اشترك مع السيدة الحرة في ادارة شؤون البلاد ، وأخذ يشن الحملات لاعادة الاستقرار والهدوء .

مما أثار حقد الامراء اليمنيين ، فأخذوا ينتهزون الفرص للتخلص منه ، وفي سنة ٥٢٠ هجرية أوفد الخليفة الفاطمي الأمر رسولا من قبله الى اليمن ، فلم يستقبله ابن نجيب ، فاستغل الامراء والدعاة هذا الموقف واستمالوا

(١) عيون الاخبار للداعي أدريس ١٨٠/٧ .

الرسول الذي أوعز اليهم بأن يكتبوا الى الخليفة الفاطمي كتابا يهتمون فيه ابن نجيب بأنه يدعوهم للدعوة النزارية • وان ابن نجيب قد ضرب سكة نزارية ووزعها في البلاد ••

ولما علم الخليفة بالامر عهد الى الامير الموفق بن الخياط بالقبض على ابن نجيب وارساله الى مصر ، ولكن السيدة الحرة لم توافق على هذا التدبير فكتبت الى الخليفة كتابا تشفع فيه بابن نجيب وأرسلته مع كاتبها محمد ابن الازدي^(١) غير أن رسولها لم يصل الى القاهرة كونه اغرق في البحر عند باب المنذب^(٢) نتيجة مؤامرة دبرها الخصوم •

فعمد أعداء ابن نجيب الى اعتقاله وارساله في قفص من الخشب الى القاهرة حيث أعدم سنة ٥٢١ هجرية فجزعت السيدة الحرة لوفاته ، واختارت السلطان علي بن عبد الله الصليحي للدفاع عن دولتها • وفي سنة ٥٣٢ هجرية توفيت السيدة الحرة وكان موتها سببا في أفول نجم الدعوة الاسماعيلية في اليمن وضياع النفوذ الفاطمي •



(١) عمارة اليمنى تاريخ اليمن (٤٧ - ٤٨) •

(٢) عيون الاخبار ١٨٥/٧ •

أبو يعقوب اسحاق السجستاني

هو أبو يعقوب اسحاق بن احمد السجزي أو السجستاني ويلقب (بدندان) .

قيل انه ولد سنة ٢٧١ هجرية ، نشأ وترعرع في مدارس الدعوة الاسماعيلية في اليمن ومن ثم التحق بالخدمة الفعلية بعد تخرجه ، فأصبح من كبار المفكرين الذين ساهموا في النهوض بفلسفة المذهب الاسماعيلي واستطاع أن يرفع علم الدعوة عاليا ، وأسهم مساهمة فعالة في المساجلات والمناظرات العلمية التي كانت تجري في ذلك العصر ، وقد كتب كتاب النصره عارض فيه كتاب الاصلاح الذي وضعه أبو حاتم الرازي في الرد على آراء وردت في كتاب المحصول للنسفي فانتصر أبو يعقوب للنسفي على الرازي بكتاب النصره واتخذ من الفلسفة سلاحا شهرة في وجه خصوم المذهب الاسماعيلي ، كما أنه عمل على رقي النهضة العقلية الاسلامية في ذلك الحين . ولا يبي يعقوب مؤلفات كثيرة لعبت دورا كبيرا في نهضة الفكر الاسلامي بوجه عام وفي نهضة المذهب الاسماعيلي بوجه خاص ، ومن أهم مؤلفاته كتاب (اثبات النبوة) وينقسم الى سبع مقالات ، وتشبه المقالة الباب ، وتنقسم كل مقالة الى اثني عشر فصلا ، ويتناول في كتابه هذا موضوع اثبات النبوة من جميع النواحي الطبيعية والروحية ويتعرض بالذكر للامور التي يتفق عليها الرسل ، والتي يختلفون فيها . وأهم من هذا كله ما ذكره عن أدوار الرسل ، والادلة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، كذلك تعرض لما أسماه عجائب القرآن والشريعة (١) .

٢ - كتاب الموازين ، وقد قسمه الى تسعة عشر ميزانا ، تكلم في كل ميزان منها عن أمور تمت لأصول المذهب الاسماعيلي بصلات وثيقة ، فتناول في أحد موازينه (معرفة الحقيقة) وفي آخر وجوب معرفة (المبدع) وفي آخر (العقل) ومعرفة أسمائه ، كما قصر أحد الموازين على الفروع الثلاثة المتفرعة عن (الأصليين)^(١) العقل والنفس ومن أهم هذه الموازين ما وقفه على النطقاء ، والاسس والأئمة ، والحجج والدعاة ، الى غير ذلك من الموضوعات التي تفيد الباحث في تاريخ التطور العقلي للمذهب الاسماعيلي .

٣ - كتاب الينابيع وينقسم الى أربعين ينبوعا ، يتضمن معنى الينبوع وهوية المبدع وبيان عالم العقل والنفس وان العقل قائم بالقوة والفعل ومخاطبة العقل للنفس وكيفية اتصال فوائد العقل بالنفس وأن الایس لا يصير لیسا وأن الآیسیات كلها ذوات غايات وان السؤال : لم خلق الله العالم محال ممتنع ، واثبات النفس الكلية وان مافی البشر جوهره من النفس الكلية ، وان الافلاك ونجومها وحركاتها في أفق النفس وبيان كيفية ابتداء الانسان وان القوى الطبيعية لا قدر لها عند القوى الروحانية وان الثواب هو العلم ومعنى الجنة والنار وكيفية التفاضل بين المثابين وبيان الشهادة ومعنى الصليب واتفاق الصليب مع الشهادة ورتبة صاحب القيامة وكيفية اتصال التأیید بالمؤیدین . والفرق بين تأیید الله وتأيید الخلق^(٢) .

٤ - كتاب النصره ، وقد رد فيه على الاصلاح للرازي وانتصر فيه لأستاذه النسفي في كتابه المحصول وأيد قوله وأشاد بصحة آرائه .

٥ - كتاب الافتخار .

٦ - كتاب المقاليد ، ٧ - كتاب مسيلة الاحزان ، ٨ - كتاب سلم النجاة ،

(١) الاصلان : هما العقل والنفس ، والفروع الثلاثة : هي الزمان والمكان والهيولى .

(٢) الفهرست ص ٢٧ للشيخ اسماعيل بن عبد الرسول .

٩ - كتاب سرائر المعاد والمعاش، ١٠ - كتاب كشف المحجوب^(٢)، ١١ - كتاب الوعظ، ١٢ - كتاب أسس البقاء، ١٣ - كتاب خزانة الادلة، ١٤ - كتاب تألف الارواح، ١٥ - كتاب تأويل الشريعة، ١٦ - كتاب أساس الدعوة .
والخلاصة : كان السجستاني من اكبر الفلاسفة الدعاة المفكرين الذين عملوا لتوفيق المسائل الفلسفية بالديانة الاسلامية ، ولهذا السبب استشهد هو واستاذة النسفي بعد اضطهاد مؤلم بتركستان وكان قتله سنة ٣٣١هـجرية .



(١) الفهرست (ص ٢٧) للشيخ اسماعيل بن عبد الرسول .

أسعد بن قاسم بن الحسن العجمي

وجّه الحسن بن الصباح وهو في مركز القيادة بآلموت اهتماماً خاصاً لنشر الدعوة الاسماعيلية النزارية في بلاد الشام ، وفرض على الدعاة في تلك الجزيرة أن يتصلوا ويتقربوا بالامراء السنيين ، فنجحوا نجاحاً باهراً ، وكونوا قوة فعالة لعبت درأً خطيراً في تاريخ الحروب الصليبية .

وفي سنة ٤٩٠ هجرية وقع اختيار الحسن بن الصباح على داع جريء مقدم ، وعالم كبير ، كان يثق فيه ثقة تامة ، وهو الداعي أسعد بن قاسم ابن الحسن العجمي المعروف (بالطبيب المنجم) الذي اشتهر بمقدرته العلمية الفائقة وذكائه النادر ومقدرته السياسية ، وتدل المصادر التاريخية النزارية ان الطبيب المنجم تلقى علومه في مدارس الدعوة في فارس وانتظم في سلك الدعاة المدرسين حتى أرسل الى حلب ، حيث استطاع أن يجذب اليه الملك رضوان بن تنش بن ألب أرسلان الذي آلت اليه ولاية حلب ، بعد موت أبيه تاج الدولة تنش ، فاصبح هذا الملك طوع بنائه ، وقيل انه اعتنق المذهب الاسماعيلي النزاري ، وقدم المساعدات لجموع المهاجرين من الاسماعيلية فشيّد لهم القرى والملاجيء . ولقد أتى المؤرخ كمال الدين على ذكر علاقة رضوان بالاسماعيلية فقال^(١) : « واستمال الحكيم رضواناً الى الباطنية جداً ، وظهر مذهبهم في حلب ، وشايعهم رضوان ، وحفظ جانبهم ، وصار لهم بحلب الجاه العظيم . والقدرة الزائدة ، وصارت لهم « دارة دعوة » بحلب في أيامه ، وكاتبه الملوك في أمرهم ، فلم يلتفت ولم يرجع عنهم » .

ويعتبر بنظرنا هذا القول أكبر دليل على أن رضوان قد اعتنق المذهب

(١) تاريخ حلب : ٥٨٠/٢ .

الاسماعيلي النزاري فأخلص له وقدم للاسماعيلية أكبر المساعدات التي كانت من أهم عوامل نجاح الدعوة في ولاية حلب حيث انتشر الاسماعيليون في سرمين ، والجوز ، وجبل السماق ، وبني عليم ، وبزاعة ، والباب ، واعزاز ، وأفامية^(١) ، وفي سنة ٤٩٥ هجرية تأمر جناح الدولة صاحب حمص على الاسماعيلية النزارية فأرسل له (الحكيم المنجم) أحد فدائيه فقتله^(٢) وقيل ان الحكيم المنجم توفي بعد مصرع جناح الدولة بعشرة أيام ، وتسلم الدعوة بعده داعٍ أكثر جرأة واقداماً منه هو أبو طاهر الصائغ العجمي .

ومهما تعددت الروايات والتعليقات حول انتشار الاسماعيلية في حلب والمناطق التابعة لها ، وتأثير الملك رضوان على هذا الانتشار فما لا جدال فيه ان الدعوة الاسماعيلية النزارية في ولاية حلب يعود لرسوخ مبادئ الاسماعيلية منذ زمن طويل في تلك الولاية .

وعلى العموم لا نستطيع أن نكر الجهود الجبارة التي بذلها هذا الداعي الحكيم في سبيل استمالة رضوان الى المذهب الاسماعيلي ، فلو لم يكن يتمتع بمقدرة جدلية فائقة ، ونبوغ علمي صحيح لما استطاع بمثل هذه السهولة أن يقنع ملكاً عظيماً كرضوان ويدخله في المذهب الاسماعيلي ، ومما لا شك فيه ان الحسن بن الصباح الذي عرف بحسن اختياره للأشخاص كان يعتمد عليه كثيراً لما كان يعرفه عنه ، من المقدرة العلمية وقوة الشخصية ، التي أهلته ليتسلم مركز القيادة في وقت كانت فيه الامارات والطوائف تتصارع على استلام السلطة ، وقيل دفن الحكيم المنجم في مدينة حلب سنة ٤٩٥ هجرية .



(١) الدولة النزارية : شرف : ص (١٨٠ - ١٨١)

(٢) ابن الجوزي : مرآة الزمان : ٨ ورقة ٤٢٣ .

اسماعيل آغا حسن شاه سيد علي بن شاه نزار

يستنتج من المصادر التاريخية ان الامام سيد علي كان واسع الاطلاع على جانب كبير من العلم والمعرفة ، تمكن من أن يلعب دورا فعلا في شؤون ايران الداخلية والخارجية ، وقيل ان الشاه عباس الصفوي كان يعتمد عليه ويشق به أشد الثقة ، وكان يستشيريه في كافة الامور المتعلقة بادارة البلاد ، وعلاقة المملكة مع الدول والممالك الاخرى ، ومع مرور الزمن أصبح الجيش الايراني يضم بين صفوفه عدة فرق من الاسماعيليين المشهورين بخبرتهم الواسعة ومقدرتهم العظيمة في فنون الحرب والقتال ، وتسلم قيادة الفيالق الاسماعيلية (عطا شاهي) و (بدوي نوميد) اللذان كانا من خيرة قواد الشاه عباس الصفوي في ذلك الوقت ، وكذلك أصبح أكثر رؤساء المقاطعات والسفراء والوزراء والموظفين من الاسماعيلية ، فعملوا بكل ما أتوا من قوة ومقدرة على خلق ايران جديدة قوية بانظمتها وقوانينها ومؤسساتها وحياتها الاجتماعية (١) .

وقيل ان الامام كان يساهم بأموال الخمس والزكاة التي كان يدفعها الاسماعيلية في كافة مشاريع الدولة الاصلاحية والعمرائية والعلمية والخيرية (٢) .

ولد الامام اسماعيل آغا حسن شاه سيد أبو الحسن (بيك) بن شاه نزار في بلدة (كوهك شاه نزار) سنة ١٠١٥ هجرية وتسلم الامامة بعد وفاة أبيه سنة ١٠٣٨ هجرية . ولقب بـ (شاه سيد علي) ، وقد وجه اهتمامه

(١) نور مبین جبل الله المتین : جنارا : ص (٥٥٠ - ٥٥١) .

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص (٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨) .

للهيؤوض باتباعه في مختلف البلدان التي انتشروا فيها ، وتقرب من الشاه عباس الصفوي فوثق به وجعله مستشاره الخاص وساعده الأيمن ، وكانت الاموال الاسماعيليه تأتيه الى مقره وتسلم اليه باحتفالات عظيمة يساهم فيها الاسماعيليون من جميع أنحاء العالم ، وتستمر تلك الاحتفالات اسبوعا يقدم خلالها للامام المؤلفات الاسماعيليه التي ظهرت خلال العام المنصرم والادباء والشعراء والكتاب والعلماء الذين أظهروا نبوغاً وتفوقاً ، وكان الامام يعقد عليهم المنح والعطايا والالقب العلميه والدينيه ، وتختتم تلك المهرجانات بخطاب قيم شامل يستعرض فيه الامام برامج ومخططات وتنظيمات العام القادم ، وكانت ايران تستفيد افادة عظيمة من هذا الموسم^(١) .

وباعتبار أن الامام سيد علي كما ذكرنا كان يتمتع بنفوذ سياسي قوي فقد توسط لدى السلطان العثماني طالبا منح الاسماعيليين في بلاد الشام والمناطق الواقعة تحت نفوذه مزيدا من الحرية لمزاولة شعائرهم الدينيه ، وبنفس الوقت أنهى الخلافات الداخليه التي كانت مستعصيه بين المشايخ في مصياف ، والقدموس ، والخوابي ، في سوريه ، فاتفقوا على أن يتولى زعامتهم الشيخ خضر بن يوسف بن أحمد العلامه المعروف .

وفي سنة ١٠٧١ هجرية اصيب الامام بمرض شديد توفي على أثره في مدينه (كرمان شاه) من مقاطعة كرمان ودفن فيها ولا يزال ضريحه هناك ويزار .



(١) نور مبین جبل الله المتین : جنارا : ص ٥٥٢ .

اسماعيل بن جعفر الصادق

كانت ولادة الامام اسماعيل سنة ١١٠ هجرية في المدينة المنورة ، والدته فاطمة ابنة الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهو الابن الاكبر للامام جعفر الصادق وصاحب النص الشرعي للامامة واليه ينتسب الاسماعيليون ، حيث تغلب عليهم اسمه ، وبعد وفاة والده الامام جعفر الصادق عام ١٤٨ هجرية حدث انشقاق كبير في شيعته فانقسمت الى فريقين ، فريق نادى بأفضلية اسماعيل لمركز الامامة ، باعتباره صاحب النص الشرعي ، وفريق اعتبر موسى الكاظم - الابن الثاني للامام جعفر الصادق - اماماً ، منتقلة الى أبنائه من بعده حتى الامام محمد بن الحسن العسكري الذي يطلقون عليه لقب (المهدي المنتظر) ، وهم ينتظرون عودته بعد ان اختفى بسرداب في مدينة سامراء (شمالي بغداد بالعراق) وكان اختفاؤه في هذا السرداب خوفاً على نفسه من بطش العباسيين وتنكيلهم بالشيعة عامة وأهل البيت خاصة ، ويقول شيعته : انه لا يزال الى الآن حياً ، وانه سيخرج من سردابه يوم القيامة على أنه (المهدي المنتظر) الذي سيملاُ الدنيا عدلاً ويرد الحق الى أهله في الايام القلائل التي تسبق يوم القيامة ، وأكثر الشيعة في ايران والعراق وسورية ولبنان الآن يدينون بامامة الأئمة الاثني عشر الذين دخل آخرهم السرداب حوالي سنة ٢٦٠ هجرية وسميت هذه الفرقة بالموسوية نسبة الى موسى الكاظم أو بالامامية الاثني عشرية نسبة الى عدد الأئمة .

أما الفرقة الثانية فقد ساقوا الامامة في اسماعيل الذي نص على امامته في حياة أبيه فاصبحت كلمة باقية في عقبه ، وتعرف هذه الفرقة بالاسماعيلية أو (الباطنية) أو (التعليمية) أو (الهادية) ، وتدور حول هذا الانشقاق قصص واحاديث كثيرة لا بد لنا من الاثيان على ذكر بعضها :

قال المقرئزي (١) :

ان اسماعيل هو الابن الاكبر للامام جعفر الصادق ، وهو الذي نص عليه بالامامة في حياة أبيه ، غير أن اسماعيل توفي سنة ١٣٨ هجرية وجعفر الصادق والده لا يزال على قيد الحياة ، وخلف من الاولاد محمدا وعلياً وفاطمة وانتقلت الامامة في عقبه لان النص لا يرجع القهقري •

ويقول ابن خلدون (٢) :

توفي اسماعيل في حياة ابيه بالعريض ، في المدينة المنورة ، ودفن بالبقيع في سنة ١٤٥ هجرية ، وقد سبب موته قبل وفاة أبيه اضطرابا كبيرا عند الشيعة أجمعين ، مما أدى الى تضارب الآراء فيما يتعلق بطبيعة الامامة • وبسبب هذا الخلاف حدث انقسام كبير بين الشيعة ، فنشأت فرق وطوائف متعددة •

وقال الشهرستاني (٣) :

ان اسماعيل هو الابن الاكبر للامام جعفر الصادق وهو الذي نص عليه في بدء الامر ولقد حدث الاختلاف على موته : منهم من قال انه مات في حياة أبيه ، وفائدة النص عليه أن انتقلت الامامة في عقبه لان النص لا يرجع القهقري والقول بالبدء محال اذ لا ينص الامام على واحد من ولده الا بعد السماع من آباءه ، التعيين لا يجوز على الابهام والجماعة ، ومنهم من قال ان اسماعيل لم يمت لكن أظهر موته تقية عليه حتى لا يقصد بالقتل من قبل العباسيين ولهذا القول دلالات منها :

أن محمد بن جعفر الصادق أخ اسماعيل وكان صغيرا ، مضى الى السرير

(١) اتعاظ الحنفا .

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص (٣٦٠) .

(٣) الملك والنحل للشهرستاني ص (١١٠) .

الذي كان اسماعيل مسجى عليه ورفع الملاءة فأبصره وقد فتح عينيه ، فعاد محمد مسرعاً فزعا الى أبيه وقال : أخي اسماعيل عاش ، عاش أخي • فقال والده جعفر الصادق : ان أولاد الرسول كذا يكون حالهم في الآخرة يا بني ! وقال الداعي ادريس (١) :

ان موسى الكاظم لم يجعله الصادق اماماً الا سترأ على ولي الأمر (محمد ابن اسماعيل) ليكنتم أمره على الاضداد ، ولثلا يطلع ما خص به أهل العداوة والعناد ، حتى يستطيع الامام المستقر الحقيقي النهوض باعباء الدعوة سرا • ومؤرخو الاسماعيلية وعلماؤهم يروون في كتبهم قصة انشقاق اتباع جعفر الصادق الى هاتين الفرقتين •

فيقول بعضهم أن جعفر الصادق نص على أن يتولى اسماعيل الامامة من بعده ، ولكن اسماعيل توفي في حياة أبيه فاتقلت بذلك الامامة الى ابنه محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق لان الامامة لا تكون الا في الأعقاب ، ولا تنتقل من أخ الى أخيه ، الا في حالة الحسن والحسين ، فلا بد أن تنتقل من أب الى ابن ، وأولوا الآية القرآنية الكريمة (وَجَعَلْنَاهُنَّ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ) بأن معنى الكلمة هي الامامة ، وانها لا بد أن تكون في الاعقاب دون غيرهم ، وبما أن اسماعيل بن جعفر الصادق كان صاحب الحق الشرعي في الامامة بعد أن نص أبوه على ذلك ، فلا بد اذن أن تتسلسل الامامة في ابنه محمد بن اسماعيل ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان محمد بن اسماعيل أكبر سنا من عمه موسى الكاظم ، ولما كان التقليد الشيعي القديم الذي يوجب تسلسل الامامة في أكبر أهل البيت سنا كان محمد بن اسماعيل اذن أحق من عمه موسى الكاظم بالامامة •

(١) زهر المعاني للداعي ادريس ص (٤٧ - ٤٩) •

على أن أكثر مؤرخي الدعوة الاسماعيلية يقولون ان قصة وفاة اسماعيل ابن جعفر في حياة أبيه ، انما كانت قصة أراد بن جعفر الصادق التمويه والتعمية على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الذي كان يطارد أئمة الشيعة ، فخاف جعفر الصادق على ابنه وخليفته اسماعيل فادعى موته ، وأتى بشهود كتبوا محضرا بوفاته ، وأرسل ذلك المحضر الى الخليفة العباسي الذي أظهر سرورا وارتياحا بوفاة اسماعيل الذي كان اليه أمر امامة الشيعة . ثم شوهد اسماعيل بعد ذلك في البصرة وفي غيرها من بلاد فارس ، وعلى ذلك فالامامة لم تسقط عن اسماعيل بالموت قبل وفاة أبيه لانه مات بعد أبيه ، على أن مؤرخي الفرقة الشيعية الاثني عشرية وبعض مؤرخي أهل السنة ، يذهبون في اسماعيل هذا مذهبا مختلفا كل الاختلاف عما قاله مؤرخو الاسماعيلية . فقد ذهبوا الى ان اسماعيل بن جعفر الصادق لم يكن بالرجل الذي يصلح للامامة ، اذ كان مدمنا على شرب الخمر ولوعا بالنساء وانه كان من أصدقاء أبي الخطاب الاسدي الفاسق الملحد الذي ادعى ألوهية جعفر الصادق وأنه كان رسوله ، مما جعل جعفر الصادق يتبرأ منه (١) ولا يرضى عن الصلة التي كانت بينه وبين اسماعيل ، وان جعفرأ أظهر فرحه لموت ابنه اسماعيل لما كان معروفا عنه من فسق (٢) .

ويقول رشيد الدين (٣) وجويني (٤) بأن جعفر الصادق أمر بعرض جثة اسماعيل للملأ ، وشهدها قوم كثيرون وتحققوا من وفاته . ويؤكد كتاب دستور المنجمين (٥) ان اسماعيل هو اول امام مستور ، وكان بدء ستره سنة ١٤٥ هجرية ولم يمت الا بعد سبع سنين . هكذا اضطرت الروايات ،

(١) الكشي (١٩١ - ١٩٢) .

(٢) عمدة الطالب (٢٢٣) .

(٣) عمدة الطالب ص (٢٢٣) مقتبسة من كتاب ايفانوف (Ismailitica) .

(٤) (١٤٦) .

(٥) بلوشيه ٥٧ - ٥٨ دي خويه ٢٠٣ .

واختلفت الاقاويل في أمر اسماعيل بن جعفر الصادق الذي تنتسب اليه الاسماعيلية ، التي قامت بدور هام في تاريخ العالم الاسلامي منذ ظهورها .
ورأينا في هذا الموضوع بعد أن اطلعنا على جميع ما كتب حول امامة اسماعيل هو أن الامام جعفر الصادق قد شعر بالاختار التي تهدد حياة ابنه اسماعيل بعد أن أصبح وليا للعهد ، فأمره أن يستتر وكان ذلك عام ١٤٥ هجرية خوفاً من نعمة الخليفة العباسي وقد تدبر الأمر بأن كتب محضراً بوفاته وشهد عليه عامل الخليفة الذي كان بدوره من أتباع جعفر الصادق ، وفوراً توجه اسماعيل الى السلمية ومنها الى دمشق ، وعلم المنصور بذلك فكتب الى عامله أن يلقي القبض على اسماعيل ، ولكن عامله المذكور كان قد اعتنق الاسماعيلية فعرض الكتاب على اسماعيل الذي غادر دمشق نحو العراق حيث شوهد بالبصرة عام ١٥١ هجرية وقد مر على مقعد فشفاه باذن الله ، ولبث اسماعيل عدة سنوات يتنقل بين أتباعه حتى توفي عام ١٥٨ هجرية وقد رزق ثلاثة اولاد هم : محمد وعلي وفاطمة .



المنصور اسماعيل بن القائم

تركت الثورات العديدة التي اجتاحت البلاد بحالة يرثى لها ، من الخراب والدمار اذ أثرت تأثيرا فعالا في موارد الدولة ، ولولا ما أظهره الامام المنصور من نشاط وشجاعة نادرة ، ودراية وخبرة في فنون الحرب والتنظيم لزالَت معالم الدولة الفاطمية أثر وفاة الامام القائم ، وما كاد المنصور بنصر الله ينسلم الخلافة حتى وجه جل اهتمامه للقضاء على الثورات الكثيرة التي أضرم نارها أبو يزيد •

ولد الامام أبو الطاهر اسماعيل المنصور بنصر الله بن القائم ، بالمهدية ، أول ليلة في جمادي الآخرة سنة ٣٠٣ هجرية ، وبويع له في شوال سنة ٣٣٤ هجرية ، وكان سياسيا عظيما ومحاربا قديرا وخطيبا بليغا ، فصيحاً ، حاد الذهن ، حاضر الجواب ، بعيد الغور ، جيد الحدس ، يشرع الخطبة لوقته ، وكان ذا شجاعة نادرة ، وعقل راجح •

في عهده تقدمت الدولة الاسماعيلية تقدما كبيرا في مختلف النواحي بالرغم من الحروب الكثيرة التي عمت البلاد ، وانتشرت دعوته انتشارا قويا في كل من (صفاقص) و (تونس) و (قابس) و (جزيرة جيرية) • ووجه جل اهتمامه للاعتناء بشؤون البحرية وتنظيمها فسيّر جيشه البحري وسفنه القوية المنظمة الى جزيرة (صقلية) فاحتلها بكاملها ووضع عليها (حسن بن علي الكلبي) الذي تمكن بدوره من فتح ملحقات تلك الجزيرة فأصبحت مقرا لقيادة الاسطول الاسماعيلي •

وأول عمل حربي قام به بعد تسلمه الخلافة أنه سار على رأس جيش قوي الى مدينة سوسة لمقاتلة أبي يزيد الذي كان يشدد الحصار على تلك المدينة ،

فنادى الناس بالامان ورحل الى القيروان ، وقاتل أبا يزيد بنفسه ومعه ٥٠٠ فارس بينما كان مع أبي يزيد أكثر من ثلاثين ألف مقاتل ، وتصارع المنصور مع أبي يزيد فهزمه وقتل من أصحابه خلقا كثير . وأظهر الامام المنصور في تلك المعركة شجاعة نادرة خارقة ، وتوالت المعارك مع أبي يزيد وهو يتنقل من مدينة الى مدينة يعمل فيها تخريبا وتدميرا وتقتيلا . وما زال الامام المنصور يلاحق أبا يزيد ويقطع عليه الطريق حتى سلك الجبال الوعرة والأودية العميقة .

وعاد المنصور تكلل هامته أكاليل النصر وكان ذلك في شهر رمضان سنة ٣٣٦ هجرية الى المهديّة وقد اتنابه مرض شديد ، ولما علم أبو يزيد بذلك عاد فجمع خلقا كثيرا وأغار على المدن والداكر يحرقها وينهبها ، وشاءت عناية الله أن تنقذ الامام المنصور فشنفي من مرضه وجهز جيشا لجباّ قاده بنفسه وسار الى (المسيلة) فاذا أبو يزيد قد سبقه اليها وحاصرها من كل جانب . ولما علم بوصول الامام المنصور هرب منه يريد السودان ، ولكن جماعة من القبائل المتردة من بنو كملان وهوارة ، منعوه من ذلك وأصعدوه الى جبال كتامة فتحصن بها ، واجتمع اليه أهلها ، وظل الامام المنصور يطارده من مكان الى مكان حتى التقى به في (ساقه العسكر) فوقعت بينهم معارك طاحنة انهزم خلالها أبو يزيد ، وأسلم أولاده وأصحابه ، وأدرکه فارسان فقتلا فرسه ، وسقط عنها ، ولكن بعض أعوانه قدموا له غيرها فركبها محاولا الفرار لو لا أن يدركه الامير (زيّري) فطعنه وألقاه ، وكثر عليه القتال حتى خلصه أصحابه وفروا به ، وتبعهم المنصور فقتل منهم ما يزيد على عشرة آلاف (١) .

وسار المنصور في أثره والقتال بينهم مستمر والمعارك ضارية شديدة ، ولما شدد الطوق على أتباع أبي يزيد سلکوا الجبال وأخذوا يلقون الحجارة

(١) ابن الاثير ١٧٢/٨ اتعاظ الحنفا للمقرزي ١٢٤ .

في طريق تقدم جيوش المنصور واشتد الامر وتماسكوا بالأيدي وكثر القتل حتى ظنوا أنه الفناء •

والتجأ أبو يزيد الى قلعة (كنامة) المنيعة فاحتفى بها ، ولكن أصحابه من هوةارة طلبوا الأمان ، واستسلموا ، فرحف الامام المنصور فحاصر القلعة من كل جانب وأضرم فيها النيران ، فانهزم أتباع أبي يزيد وقتلوا قتلا ذريعا ، ولم يبق في القلعة الا أبو يزيد وأولاده مطوقين في القصر ومعه أعيان أصحابه ، فأمر المنصور بأن تضرم النار بالاحراش المحيطة بالقلعة حتى لا يهرب أبو يزيد في جنح الظلام ، وأخيرا قبض على أبي يزيد وحُمل الى المنصور وذلك يوم الاحد في الخامس والعشرين من محرم سنة ٣٣٦ هـ • وبه جراحات كثيرة ، فأمر المنصور بادخاله في قفص صنع خصيصا له ، ووضع معه قردان يلعبان عليه ، وأمر بسلخ جلده ، وحشاه تبنا ، وكتب الى سائر البلاد بالبشارة (١) •

عاد الامام المنصور الى عاصمة ملكه منصورا تحف به قواده وجنوده فاستقبل على طول الطريق بالأفراح والتهليل والتكبير ، ولما استتب الأمن وأخمدت جميع الثورات والفتن ، وجه اهتمامه لاصلاح ما أفسدته الحروب والثورات ، ففضى البقية الباقية من خلافته في اعادة تنظيم البلاد ، فعملها وأعادها الى ما كانت عليه قبل الثورات •

وأسس مدينة المنصورية سنة ٣٢٧ هجرية على مقربة من القيروان ، واتخذها عاصمة لدولته • وقيل انه بناها تيمنا بما حققه من انتصارات رائعة •

وكانت وفاة الامام المنصور يوم الاحد الثالث والعشرين من شوال ، وقيل يوم الجمعة مع الظهر سلخ شوال ٣٤١ هجرية • وسترته وفاته الى يوم الاحد سابع ذي الحجة منها •

(١) ابن الاثير ١٧٣/٨ اتعاظ الحنفا للمقريزي ١٢٥ •

وكان له من العمر احدى وأربعين سنة وخمسة أشهر (١) ومدة خلافته ثمانين سنين ، وقيل : سبع سنين وعشرة أيام (٢) وقيل كان عمره تسعاً وثلاثين سنة .

ويذكر التاريخ أن سبب وفاته كان : أنه خرج الى سفاقس ، وتونس ، ثم الى قابس ، وبعث يدعو أهل (جربة) الى الطاعة فأجابوه ، وأخذ منهم رجالاً وعاد ، وكانت سفرته شهراً ، وعهد الى ابنه معد وجعله ولي عهده .

فلما كان شهر رمضان سنة ٣٤١ هجرية خرج متنزها الى مدينة (جلولاء) وهو موضع كثير الثمار ، فأقام بها أياماً ثم عاد الى المنصورية ، فأصابه في الطريق ريح شديد وبرد ومطر أقام أياماً وكثر الثلج ، فمات جماعة ممن معه . واعتل المنصور علة شديدة ، ووصل الى المنصورية فأراد أن يستحم ، فنهاه طبيبه عن ذلك فلم يقبل ، ودخل الحمام وبعد خروجه أصيب بمرض السهر ، فأخذه طبيبه يعالجه ، بدون جدوى ، فأمر المنصور باحضار أحد الأطباء فأعطاه أشياء مخدرة فنام الامام المنصور ولما علم طبيبه اسحق بما فعله الطبيب أيقن أن الامام قد مات فدخلوا عليه فاذا هو ميت ، فدفن في قصره . وكان نقش على خاتمه : « بنصر الظاهر ، ينتصر الامام أبو الظاهر » .

وأولاده : أبو تميم المعز لدين الله ، وحيدرة ، وهاشم ، وطاهر ، وأبو عبد الله الحسين ، وخمس بنات : هبة ، وأسما ، وأروى ، وأم سلمة ، وسمورة ، وكان له أمهات أولاد ثلاث (٣) .

والخلاصة كانت حياة هذا الامام البطل الذي ركز دعائم الخلافة بقوة

(١) في ابن الاثير ١٩٦/٨ « وكان عمره تسعاً وثلاثين سنة » .

(٢) في : ابن خلكان ، والوفيات ١/١٣٦ : وستة ايام ، وفي ابن الاثير ١٩٦/٨ : وستة عشر يوماً .

(٣) اتعاظ الحنفا (ص ١٣٣) ابن أبي دينار (ص ٥٩) .

السيف ، واستأصل شأفة الاجرام واللصوصية ، بالرغم من قصر مدة خلافته ، ولم يقف عند هذا الحد بل وجه اهتمامه الزائد الى اعادة الأمن والاستقرار الى النفوس فشيّد المدن والدساكر التي دمرتها الحروب ومد يد المساعدة للفقراء والمنكوبين ، وعمد الى تنظيم الجيش تنظيماً عظيماً وأوجد السفن والمراكب وشكل القوة البحرية الضاربة التي كانت مضرب الامثال لما قدمته من خدمات عظيمة للدولة . ولم يتوان عن ادخال تنظيمات جديدة على مدارس الدعاة التي كانت منتشرة في أكبر المدن ، فتخرج منها دعاة علماء خدموا الدولة والدعوة خدمات عظيمة كانت من أكبر العوامل التي ساعدت على فتح مصر وغيرها من الاقاليم .



هرف الباء

بهرام بن موسى الاستربادي الفارسي

من كبار دعاة الاسماعيلية النزارية في بلاد الشام ، لعب دورا هاما في تاريخ سورية السياسي في القرن الخامس الهجري ، استطاع أن يركز أقدام الاسماعيليين في ولاية دمشق بما أوتيه من مقدره سياسية ، وشجاعة نادرة ، ومقدره علمية لا تحدد .

قيل انه ولد في سمرقند سنة ٤٥٩ هجرية وكان أبوه موسى من كبار التجار الاسماعيلية في تلك البلاد ، أرسل ولده بهرام الى مدرسة نيسابور لتلقي العلم ، وبعد أن أتم دراسته العلمية ، انخرط في سلك الدعاة الاسماعيلية ، وفي سنة ٤٨٥ هجرية توجه الى مصر لحضور مجالس الحكمة التأويلية وللشول بين يدي الامام المستنصر ، وتذكر المصادر الاسماعيلية النزارية أنه ظل في القاهرة مدة سنة ونصف ثم غادرها الى بلاد الشام حيث استقر في قلعة صهيون ، وبعد أن اعلنت وفاة الامام المستنصر بالله سنة ٤٨٧ هجرية توجه الى (آلموت) ليقف الى جانب الحسن بن الصباح وليطلع على مجريات الأمور بعد أن أعلن الصباح انفصاله عن الخلافة المستعلية في مصر وتأسيس الدولة النزارية في فارس ، ظل يعمل متجولا في فارس حتى تقرر ارساله الى بلاد الشام موفدا من قبل الامام علي الهادي وحجته الحسن ابن الصباح . فخرج على حلب حيث قام ببعض التنظيمات ومن ثم توجه الى دمشق على رأس فريق من اسماعيلية العراق ، فاستقر فيها يعمل على نشر دعوته سرا فتمكن من استمالة الوزير (طاهر بن سعد المزدقاني) الذي سهل له أمر الاتصال بالأمير طغتكين صاحب دمشق ، فوثق به ومال اليه وقدم له المساعدات ، فظهر بهرام دعوته علنا ، واضطر فقهاء السنة في دمشق

للسكوت خوفا من بطش الفدائية (١) . ولما استفحل أمر الاسماعيلية في دمشق ونواحيها وكثر عددهم اتفق الداعي بهرام مع صاحب دمشق على أن يتنازل للاسمايلية عن قلعة بانياس في منطقة الحولة فعظم أمرهم فيها وتوسعوا في تلك المنطقة ، رغبة في تأمين امارة قوية تقف في وجه الغارات الصليبية .

فهاجم بهرام وادي التيم ، وكان سكانه من الدروز، والنصيرية والمجوس . فملك عدة حصون فيه ، ولكن الدروز باغتوا الاسمايلية سنة ٥٣٢ هجرية للاخذ بالثار فقتل الداعي بهرام بعد أن عهد للداعي اسماعيل الفارسي ليتولى شؤون الدعوة في بانياس (٢) .

وتذكر المصادر أن الداعي بهرام استطاع أن يجذب اليه كثيرا من أمراء الشام وأتابكتها ، كما أسس فرقة منظمة من الفدائية تمكن بواسطتها من القضاء على الأفضل شاهنشاه سنة ٥١٥ هجرية وأرسل فدائيا آخر سنة ٥٢٤ الى القاهرة حيث تمكن من قتل الخليفة المستعلي الأمر بأحكام الله . كما أرسل الفدائي (علي البحري) الى طرابلس للانتقام من (صنجيل) الذي فتك بالاسمايلية وأحرق مكتبتهم في طرابلس الشام .



(١) خطط الشام : كرد علي : ٣/٢ .

(٢) الطائفة الاسمايلية : كامل حسين : ص ٩٧ .

(٣) ابن العديم : زبدة حلب : ١٤٧/٢ .

حرف التاء

الامير تميم بن المعز

الأمير تميم بن المعز شاعر اذا عد الشعراء الأمراء كان في طليعتهم ، شاعر أعد ليكون خليفة واماما لأعظم وأوسع دولة اسلامية ، ولكنه الشباب المندفع الوثاب ، والنوازع النفسية الكامنة التي تتحرك بالأعماق فتجرف العقل من قواعد الهدوء والاستقرار الى عالم التهور والاستهتار . هذه النوازع هي التي ابعدت الأمير تميم عن عالم الخلافة والامامة لتقربه الى عرش الشعر واللهو والمجون ولتجلسه على عرش مضمخ بالعطير والحب والجمال .

وكم في شعر الامير تميم من بديع ورقة وفن وموسيقى وخيال ، وكم في حياته من قصص يتجلى بها الصخب والعبث والاستهتار .

ولد الامير تميم بن المعز لدين الله الفاطمي بالمغرب سنة ٣٣٧ هجرية في مدينة المهديّة ، وفيها نشأ مع اخوته عبد الله ونزار وعقيل ، وكان تميم أكبرهم سناً ، فلم يشك الناس في أن ولاية العهد ستكون له ، ولكن الامام المعز لدين الله صرفها عنه الى أخيه عبد الله .

وعندما قدم الى مصر كان في الخامسة عشر من عمره ، ويظهر أن حياته في القاهرة تغيرت تغيرا محسوسا عن حياته في المغرب ، فهنا الحياة الصاخبة المندفعة نحو اللهو والشعر والخمرة ، وهناك التحفظ والمركز الذي يلزم بالكمال والاتزان . وفي مصر توفي أخوه عبد الله (ولي العهد) فجعل المعز ولاية عهده الى ابنه الثالث نزار الذي لقب بالعزيز .

وعاش تميم في مصر حياة لهو وترف كونه وجد في البيئة المصرية من الاجواء والمنتزهات والديارات ما وافق هواه ومزاجه ، فكان يخرج مع ندمائه

في العشاري والزوارق المملوءة بالفاكهة والطعام والشراب ، فاذا كانت الليالي مقمرة والا كان معه من الشموع ما يعيد الليل نهارا وكان اذا مر على طائفة واستحسن من غنائهم صوتا أمرهم باعادته ، واذا عز عليهم شيئا قضاه لهم وهكذا حتى مطلع الفجر . .

ويحدثنا التاريخ على أنه كان كريما يسرف في الكرم الى حد السفه ، مقبلا على الشراب ، محبا للسمع ، مشاركا أصحاب اللهو والمجون لهذه الاسباب أقصى الامام المعز ولده تميم عن ولاية العهد وأعطاهما الى ولده نزار وهو الخليفة العزيز بالله الفاطمي فيما بعد ، واتنا نرى ونحن نستعرض حياة تميم أنه قبل بهذا الامر عن طيبة خاطر ، فلم نسمع عنه انه عارض خلافة أخيه أو حاول أن يسيء اليه بل على العكس كان يحبه ويؤثره ويطيعه وينظم فيه غرر المدائح . ومنها من قصيدة : (١)

تهون عليّ صغارُ الأمور	ويصغر عنّي جميع الوري
أنا ابن المعز سليل العلى	وصنوا العزيز امام الهدى
وما احتجت قط الى ناصرٍ	ولا رحت يوما ضعيف القوى
ولم أستشر في ملم يثوب	مشيراً أرى منه ما لا أرى
ولست بوان اذا ما أمرٌ	زمانٌ ولا فرح ان حلا

وهذه الابيات تظهر قوة فخره واعتزازه بنفسه وبنسبته للأئمة الفاطميين وعدم مبالاته بصروف الدهر . ويعتبر الأمير تميم الشاعر مغموراً في الأدب العربي ، فلم يذكره النقاد الا لماماً . وقد قال عنه ابن الأبار : « بانه شاعر الفاطميين غير منازع ولا مدافع . . غزارة علم ، ومعاناة أدب ، وحسن تشبيه ، وابداع تخيل » .

وفي الواقع انه امير الشعراء الامراء بلا جدال ، والشاعر الرقيق المرفه

(١) ديوان الامير تميم نسخة خطية (ورقة ٤٣) .

الحس الذي يمتاز بقوة التعبير والتشبيه ، وادخال السلاسة والرقّة والرنة الموسيقية ، وانتقاء الالفاظ التي توقظ الشعور والاحساس . ومن يقرأ شعر الأمير تميم الذي تتجلى فيه نفسه على حقيقتها ، ذلك لانه كان ينظر نظراً دقيقاً في جوانب نفسه ثم يصور ما يعتلج فيها من عواطف وخلجات كاصدق ما يكون من التصوير القوي بأسلوبه ، المرح بطبيعته ، المشرق بروحه .

وينتقل من الفخر والاعتزاز بالنفس الى أخيه العزيز فيقول :

فمن حد سيفك تسطو المنون	ومن بطن كفك يبغي الندى
ويا ابن المشاعر والمروتين	ويا ابن الحطيم ويا ابن الصفا
لك الشرف الهاشمي الذي	يقصر عنه عثا من عالا
فمن حد سيفك تسطو المنون	ومن بطن كفك يبغي الندى
ولو فاخرتك جميع الملوك	لكانوا الظلام وكنت السنأ

ومن قصيدة ثانية يمدح فيها امامه العزيز بالله (١) :

جئت الخلافة لما أن دعتك كما	وافى لميقاته موسى على قدر
كالأرض جاد عليها الغيث منهلا	فزانها بضروب الروض والزهر
ما أنت دون ملوك العالمين سوى	روح من القدس في جسم من البشر
نور لطيف تناهى منك جوهره	تناهيا جاز حد الشمس والقمر
معنى من العلة الأولى التي سبقت	خلق الهيولى وبسط الأرض والمدر
فأنت بالله دون الخلق متصل	وأنت لله فيهم خير مؤتمر
وأنت آتيه من نسل مرسله	وأنت خيرته العزاء من مضر
لو شئت لم ترض بالدنيا وساكنها	مثوى ، وكنت ملك الأنجم الزهر
ولو تفاظنت الألباب فيك درت	بأنها عنك في عجز وفي حصر

(١) ديوان الامير تميم ورقة ٥٨ نسخة خطية .

ففي هذه الأبيات نرى الشاعر يمدح امامه ويقول له بأنه ليس كغيره من الملوك ، لأن نفس الامام الشريفة اللطيفة هي روح قدسية حلت في جسم كثيف ترابي ، وأن هذه النفس اللطيفة تناسب العقل الذي سماه بالعلة الأولى ، وبما أن العقل هو أول ما خلق الله فهو سابق لخلق الهيولي ، ولما كان العقل الاول هو أقرب مبدعات الله اليه سبحانه ، فكذلك الامام الذي هو مثل العقل أقرب المخلوقات الى الله على هذه النسبة ، وهو متصل بالله تعالى لان مثوله العقل الاول متصل بالله تعالى ، وأن الامام آية الله تعالى من نسل النبي محمد ، وعلى هذه الصورة أدخل الامير تميم المعتقدات الاسماعيلية المذهبية الفلسفية في مدح شقيقه الامام العزيز بالله .

وله فيه أيضا أبياتا أخرى تفيض بالروعة والرقّة :

سلام الله والنعماء تترى ووافدة السرور على نزار
إذا ما نحن زرناه فانا نزور ندى يزيد على البحار

وتنتقل الى موضوع الرثاء لنسمع الى تميم وهو يرثي أخاه عبد الله بقصيدة اعتبرت من غرر القصائد الفياضة بالعاطفة الزاخرة بالحزن والاسى^(١):

كل حي الى الفناء يصير والليالي تعلقة وغرور
والى الله يرجع الملك والملك ويقضي الأمور والمأمور
وإذا لم يكن من الموت بد فطويل الحياة نزر حقير
اي خطب أرى وأي ليلال دهم الناس صرفها المحذور
كيف لم تسقط السماء على الارض ولم تهو شمسها والبدور

(١) ديوان الامير تميم ورقة (٦٤) نسخة خطية .

ومنها :

وفؤاد عليك ليس يطير
بالبكا والاس عليك جدير
ملؤها مدمع عليك غزير
على انني الجليد الصبور
عند فقديك والديار قبور

يا أخي أي عبرة ليس تهمني
يا أخي ان بكتك عيني فاني
كنت ملء الجفون نورا فأمسيت
خائني بعدك التجلد والصبر
فالصباح الأغر ليل بهيم

وفي غزل الامير تميم نشاهد الصور البديعة ، والقصص المثيرة والألوان
الزاهية المضمخة بالأطياب والعذوبة الوجدانية الدافقة بالنفن والجبال ، فها هو
في دير القصير يتحدث الى عجوز شمطاء ، وراقصة هيفاء :

ولا تتأذى النفس منه ولا القلب
وانقلت: أصبو، قال : لا بد أن أصبو
ألا هاتها ، طاب التادم والشرب
يهون عليه في رضى خله الصعب
وللغيم دمع ما يكف له سكب
عبيرية الأنساب طاب لها الترب
الى زولة شمطاء منزلها رحب
وحسبك ملك جده قيصر حسب
تقاصر منها الحظ واحدودب الصلب
وفي يدها نجم محيط به قعب
وقل لكم مني البشاشة والرحب
دعاهم اليك القصف والعزف واللعب
فعندي الفتاة الرود والأمرد الرطب
فجاءت كما يذري مدامعه الصب
وألطف من نفس تداولها الحب

ولسي صاحب لا يمرض العقل جهله
اذا قلت: «لا» في قصة لم يقل: «بلى»
وان قلت هاك الكأس ، قال مبادرا
سريع اذا لبي ، صبور اذا دعا
غذوت به يوما الى بيت حانة
وقد نفحت ريح الصبا بمنافس
فأفضى بها الادلاج بعد تعسف
مدثرة ، أما أبوها فقيصر
قصيرية ديرية هرقلية
فلما قرعنا بابها ابتدرت لنا
فقلت لنا : أهلا وسهلا ومرحبا
من أنتم ؟ فقلنا عصابة من بني الصبا
فقلت : على اسم الله حطوا رحالكم
وراح نفي اقداءها طول عمرها
أرق اذا رقرقتها في زجاجة

إذا أقبلت من كيله الدن تنصب
ولا يك فيما قلت خلف ولا كذب
على الأرض زنجي بلا هامة يحبو
حباب كما ينساب من سلكه الحب
ملاطفها سلم وألحظها حرب
ليانا ولطفاً مثل ما تدرج الكتب
وضاق بها الخلخال وامتلاء القلب
مع الكأس، أو قذى ملاحظتها الشرب
وما كان قبل السكر في لثمه عتب

كأن سرا حبا في ترائب دنها
فقلنا لها : كيلى لنا وتعجلي
فجاءت تجر الزق نحوي كأنه
فلما مزجناها بدا فوق رأسها
وطافت بها هيفاء مهضومة الحشا
تمايل ردفاها وأدرج خصرها
شكا كشحها الزنار مما يجيعه
أغار على أعطافها كلما انثت
أحلت لي الصهباء تقويل وجهها
ومنها :

به فله مني التخصص والقرب
شفيت ولا واش علينا ولا شغب^(١)

سلام على دير القصير ومرحبا
فكم لذة فيه قضيت وغلة

وما أرق الأمير تميم حينما يصف الورد ويتغزل :

ورد الرياض وأنعم
وذا يقبله الفم

ورد الخدود أرق من
هذا تنشقه الأنوف

ويجد القارىء في ديوان الأمير تميم بعض قطع في الزهد والنسك لا تقل
روعة وصدق ايمان عن شعر أشد الشعراء تمسكا بالدين وأشدهم خوفا من
عذاب الآخرة فهو يقول :

في غفلة عما وراء الممات
لهم على أخذ المعاصي ثبات
أصيب في تمييزه بالسبات

يا عجبا للناس كيف اغتدوا
لو حاسبوا أنفسهم لم يكن
من شك في الله فذاك الذي

(١) ديوان الامير تميم ورقة (٧٢) نسخة خطية .

يجيئهم بعد البلى مثل ما
ويقول في مكان آخر :

أفريت دهرك تتقي
ولو اتقيت معاصي الر
لأمنت نار الجحيم
ان لم تراقب من له
فيه الحوادث والمصائب
حمن فيما أنت راكب
م وفي الحياة من المعائب
حكم عليك فمن تراقب (٢)

وهكذا يتبين لنا أن الأمير تميم شأنه في مجونه وزهده شأن كثير من
بني البشر الذين يعصون الله ، ولكنهم بالوقت نفسه يخافون عقابه .

هذا ما تمكنا من ايراده في هذه العجالة ولا نرى اننا قد استطعنا ايفاء
هذا الشاعر الكبير حقه من النقد والحديث ، والتحليل ولا بد لمن يرغب
في دراسته دراسة أدبية يتناول فيها كل النواحي في شعره المضمخ بالعطر
والورد وفي حياته الطافحة بأريج الخمر والشعر والعاطفة من تخصيص
صفحات طويلة وباعتبار كتابنا هذا سيضم العدد الكبير من أعلام الاسماعيلية
سنكتفي بهذا القدر . وقيل أن الشاعر الأمير قد توفي في القاهرة المعزية
سنة ٣٧٤ هجرية ودفن فيها .



(١) ديوان الامير تميم نسخة خطية ورقة ٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ورقة ٧٧ .

هرف الهم

جعفر بن فلاح

اعتمد الجيش الاسماعيلي - الذي دوخ البلاد وفتح الفتوحات الكثيرة - في تكوينه على الكتاميين ، وعلى القبائل المغربية التي كانت تتفانى في طاعة الامام .

ومن قواد ذلك الجيش المشهورين جعفر بن فلاح الكتامي الذي شارك في فتح مصر ، واستطاع أن يخضع جميع بلاد الشام في عدة شهور للخلافة الفاطمية . تاريخ حياة هذا القائد البطل ونشأته الأولى لا نعلم عنها شيئاً ، وكل ما تمكنا من استنتاجه أنه انضم الى فرقة الكتاميين في الجيش الاسماعيلي فأبلى البلاء الحسن لما أظهره من قيادة حكيمة وشجاعة نادرة .

لذا اختاره الامام المعز ليقود الجيش الكتامي الذي سيره الى مصر مع القائد جوهر الصقلي ، ومن المعروف أنه أول من احتل الفسطاط وهزم جند الأخشيدية والكافورية سنة ٣٥٨ هجرية .

وما كادت تستقر الأمور في مصر حتى سيره الامام المعز على رأس الجيش الاسماعيلي لفتح بلاد الشام . فاحتل فلسطين وتوجه الى دمشق لملاقاة الاخشيدين الذين أعدهم الحسن بن عبيد الله بن طفج صاحب الشام ، والتقت الجموع في ثلاثة معارك ضارية انتصر فيها جعفر بن فلاح ، وحاصر دمشق ومن ثم عاد الى طبرية ففتحها وأقام الخطبة فيها للامام المعز سنة ٣٥٩ هجرية ، وعاد ثانية الى دمشق فاحتلها بعد أن هزم كل القوى التي تألبت عليه ، واصبح واليا على الشام من سنة ٣٥٨ هجرية حتى سنة ٣٥٩ هجرية . عمل خلال هذه المدة على استرداد انطاكية التي وقعت في أيدي الروم ، وهدد الحمدانيين في حلب بالاستيلاء على بلادهم اذا لم يقيموا الدعوة الاسماعيلية على منابرها .

كثرت الثورات والدسائس والمؤامرات التي كان يحيكها الأمراء الذين هربوا من الفاطميين وانضموا الى الحسن بن أحمد القرمطي الذي توجه لمقاتلة ابن فلاح في دمشق (١) .

ولما كان ابن فلاح يثق بنفسه ويعتز بقوته فلم يعبأ بالقرامطة فاشتبك معهم في معركة ضارية على نهر يزيد على مقربة من دمشق فحلت بجنوده الهزيمة في شهر ذي الحجة سنة ٣٦٠ هجرية . وظل يقاتل ويواصل حتى قتل في ذلك التاريخ (٢) وقيل : أشعلوا النار في منزله فحرقوه .



(١) ابن خلدون : العبر ٩٠/٤

(٢) خطط المقرئزي : ٣٧٨/١

جعفر الصادق

إذا ما افتخرت المدينة الغربية بالثقافة الانسانية للأوائل ، فليس علينا الا أن نرفع رأسنا عاليا مفتخرين بالنزعة الانسانية التي أوجدها التيار الفكري الاسلامي الذي تغذى بالعلوم الاسماعيلية ، ووضع أسسها الامام جعفر ابن محمد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صاحب أول نداء انبعث من الأعماق لا يقاظ رسالة الانسان الكاملة ، في معانيها الرقيقة ، وأهدافها السامية ، ولقد جعل الانسان المحور التي تدور عليه القيم ، والمفسر لمعالم الكون من الوجهة الانسانية .

يَعَدُّ الامام جعفر الصادق من أعظم الشخصيات العلمية في الاسلام في عصره ، بالرغم من أن شخصيته العلمية لا تزال غامضة ، تحتاج الى من يكشف عنها ويسبر غورها ، لأن التاريخ يفرض علينا أن نرفع القناع عن حقيقة أعظم شخصية علمية أوجدت مدارس خاصة في الاسلام ، كان لها تأثير قوي في التيارات الفكرية الاسلامية ، وقد تخرج من تلك المدارس فرق عديدة أهمها : المعتزلة ، الصوفية ، الجعفرية ، الاثنى عشرية ، والحركات الباطنية .

وما دام يكتنف مثل هذه الشخصية الظلام فستظل كثير من الحقائق في طي الخفاء ، لأن التعصب الديني المقيت طمس تلك الحقائق ووضع سداً دون تفهم تلك الأسس العميقة في بناء الحضارة الاسلامية .

ولد أبو عبد الله جعفر بن محمد الباقر المعروف (بالصادق ^(١)) في

(١) لقب بالصادق لصدقه ، ابن خلكان ١٨٥/١ .

السابع عشر من ربيع الأول سنة ٨٣ هجرية^(١) في المدينة المنورة ، والدته فروة بنت القاسم بن محمد^(٢) كان كثير الاحترام لأمه ، عاش بعيدا عن غمار السياسة ومتاعبها ، ورفض أن يعلن الثورة على العباسيين وأعلن تبرؤه من الغلاة ، وبذلك أزال شكوك العباسيين فيه ، ومهد السبيل لأبنائه من بعده ، وأخذ الشيعة على مختلف فرقهم يتسابقون في التقرب اليه .

وكان الامام جعفر الصادق عالما في الدين والفلسفة والفقه والكيمياء ، ومن تلامذته المشهورين (جابر بن حيان) .

ويحدثنا الشهرستاني ان الامام جعفر كان ذا علم غريز في اصول الدين^(٣) وأدب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا ، وورع تام عن الشهوات ، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد شيعته المنتمين اليه ، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم ، ثم دخل العراق وأقام فيها مدة ، ما تعرض للخلافة قط ولا نازع أحدا عليها وعلق على قوله : (من غرق في بحر المعرفة لا يطمع في شط ، ومن تعلق الى ذروة الحقيقة لا يخف من حط) . وجعل الامام جعفر الصادق مركزه العلي في المدينة ومكة ، وقيل انه وضع (جفر) أسماه (جفر جعفر) أو (الجفر الأحمر) ثم أمر أبا موسى جابر بن حيان الصوفي ان يدون ذلك الجفر ويعلمه لمن يشاء من شيعته ، وذكر ايفانوف^(٤) أن للامام جعفر عدة مؤلفات منها :

- ١ - الجفر الأحمر .
- ٢ - مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة .
- ٣ - بحار الأنوار .

(١) اصول الكافي للكليني ص ١٩٣ .
(٢) مروج الذهب للمسعودي ٤/ ١٨٢ .
(٣) الملل والنحل للشهرستاني ص ١٢٥ .
(٤) المرشد الى الادب الاسماعيلي (ص ٢٩) .

وأكثر أحاديث الامامة تروى عن الامام جعفر الصادق ، وأهمها ما رواه عن الامام علي بن أبي طالب في كيفية خلق العالم وكيف تم انتقال النور من آدم الى محمد وانتقل ذلك النور الى الأئمة من آل البيت •

ويؤكد أكثر العلماء والمؤرخين أن الامام جعفر الصادق هو الذي وضع الفقه المسمى باسمه (الفقه الجعفري) الذي تسير عليه وبموجبه كافة الفرق الشيعية في العالم •

تزوج الامام جعفر الصادق فاطمة ابنة الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب فكان منها اسماعيل (أعقب) وعبد الله (لا عقب له) وكان من زوجته الثانية أم ولد محمد واسحق وموسى وعلي والعباس • عهد لابنه اسماعيل بالامامة من بعده على مسمع من خواص شيعته حسب شروط الوصاية وأحكامها ، فساق الاسماعيليون الامامة في اسماعيل والامام جعفر حياً •

واتفق المؤرخون بان الامام الصادق انتقل الى جوار ربه في العاشر من شوال سنة ١٤٨ هجرية ، وقيل أن الخليفة المنصور قد قدم له عنباً مسموماً •

ودفن جسده الطاهر في البقيع بالمدينة الى جانب ابيه وجده وعلي قبورهم منذ قرون رخامة كتب عليها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مبيد الامم ومحي الامم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله (ص) سيدة نساء العالمين وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله عنهم •



جعفر بن منصور اليماني

فطر جعفر على حب المذهب الاسماعيلي والتفاني في سبيل انتشار الدعوة الاسماعيلية ، ولا غرو في ذلك فهو نجل الداعي الكبير والفيلسوف العظيم منصور اليماني ابن حوشب ، ولما توفي والده ابن حوشب وتأمر أخيه الحسن على قتل الشاوري ، وثار على الخليفة الفاطمي المهدي ، اختلف جعفر مع أخيه الحسن واعتبر أعماله خروجا على المذهب الذي رضع لبانه منذ الصغر ، فقصده بلاد المغرب سنة ٣٢٢ هجرية (١) فوجد الخليفة المهدي قد توفي ، وقام بعده ابنه القائم ، فرحب به وأنزله أحسن منزلة ، ويحدثنا ادريس عماد الدين عن المكانة التي بلغها هذا الداعي لدى الأئمة الاسماعيلية فيقول (٢) : « وانتهى الى أن بلغ مبلغا عظيما عند الأئمة ٥٥٥ وبلغ مراتب الأبواب الفائزين بعلو الدرجات » . وقد ورد في سيرة الاستاذ جوزر (٣) ما نصه : « وكان محل جعفر بن المنصور صاحب اليماني من الدولة وقربه من مولانا عليه السلام المحل القريب ، ومكانه من الاستاذ المكان الأدنى الوكيد في الدين » . ومما لا شك فيه أن جعفرا كان يتمتع بمركز رفيع في الدولة الفاطمية ، في المغرب ثم في مصر ، وكان موضع احترام وتقدير القائم والمنصور ، وبلغ الذروة في عهد المعز لدين الله حتى اتخذته « باب أبوابه » في مصر ، وهي أعلى رتبة في الدعوة وصار أهم رجال الدعوة الذين يشار اليهم بالبنان في الفضل والزهد ، حتى تفوق على القاضي أبي حنيفة النعمان التميمي المغربي نفسه ، الذي كان دعامة من أهم دعائم

(١) السلوك للجندي ص ١٥١ .

(٢) عيون الاخبار ٥٠/٥ .

(٣) سيرة الاستاذ جوزر (ص ١٢٦) .

الفاطميين في القضاء والفقة الاسماعيلي . وليس أدل على ما بلغه جعفر من درجة عالية ومكانة سامية عند الامام المعز من قول الداعي ادريس (١) : « من أن القاضي النعمان اعتلَّ بعلّة ، فزاره جميع الدعاة وأولياء الدولة وقوادها ... ولما زالت علته أتى الى الامام المعز فسأله عن زاره ، فقال : كلهم زارني الا جعفر بن منصور ، فأخذ أمير المؤمنين في حديثه ، ثم أمر بكتب فأحضرت اليه . ففتح كتابا منها ، وقال للنعمان : انظر في هذا الكتاب ! فلما تصفحه قال الامام : ما تقول في هذا ؟ قال : ما عسى أن أقول في قولكم . فقال الامام : هذا تأليف مولاك جعفر ، اعلاما له بعالي فضله وبيانا لسامي محله . فلما خرج النعمان ... قصد دار جعفر ... ولما رأى النعمان جعفر لم يتمالك أن وقع على رجليه يقبلهما اعترافا له بالفضل » .

وقد يعتقد القارىء أن مثل هذا لا يحدث للقاضي النعمان من مركز جليل في الدولة والدعوة ، فلا يمكن أن يقبل رجلي جعفر . وبالرغم من شهرة النعمان فيما يتعلق بعلوم الظاهر ، الا أنه لم يكن قد بلغ المرتبة التي وصل اليها جعفر . وقد ترك جعفر كثيرا من الآثار العلمية التي لا تزال عند (البهرة) الى اليوم . ومن مؤلفاته : الفرائض وحدود الدين ، الشواهد والبيان، سرائر النطقاء ، بيان تأويل قصص الانبياء، تأويل الزكاة ، الكشف، الفترات والقرانات ، تأويل سورة النساء ، المراتب والمحيط ، رسالة في معنى الاسم الاعظم .

* * *

(١) عيون الاخبار ٣٩/٦ .

جلال الدين الرومي

شاعر مبدع ، وفيلسوف عبقرى ، وعلامة لا يجاري ، اعتبره الأدباء من أكبر شعراء فارس ، تميز بمعانيه المبتكرة ، واسلوبه العميق ، ومما قاله فيه أحد العلماء ، لا يمكن لأي انسان أن يقول مثل شعر جلال الدين الرومي ولن يستطيع أي شاعر في المستقبل أن يبلغ ما بلغه ، اسمه كما ورد في المصادر التاريخية جلال الدين محمد واشتهر وعرف في الاوساط الادبية (بمولانا جلال الدين الرومي) نسبة الى بلاد الروم حيث قضى الشطر الاكبر من حياته الحافلة بالخصب والانتاج .

كانت ولادته في مدينة بلخ في خريف سنة ٦٠٤ هجرية ولم يمر على ولادته وقت طويل حتى اجبر والده العلامة الجليل (محمد بن الحسين الخطيبي البكري) المعروف (بهاء الدين ولد) الى الهجرة نتيجة للاضطهاد الذي لقيه على يد (علاء الدين محمد خورزمشاه) فسار الى نيسابور سنة ٦٠٨ هجرية حيث زار الفيلسوف الاسماعيلي فريد الدين العطار ، الذي أخذ ولده جلال الدين بين ذراعيه وقال لوالده بأن مستقبلا عظيما ينتظر هذا الطفل ، وقيل ان الشيخ العطار زوده ببعض الكتب المذهبية ومنها كتابه المشهور (الهي نامه) ومن ثم توجه الى بغداد ومنها الى مكة ، حيث استقر في مدينة (مليطة) فأقام فيها أربع سنوات (١) وبعدها توجهوا الى مدينة (لاندرد) التي تعرف الآن (بقرمان) فأقاموا فيها سبع سنوات . وقيل أن جلال الدين تزوج خلال هذه المدة من فتاة اسمها (جوهر خاتون) ابنة (لالا شرف الدين السمرقندي) فانجبت له ولدين (علاء الدين) و (بهاء الدين) الذي عرف

(١) تاريخ الادب في ايران : براون : ص ٦٥٤ .

فيما بعد (بهاء الدين سلطان ولد) بعد أن نال شهرة عظيمة لانه صاحب أول منظومة من أمثلة الاشعار (التركية الغربية) المبكرة ، وهي مثويته المعروفة باسم (رباب نامة) وتشتمل على ١٥٦ بيتا .

وأخيرا حظوا رحالهم في مدينة (قونية) التي كانت في ذلك الوقت عاصمة للحاكم السلجوقي (علاء الدين كتعباد) . وفي سنة ٦٢٨ هجرية توفي والده العلامة (بهاء الدين) فحزن عليه حزنا عظيما كونه كان يدرس عليه العلوم والمعارف وأصول المذهب الاسماعيلي فقرر أن يرحل الى حلب للدراسة ونظم الشعر ، وفي شهر رجب سنة ٦٤٢ هجرية بينما كان يجلس في أحد الاركان المنعزلة بقرب غدير ماء ينظم الشعر مر به شيخ كبير تظهر على محياه علائم الاجلال والاحترام فرحب به وأجلسه بجواره . فقال له الشيخ : ماذا تفعل يا بني ؟ قال له : أبحث في عالم الشعر والخيال والوحي ، فقال له الشيخ بعد أن أخذ بعض ما كتبه جلال الدين وألقاه في الماء : أنا من يدلك على ما تبحث عنه ، وأخذ يلقنه التعاليم الروحية الفلسفية ، فاعجب به وامسك بتلابيبه وقال له : لن أدعك تذهب دون أن تكمل ما أنت بصدده وأخيرا تم التعارف فيما بينهما ، ولم يكن ذلك الشيخ الكبير الا حجة الامام الاسماعيلي (ركن الدين) المعروف بشمس تبريز . فلزمه جلال الدين ودرس عليه مدة خمسة عشر شهرا ^(١) أي الى الوقت الذي اغتيل فيه شمس تبريز أثناء الفتنة الكبرى التي وقعت في قونية في ذي القعدة سنة ٦٤٤ هجرية . وقتل فيها أيضا ابن جلال الدين البكر (علاء الدين) .

هذه الفتنة الذي ذهب ضحيتها مرشده ومعلمه ومثله الأعلى وحيييه ، وولده علاء الدين فجرت في نفسه الحزينة قصائد لاهبة مليئة بالحزن اللاعج الدفين والغزل الديني العميق وسماها (ديوان شمس تبريز) .

(١) مناقب العارفين للاخلاكي ص ٩٥ .

واعتكف في منزله لا يخرج مطلقا ينظم ويصنف ويبحث وينقب حتى توفي يوم الاحد في ٥ جمادي الآخر سنة ٦٧٢ (١) هجرية .

ومن آثاره الشعرية المشهورة قصائده الغنائية التي تغزل فيها باستاذه شمس تبريز والمعروفة (بديوان شمس تبريز) . وكتاب (المثنوي) الذي قال عنه جلال الدين في المقدمة : « ان المثنوي هو أصل الدين ، في كشف أسرار الوصول واليقين ، وهو فقه الله الأكبر ، وشرع الله الازهر ، وبرهان الله الاظهر ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، يشرق اشراقا أنور من الاصباح ، وهو جنان الجنان ، ذو العيون والاغصان ، منها عين تسمى عند أبناء هذا السيل سلسيلا ، وعند أصحاب المقامات والكرامات خير مقاما وأحسن مقيلا ، الأبرار فيه يأكلون ويشربون ، والاحرار منه يفرحون ويظربون ، وهو كئيل مصر شراب للصابرين ، وحسرة على آل فرعون والكافرين كما قال : يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا . . . » .

وله رسالة منشورة عنوانها « فيه ما فيه » .

ومما لا شك فيه أن الكثير من الكتاب والأدباء والمؤرخين قد تناولوا حياة ومؤلفات هذا الشاعر الكبير بالدراسة فآظفروا ما كان خافيا للعين ولكنهم ومع الاسف الشديد لم يتوصلوا الى معرفة العقيدة التي كان يؤمن فيها هذا الشاعر الفحل فاتفقوا على أنه كان من الشعراء المتصوفين ، ونحن نقول بانه شاعر اسماعيلي كما كان أبوه عالما من علماء الدعوة ، وليس أدل على ذلك من أشعاره التي نظمها في امامة .

وفي مرشده (شمس تبريز) أخ الامام (ركن الدين خورشاه بن علاء الدين محمد) ولا بد لنا من أن نورد للقارئ ترجمة لبعض أشعاره الغزلية اخترناها من ديوانه (شمس تبريز) :

(١) نفس المصدر ص ٩٥ .

« أين المسلمون ... ما التدبير ... وأنا نفسي لا أعرف نفسي !!...!!
 « فلا أنا مسيحي ، ولا أنا يهودي ، ولا أنا مجوسي ، ولا أنا مسلم ...!!...!!
 « ولا أنا شرقي ، ولا أنا غربي ، ولا أنا بري ، ولا أنا بحري ،
 ولا أنا من عناصر الأرض والطبيعة ، ولا أنا من الأفلاك والسموات ...!!...!!
 « ولا أنا من التراب ، ولا أنا من الماء ، ولا أنا من الهواء ، ولا أنا من النار
 ولا أنا من العرش ، ولا أنا من الفرش ، ولا أنا من الكون ، ولا أنا
 من المكان ...!!...!! »

« ولا أنا من الهند ، ولا أنا من الصين ، ولا أنا من البلغار ، ولا أنا
 من الكون ...!!...!! »

« ولا أنا من ملك العراقيين ، ولا أنا من بلاد خراسان ...!!...!!
 « ولا أنا من أهل الدنيا ، ولا أنا من أهل العقبي ، ولا أنا من أهل
 الجنة ، ولا أنا من أهل النار ...!!...!!
 ولا أنا من نسل آدم ، ولا أنا من نسل حواء ، ولا أنا من أهل الفردوس ،
 ولا أنا من أهل جنة الرضوان ...!!...!! »

« وانما مكاني حيث لا مكان ، وبرهاني حيث لا برهان
 فلا هو الجسد ... ولا هو الروح ... لأنتي أنا في الحقيقة من روح
 الروح (الحبيب) ...!!...!! »

ومن قطعة غزلية أخرى :

« أيها العشاق ... هذا هو وقت الرحيل عن هذا العالم
 وها هي طبول الرحيل تدق في السماء وتصل الى مسامع روحي ...!!...!!
 « فنتبه ... فقد نهض الجمال ، وهياً القافلة وشد الرحال
 وطلب مناكل ما هو حلال ، فلماذا تظل في غفلة ... أيها المسافر ...!!...!!
 « وهذه الاصوات التي تحيط بك من خلف ومن قدام انما هي أصوات الرحيل
 وفي كل لحظة من اللحظات ... تسري نفس ويسري نفس الى لامكان ...!!...!! »

« ومن هذه الشموع المقلوبة (١) ومن هذه الحجب الزرقاء (٢)

خرجت المخلوقات العجيبة ، حتى تجعل ما في الغيب عيانا !!»

« وقد أصابك نوم ثقيل في هذه العجلة الدائرة (٣)

فيا لوعته على هذا العمر الخفيف .. ويا حذرا من هذا النوم الثقيل !!»

« ويا قلبي .. عليك بالحبيب ، ويا أيها الحبيب .. سر الى لقاء الحبيب (٤)

ويا أيها الرقيب .. تيقظ .. فلا يجوز لصاحب التوبة أن يففل !!»



(١) النجوم .

(٢) السماء .

(٣) الافلاك .

(٤) يقصد امامه شمس تبريز .

جمال الدين شيحة

إذا كان الظاهر يبىرس قد استطاع أن يتربع في صدر التاريخ ، وتطوقه أمجاد الانتصارات ، وأكاليل الغار ، في الحروب والمعارك التي خاض غمارها ، فباعترادي أن الفضل يعود في ذلك الى العباقره من قواد الفدائية الاسماعيلية الذين اعتمد عليهم في تنفيذ مخططاته ، وادارة دفة معاركه الحربية ، ولعل القائد الفدائي العظيم جمال الدين شيحة في طليعة هؤلاء .

تذكر المصادر الاسماعيلية أن جمال الدين شيحة^(١) ولد في احدى القرى من أعمال مصيف سورية سنة ٦٥٧ هجرية ، التحق وهو في الثامنة من عمره في مركز الدعوة الاسماعيلية في مصيف لانه كان يتيم الأب ، فانضم الى تنظيمات الفدائية ، وما كاد يبلغ أشده حتى ظهرت عليه علائم الرجولة والنجابة ، وقد استطاع أن يتقن عدة لغات كانت معروفة في ذلك العصر ، كما اتصف بالمقدرة الفائقة على تحمل المشاق والمصاعب ، ظل يتدرج بخطى سريعة في مراتب الفدائية حتى أصبح مقدا فيها ، وبعد أن وقعت المعاهدة مع السلطان بىرس أصبح مستشارا عسكريا مختصا بمهمات الفدائية السرية، واتخذ له مقرا في القاهرة ، قريبا من السلطان ، وكان بىرس يعتمد عليه في تنفيذ المهمات السرية الخطيرة للثقة التي كان يتحلّى بها عنده ، وللشجاعة الخارقة التي اتصف بها ، فما من مهمة سرية الا ولجأ اليه لتنفيذها ، ولا يذكر التاريخ قط أن شيحة فشل يوما في عمل بطولي أسند اليه ، فضرب به المثل ، وأصبح رمزا للتضحية ، وقد أصبح بالنسبة للعامة في ذلك الوقت رمزا يقتدى به في الشهامة والرجولة . فاكتفت حياته كثير من القصص ، والحكايات،

(١) ولعل اسمه (شيحة) مشتق من كثرة تغربه وتنقله في ارجاء البلاد .

وأحيطت حياته بالروايات الخارقة ، التي لا نشك في انها بلغت بعض الغلو والتضخيم والمبالغة ، نتيجة لشغف الناس به ، واعجابهم بعبقريته •

فيندر أن تسرد قصة بطولية بين الأوساط في عصره الا ويكون لشيخة القدح المعلى فيها • وظل في مصر حتى توفي سنة ٧٢٩ هجرية في مدينة دمياط ودفن فيها •



جوهـر الصقـلي

فاتح كبير وقائد عظيم استطاع بما أوتيـه من القيادة الحكيمـة والاخلاص التام أن يحتل أرفع المناصب في الدولة الاسماعيلية • ويحقق مجدا عسكريا منقطع النظير • تاريخ حياته ونشأته غامض أشد الغموض وكل ما ذكر عنه أنه كان مملوك رومي أصله من جزيرة صقلية جاء به أحد التجار وعرضه للبيع فاشتراه الامام المعز لدين الله الخليفة الفاطمي ورباه في قصره ، فاخـلص له وتفانى في خدمته ، فأعلى قدره وجعله وزيرا له وقائدا لجيوشه ففتح البلدان ودوخ الملوك والأمراء ، وكان جوهـر كاتبـا بارعا ومحسنا كبيرا (١) • كان موضع ثقة الامام المعز فعهد اليه بالاشراف على جميع الدواوين وعلى الموظفين ولقبه (جوهـر الكاتب) • وذلك في سنة ٣٤١ هـ وفي سنة ٣٤٧ اتخذه المعز وزيرا له ، وقائدا أعلى لجيوشه الضخمة التي سيرها الى تاهرت لقتال يعلي بن محمد الزناتي ، فاسره جوهـر ثم قتله (٢) وكان قتله من أكبر العوامل التي ساعدت نجاح حملة جوهـر • ثم قصد اقليم فاس وحاصر حضرته لاختضاع ابن ابي بكر بن سهل الجذامي • ولكنه غادرها الى سجلماسة حيث فتحها وأسر أميرها محمد بن أبي الفتح ، ورجع الى فاس فاحتلها وتوجه الى دراسة الريف والبلاد الخاضعة للأمويين • وما زال يفتح المدن والبلدان حتى وصل الى سواحل المحيط الاطلسي وبذلك امتد النفوذ الاسماعيلي على جميع المغرب الاقصى والاوسط ، فرجع جوهـر بعد أن دوخ البلاد وخطب للفاطميين على جميع المنابر فوصل المهديـة عاصمة الملك ومعه أحمد بن ابي بكر أمير فاس وخمسة عشر من أشياخها ، وأمير سجلماسه محمد بن أبي الفتح ،

(١) خطط المقرئزي : ٢٠٢/٢ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية لصطفى غالب ١٣٥

(٢) السلاوي : الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى ١/٨٦ .

في أقفاص من خشب على ظهور الجمال ، وجعل على رؤوسهم قلائس من لبد مستطيلة ، منبثة القرون ، وطيف بهم في بلاد أفريقية وأسواق القيروان ، ثم ردوا الى المهدي وحبسوا حتى ماتوا في سجنها (٣) .

وفي ١٤ ربيع الثاني سنة ٣٥٨ هجرية سار جوهر العظيم على رأس جيوش كثيرة منظمة تنظيما دقيقا قيل ان الامام أنفق على اعدادها أربعة وعشرين مليون دينار عدا ما حمله ألف جمل من الذهب الذي رصد للاتفاق على هذه الحملة ، وتتجلى ضخامة تلك الجيوش بما وصفها الشاعر الاسماعيلي ابن هانيء الاندلسي من قصيدة أوردنا قسما منها في غير هذا المكان ومطلعها :

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع وقد راغني يوم من الحشرأروع

لفتح مصر ولم يكن الجيش بريا بل صحبه بعض القطع الحربية ، وكان هدف جوهر الاسكندرية فلم يجد فيها مقاومة تذكر ، وتوجه الى الفسطاط قاعدة مصر في ذلك الحين فاضطرب أهلها وفاوضوا جوهرأ بشأن الصلح ، وقابله وفد المصريين في قرية (تروجة) بقرب الاسكندرية في ١٨ رجب سنة ٣٥٨ هجرية ، ولكن الجنود الأخشيديية والكافورية رفضوا المفاوضات ونصبوا قائدا لهم واستعدوا للقتال وعسكروا في جزيرة الروضة وعلى شاطئ النيل الشرقي من ناحية الفسطاط ، ولكن جوهر وصل الى الجزيرة ، وعبر الى جهة الفسطاط قائده المقدام جعفر بن فلاح الكتامي فدمر العساكر المصرية فولوا الأدبار وقيل فر منهم الكثير الى الشام ، وفي ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هجرية عبر حول الجسر بين الجزيرة والفسطاط ووضع أساس مدينة القاهرة اثر وصوله ؛ ومن ثم وضع أساس قصر الخليفة ومقر حكمه ، وفي سنة ٣٥٩ هجرية باشر ببناء الجامع الازهر كمدرسة لتعليم المذهب الاسماعيلي وتم الفراغ منه سنة ٣٦١ هجرية . وباشر جوهر باجراء الاصلاحات

(١) ابن الاثير : الكامل ١٨٩/٨ : ابن خلدون : العبر ٤/٤٦ - ٤٧ .

الداخلية فوضع نظاماً للحكم ، وأدخل اصلاحات على النظام المالي ، وأمن جميع الفرق والطوائف على أموالهم وبلادهم ، ونشر العدل والسلام والطأئينة بين النفوس ، واعترف بالحريات الدينية للجميع ؛ ولم يكتف جوهر بفتح مصر بل عمل على مد نفوذ الفاطميين الى بلاد الشام فسير قائده جعفر بن فلاح فاحتل طبرية وحاصر دمشق . وفي سنة ٣٥٩ اقيمت الخطبة في دمشق للامام المعز الفاطمي ، وخاض جوهر معارك طاحنة مع القرامطة والروم وكان النصر حليفه دائماً .

وظل هذا القائد العظيم يحتل مكان الصدارة لدى الخلفاء الفاطميين ، الذين أتوا بعد وفاة الامام المعز حتى توفي يوم الاثنين لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٣٨١ هجرية . فرثاه أكثر الشعراء^(١) .

ومما لا جدال فيه ان هذا القائد الكبير والوزير الخطير قد خدم الدعوة الاسماعيلية والخلافة الفاطمية خدمات جليلة ستظل تذكرها الاجيال القادمة على مر الدهور والعصور .



(١) خطط المقرئزي ١/٣٧٨ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ١٣٦ .

هرف الحاء

حاتم بن ابراهيم الحامدي

تسلم أمور الدعوة المهستعلية في جزيرة اليمن وتوابعها بعد وفاة أبيه الداعي المطلق ابراهيم الحامدي ، وكان عالما فقيها كثير الاطلاع وكثير التأليف والانتاج الادبي ، عرف الناس فضله ، وقوة حجته ، وغزارة معارفه ، في مختلف علوم آل بيت رسول الله والأئمة الطاهرين ، فمال اليه كثير منهم ، والتفت حوله بعض القبائل من حمير وهمدان ، وملكوه حصن كوكبان^(١) فجعله مقرا لدعوته ، ومدرسة لنشر علومه ، فأقبل الناس عليه من كل حذب وصوب للتزود من معارفه الغزيرة وعلومه الكثيرة ، مما لفت اليه أنظار ملك صنعاء السلطان علي بن حاتم الياامي ، فخاف منه وخشي على ملكه ، فأخذ يستميل أتباعه بالمال مضاعفا لهم العطاء حتى انفض من حوله قسم كبير منهم ، وبنفس الوقت سير اليه العساكر فجرت بينهما معارك ضارية في بني هبره ، ولما كان هذا الداعي من المعروفين بالتقوى والزهد فقد صمم على مغادرة معقله والتوجه الى حراز خشية ازدياد الفتن والحروب والفرقة بسببه •

وبالفعل وصل الى مكان يسمى شعاف وأخذ يدعو أهله ، فتمكن من ادخالهم في مذهبه ومن ثم سار الى الظهرة ، وتسلم حصن الخطيب ، ثم هاجم حصن حمضة حتى ملكه وأخذ ينظم الدعوة ويوزع الدعاة المأذونين في كافة أنحاء البلاد • وعمد الى انشاء مدرسة لتخريج الدعاة وللقاء المحاضرات في كهف كبير تحت حصن الخطيب ، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فكر

(١) نزهة الافكار للداعي أدريس عماد الدين ١/ ٩٣ .

في انشاء مملكة في حراز ليحي الدعوة نظرا للعبات الكثيرة التي اعترضت طريقه ، وتلافيا للأخطار التي أخذت تحديق به وتهدد دعوته بالدمار ، خاصة وقد انقسم أتباعه من همدان بين مؤيد له ومعارض ، وخاصة أهالي تهامة ؛ ولكنه لم يتمكن من تنفيذ هذه الفكرة لأن الملك عبد النبي فاجأه واستولى على كافة الحصون والمعازل التي كانت تدين له . مما أجبره على الانسحاب من ميدان الصراع القبلي تماما ، واكتفى بالانزواء في كهفه لنشر العلوم والتفرغ للتأليف ، واعطاء الدروس للدعاة المأذونين الذين كانوا يفتدون اليه من مختلف أنحاء البلاد ومن السند والهند والمناطق المجاورة له . ولقد أصبحت آثاره العلمية ومؤلفاته من أشهر الكتب التي أنتجها دعاة اليمن ، أو بالأحرى أنتجتها الدعوة اليمنية . ومن أشهر مؤلفاته التي يذكرها المؤرخين^(١) :

- ١ — كتاب تنبيه الغافلين في الاخلاق ودم الرذيلتين ، التحاسد والتباغض ، وضمن الكتاب رسالتان من رسائل اخوان الصفاء في آداب الاخوان وحسن المعاشرة ، وفصل من مجلس العزيز بالله الفاطمي .
- ٢ — رسالة النقد على أهل المخاط فيما ارتكبوا من الفسق والخباط^(٢) في ذم المنكرات واتباع الشهوات وقد اقتبس فيها المؤلف من الرسالة الموسومة بالواعظ لأبي يعقوب السجستاني ومن أقاويل سيدنا علي ابن أبي طالب وألفاظ المؤيد في الدين الشيرازي داعي الدعاة وقصيدة الخطاب بن حسن الحجوري مطلعها « ان صح ما قالوا وما شعرا » .
- ٣ — كتاب المجالس^(٣) ويضم اثنين وخمسين مجلسا من المجلس السابع

(١) فهرست الشيخ اسماعيل ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) فهرست الشيخ اسماعيل ص ٦٧ .

(٣) فهرست الشيخ اسماعيل ص ٨٩ .

والسبعين في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب وشيئا من قضاياها
وغزواته •

٤ — كتاب جامع الحقائق^(١) وهو تلخيص للمجالس المؤيدية وهي ثمان مئة
مجلس وجعل هذا الكتاب في ثمانية عشر بابا في مجلدين •

٥ — كتاب الخمسة عشر مجلسا عالج فيه مسائل مختلفة مثل المحنة والامتحان
وشأن العلماء ومعنى النفس وحقيقتها ووجوب الامامة في كل زمان ،
والولادة الدينية وامثال أمر أولياء الله وبعض الاحاديث وتفسير
الآيات •

٦ — رسالة التذكرة^(٢) وتشتمل على آراء المؤلف وأفكاره عن المبدأ والمعاد
والثواب والعقاب والوصول الى ولاية أولياء الله •

٧ — رسالة زهر بذر الحقائق^(٣) وتشتمل على ثمانية عشر مسألة في علم
الحقائق •

٨ — كتاب تحفة القلوب وفرجة المكروب^(٤) وهو كتاب قيم يبحث في
الحقائق •

٩ — كتاب مفاتيح الكنوز : وفي جواب على المسائل التي وردت عليه من
بعض الاخوان •

هذه بعض الكتب التي ذكرها الشيخ اسماعيل بن عبد الرسول
في فهرسه وله مؤلفات أخرى لم يذكرها الشيخ اسماعيل ومنها :

(١) فهرست الشيخ اسماعيل ص ٢٤٦ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٧٦ .

(٣) نفس المصدر ص ٣٨٨ .

(٤) فهرست الشيخ اسماعيل ص ٤٠١ .

١٠ - كتاب الشمس الظاهرة^(١) ، ويبحث في التاريخ والفلسفة وهو في مجلدين • ونادر جدا^(٢) •

ويذكر أيضا المستشرق ايفانوف عدة مؤلفات لم يأتي على ذكرها في الفهرست الاسماعيلي هي^(٣) :

١١ - المفاخر والمآثر •

١٢ - تحفة القلوب في ترتيب الهداة والدعاة في الجزيرة اليمنية منذ عهد المستنصر حتى عصره •

١٣ - مفاتيح النعمة وهو كتاب تاريخي فلسفي •

١٤ - كتاب النقد •

١٥ - المجلس الازهر في فضل صاحب الكوثر وذكر العيد الأكبر •

١٦ - الاحسان في خلق الانسان •

١٧ - كتاب المسالك •

هذا ما تمكنا من معرفته من المؤلفات الكثيرة التي خلفها هذا العالم الحرير والتي لا تزال موجودة في خزائن الدعوة المستعلية في الهند تعيش في طي الستر والكتمان •

وظل هذا الداعي العلامة الباحث يعمل على التأليف حتى توفي في يوم السبت ١٦ محرم سنة ٥٩٦ هجرية ودفن في حصن الحطيب •

(١) ذكره الشيخ حسن بن نوح البهروجي الهندي في كتابه الازهار ص ٧٨ .

(٢) ذكره ايفانوف في المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ٥٤ رقم ٢٠٥ .

(٣) المرشد الى الادب الاسماعيلي Ivanow (ص ٥٥ - ٥٦) .

حاتم بن محمود بن زهرة

ولد الداعي الشيخ أبو المعالي حاتم بن محمود بن زهرة في بلدة سرمين سنة ٤٤٩ هجرية ، وتلقى علومه المذهبية في مدارس الدعوة الاسماعيلية في حلب ، ومن ثم غادرها الى مصر حيث أقام فيها لاكمال تحصيله العلمي في دار الحكمة وحضور المجالس التأويلية ؛ وفي القاهرة تعرف على الداعي الكبير الحسن بن الصباح الحميري فازدادت الالفة بينهما ، ولما عاد الحسن ابن الصباح الى بلاده مارا في بلاد الشام رافقه أبو المعالي خلال الطريق حتى حلب حيث استقر فيها للدعاية والتدريس .

ولما اعلنت وفاة الامام المستنصر في ١٨ ذي الحجة سنة ٤٨٧ هجرية نادى بامامة ولده نزار وانضم الى رئاسة الدعوة الاسماعيلية النزارية في آلموت .

وعندما ظهرت تنظيمات الدعوة النزارية الجديدة عين بموجبها رئيسا لمدارس الدعوة في مدينة حلب ، فأخذ يلقي المحاضرات في الصباح الباكر ، وفي المساء يعكف على التأليف والتصنيف ، وفي أحد الايام ، وبينما كان عائدا الى داره وجد مقتولا وكان ذلك سنة ٤٩٨ هجرية فثارت نائرة الاسماعيلية فاغتالوا قاضي قضاة حلب وبعض زعماء الأحياء^(١) وهنا استعمل

(١) قال عارف تامر في مقدمة كتابه (خمس رسائل اسماعيلية) : انه وجد مقتولا سنة ٤٩٧ هجرية بمدينة حلب بأمر صاحبها « رضوان بن تنش » وقد كانت حادثة قتله وهو في ريعان الشباب من الاسباب التي حفزت الداعي المطلق « بهرام بن موسى » على الانتقام من حاكم حلب فأرسل اليه أحد الفدائية فقتله سنة ٤٩٨ هجرية . والمعروف لدى كافة المؤرخين أن رضوان صاحب حلب كان حتى قبل وفاته بمدة بسيطة من أشد أنصار الاسماعيلية تحمسا ، فلا يعقل

رضوان صاحب حلب نفوذه لدى الاسماعيلية وتدخل في الأمر فأجرى التحقيقات الدقيقة الفورية ، واعدم الفاعلين والدافعين لارتكاب هذه الجريمة •

وتذكر المصادر الاسماعيلية ان هذا الداعي ترك مؤلفات عديدة جلها في الفقه والفلسفة وعلم الفلك والنجوم ولكنها فقدت بفعل الحروب التي خاض غمارها الاسماعيلية في جهات حلب خلال القرن الخامس الهجري ، ولم يبق له الا بعض الحكم والأقوال الماثورة موزعة في أكثر المخطوطات الاسماعيلية السورية ، وله أيضا شعر حسن •

وتنسب اليه رسالة (الأصول والأحكام ^(١)) وهي عبارة عن رسالة فلسفية تبحث في الفترات والقرانات ، وقد دعم المؤلف أقواله ببعض النظريات الاسماعيلية الفلسفية التي كانت معروفة في عصره •



ان يأمر باغتيال داع كبير مثل ابي المعالي ، ومن المعروف أيضا ان رضوان لم يمت مقتولا في السنة التي ذكرها الاستاذ تامر بل توفي بالضبط سنة ٥٠٧ هجرية ، ولم نعر على أية اشارة تاريخية تذكر ان الاسماعيليين هم الذين قتلوه ، كما وان رتبة الداعي المطلق التي اعطيت لبهرام بن موسى لم تكن معروفة ، حتى ولا عرفت في تنظيمات الدعوة الاسماعيلية النزارية ، لأنها من رتب دعاة الاسماعيلية المستعيلة .

(١) توجد نسخة خطية من هذه الرسالة في مكتبتنا الخاصة ، ولكن اسم المؤلف غير مذكور فيها مما جعلني أشك بأنها للداعي حاتم بن محمود بن زهرة ، وذلك لكثرة ما جاء فيها من اخطاء عقائدية ، وخاصة ما يتعلق بالفترات والقرانات وذكر أسماء الأئمة المستقرين والمستودعين ، والمعروف أن هذا الداعي كان طويل الباع في الابحاث الفلسفية الشائكة .

حسام الدين بن دملج

تكتنف حياة أغلب دعاة الاسماعيلية النزارية في بلاد الشام الغموض والابهام ، لأن آثارهم التاريخية والعلمية ، تعرضت على ما يظهر أثناء المذابح العديدة القاسية التي ذهبت فيها أرواح عدد كبير من الاسماعيلية الى الدمار والاندثار .

وبالرغم من كل هذا فقد حاولنا معتمدين على اتصالاتنا الخاصة ببعض الاسماعيليين الذين لا يزالون يعيشون بالنقية في تلك الجهات ، علنا نحصل على بعض المعلومات التي تنير لنا السبيل الى معرفة المزيد عن حياة كبار الدعاة والعلماء الاسماعيلية الذين قطنوا نواحي حلب .

وبصراحة نقول : اننا لم نعثر الا على نبذ صغيرة موزعة في بعض الكتب الخطية ، وهي برأينا لا تفي بالغرض المطلوب ، ولكنها على الاقل تعطي فكرة موجزة قد يستعين بها الباحث المنقب حول هذا الموضوع .

يستدل من تلك المصادر أن هذا الداعي المعروف بابن دملج قد عين في جهات حلب بعد أن أكمل دراسته في مدارس الدعوة في فارس ، وعلى الأرجح أنه اختير ليكون مدرسا في دار الدعوة في مدينة حلب ، وبعد أن استقر فترة من الوقت لا تزيد على السنتين أرسل الى مدينة الرقة ليتولى أمور الدعوة فيها ويشرف على سير وتنظيم قوافل المهاجرين الاسماعيليين الوافدين الى بلاد الشام من مختلف الجهات ، فكان يؤمن لهم المأكل والمشرب والاقامة ويسير معهم الى دار الدعوة في مدينة حلب^(١) .

(١) الدولة النزارية : شرف : ص ١٩٦

ويستنتج أنه كان على جانب كبير من الشجاعة والعلم والمعرفة ، له آراء عميقة في علم التأويل والفلسفة والفقه الاسماعيلي .

ولقد عثرنا له على بعض الاشعار المبعثرة في بعض المخطوطات وأغلبها في مدح آل البيت ، ووصف حالة المهاجرين ، وبعض النظريات التأويلية والفلسفية .

ولما أخذت جموع الصليبيين تهدد البلاد الاسلامية ، وخاصة قلاع الاسماعيلية في جهات حلب استدعي ليقوم بتدريب الفدائية وليشرف على المراسلات السرية . وقيل انه هو الذي نظم خطة اغتيال بعض الأمراء .

وظل مستقرا في حلب حتى بدأت المذابح المشهورة في عهد ألب أرسلان فتمكن من الفرار متوجها الى الرقة حيث استقر فيها متخفيا الى أن مات سنة ٥٠٧ هجرية^(١) واسمه الكامل كما وجدناه في مخطوط اسماعيلي هو : الشيخ أحمد حسام الدين « دملج » أو دملج^(٢) أما تاريخ ولادته فلا نعلم عنه شيئا مطلقا .



(١) الطائفة الاسماعيلية : كامل حسين : ص ٩٥ .

(٢) مخطوط اسماعيلي بدون اسم فيه أشعار ورسائل ، ورقة ٨٠ .

الحسن بن ابراهيم الليثي

(ابن زولاق)

ساهم العصر الفاطمي بنخبة من العلماء والأدباء والمفسرين والشعراء والأطباء والمنجمين والرياضيين والمؤرخين والرحالة ، الذين كان لهم أكبر الأثر في النهضة الفكرية العربية والاسلامية ؛ وشهد الصدر الأول من أيام الفاطميين المؤرخ الكبير الذي أخذ عنه كل من جاء بعده من المؤرخين الذين كتبوا عن مصر ، هو الحسن بن ابراهيم الليثي المصري المعروف بابن زولاق ، قيل انه كان حجة لا يستهان بها في تاريخ أيام الفاطميين ، ولد سنة ٣٠٦ هجرية ، روى الحديث ، فكان محدثا صدوقا فيما يرويه ، فاستطاع أن يحتل مكانة رفيعة في نفوس معاصريه ، وأولع بالتاريخ ، وكان من حبه وشغفه فيه كثيرا ما يردد قول الشاعر :

ما زلت تكتب في التاريخ مجتهدا حتى رأيتك في التاريخ مكتوبا

وصنف عدة مؤلفات تبحث في السير والتاريخ منها :

كتاب سيرة محمد بن طعج الأخشيد ، المسمى « كتاب العيون الدعج في حلي دولة بني طعج^(١) » وكتاب أخبار سيبويه المصري ، وكتاب فضائل مصر وأخبارها وخواصها ، ذكر فيه تاريخ مصر منذ عصورها الأولى ، وكتاب سيرة كافور ، وكتاب سيرة جوهر ، وكتاب سيرة المعز ، وكتاب سيرة العزيز ، وكتاب التاريخ الكبير على السنين ، وله تزييل على كتاب الولاة للكندي ، وآخر على كتاب القضاة للكندي ، وكتاب خطط مصر ، وهو عبارة عن

(١) كتاب المغرب : ابن سعيد : ص ٤٤ - ٤٥ .

وصف « طبوغرافي » لمصر القديمة ، والجدير بالاهتمام أن أكثر كتبه فقدت ولم يبق منها الا شذرات متفرقة في الكتب •

وتوفي ابن زولاق في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة ٣٨٧ هجرية^(١) والرواة مختلفون في تاريخ وفاته ، فقيل انه توفي يوم الاربعاء ٢٦ ذي القعدة سنة ٣٨٧ هجرية^(٢) وقيل ان وفاته وقعت يوم الثلاثاء ٢٥ من الشهر نفسه^(٣) سنة ٣٨٧ هجرية •

وآراء المؤرخين متضاربة حول مذهب ابن زولاق ، فهناك من يشك بأنه كان على المذهب الفاطمي ويذهب آخرون الى القول بأنه كان سنيا على المذهب الشافعي ، بينما نرى مؤرخي الدعوة الاسماعيلية يعتبرونه من أتباع المذهب الاسماعيلي ، ومهما كان المذهب الذي اعتنقه ، فقد كان من أكبر مؤرخي عصره اعتمد عليه المؤرخون الذين كتبوا عن مصر بعده ، أمثال : ابن خلكان ، والنويري ، وابن حجر العسقلاني ، والسيوطي ، وابن دقماق ، وابو المحاسن ، وياقوت ، والقلقشندي ، والعمرى وغيرهم • مما يدل على قيمة كتبه وأخباره •



-
- (١) ابن خلكان : ١٣٤/١ معجم الادباء : ٢٢٥/٧ •
 (٢) ارشاد الاديب : ياقوت : ٧/٣ •
 (٣) حسن المحاضرة : السيوطي : ٣١٩/١ •

حسن بن أحمد بن علي المعدل

يعتبر الشيخ حسن بن أحمد بن علي المعدل من كبار دعاة الاسماعيلية النزارية في بلاد الشام ، كانت ولادته كما يستدل من المصادر الاسماعيلية السورية في قرية (تعينته) التي تبعد ثلاثين كيلو مترا عن القدموس ، في نهاية القرن السادس الهجري ، تأدب وتلقى العلوم الاسماعيلية في مدارس قلاع الدعوة في سورية التي كانت تمتد على طول الساحل السوري ، والظاهر انه كان ممن يحسنون قرض الشعر ونظم الارجيز الشعرية ، وبالرغم من محاولاتنا الكثيرة لم نعثر له على أي أثر تاريخي يؤكد بالضبط تاريخ ولادته ونشأته ، ولكننا نستنتج من بعض المخطوطات الاسماعيلية السورية التي وجدنا له فيها بعض الرسائل والاشعار والأراجيز ، أنه عاش خلال السبعين عاما التي أعقبت وفاة شيخ الجبل وحجة الامام (سنان راشد الدين) . فاذا علمنا ان وفاة سنان كانت عام ٥٨٨ هجرية اتضح لنا أن الشيخ حسن المعدل عاش ما بين سنة ٥٨٨ حتى سنة ٦٥٨ هجرية ، وقد عاصر أربع أئمة هم : جلال الدين حسن ، وعلاء الدين محمد ، وركن الدين خيروشاه ، وشمس الدين محمد . ونحن نعلم أيضا ان الشيخ المعدل قد توفي ودفن في قرية تعينته على رأس رابية ولا يزال ضريحه موجودا هناك ويزار ، ويعرف لدى العامة بمقام (حسن العدة) .

ويستدل أيضا من بعض أشعاره انه تدرج في رتب الدعوة حتى أصبح مقدا لقوله من قصيدة له :

حسن أنا لي رتبة معروفة بين الحدود مقدم وملازم
وأنا المعدل لا أزال معدلاً نفسي وأخواني فهنّ عزائم

ومن قصائده المشهورة التي يحفظها مشائخ الاسماعيلية غيبا (ألفية المعدل) ، وله غيرها حكم وتعاليم وأراجيز لا بأس بها . ومن رسائله الفلسفية (الرسالة الناطقة ذات العلوم الغامقة^(١)) ورسالة (المبدأ والمعاد^(٢)) .
 وسنحاول في المستقبل أن نجمع جميع أراجيزه وأشعاره في كتاب واحد سنطلق عليه ديوان حسن المعدل ، بالنظر للمكانة الأدبية والفلسفية السامية التي تحتلها بالنسبة للاسماعيليين السوريين الذين يتبارون بمن يحفظ أكثر من أشعار وأراجيز هذا الشيخ الكبير والعالم النحرير .



(١) حقق هذه الرسالة ونشرها ضمن كتاب عنوانه (رسالتان اسماعيليتان) مصطفى غالب .

(٢) المصدر نفسه .

جلال الدين حسن بن أعلا محمد

ولد الامام حسن بن أعلا محمد الملقب (بجلال الدين) سنة ٥٨٢ هجرية في قلعة (ألموت) وأصبح اماما للاسماعيلية بعد وفاة أبيه سنة ٦٠٧ هجرية ، ف شعر بأن الحروب والثورات والفتن والقلاقل التي خاض غمارها الاسماعيليون مع بقية الفرق والممالك الاسلامية ، قد أثرت على الاوضاع الاقتصادية في تلك البلاد ، وشوهت سمعة الاسماعيلية كفرقة اسلامية تتمسك بالقرآن وبالتعاليم الاسلامية الحقبة التي أتى بها جده محمد عليه الصلاة والسلام .

عمل على توثيق عرى المحبة والأخاء بين الاسماعيلية وبين بقية الفرق الاسلامية الاخرى على أساس الصداقة التعاونية المتبادلة بينهما ، وأحدث بعض التبديلات في أصول المذهب الاسماعيلي ليتوافق مع المخطط الاسلامي العام ، وقرب اليه العلماء والفقهاء المسلمين وأغدق عليهم الهدايا والاموال ، وراسل الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، وارسل الى السلطان السلجوقي خوارزم شاه والى كافة الامراء والملوك المسلمين يعلن عن رغبته في التعاون معهم لما فيه خير الاسلام ، وتزوج ابنة حاكم جيلان^(١) . وقام بجولة تفقد فيها شؤون أتباعه في جميع الاقطار استغرقت عاما ونصف ، وكان يقابل أينما توجه بالتعظيم والاجلال والاحترام من جميع الحكام والولاة ، وكان بدوره يتصدق ويتبرع بانشاء المساجد ، والتكايا ، والحمامات ، ومراكز الضيافة في المناطق التي زارها على نفقته الخاصة ، وفي سنة ٦٠٩ هجرية أرسل والدته وزوجته لاداء فريضة الحج ، ولقد استقبلوا بالترحاب على طول الطريق الى مكة المكرمة ، ويعتبر الاسماعيليون عهد هذا الامام من

The shi' a of india : by norman. Hollister p.p. 316 (١)

العهود الذهبية التي مرت عليهم ، فازداد عددهم واصبحوا ذا نفوذ قوي في أذربيجان ، وكوردستان وكيلان ومارندان ، وقزوين ، وخوزستان ، ولارستان ، وكرمان ، وطهران ، وشيراز ، وتبريز وبغداد ، ومصر ، وسورية ، والهند ^(١) . وخلعت على الامام الالقب الكثيرة منها (المسلم الجديد) و (جلال الدين) الخ ...

وتدور حول التقارب الذي أوجده الامام الحسن أحاديث وروايات • رأينا أن نقلها كما وردت ثم ناقشها على ضوء الواقع والحقيقة •

قال براون : « انه خالف سياسة أئمة الاسماعيلية في آلموت وأعلن الغاء جميع المذاهب ، وأعلن نفسه مسلما سنيا ، وعرف (بنيو مسلمان) أو (المسلم الجديد) وقدم خضوعه للخليفة العباسي (الناصر لدين الله) واخذ يوثق علاقاته بين امراء المسلمين ، وبعث أمه الى مكة لاداء فريضة الحج سنة ٦٠٩ هجرية ، وقيل انه استدعى علماء قزوين السنيين وطلب منهم أن يفحصوا جميع الكتب الموجودة في مكتبته ويعدموا ما يرونه منها خارجا عن تعاليم الاسلام ، أو متضنا ^(٢) الالحاد فوثق به جميع الناس ، وخلع عليه الخليفة وقربه ، فحسده (خوارزمشاه) مما أدى الى توسع شقة الخلاف بين خوارزم وبغداد •

وتحالف الامام جلال الدين مع الأتابك (مظفر الدين أذربك) سنة ٦١٠ هجرية ضد (ناصر الدين منكلي) ، وكان الوحيد من بين « مشايخ الجبل » الذي استطاع أن يقضي ما يقرب من سنة ونصف السنة خارج معاقل الاسماعيلية في العراق وايران وأذربيجان ، وقد تحالف في بداية الامر مع « جلال الدين خوارزمشاه » ولكن عندما أخذت طلائع (جنكيز خان)

(١) نور مبین جبل الله المتین : جنارا : (ص ٤٢٠ - ٤٢١) ، تاريخ الدعوة الدعوة الاسماعيلية : ص ٢١٦ .
(٢) تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي : براون : (ص ٥٧٨-٥٧٩) .

تتقدم داخل ايران ، وجد من الحكمة أن يتحالف مع هذا الفاتح الوثني ، فكان رسله أول من قدموا خضوعهم له بعد ما عبر بجيوشه نهر جيحون . وربما أثارت فعلته هذه حنق أتباعه وسخطهم عليه فبعد قليل من الزمن نجده يموت مسموما على يد احدى نساءه فيما يقولون ، في الثاني أو الثالث من شهر نوفمبر سنة ١٢٢٠ = ٦١٧ هجرية (١) » ويذكر كامل حسين فيقول : « على أن الحسن الثالث جلال الدين - حفيد الحسن الثاني - الذي تولى الامر سنة ٦٠٧ هجرية أمر باعادة القيام بالفرائض الدينية كما كانت قبل ظهور جده ، وأمر ببناء المساجد واقامة الآذان للصلاة وقرب اليه الفقهاء والقراء وأغدق عليهم الهدايا والاموال ، بل خطا خطوات أوسع من ذلك ، اذ راسل الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، وأرسل الى السلطان السلجوقي وخوارزم شاه والى غيرهما من الملوك والأمراء يؤكد لهم صدق عودته الى التعاليم الاسلامية والقيام بشعائر الدين وفرائضه ، ففرحت بذلك البلاد الاسلامية ، وأخذ كل ملك يخلع على الحسن الثالث الألقاب ، ومن هذه الألقاب (المسلم الجديد) ، ويظهر أن فرح المسلمين بعودته الى التعاليم الاسلامية كان له أثر في نفس الحسن الثالث ، اذ غالى في اظهار رجوعه الى الحق فاتتهز فرصة زيارة وفود المسلمين فأحرق أمامهم كتب الحسن بن الصباح وكتب الاسماعيلية السرية ، وطعن في الحسن بن الصباح وكل من تولى أمر الاسماعيلية بعده ورماهم بالكفر والالحاد ، ثم بعث أمه وزوجه لأداء فريضة الحج ، وأمر ببناء التكايا على طول الطريق انى مكة المكرمة برسم الفقراء من المسلمين وخاصة للمتصوفين ، وعقد معاهدات الصلح والتحالف مع أعدائه من الملوك ، وبذلك كله اقتنع المسلمون بانه أعاد الاسماعيلية الى الوحدة الاسلامية الكبرى التي مزقتها الفرق المختلفة (٢) » . وقال طه أحمد شرف : « وكان النزارية في ذلك الدور يدعون لامام ظاهر ، ولكن موجة من

(١) تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي: براون: (٥٧٨-٥٧٩) .

(٢) طائفة الاسماعيلية : كامل حسين : (ص ٨٢ - ٨٣) .

الاحاد قد غمرهم ، فأطاحت بتلك السمعة الطيبة التي خلفها شيوخ الجبل الأوائل ، وبخاصة الحسن الصباح ، وكاد هذا يعمل بسقوط دولتهم ، لو لا أن ادعى واحد من هؤلاء الأئمة ، هو الحسن الثالث ، (٦٠٧ - ٦١٨ هـ) الدخول في المذاهب السنية ، واعتناق المذهب الشافعي ، فأرسل أمه لتحتج الى مكة المكرمة ، وتبرأ من المذهب النزاري ، ومن آباءه وأجداده ، فكان ما فعله الحسن الثالث من عوامل الابقاء على الدولة ، لذلك سموه (المسلم الجديد ^(١)) « •

هذه هي بعض الروايات التي وردت في كتب تاريخية متعددة حول التقارب الذي أوجده الامام جلال الدين حسن في عهده ، ونحن لا يسعنا الا أن نرد عليهن فنقول : ان الاسماعيليين منذ وجودهم لم يخرجوا عن نطاق الدين الاسلامي ، ولم يقوموا بتعطيل الشريعة السمحاء ، بل كانت دعواتهم وعلماءهم وفلاسفتهم ينبرون للدفاع عن الدين وعن فرائضه ، عندما كان اعداؤهم يرمونهم بالخروج عن الدين ، ويشتبون للناس أن الأئمة الاسماعيلية أنسا يعملون على تثبيت قواعد الدين التي أتى بها جدهم محمد عليه الصلاة والسلام اسوة بما فعله أبوهم علي بن أبي طالب ، وهذه كتب الاسماعيلية ومؤلفات دعائها وفلاسفتها تثبت ذلك ، وقد غرب عن بال المؤرخين الاسباب التي جعلت الامام جلال الدين حسن ينهد الى التقرب مع بقية الفرق الاسلامية وهي :

١ - الحروب التي كان يشنها العباسيون والسلجوقيون على القلاع الاسماعيلية وسعت شقة الخلاف ، وباعدت الفريقين ، وجعلت من الاسماعيلية فرقة تنظر الى نفسها بانها خارجة على كل عطف اسلامي •

٢ - ازدادت النقمة الاسلامية على شيوخ الجبل في آلموت لما كانوا يتخذونه من مواقف دفاعية في قلاعهم ، فشنوا عليهم حملات اتهموهم فيها

(١) الدولة النزارية : ص ٢٢٣ •

بالاحاد والكفر والخروج عن الاسلام •

٣ - عندما تسلم الامام جلال الدين الامامة رأى بثاقب نظره أنه لا بد من التكاتف مع المسلمين بعد أن أصبحت بلاده تحت تهديد المغول ، فأعلن عن اصلاحات في صميم فروع المذهب الاسماعيلي تقرب ما بين الاسماعيليين والمسلمين ، وازدادت اتصالاته ومخابراته مع امراء المسلمين •

أما ما قيل بأنه استدعى بعثة من فقهاء وعلماء المسلمين للاطلاع على مكتبة ألموت الى آخر الرواية : فنقول هذا شيء طبيعي لا يستحق هذه الضجة والتعليقات ، لان الامام يعلم ان مكتبته لا يوجد فيها الا كل ما يخدم العلم والفلسفة والقضية الاسلامية ، أما قضية طعنه بالحسن بن الصباح وبأجداده وآبائه فلا نكلف أنفسنا بالرد عليها لانها من المصادر التاريخية التافهة التي لا تستحق العناية ولا الرد •

وأخيرا انا نشك بأنه صانع الخليفة العباسي وقدم له الطاعة ، والظاهر أنه رغب في تحسين العلاقات حرصا على وحدة الصف وجمع كلمة المسلمين ، فعمد الى مهادنة الخصوم ، وساهم مساهمة فعالة في بناء المساجد ، والتكيايا على طريق الحج ليظهر للملأ أنه لا يريد للاسلام الا كل خير ، وما قيل حول وفاته مسموما أو مقتولا من قبل المتعصبين من أتباعه فهو شيء طبيعي يجري في كل العصور ولا يشكل شيئا بالنسبة للاسماعيلية •

وعلى العموم كان عهد هذا الامام من أزهي العهود التي سادت فيها كلمة الاسماعيلية في أغلب البلاد الاسلامية ، ولقد عثرنا في كتاب الميثاق على منشور أرسله هذا الامام لاتباعه في جبل السماق بسورية يطلب اليهم فيه الاعتماد على الداعي (شمس الدين بن علي) وتصليح حمام قلعة الكهف الذي تعرض للانهييار ويستدل من هذا المنشور ان الامام جلال الدين حسن كان يتردد من وقت لآخر على سورية ويقوم في قلعة الكهف لاصلاح شؤون أتباعه ومريديه ، وتوفي الامام جلال الدين حسن سنة ٦١٨ هجرية ودفن في قلعت ألموت •

حسن علي شاه الحسيني

(آغا خان الأول)

يعتبر الامام حسن علي شاه أول الأئمة الاسماعيلية الذين استوطنوا الهند . ولعله الامام الاول الذي رمى بثقله الديني في المعترك السياسي ، وكانت له اليد الطولى في تسيير دفة السياسة في ايران لفترة من الزمن .

فداع صيته في جميع أنحاء ايران ، وأصبح له نفوذ واسع ، لما ابتدعته حنكته السياسية من مخططات أثبتت مدى ذكائه ، وتبصره العميق في مجريات الأمور ، علاوة على ما اتصف به من شجاعة نادرة ، وبطولة خارقة ، وقيادة حكيمة^(١) . اسمه الكامل كما ورد في أغلب المصادر التاريخية : الامام سيد حسن علي شاه الحسيني بن خليل الله علي النزازي الشهير (بأغا خان الأول^(٢)) . ولد سنة ١٢١٩ هجرية في بلدة محلات من مقاطعة كرمان في ايران ، وتسلم الامامة بعد وفاة أبيه وهو في الرابعة عشرة من عمره سنة ١٢٣٣ هجرية وباحتفال كبير حضره الشاه فتح علي شاه القاجاري امبراطور ايران ، ووفود عديدة من الاسماعيليين من مختلف أنحاء العالم .

وبهذه المناسبة أعلن الشاه فتح علي عن موافقته على تزويج ابنته الأميرة (سرر جهان خانم) من الامام حسن علي شاه ، ومنحه لقب (آغا خان^(٣)) كما خصص التعويضات للاسماعيلية عما أصابهم من أضرار أثناء اغتيال

(١) طائفة الاسماعيلية : كامل حسين ص ١٧٧ ، نور مبین جبل الله المتين :

جنارا ص ٥٨٣ .

(٢) نور مبین جبل الله المتين : جنارا ص ٥٨٣ .

(٣) معناه بالعربية (سيد السادات) .

الامام خليل الله علي ، ومنحهم الاستقلال الذاتي والحرية الدينية التامة •

ومنذ ذلك الوقت أصبح آغا خان مستشاراً سياسياً للشاه ، يتدخل في كل شاردة وواردة ، حتى أن بعض المؤرخين ذهب الى القول : ان آغا خان كان الحاكم الفعلي لايران من وراء الستار^(١) • وبذلك اشتد ساعد الاسماعيليين وقويت شوكتهم ، فازداد عددهم زيادة ملحوظة •

وفي سنة ١٢٥٠ هجرية أعلنت وفاة فتح علي شاه متأثراً بذات الجنب ، فاختلف الأمراء القاجاريون على تولي السلطة من بعده ، مما أدى الى انقسام البلاد الى قسمين : القسم الأول يتزعمه الأمير محمد بن زكي خان حاكم شيراز ، والقسم الثاني بزعامة الأمير محمد ميرزا حاكم خراسان ، وسارت جيوشهما نحو العاصمة طهران ؛ وهنا وقف (آغا خان) الى جانب الأمير محمد ميرزا وقدم له المساعدات العسكرية ، التي مكنته من الاستيلاء على العاصمة طهران ، مما اضطر خصومه من الأمراء القاجاريين الى عقد راية الصلح ، والموافقة على تنصيبه ملكاً عليهم^(٢) •

ولما استقرت الأمور أعلن الشاه محمد ميرزا تشكيل الحكومة برئاسة (حاجي ميرزا أبو القاسم آكاشي) مدرسه الخاص ، كما عين (آغا خان) قائداً عاماً للجيش الايراني^(٣) ، فوجه جل اهتمامه لملاحقة العصابات ، وفلول الثائرين ، وأدخل أحدث الأساليب التنظيمية في صفوف الجيش ، وقضى على الفساد والرشوة والتمرد التي كانت منتشرة في صفوف الجنود والضباط ، ولما شعر رئيس الوزراء بازدياد نفوذ الآغا خان وقوته ، حقد عليه وأخذ يسعى لدى الشاه لابعاده عن المسرح السياسي والعسكري ، خشية أن يميل اليه الشعب أكثر فأكثر فيستولي على الملك ، وما زال يتذرع بكافة الحجج ،

History of the ismailis by : A. S. Picklay p. 69 (١)

(٢) نفس المصدر ص ٧٠ - ٧١ •

The shi'a of india : by J. N. Hollister p.p. 364 (٣)

ويحيك المؤامرات حتى أصدر الشاه سنة ١٢٥٤ هجرية أمراً باقصاء آغا خان عن الجيش وابعاده عن التدخل في السياسة المحلية ، وقيل ان السبب الرئيسي لنقمة رئيس الوزراء كان بخصوص مساندة رئيس الوزراء لشخص فارسي من عائلة وضيفة جدا ولكنه تمكن من أن يصبح الرجل المفضل لدى رئيس الوزراء الذي كانت السلطة بيده ، وهذا الشخص تجرأ على أن يخطب لولده احدى كريمات (آغا خان) حفيده الشاهنشاه ، فاعتبر الآغا خان هذا العمل اهانة كبرى ، فرفض الطلب بآباء وشمم عظيمين بالرغم من الحاح رئيس الوزراء (١) .

توجه آغا خان الى (محلات) حيث خصص كل أوقاته لرعاية شؤون أتباعه وتقويتهم ؛ وفي هذه الأثناء كان الخلاف بين الانكليز والروس على أشده بسبب مناطق النفوذ في أفغانستان ؛ فاستغل (آغا خان) الاضطرابات التي حصلت في كرمان وأعلن الثورة على الشاه ، وأخذ يهاجم القرى والقوافل حتى ذاع صيته في جميع أنحاء ايران ، وأخذ الايرانيون يتحدثون بأعمال البطولة الخارقة التي قام بها (آغا خان) وأتباعه وتوافدوا عليه وانضموا لجماعته ؛ وبعد صراع مرير ومعارك ضارية ، فشلت الثورة ، وتمكنت السلطات من اعتقال (آغا خان) ووضعها في السجن ، ولكن الشاه أمر باطلاق سراحه وابعاده عن ايران .

عاد (آغا خان) الى كرمان حيث جمع نخبة ممتازة من رجاله الفرسان الأشاوس وتوجه الى أفغانستان ، حيث استقبل من قبل السلطات البريطانية في (كابول) بالترحاب ، وبعد أن استقر مدة قصيرة عبر الصحاري الى السند وقد لاقى في طريقه المشقات والمصاعب ، فتغلب عليها وسار حتى وصل الى (بلوستان) فمكث فيها عدة أسابيع للراحة ثم غادرها الى السند فوصل كراتشي يوم الجمعة ٢٦ رمضان سنة ١٢٦٠ هجرية (٢) . وكانت بريطانيا

(١) مذكرات آغا خان الثالث : ص ٤٤

(٢) نور مبین جبل الله المتین : جنارا ص (٥٨٨ - ٥٨٧) .

في ذلك الوقت تحكّم السند وهي بحالة حرب وتوسع عسكري شمالا وغربا من البنجاب . وفي المراحل الاخيرة من الحرب الافغانية الاولى ، في عامي ١٨٤١ و ١٨٤٢ م أفاد آغا خان وفرسانه الجنرال نوت في كارداهار والجنرال انجلند عندما تقدم من السند للانضمام الى نوت . وكذلك ساعد (آغا خان) في نجاح المفاوضات التي جرت بين بريطانيا وامراء السند في مدينة (كلكتا^(١)) .

عرضت الحكومة البريطانية علي آغا خان أن يبقى في السند ولكنه اعتذر عن قبول هذا العرض وتوجه الى بمباي فوصل (كج) و (وكاتياور) حيث مكث فيها مدة شهرين اجتمع بأتباعه ومريديه الذين توافدوا عليه من جميع أنحاء الهند ؛ وأخيرا قرر الاقامة في بمباي فوصلها عام ١٨٥٤ ميلادية فخفف لاستقباله حاكم تلك المدينة (Sir G. Clark) ورجال السلك السياسي وممثلوا الدول وعدد كبير من الاسماعيلية حيث قدموا اليه ولاءهم . ولكن آغا خان قضى عامين في (كلكتا) بسبب احتجاج محمد شاه لدى الحكومة البريطانية على وجوده في ميناء قريب جدا لفارس مثل بمباي .

وبعد أن انتهى عهد محمد شاه سنة ١٨٤٨ ميلادية أقام آغا خان في بمباي حيث أنشأ (درخاته) أو مقره العام ، وشرعت الوفود الاسماعيلية تأتي الى بمباي من بلدان قسوة مثل : كاشغر وبخارى وجميع أنحاء ايران وسورية واليمن والشايطي الافريقي والاراضي الداخلية^(٢) . وأصبحت قصوره وبيوته تغطي قسما كبيرا من بعض أجزاء المدينة الاكثر كثافة بالسكان، وشملت قسما المدينة الحالية ، مازاغون ، ويكولا ، وامتدت من طريق نسييت الى حسن آباد ، وضمن هذه المنطقة شيدت قصور عظيمة وبيوت

(١) History of the ismailis by : A. S. Picklay : p.p. 76 - 77

(٢) مذكرات آغا خان ص : (٥٨ - ٥٧) ، نور مبين جبل الله المتين :

جنارا ص (٦١٢ - ٦١٣) .

أصغر منها وتوابع لها لا يحصى لها عدد ، وكذلك الحدائق والبساتين ، وحديقة للحيوانات ، واسطبلات عديدة لأن (آغا خان) قد اصطحب معه في هجرته أكثر من ألف من أقاربه ومواليه ومعارفه ومؤيديه الشخصيين والسياسيين ، وكانوا يتراوحون بين أوضاع الخدم وبين الامير الذي كان من سلالة نادرشاه ، الذي انحازوا الى جانب آغا خان واختاروا النفي معه ، وعرف مقر آغا خان الرسمي (آغا هول) وشيد أيضا عدة قصور في بونا (١) .

واهتم بتنظيم شؤون أتباعه ، وشرع بعقد الاجتماعات الدينية العامة في دور العبادة المعروفة باسم (جمعت خانا) وكان يحث فيها أتباعه لتقوية مكائهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وأدخل بعض التنظيمات الحديثة في مراكز الدعوة ، فعين مجلسا أعلى لادارة شؤون الاتباع ومجالس محلية في جميع المناطق ؛ وصرف القسم الأكبر من أموال الخمس والزكاة والنجوى على تأسيس المستشفيات والمدارس والمؤسسات الاجتماعية والعلمية (٢) .

ولما ظهرت نتائج أعمال آغا خان وتنظيماته أقبل الكثيرون من الهندوس على الانخراط في دعوته ، واعتناق مذهبه ، فدبت الغيرة في صدور بعض الفرق الاسلامية فطالبوا الحاكم العام بأن يضع حدا لنشاط آغا خان وأتباعه من (الخوجا) لأنهم فرقة غير معترف عليها رسميا واسلاميا . فاضطر آغا خان الى رفع دعوى لدى رئيس القضاة السير (جوزف ارلوند) مطالبا الاعتراف به كزعيم روحي للاسماعيلية النزارية وبطائفته كفرقة من الفرق الاسلامية وسميت تلك القضية (قضية الخوجات) . وبعد جلسات عديدة وتنقيحات تاريخية ومذهبية أجراها بعض الخبراء ، اعترفت المحكمة المذكورة بقرارها التاريخي العظيم الذي سردت فيه تاريخ حياة اسرة آغا خان منذ عهد علي

(١) المصدر نفسه ص ٥٨ .

(٢) الشيعة في الهند : Hollister ص ٣٧ .

ابن أبي طالب حتى وصول آغا خان الى الهند ، أقول اعترفت بزعامة آغا خان الروحية للاسماعيلية واعتبر اتباعه الذين كانوا يسمون (الخوجات) من الاسماعيلية النزارية ، ومنحتهم المحكمة الحرية التامة في مزاوله نشاطهم الديني كبقية الطوائف والفرق في بلاد الهند ، وقد أقر مجلس اللوردات البريطاني هذا القرار ومنح آغا خان لقب صاحب السمو الملكي وأرفع وسام في المملكة البريطانية للسلام^(١) وتشير أكثر المصادر التاريخية على أن (آغا خان) كان يتدخل في قضايا الهند العامة ويهتم بشؤون المسلمين الهنود .

ويعتبر آغا خان بحق من أعظم الأئمة الاسماعيلية بعد زوال العصر الفاطمي . وكان عالما وفيلسوبا وقائدا محنكا ، ومرشدا عظيما ، يتقن أغلب اللغات الحية ، محبا للسلام ، سياسيا بارعا ، قضى أكثر أيامه في السهر على مصلحة اتباعه ، شغوبا في اقتناء الخيول العربية الأصيلة وتربيتها والاعتناء بها ، محبا للصيد بواسطة الكلاب والطيور الجارحة التي كان يستقدمها من البلاد العربية .

توفي بعد أن خلف أربعة أولاد هم : آغا علي شاه ، وآغا أكبر شاه ، وآغا جهان كيرشاه ، وكنجي شاه ، وكانت وفاته سنة ١٨٨١ ميلادية الموافق سنة ١٢٩٩ هجرية ودفن في (مازكان) في مدينة حسن آباد ولا يزال ضريحه قائما تحف به من كل الجهات حديقة غناء عامرة بالأشجار الوارفة الظلال ، والزهور الفواحة الزكية . ويأتيه الزوار الاسماعيليون في كل المناسبات .



(١) الشيعة في الهند : Hollister ص ٣٧١ ، نور مبين جبل الله المتين : جنارا ص (٦١٢ - ٦١٣) الحكم صدر في ١٢ تشرين الثاني ١٨٦٦ م .

حسن علي شاه

ولد الامام حسن علي شاه بن سيد علي سنة ١٠٤٢ هجرية في بلدة (كوهك شاه نزار) وتولى الامامة الاسماعيلية بعد وفاة ابيه سنة ١٠٧١ هجرية .

نهج نهج ابيه في التقرب من الشاه عباس الصفوي (الثاني) الذي أحله محل ابيه ، وقيل انه تمكن من اقناع الشاه بأن يمنح الاسماعيليين في منطقة كرمان الاستقلال الذاتي والاداري ، على أن يشرف على تسيير أمور الامام بالذات ، بشرط أن تكون ميزانيتها من أموال الامام الخاصة . وظلت كذلك حتى توفي الشاه عباس وخلفه الشاه سليمان صفوي (الأول) ففترت العلاقات بينه وبين الامام نتيجة لمسمى رؤساء الفرقة الاثني عشرية الذين أقنعوا الشاه سليمان ، بأن نفوذ الاسماعيلية السياسي والديني أصبح يشكل خطرا على سلامة المملكة (١) .

ومن جهة ثانية عمد الامام الى رعاية شؤون أتباعه فعين الدعاة الاكفاء أو كما يسمونهم في ذلك الوقت الممثلين والوكلاء والمبلغين في مختلف المناطق ، فاختار (علي أصغر بيك) ومنحه لقب (بير) وسيره الى هندوستان ، وأوفد (محراب بيك) بعد أن لقبه (بير) الى خراسان ، وعلي (أكبر بيك) كلفه بتولي رئاسة الدعوة في ايران ومنحه لقب (بير) . وكذلك عين (بير شمس الدين) في السند ، ومنح أيضا أكبر شخصية سياسية اسماعيلية في ذلك الوقت الذي كان يعمل (حاجب) في البلاط الصفوي (مرزا شاه باقر) لقب (بير) لعموم كرمان . وبواسطة هذه التعيينات والتنظيمات

(١) نور مبین جبل الله المتین : جنارا : ص (٥٥٤ - ٥٥٥) .

نشطت الحركة الاسماعيلية في أكثر المناطق ، وأخذ الناس يقبلون عليها اقبالا تاما وخاصة في السند ، وهندوستان ، وخراسان^(١) .

ومد يد المساعدة للاسماعيلية في سورية فأرسل لهم الأموال والتعاليم والارشادات ، فكانت بمثابة بلسم لجراحهم ، فغادر قسم كبير منهم المدن والتجأوا الى المعقل والقلاع ، وأظهروا شجاعة فائقة في الدفاع عن معقلهم ورد غزوات العثمانيين والنصيرية الذين كانوا يهاجمونهم للنهب والسلب .

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن الامام حسن علي شاه قام بجولة تفقدية الى السند حيث عقد مؤتمرا ضم كبار رجالات دعوته في عموم أنحاء الهند وافغانستان وتركستان وبامير ومثلتان ، تدارس فيه مع نوابه وحججه ووكلاءه أمور الاسماعيلية في جميع أنحاء العالم ، فقرر أن يخصص الأموال الطائلة لمساعدة الحركة الزراعية والتجارية والعلمية ، وعين في كل منطقة لجان خاصة لتنفق بمعرفتها تلك الاموال كفروض تقسط لآجال طويلة ، وقيل انه أمر أتباعه بالهجرة الى البلاد البكر لتأسيس الشركات الصناعية والتجارية ؛ وبالفعل توجه قسم كبير من اسماعيلية الهند الى أفريقيا وبورما وسيلان ومدغشكر .

وبعد عودة الامام حسن علي شاه الى مقره في كدمان اصيب بمرض خطير توفي على أثره سنة ١١٠٥ هجرية ودفن في (نجف شاه) ولا يزال ضريحه مشيدا هناك ويزار .



(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص (٢٥٩ - ٢٦٠) .

الحسن بن الصباح الحميري

يطالعنا بعض المؤرخين والكتاب بين حين وآخر بمعلومات جديدة ، واكتشافات حديثة ، عن حياة الحسن بن الصباح صاحب قلعة « آلموت » ومنشئ الدولة النزارية في فارس ، وأكبر شخصية عسكرية سياسية علمية عرفها التاريخ في القرن الخامس الهجري . يظهر في بعضها مجرماً يتعشق سفك الدماء ، ويعمل على تفويض دعائم الاسلام ، وينشر الفسق والفجور والزندقة ، وفرض السلطان بالقوة والارهاب والبطش والاعتقال ، بينما يعتبره البعض الآخر بطلاً من أبطال التاريخ الذين وهبوا حياتهم لحماية الاسلام وتطهيره من الأدران ولوثات العابثين المبتدعين ، فأحاطوه بهالة من التقديس والتعظيم ؛ ونحن تجاه هذه الآراء المتناقضة المتضاربة لا يسعنا الا أن نقول : بأنها تدل دلالة واضحة على عدم حرص الكتاب والمؤرخين على التأكد من الحقيقة ، وتسرعهم في الحكم على الأمور بغير ثبوت ، وأخذ المصادر على علاتها وعواهنها ، بدون أن يكلفوا أنفسهم لدراسة البيئة والعصر الذي كان يعيش فيه الحسن وأتباعه من المؤمنين المخلصين^(١) ولما كنا نعتبر الحسن بن الصباح علماً من كبار أعلام الاسماعيلية رأينا أن نقدم لمحة مختصرة عن حياته مأخوذة من « كتاب الحسن بن الصباح الحميري^(٢) » الذي ألفناه منذ سنوات ، عسى أن يأخذ الباحث فكرة صحيحة عن حياة هذا العالم الكبير والقائد الحكيم ، ومن أراد التوسع في البحث فليرجع الى كتابنا المذكور حيث يجد كل ما ينشده ويبتغيه الباحث المدقق المنصف والمؤرخ الصادق .

-
- (١) الحسن بن الصباح الحميري لمصطفى غالب المقدمة ص (١ - ٢) .
 (٢) الحسن بن الصباح الحميري تأليف مصطفى غالب تحت الطبع .

ولد الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن الحسين بن الصباح الحبيري^(١) في بلدة (قَمِّمٌ) من أبوين اسماعيليين ، سنة ٣٤٨ هجرية ، وقيل سنة ٤٤٥ هجرية ، وكان أبوه عالما من علماء المذهب الاسماعيلي فوجه جل اهتمامه الى تربيته وتثقيفه حتى تبحر في جميع العلوم والمعارف ، وقيل انه تأدب وتثقف على الموفق النيسابوري في مدينة نيسابور هو وعمر الخيام ، ونظام الملك ، فتواثقت بينهم عرى الصداقة وتعاهدوا على اقتسام المنافع التي يحصلون عليها في حياتهم العملية ، وبحكم هذا العهد قيل ان الخيام قصد نظام الملك وهو يومئذ وزير في دولة السلاجقة ففاز منه براتب سنوي ضم طول حياته . كما وان الحسن قصد نظام الملك وذكره بالعهد ، فعرض عليه احدى الولايات الاسلامية ، ولكن الحسن أبى وطلب الدخول في خدمة السلطان ، وكان غرضه على زعمهم الاستئثار بالوزارة دون نظام الملك .

ولما كانت هذه الرواية بعيدة عن المنطق والتاريخ رأينا أن تناقش القائلين فيها باعتبار ان هذه القصة جزء يسير من الحكايات التي لفقوها حول الحسن وشحنوها بالارهاب والاجرام ، والدليل الواضح على خطئ هذه الرواية التفاوت الظاهر بين سنينهما ، اذ من المعروف تاريخيا ان ولادة نظام الملك كانت عام ٤٠٨ هجرية بينما تشير المصادر التاريخية الى أن الحسن بن الصباح ولد سنة ٤٤٥ هجرية ، ومعنى هذا ان نظام الملك كان في السابعة والثلاثين من عمره عندما ولد الحسن بن الصباح ، فهل من المعقول بعد هذا التفاوت الكبير بين عمريهما أن يتزاملا في الدراسة . وعلى الغالب أن نظام الملك كان يخوض المعترك السياسي عندما ولد الحسن بن الصباح ، وربما كان متزوجا وخطف عددا من البنين والبنات .

وليس غريبا على خصوم الحسن أن يختلقوا الأساطير ويصنفوا الروايات

(١) نسبة الى ملوك اليمن الحميريين انظر (الحسن بن الصباح لمصطفى غالب ص : ٢٧) .

تشويها لسمعته ؛ بدأ الحسن حياته العملية على عادة المتعلمين في ذلك العصر فدخل بخدمة سلاطين السلاجقة وترقت درجته عند السلطان ملكشاه ، وأصبح يستشيريه في شؤون الدولة ، فلم يعجب ذلك نظام الملك الذي رأى في الحسن منافسا له ، فدبر مؤامرة لطرده من ديوان السلطان ملكشاه . وذلك عندما أوعز السلطان الى الحسن بن الصباح أن ينظم سجلا جامعا للموازنة في الدولة ، في مدة أقصاها أربعون يوما ، فتآمر نظام الملك مع أحد غلمان الحسن فقبلوا السجل بعد انجازه بالمدة المحددة رأسا على عقب ، ولما عرض السجل على السلطان طلب من الحسن حساب احدى الولايات فمد يده الى الموضوع الذي وضعه فيه فلم يوفق ، وسحب اخرى فاذا هي كغيرها ، فضاقت صدر السلطان ، عندها اغتتم نظام الملك القرصة ودس على الحسن ، فأمر السلطان بالقبض عليه فتمكن من الفرار وتوجه الى الري وهناك اصطدم بالدعاة الاسماعيلية^(١) فحمي وطيس المناظرة بينه وبينهم ، وقد راعته مقدرتهم العلمية فاجتمع بالداعي (ضراب) الامير وبعد مجادلات واجتماعات عقلانية طويلة قرر أن يجتمع بداعي الدعاة في تلك البلاد (ابن عتاش) الذي ضمه الى صفوفه ورحب به خير ترحيب ، وعينه وكيلا له ونصحه أن يذهب الى مصر ليحضر المجالس والمحاضرات .

وبالفعل غادر الري سنة ٤٦٧ هجرية فمر في طريقه على أصفهان وأذربيجان والموصل وسنجار وسورية وكان خلال تجواله يلقي المحاضرات ويجري المقابلات والمناظرات فسبقتة أخباره الى مصر ، ولما دنا من القاهرة المعزية خرج لاستقباله الدعاة والشيوخ ورجال البلاط ، ولما دخل على الامام المستنصر أكرمه وأمره أن يدعو الناس الى امامته فقال له الحسن : من سيكون الامام بعدك يا مولاي ؟ فأشار المستنصر الى ابنه نزار .

ظل الحسن في القاهرة ثمانية عشر شهرا يتمتع برعاية مولاه المستنصر

(١) الحسن بن الصباح الحميري لمصطفى غالب ص ٤٦ .

وعطفه ويدرس أصول المذهب الاسماعيلي وأساليب الدعوة على أساتذة دار الحكمة التي كانت يومئذ أعظم مركز للعلم والعرفان في الشرق والغرب.

وقيل ان بدر الجمالي تأمر على الحسن بن الصباح أثناء وجوده في مصر فعمل على سجنه ثم طرده من البلاد . وقد أبحر من الاسكندرية سنة ٤٧٣ هـ ونزل بثر عكا وأخذ يطوف المدن والامصار ويدرس الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدينية ويدعو الناس الى اعتناق المذهب الاسماعيلي حتى بلغ أصفهان سنة ٤٧٣ هجرية ، ومن ثم توجه بدعوته الى يزد وكرمان وطبرستان ودامغان وأخيرا وصل الى قزوین واستولى على قلعة ألموت المشهورة سنة ٤٨٣ هجرية . فعمرها وحصنها وأخذ في تنظيم دعائه في فارس وخراسان وبلاد الديلم ، ووجه اهتمامه لاحتلال الحصون والقلاع ليجعلها ملاجئ منيعة تحميه من الاعداء ، فاستولى على قلعتي شاهدوز وخنجان ، بقرب أصبهان وعلى طبس وطون وقائين وزوزان ، وخورخوسف في قهستان وعلى وشمكوه بقرب ابهر وعلى اسناوند في مازندان وعلى اردهان وكركدكوه وقلعة النادر في خوزستان وعلى قلعة الطنبور بقرب أرنجان وعلى قلعة الخلدقان في فارس . وظل الحسن يدعو لامامة المنتصر بالله حتى توفي الامام المنتصر سنة ٤٨٧ هجرية ، وجرى ما جرى من أمر تعيين المستعلي واغتصاب حق نزار في الخلافة ، لذا فقد انتفض الحسن بن الصباح وأتباعه على خلافة المستعلي ونادوا بامامة نزار صاحب الحق الشرعي ، وأرسل جماعة من فدائيته ليأتوه بنزار أو أحد أولاده ، وبالفعل جاء نزار وابنه علي الهادي الى ألموت بعد أن تمكن من الهرب عن طريق سجلماسة .

وبعد أن استقر الامام نزار وولده علي بن نزار الذي لقب بالهادي بعد وفاة أبيه ، شرع الحسن بن الصباح في اجراء التنظيمات الجديدة فأوجد مدارس للعلم لتخريج الدعاة وجمع أكبر عدد ممكن من الشبان الصغار وأخذ يدرّبهم على فنون القتال والدعاية ، وعمل على اصلاح حالة أتباعه

الاقتصادية والاجتماعية فوزع عليهم الاعمال حسب مؤهلاتهم ، فخصص حمل السلاح جماعة ممن اشتهروا بالشجاعة والقوة فجعل منهم نواة طيبة للحامية الاسماعيلية ، وعناصر صالحة لتكوين فرق الفدائية •

وجعل أمور نشر الدعوة والمجادلة بها وفقا على طبقة العلماء الذين يتخرجون من مدرسة الدعوة التي أسسها وأشرف على التدريس فيها بنفسه ، وجعل من الآخرين تجارا وعمالا وفلاحين وأرباب الحرف الصناعية الخ ••• وربط المجموع بوشائج المحبة والاخوة والمساواة • حتى أصبح الفرد يشعر بأنه جزء لا يتجزأ من المجموع (١) •

عرف جماعة الحسن بن الصباح أو الاسماعيلية النزارية بالفدائيين نظرا لما كانوا يقومون به من أعمال بطولية خارقة ، مما جعل أغلب الكتاب والمؤرخين يستغربون هذه الشجاعة والاقدام فأطلقوا عليهم أسماء شتى ووصفوه بصفات أقل ما يقال عنها أنها محض افتراء وكذب ودس وتحامل، وقد سبق أن ناقشنا هذه الناحية أكثر من مرة (٢) وبيننا مواضع الافتراء والدس والتحامل وقلنا ان أساس هذه الكلمة كما رجحها المستشرق (ايثانوف) وغيره من العلماء الذين اهتموا بالابحاث الاسماعيلية محرقة عددا وأصلها على أربعة أوجه :

١ - (Assassant) (أساسان) معناه القتلة وهذه لفظة كان يطلقها الصليبيون على الفدائية الاسماعيلية الذين كانوا يفتكون بملوكهم وقادة جيوشهم فخانوهم ولقبوهم بـ (الأساسان) •

٢ - (Aooasins) نسبة الى رئيس الفدائية (الحسن بن الصباح) أي (حسانان) •

(١) الحسن بن الصباح الحميري لمصطفى غالب ص ٦٢ •

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ١٩٣ • الحسن بن الصباح

الحميري ص ٦٣ •

٣ - حماسون - ذوي حس وشعور •

٤ - عساسون - يقفون الليالي في قلاعهم وحصونهم لحراستها
والدفاع عنها •

وقد عمد الاعداء الى تحريف هذه الكلمات بقصد النيل من سمعة
الحسن بن الصباح وفدائيته ، وليس هذا بجديد على أولئك المؤرخين الذين
باعوا أقلامهم ووجدانهم في أسواق مادية محضة لارضاء رغبات ذوي
الاغراض والحاجات ، وترك الحكم للتاريخ وللمؤرخين المنصفين •

وفي سنة ٥٠٠ هجرية فكر فخر الملك بن نظام الملك وزير السلطان
سنجر أن يثار لأبيه فهاجم قلاع الاسماعيليه ، فأوفد اليه الحسن بن الصباح
أحد فدائيته فقتله بطعنة خنجر ، وبقيت قلاعه في حصار مستمر من قبل
السلجوقيين مدة طويلة •

وفي سنة ٥٠١ هجرت قلعة (ألموت) من قبل السلطان السلجوقي
واشتد الحصار عليها فأرسل السلطان رسولا الى الحسن بن الصباح يطلب
منه الاستسلام ويدعوه لطاعته ، فنادى الحسن أحد فدائيته وقال له القي
بنفسك عن هذا البرج ففعل ، وقال للثاني اطعن نفسك بهذا الخنجر ففعل ،
فقال للرسول اذهب وقل لمولاي انه لدي سبعون ألفا أمثال هؤلاء الذين
يبدلون دماءهم في سبيل عقيدتهم •

وعلى العموم كان الحسن بن الصباح رجلا شهما تقيا ورعا ، ويحكى
انه أمر باعدام أحد أبناءه عندما علم بأنه لا يسير على الطريق القويم ، وكان
موفقا في جميع الحروب التي خاضها ، وليس بغريب أن يخلده التاريخ كأعظم
شخصية علمية سياسية في القرن الرابع والخامس الهجري • ولقد أفاد الدعوة
الاسماعيليه بما قدمه من خدمات جل أن يحصى عددها طوال خمسة وثلاثين
عاما قضاها في خدمة ثلاثة من الأئمة الاسماعيليين هم : المستنصر ونزار وعلي

الهادي وتوفي سنة ٥١٨ هجرية ودفن في قلعة ألموت • جميع مؤلفاته فقدت
بعد أن احتلت قلعة ألموت وقيل انها أحرقت حتى لا تتسرب تعاليمها الى
العامّة (١) •



(١) ذكر ايقانوف في مرشده لحسن بن الصباح أربعة كتب : ١ - الفصول
العربية . ٢ - هفت باي بابا سيدنا . ٣ - اشكال الكره . ٤ - سر كوزاهتي
سيدنا •

حسن علي ذكره السلام

تاريخ الأئمة الذين قطنوا (آلوت) من سلالة نزار بن المستنصر بالله الفاطمي ، فيه الكثير من الغموض ، وفيه الكثير من الوضوح ، ويتجلى كل ذلك فيما كتبه المستشرق ايقانوف ، ومؤلف كتاب نور مبين حبل الله المتين ، وتكاد الآراء تكون متفقة ، على أن بعض الأئمة في (آلوت) تولوا الشؤون الفكرية والدينية ، وانصرفوا عن السياسة والحروب ، بعد أن ألقوها على عاتق حججهم وكبار دعواتهم •

والامام الذي نكتب عنه هو من هذا الرعيل ، فقد كان عهده عهد علم وأدب وفلسفة وعقد مناظرات مع علماء الفرق الأخرى كما يستدل من كتبه وآثاره •

كانت ولادة الامام حسن علي بن الامام القاهر بن محمد بن علي بن نزار سنة ٥٣٩ هجرية^(١) وقيل سنة ٥٠٤ هجرية^(٢) في قلعة (آلوت) •

تولى الامامة بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٧ هجرية ، وقيل سنة ٥٥٢ هجرية^(٣) واحتفلت الاسماعيلية بهذه المناسبة لمدة عشرة أيام ، ووزع الامام المنح والعطايا للفقراء والبائسين من أبناء الشعب • وعرف ذلك اليوم (بعيد القيامة) نظرا لما تخلله من الاحتفالات الكثيرة والافراح العظيمة ، وأتت رسائل التهنة والولاء من جميع القلاع والحصون الاسماعيلية •

كان الامام حسن علي عالما تقيا ورعا لا نظير له في العلوم الفلسفية

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب : ص ٢٠٧

(٢) نور مبين حبل الله المتين لجنارا : ص ٣٩٨

(٣) نفس المصدر : وايقانوف : المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ١٠٢

والدينية ، وجه جل اهتمامه لتنظيم الدعوة فوزع الدعاة الأكفاء على الاقاليم الخاضعة للنفوذ الاسماعيلي ، وسير حجته في العراق (سنان راشد الدين) الى حلب سنة ٥٥٨ هجرية لتولي شؤون الدعوة في شمالي سورية بعد أن فرق شملهم الخلاف الداخلي والتطاحن على الرئاسة •

وفي السادس من ربيع الاول سنة ٥٦١ هجرية توفي الامام الحسن ودفن في قلعة (ألموت) • ويذكر من مؤلفاته الكثيرة التي حرقت بعد الاستيلاء على قلعة ألموت :

١ — كتاب الآثار : وهو في الغزل الصوفي الالهي ، والشعر الغامض العميق •

٢ — كتاب الفصول المباركة : وهو في التأملات الفلسفية القصيرة • وذكر ايشانوف أن أبي اسحق مؤلف كتاب (هفتي بابي) قد اقتبس منه أغلب الافكار •

٣ — كتاب بستان المذاهب •

٤ — كتاب روضة الصفاء •

ولقد اعتبر ايشانوف الحسن على ذكره السلام أول خداوند في ألموت (أي امام) وتناسى ان هناك ثلاثة أئمة قبله هم الهادي والمهتدي والقاص ، وباعتقادي ان ذلك حصل سهوا ، لأن المعروف بأن ايشانوف أكبر باحث مختص في الدراسات الاسماعيلية في العالم •



الحسن بن علي الكلبى

ظلت جزيرة صقلية مركزا للصراع بين المسلمين والروم فترة طويلة من الوقت حتى استولى عليها الاسماعيليون بعد انتصارهم على الأغالبة ، فأصبحت ولاية من ولاياتهم ، وحرصت الخلافة الاسماعيلية في المغرب على الاحتفاظ بهذه الجزيرة نظرا لمكائنها السياسية والاقتصادية . ولما تم للإمام المنصور الفاطمي القضاء على فتنة أبي يزيد الخارجي ولى على جزيرة صقلية أبا الغنائم الحسن بن أبي الحسين بن علي الكلبى^(١) سنة ٣٣٦ هجرية .

عمل هذا القائد الكبير على اخضاع جميع الروم فيها الى الفاطميين ، وتفاقم النزاع بينه وبين أهلها ، الذين استجدوا بالامبراطور قسطنطين الثامن البيزنطي ، فسير جيوشه وأساطيله لغزو جزيرة صقلية ، فاشتبكوا مع جيوش الحسن الصقلية وجيوش المنصور المغاربة ، وبعد قتال عنيف ومعارك ضارية انهزمت الجيوش البيزنطية ، وارغم الحسن الامبراطور على طلب الصلح ، وفتح قلوريه ، كما أخرج الروم من (ترميز) ثم عبرت جيوشه خليج مسيني بين صقلية وقلورية فاضطر الامبراطور الى طلب الهدنة سنة ٣٥٠ هجرية .

وكذلك تمكن باسطوله الصغير من الانتصار على أسطول الأمويين الضخم في ميناء المرية الاسبانية ، وبذلك برهن على مقدرة حرية ممتازة ، وقضى على جميع الثورات في تلك الجزيرة . واستولى على قلعة طبرمين المنيعه سنة ٣٥١ هجرية .

ولما توفي الامام المنصور وخلفه المعز لدين الله أقر الحسن على صقلية ،

(١) ورد هذا الاسم في الكامل لابن الاثير : ١٧٨/٨ الحسن بن علي

ابن الحسين الكلبى .

فعمد الى اعداد الأسطول الصقلي اعدادا تاما ، كما أعد جيوشا برية وزعها على موانيء صقلية الثمانية الشرقية ، وهاجم الروم بعد أن تقضوا الهدنة في موقعة (المجاز)^(١) مما اضطرهم الى عقد الهدنة معه وتعهدوا بدفع الجزية للإمام الاسماعيلي .

وبنفس الوقت سجلت الجيوش الاسماعيلية في موقعة (بلرمو) حاضرة الجزيرة انتصارات عظيمة ، وبمناسبة هذه الانتصارات أقيمت المهرجانات والاحتفالات . وقيل ان الحسن أجهد نفسه بالحفاوة بالجيوش الفاطمية ، بمصافحتهم ومعاقتهم ، فتوفي من الفرح وذلك سنة ٣٥٤ هجرية^(٢) بعد أن أسس لأبنائه ملكا قوي الدعائم في صقلية ومد نفوذ الفاطميين في عهد المنصور والمعز في صقلية وفلورية ، وساهم مساهمة فعالة في هزيمة الروم برا وبحرا وهزم اسطول الأمويين في عقر داره ؛ وأصبح الحكم في تلك الجزيرة مقصورا على أسرته .



(١) ابن الاثير ٢٠٠/٨ .

(٢) ابن خلدون : العبر ٢٠٩/٤ .

أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب

ولد أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي سنة ٢٣٠ هجرية ، أبوه فرج بن حوشب بن زادان الكوفي من ولد عقيل بن أبي طالب ، نشأ في أسرة اشتهرت بالعلم وبخاصة الفقه والحديث^(١) وكان يدين في مستهل حياته بمذهب الامامية الاثنى عشرية ، ثم تحول الى الاسماعيلية على يد الامام الحسين بن أحمد الملقب بعبد الله الرضي ، وأخذ عنه عقائد هذا المذهب وأصبح من خواصه المقربين اليه ، وما زال كذلك حتى أرسله بصحبة علي بن الفضل الى بلاد اليمن حيث تولى رئاسة الدعوة في تلك البلاد ، وقد كتب ابن حوشب عن كيفية اتصاله برياسة الدعوة الاسماعيلية ، وتحوله من مذهب الاثنى عشرية الى المذهب الاسماعيلي فقال : بينما كنت أفكر ذات مرة تذكرت القول المأثور عن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم في سنة ٢٥٢ هجرية من أن المهدي سيظهر بعد اثنين واربعين سنة أي سنة ٢٩٦ هجرية فخرجت الى دجلة ثم أخذت في قراءة سورة الكهف فأقبل شيخ يمشي ، ما نظرت الى أحد يملأ عيني هيبة قبله . فجلس ناحية ، وجلس الرجل بين يديه ، وأقبل غلام فقرب مني ، فقلت : من أنت ؟ فقال حسيني ، فاستعبرت وقلت : بأبي الحسين المخرج بالدماء الممنوع من هذا الماء ! فرأيت الشيخ ينظر الي ، وكلم الرجل الذي بين يديه فقال لي الرجل : تقدم لنا ! فقمتم وجلست بين يديه .

ثم يذكر ابن حوشب الحديث الذي دار بينه وبين هذا الشيخ ، ويبين مبلغ حديث هذا الرجل من نفسه ، وما لاحظته عليه من راحة العقل ،

(١) افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ص ٣ .

ويصف ذلك اليأس الذي تطرق الى نفسه لجهله المكان الذي رحل اليه ،
 وبينما ابن حوشب مطرق يفكر ، اذ انقضت غياهب الاسى عن نفسه حين
 حضر الرجل الذي كان في صحبة الامام وأخبره بمقره^(١) ويقول أبو القاسم :
 « وكان الامام يخصني ويقربني ويرمز بقرب الامر ودنو العصر^(٢) » وقال لي :
 « يا أبا القاسم » ، البيت يمانى ، والركن يمانى ، والدين يمانى ، والكعبة
 يمانية ، ولن يقوم هذا الدين ويظهر الا من قبل اليمن . يا أبا القاسم ، هل لك
 في غربة في الله ؟ قلت : « يا مولاي ! الامر اليك فما أمرتي به أمثله »
 قال : اصبر ، كأني برجل قد أقبل الينا من اليمن ، وما لليمن الا أنت ، فقلت :
 أستعين بالله على ما يرضيك . وهكذا يتضح لنا أن أبا القاسم قد أصبح
 معدا للأمر الذي أراده الامام ، وأصبح موضع ثقته ، وأمله الذي يرجوه ،
 ونرى أن الامام كان على علم بوصول علي بن الفضل عن طريق رئيس
 الدعوة الاسماعيلية في اليمن ، وبالفعل وصل ابن الفضل الى الكوفة
 سنة ٢٦٧ هجرية بعد أن أدى فريضة الحج في مكة ، ولقد وجه اليه أنظار
 دعاة الاسماعيلية فعملوا على استمالته الى دعوتهم ، وقد وجد الامام في
 ابن الفضل الشخص الذي يستطيع أن يعتمد عليه في نشر الدعوة في بلاد
 اليمن فعول على ارساله بصحبة ابن حوشب الذي كان قد أعده لهذه المهمة
 وقال الامام لابن الفضل : « ان هذا الرجل الذي نبعث به معك بحر علم ،
 فانظر كيف تصحبه » ، ثم قال : « الله الله بصاحبك ، وقره واعرف له حقه ، ولا
 تخالفه فيما يراه لك ، انه أعرف منك ، وانك ان خالفته لم ترشد^(٣) » .
 ثم توجه الى ابن حوشب فقال : يا أبا القاسم ! هذا الذي كنا نتظره ، فكيف
 رأيك في الذي عرضته عليك من أهل اليمن ؟ فامثل أبو القاسم لأوامر

(١) Quatremère J. A. Août 1836, p.p. 123 - 131

(٢) افتتاح الدعوة ص ٩ وعيون الاخبار للداعي ادريس عماد الدين ج ٥ ص ٤٠

(٣) افتتاح الدعوة (١٣ - ١٤) كشف أسرار الباطنية ص ٢٣ .

الامام التي قال فيها : « الى عدن لاعة فاقصد ، وعليها فاعتمد ، فمنها يظهر أمرنا ، وفيها تعز دولتنا ، ومنها تفرق دعائنا ، اجمع المال والرجال ، والزم الصوم والصلاة والتقشف ، واعمل الظاهر ، ولا تظهر الباطن ، وقل لكل شيء باطن ، وان ورد عليك ما لا تعلمه فقل لهذا من يعلمه وليس هذا وقت ذكره » ، كما أوصاه بعلي بن الفضل فقال له : « هو شاب قريب عهد بالامر ، فانظر كيف تسوس أمره » • ثم خاطبهما معا بقوله : « أبعثكما الى اليمن تدعوان الى ولدي هذا ، فيسيكون له ولذريته عز وسلطان ، وان الله عز وجل قسم لليمانيين ألا يتم أمر في هذه الشريعة الا بنصرهم (١) » •

خرج الداعيان من الكوفة الى القادسية في نهاية سنة ٢٦٧ هجرية ويقول أبو القاسم : « ولما ودعت الأهل والأحبة متشوقا الى اقطاع الغربة وتوجهت ، فلما خرجت من القادسية أوجست خيفة ، فسمعت حاديا يقول :

يا حادي العيس مليحَ الزَجْرِ بِثَرِّ مَظَايِكَ بَضْوَاءِ الْفَجْرِ (٢)

فسررت واستحسننت ذلك الفأل لما سمعته ، ووافيت مكة في حين قدوم الحجاج من اليمن (٣) • وبعد أن أدى مناسك الحج تابع أبو القاسم مع زميله السير جنوبا حتى وصلا الى غلافِقه في أول سنة ٢٦٨ هجرية وكانت في هذا الوقت بندر المدينة زييد على ساحل البحر الاحمر • ثم افترق الداعيان بعد أن اتفقا على أن يتصل كل واحد منهما بصاحبه ليتعرف أحواله ، فاتجه أبو القاسم الى مدينة الجند ، وكانت غايته عدن لاعة (٤) لأنها كما قال الامام

(١) افتتاح الدعوة ص (١٢ - ١٠) زهر المعاني للداعي ادريس ص (٦٥) •

(٢) افتتاح الدعوة ص (١٤) عيون الاخبار ج ٥ ص ٣٥ •

(٣) افتتاح الدعوة ص (١٤) عيون الاخبار ج ٥ ص ٣٥ •

(٤) ذكر صاحب عيون الاخبار ج ٥ ص ٣١ - ٣٣ : أبو القاسم أخذ

يتنقل من مخلاف بني طريف من ناحية صعدة الى الظاهر ، ثم وصل الى نقيل عجيب ثم دخل صنعاء ، وخرج منها حتى وصل الى الجند ، وكانت غايته عدن لاعة .

الحسين لأبي القاسم : « أقوى لأمرك وأمضي لنا موسك^(١) » . وقد وصل الى عدن لاعة عن طريق بعض تجار هذه المدينة من بني موسى ، كان قد تقابل معهم في عدن أبين ، ولما وصل لاعة أخبره من بها من أهل الدعوة أن الداعي أحمد بن عبد الله بن خليع كان قائما بالدعوة ، ولكن الأمير ابن يعفر قبض عليه ، وتوفي منذ عهد قريب وهو في السجن ، فنزل أبو القاسم في دار من دور ابن خليع ، وتزوج ابنته^(٢) وتقلد مقاليد الدعوة هناك ، أما علي ابن الفضل فقد اتجه الى بلاد يافع الجبلية ، بالقرب من الجند .

نهج الداعيان منهاجا واحدا في نشر نفوذهما في بلاد اليمن ، وقد اتخذوا الدين وسيلة لنشر هذا النفوذ . فأظهر كل منهما الزهد والنقش وصلاح ابتغاء الوصول الى غايته^(٣) وعملا بوصية الامام الحسين بن أحمد^(٤) اليهما ، كما تظاهر كل منهما بالتفقه في الدين والتضلع في المذاهب السنية ، وكانا يأمران بالمعروف ، وينهيان عن المنكر . فمال اليهما كثير من أهل اليمن ، وأقبلوا عليهما من كل فج ، وبخاصة بعد أن أظهرتا دعوتهما علنا في سنة ٢٧٠ هجرية بعد أن قام كل منهما بدعوته سرا لمدة سنتين . فأصبح لكل منهما جماعة كبيرة ، تخلص له الاخلاص كله . وبعد أن قوي حزب كل منهما في جهته عمل على الحصول على الاموال ، لتنفيذ أغراضه ، وللدفاع عن أتباعه . وكانت الزكاة هي السبيل المستقيم الذي يتفق وأمور الدين ، فأمر أبو القاسم من جهة أتباعه بجمعها ، واستعمل عليها منهم ثقاة وعدولا ، يقبضون أعشارهم (أعشار أموالهم) على ما يوجبه الفقه^(٥) .

(١) افتتاح الدعوة ص (١٢) كشف المحجوب ص ٢٤ .

(٢) افتتاح الدعوة ص (١٧) عيون الاخبار ج ٥ ص ٣٨ .

(٣) انباء الزمن ص (٢٠) .

(٤) افتتاح الدعوة ص (١٣) .

(٥) كشف أسرار الباطنية (٢٥) .

ولما هوجم أبو القاسم ، وقتل بعض أصحابه ، أشار عليه بعض مشايخ الدعوة بالاتحاد ، وتديير الدفاع عن كيانهم ، كما سيأتي ذكره . ويحدثنا الداعي أدريس^(١) فيقول : « ان أبا القاسم طلب من أتباعه ألف دينار ، فأعانه بها خمسة منهم . فاستعد بها ، وصعد عبر محرم ، وسكن به ، وأسكن معه خمسين رجلا من وجوه أهل دعوته » . وقد ساعد أبا القاسم على النجاح المستمر الظروف المحيطة ، ففي سنة ٢٧٠ هجرية قتل محمد بن يعفر واختلف أهل بيته فيما بينهم . ولما هاجم اسحاق بن طريف بجيش جرار الاسماعيلية وقتل منهم اثني عشر رجلا ضاق الامر على أبي القاسم فاجتمع بمشايخ الدعوة ، ويقول الداعي أدريس عماد الدين^(٢) « فضاقت الأمر على أصحابه . فاجتمع اليه المشايخ من أهل الدعوة ، وسألوه حسن النظر والتديير لهم . فعرفهم أن ذلك لا يكون الا بحصن يلجؤون اليه ويمتنعون فيه ، فعرضوا عليه حصون البلد ، فاختر منها عبر محرم » .

ومن المحتمل أن يكون أبو القاسم قد اتفق سرا مع بني العرجي ، سلاطين همدان ، وأصحاب تلك البلاد على استعمال بعض الاماكن والحصون في بلادهم ، وبعد أن احتل أبو القاسم عبر محرم ، جمع أتباعه واستولى على جبل الجميعة ، ثم هاجم بيت ريب (وهو رأس مسور) ثلاث مرات ، حتى استولى عليه . فأثار ذلك غضب رؤساء الدويلات ، وأشعلوا نار الحرب في وجه أبي القاسم ، ولكنها كانت حربا فاشلة مكنت الاسماعيلية من تسجيل الانتصارات المتوالية ، ففي سنة ٢٧٠ هجرية امتد نفوذه كثيرا ،

(١) عيون الاخبار ج ٥ ص ٤١ ، قررة العيون لابن الديبع ص ١٢ .

(٢) عيون الاخبار ج ٥ ص ٤٠ ونرى ان الداعي ابن الفضل يسلك نفس الطريق فيأمر أتباعه المخلصين ببناء حصن فوق جبلهم ، ويتم له ذلك في جهة سرو يافع ، والفرض من بناء هذه الحصون لحفظ أموال الزكاة من جهة واتخاذها قواعد لانطلاق الدعاة .

فلقبه الامام « المنصور باليمن^(١) » واستولى على جبل مسور من أعمال صنعاء اليمن ، ودخل الحصن وبرفته ثلاثة آلاف مقاتل ، فحصنه من جديد وبنى فيه دارا للهجرة ليلجأ اليها الاسماعيلية . ولقد أصبح هذا الجبل القاعدة الحربية التي كانت تنطلق منها الحملات الى الجهات المجاورة . واستمر يحوز المعادل ، ويملك مدن اليمن الجلائل ، وأقبل الناس اليه طوعا وكرها ؛ فدخل كثير من بني يعفر وملوك حبير في الدعوة طائعين وكارهين ، وقويت في أرض اليمن دعوته وعلت كلمته^(٢) وكان هذا النصر سببا في أن استعمل الداعي الطبول والرايات ؛ وكان يقول : « والله ما أخذت هذا الأمر بمالي ولا بكثرة رجالي ؛ وانما أنا داعي المهدي الذي بشر به النبي محمد صلى الله عليه وسلم » . فانتقل اليه الناس بأموالهم وأولادهم ، ودخلوا في بيعته ومذهبه^(٣) ولم يقف نشاط أبي القاسم الحربي عند هذا الحد ، بل أرسل جيشا قويا لمساعدة علي بن الفضل سنة ٢٩٩ هجرية حين أحيط به في مخاليف البيض في تهامة^(٤) . وبذلك فك الحصار عن ابن الفضل فعاد سالما الى بلاده .

واستمر أبو القاسم يعمل بجد ونشاط لبناء دولة اسماعيلية حتى أصبح الجزء الاكبر من اليمن خاضعا لنفوذه ، وسر الامام كثيرا عندما وردت اليه الهدايا من اليمن ، وقال لابنه : « هذه أول ثمرة أيامك ، وبركة دولتك » وتمثل بقول الشاعر :

الله أعطاك التي لا فوقها وكم أرادوا منعها وعوقها
 عنك ، ويأبى الله الا سوقها اليك حتى طوقوك ، طوقها^(٥)

-
- (١) افتتاح الدعوة (٣) قرّة العيون ص (١٢) .
 (٢) عيون الاخبار ج ٥ ص (٤١ - ٤٢) .
 (٣) قرّة العيون لابن الديبع ص (١٢) .
 (٤) عيون الاخبار ج ٥ ص (٤٢) .
 (٥) افتتاح الدعوة ص (١٨) .

ولقد شبهه الامام بفجر الدعوة الذي مهد لشمسها بالظهور ، وقد قال فيه الدعاء : « كان أبو القاسم بمثابة الفجر المنتفس ، وبه كشف الله عز وجل عن الأولياء الغمة ، وأثار حداس الظلمة^(١) » وبلغ من ثقة الامام به أن فوضه بارسال الدعاء الى الجهات المختلفة ، فبعث ابن أخيه الهيثم داعيا الى السند حيث استجاب اليه الكثير من أهلها^(٢) وأرسل أبا محمد عبد الله بن العباس داعيا الى مصر^(٣) ووزع الدعاء في سائر البلدان باليمن ، والى اليمامة والبحرين^(٤) والسند والهند ، ومصر والمغرب^(٥) ولما أرسل الامام داعيه أبا عبد الله الشيعي الصنعاني^(٦) الى منصور اليمن قال له : « امثل سيرته ، وانظر الى مخارج أعماله ، ومجاري أفعاله ، فاحتذرها ، وامثلها ، فاعمل عليها^(٧) » فأقام عنده يشهد مجالسه ، ويخرج معه في غزواته ، لا يفارقه ، حتى بعثه الى أرض المغرب^(٨) وأرسل معه ابن أبي الملاحف الذي ما لبث أن عاد لمرض والدته ، فسير مكانه ابراهيم بن اسحق الزبيدي^(٩) وكان أبو القاسم قد أرسل الداعيين الحلواني وأبا سفيان الى بلاد المغرب من قبل .

(١) غاية المواليد (٤٨ - ٤٩) .

(٢) افتتاح الدعوة ص ١٨ عيون الاخبار ج ٥ ص ٣٨ .

(٣) عيون الاخبار ج ٥ ص ٣٨ .

(٤) وجه أبو القاسم نظره الى اليمامة ، بسبب قيام دولة بني الأخيضر العلوية (ابن حزم أنساب العرب ص ٤١) ، واعتقد أن أهلها سيرحبون بالدعوة الاسماعيلية ، لذلك بعث اليها الدعاء لنشر المذهب الاسماعيلي (القلقشندي :

صبح الاعشى ج ١ ص ١١٩ - ١٢٠) .

(٥) افتتاح الدعوة ص ١٩ .

(٦) واسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا ، وكان ذا علم وعقل ودين

وورع وامانة ونزاهة (افتتاح الدعوة ص ٣٢) .

(٧) المنصوري : زبدة الفكرة ج ٥ ص ١٥٤ .

(٨) غاية المواليد ص ٤٩ عيون الاخبار ج ٥ ص ٤٢ .

(٩) عيون الاخبار ج ٥ ص ٥١ .

وكان هؤلاء الدعاة كما يقول العيني^(١) يدعون الى محمد الحبيب والد عبيد الله وكان يسمى الهادي^(٢) وكان بسلمية ، ولما علم أبو القاسم بوفاتها (أي الحلواني وأبي سفيان) قال لأبي عبد الله الشيعي : « ان أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان ، وقد ماتا ، وليس لها غيرك ، فبادر ، فانها موطأة ممهدة لك » .

والخلاصة أن أبا القاسم المنصور كان دعامة قوية من دعائم الدعوة الاسماعيلية التي أسسها في بلاد اليمن على أكتافه ثم جعل من اليمن مدرسة لتخريج الدعاة وتوزيعهم في جميع أنحاء العالم ، وقد بقي الى آخر حياته أميناً في مهمته ، وأنه ظل على إخلاصه بالرغم مما تعرض اليه أثناء صراعه مع ابن الفضل الذي سعى لتكوين دولة يمنية مستقلة عن العباسيين والفاطميين ، وقد حفر ابن الفضل قبره بيده ، بسبب ثورته على رئيسه أبي القاسم وكانت ثورة ابن الفضل على الدعوة من أهم العوامل التي أدت الى ضعف الحركة الاسماعيلية في بلاد اليمن ، لأن أعداء الدعوة اغتتموا هذه الفرصة وحملوا على كل أنصار الدعوة حملة شعواء .

وترك هذا الداعي الكبير مؤلفات علمية وفلسفية أهمها :

- ١ — كتاب تأويل الزكاة .
- ٢ — كتاب البيان لمباحث الاخوان .
- ٣ — كتاب أسرار النطقاء .
- ٤ — كتاب الكشف .
- ٥ — كتاب الانوار الفضية في معرفة الانفس الذكية .
- ٦ — كتاب الايضاح .
- ٧ — رسالة الرشد والهداية .

(١) عقد الجمان ج ١٣ ص ١٥٣ .

(٢) المنصوري : زبدة الفكرة ج ٥ ص ١٥٤ السلوك للجندي كاي ١٤٣ .

• هذا عدا عن الترتيبات والتنظيمات الكثيرة التي أجراها بين الدعوة •

وقبل وفاته ضرب مثلاً رائعاً للولاء والاخلاص ، ذلك أنه لم يعين أحداً من أبنائه لرياسة الدعوة بل ترك الباب مفتوحاً للإمام المهدي وقال في وصيته : « قد أوصيتكما بمبدأ الأمر فاحفظاه ، ولا تقطعا الدعوة فنحن غرس من غرسها ، ولولا ناموس الأئمة وما دعونا به اليهم ما صار الينا من الملك ما قد نلناه ، فعليكما بمكاتبة القائم منهم وأوصيكم بطاعة المهدي حتى يرد أمره بولاية أحدكما ، ويكون كل واحد منكما عوناً لصاحبه » •

• وكانت وفاته سنة ٣٠٣ هجرية •



أبو سفيان الحسن بن القاسم

قام دعاة الاسماعيلية الأول بدور خطير في الحياة السياسية والاجتماعية ، في بلاد المغرب التي كانت تلاقي التعسف والظلم على أيدي حكامها السابقين ، وكان يسودها الجهل والفقر ، وتسيطر عليها الحياة القبلية والعشائرية •

ولدعاة الاسماعيلية أثر في تاريخ المغرب حافل بالحوادث والتيارات ، ويذكر التاريخ بأن أنظار الأئمة الاسماعيليين اتجهت الى تلك البلاد نظرا لبعدها عن مركز الخلافة العباسية ، ولما كانت تعانيه من اهمال وفوضى في الادارة والحكم • مما حدا بالامام عبد الله بن محمد بن اسماعيل (الوفي أحمد) الى التفكير في ارسال بعثة من كبار الدعاة الافذاذ ليمهدوا الى فكرة انشاء دولة اسماعيلية في المغرب (١) •

وقد وقع اختيار الامام على الداعيين الكبيرين (أبي سفيان والطلواني) فسيرهما الى مركز الدعوة في اليمن بعد أن قال لهما : « انكما ستدخلان أرضا بورا لم تحرث قط فاحرثاها وكرماها وذلاها حتى يأتي صاحب البذر فيضع فيه (٢) » •

وتشير المصادر الاسماعيلية السرية الى أن ولادة الداعي الكبير والعلامة التحرير أبي سفيان كانت في الكوفة ، واسمه الحسن بن عبد الله بن القاسم التميمي الكوفي سنة ١٩٥ هجرية ، رحل من الكوفة الى مقر الدعوة الاسماعيلية في سلمية حيث انخرط في سلك الدعاة وشاركهم في أبحاثهم

(١) قيل ان الامام الذي فكر في ارسال البعثة هو محمد بن اسماعيل وهذا خطأ . فالاصح ما ورد اعلاه .

(٢) ابن الاثير : الكامل : ١١٠/٨

العلمية والفلسفية وقيل انه من واضعي رسائل اخوان الصفاء • ولما انتخب ليكون داعيا في المغرب توجه بصحبة الحلواني الى اليمن ومنها الى المغرب حيث نزل بمدينة كتامة وقيل مدينة (مرماجة) وأخذ ينشر دعوته بين صفوف الكتاميين فمالت اليه قلوبهم وحملوا اليه الهدايا والتحف والأموال • وظل يعمل بجد ونشاط ، وهو على اتصال مستمر في مركز الدعوة باليمن وفي سلمية عن طريق التقارير التي كان يرسلها بواسطة الحمام الزاجل ، حتى أصابه مرض شديد توفي على أثره في سنة ٢٦٥ هجرية بعد أن نفد جميع التعليمات والارشادات التي زود بها عندما غادر سلمية •



حسن بن محمد بن علي بن نزار

يعتبر ثالث الأئمة النزاريين في (آلموت) وكان على جانب كبير من الذكاء والمقدرة العلمية والادارية فقبض على زمام الأمور بيد حديدية ، وأذاع سجلا على مختلف المناطق الاسماعيلية أقر فيه الداعي (محمد بن كيا بزرک) آميد) حجة له وفوضه بالاشراف على الأمور السياسية والعسكرية .

قال : « ان محمد بن كيا بزرک هو حجتنا وداعتنا ومثلنا ، فعلى جميع من هم على عقيدتنا أن يطيعوه في الأمور الدنيوية ، وأن يأتروا بأوامره ، ويعتبروا كلماته من وحي الله ، وان لا يخالفوا له أمرا ، بل يتقيدوا بها ويعملوا بموجبها كما لو كانت من لدنا » ولقب (بالقاهر بقوة الله) .

كانت ولادة الامام الحسن بن محمد بن علي بن نزار بن المستنصر الفاطمي الملقب (القاهر بقوة الله) سنة ٥٢٠ هجرية في قلعة آلموت وتسلم الامامة بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٢ هجرية باحتفال مهيب حضره الاسماعيلية من جميع القلاع والمناطق ، ووزع الامام الأموال والصدقات على الفقراء والمعوزين .

وبعد أن انتهت الاحتفالات وجه جل اهتمامه لدراسة أحوال أتباعه فأوعز اليهم أن يتعاطوا التجارة وزودهم بالأموال الطائلة ليتمكنوا عن طريق تنقلاتهم بقصد التجارة من نشر دعوتهم سرا^(١) .

ولم يخل عهد الامام القاهر من الحروب والغزوات وهجمات الاعداء التي استمرت عدة سنين وكانت الحروب سجلا بين الاسماعيلية والسلاجقة ،

(١) نور مبین جبل الله المتین : لجنارا : ص ٣٩٢ .

وتمكن الاسماعيلية من القضاء على التركمان المجاورين لهم واحتلوا قلاعهم ،
وفرضوا على قوافل التجار التي كانت تعبر المناطق الواقعة تحت نفوذهم
الضرائب والأموال •

ولما شعر الامام القاهر بأن دعوته في العراق قد اتناها بعض الفتنور
أوفد ابن عمه وكبير دعاة الموثوق به (أبا الحسن سنان بن سليمان بن محمد)
الى البصرة وأمره أن يشرف بنفسه على اعادة تنظيم الدعوة هناك وزوده
بتعاليم وارشادات أكبر عوناً له لأداء مهمته (١) •

وقيل انه جعل من القلاع الاسماعيلية طوال عهده أسواقاً تجارية تعج
بالآلاف التجار الوافدين اليها من مختلف المناطق ، ذلك ما ساعده على
ارسال الدعوة بصفة تجار الى الهند وافغانستان ، وتركيا لنشر الدعوة وبذر
بذور المذهب الاسماعيلي •

وفي سنة ٥٥٧ هجرية نص على امامة ولده (الحسن علي) وتوفي في
هذا التاريخ ودفن في قلعة (ألموت) •



(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : لغالب : ص ٢٠٤

المعلم

الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الصنعاني

أبو عبد الله الشيعي

هو الحسين^(١) بن أحمد بن محمد بن زكريا ولد في (رامَ هُرْمُز^(٢)) وكان محتسبا بسوق الغزل من البصرة في العراق ، ويعرف بالمعلم لأنه كان يعلم الناس مذهب الامامية الباطنية ، كما كان يطلق عليه أيضا اسم الصوفي ، لأنه كان يلبس الخشن من الثياب ، ومرقعات الصوف . اتصل بالامام عبد الله الرضي فأنس فيه الكفاية والذكاء . فأوفده الى بلاد اليمن سنة ٢٧٨ هجرية ليدرس اصول المذهب الاسماعيلي على ابن حوشب داعي دعاة الاسماعيلية في اليمن ، وأمره الامام أن يطيع ابن حوشب ويقتدي بسيرته ، ثم يذهب بعدها الى المغرب ويقصد بلدة كتامة ، فلما بلغ الى ابن حوشب لزمه ، وشهد مجالسه ، وتثقف في مدرسته ، وأفاد من علمه ، فصار من أخلص أصحابه .

وعندما علم ابن حوشب بموت أبي سفيان ، الداعي الاسماعيلي في المغرب ، عهد الى أبي عبد الله الشيعي القيام بالدعوة وقال له : (ان أرض كتامة من بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان ، وقد ماتا ، وليس لها غيرك فبادر فانها موطأة مهدة لك^(٣)) .

غادر أبو عبد الله اليمن متوجها الى مكة ؛ وقد زوده ابن حوشب بما يحتاجه من المال . فلما وصل الى مكة ، سأل عن حجاج كتامة واجتمع بهم ؛

(١) وقيل الحسن .

(٢) قال ياقوت (مدينة مشهورة بنواحي خوزستان) وقيل أصله من صنعاء

باليمن ولذلك لقب (الصنعاني) .

(٣) اتعاظ الحنفا للمقريزي ص (٦٨ - ٦٩) .

فسمعهم يتحدثون بفصائل آل البيت ، فحدثهم في ذلك وزاد القول في
 مآثر أهل البيت • ثم نهض فسألوه أن يأذن في زيارته لما رأوا من علمه
 وعقله ؛ فأجابهم الى ذلك • فأخذوا يترددون عليه وسألوه أين يقصد ، فقال
 انه يريد مصر • فسروا بصحبته ، ورحلوا جميعا من مكة ، وما لبثوا أن
 تعلقوا به واجتمعوا على محبته لما رأوا من ورعه وزهده ، وهو في ذلك كله
 يسألهم عن أحوال بلادهم وعن مبلغ اطاعتهم لأمرهم ، فقالوا : « ليس له
 علينا طاعة ، وبيننا وبينه عشرة أيام » • وهكذا اتيح له أن يقف على جميع
 أحوالهم • فلما وصلوا مصر أخذ يودعهم ؛ فشق عليهم فراقه وسألوه عن
 حاجته بمصر فقال : انه ليس له بها حاجة الا طلب العلم ؛ فقالوا له : « فأما
 اذا كنت تقصد هذا ، فان بلادنا أنفع لك وأطوع لأمرك ، ونحن أعرف
 بحقك^(١) » وما زالوا به حتى أجابهم الى المسير معهم ؛ واستأنفوا السير
 حتى أصبحوا على مقربة من بلادهم كتامة وقد خرج الى لقائهم أصحابهم
 الذين أينعت وأثمرت فيهم تعاليم الاسماعيلية على يد الحلواني وأبي سفيان
 من قبل ، وكان وصولهم الى أرض كتامة في منتصف شهر ربيع الأول
 سنة ثمان وثمانين ومائتين ، فسأله قوم منهم أن ينزل عندهم حتى يقاتلوا
 دونه ، فقال لهم : « أين يكون فج الأخيار ؟ » فعجبوا من ذلك ، ولم يكونوا
 ذكروه له ، فقالوا له : (عند بني سليمان^(٢)) فقال : اليه تقصد ، ثم تأتي
 كل قوم منكم في ديارهم ، ونزورهم في بيوتهم ، فأرضى بذلك الجميع ،
 وسار الى جبل يقال له : « ايكجان » وفيه فج الأخيار فقال : هذا فج
 الأخيار ، وما سمي الا بكم ، ولقد جاء في الآثار : أن للمهدي هجرة تبو
 عن الاوطان ، ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان ، قوم اسمهم مشتق
 من الكتمان ، فانهم كتامة وبخروجكم من هذا الفج سمي فج الأخيار ،

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزي ص (٦٩ - ٧٠) تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٨

(٢) ابن الاثير ج ٨ ص ١٢ •

فتسامعت القبائل ما أذهل عقولهم ، وأتاه البربر من كل مكان ، فعظم أمره الى أن تقاطلت كتامة عليه مع قبائل البربر ، وسلم من القتل مرارا^(١) واجتمع أهل العلم على مناظرته وقتله ، فمنعه الكتاميون من المناظرة وكان اسمه عندهم : « أبا عبد الله المشرقي » وما لبث أن كشف عن قصده ، فقال لرجال كتامة : « أنا صاحب البذر الذي أخبر به أبو سفيان والحلواني^(٢) » اللذين أرسلهما الامام الاسماعيلي لبث الدعوة في بلاد كتامة ، فازدادت محبتهم له وعظم أمره فيهم ، وأتته القبائل من كل مكان^(٣) ويقول ابن الأثير أن البربر وكتامة تفرقت بسببه ، وأراد بعضهم قتله فاختمى ووقع بينهم قتال شديد ، فاتصل الخبر بالحسن بن هارون وكان من أكابر كتامة ، فأخذ أبا عبد الله اليه ودافع عنه ، ومضى به الى مدينة « تامروت » فأتته القبائل من كل مكان وعظم شأنه ، وصارت الرياسة للحسن ابن هارون ، وسلم اليه أبو عبد الله أعنة الخيل ، وظهر من الاستتار ، وشهد الحروب ، فكان الظفر له وغنم الاموال ، وخذق على مدينة تامروت^(٤) ، وقد زحفت اليه قبائل المغرب ، واقتتلوا عدة مرات كان له فيها الظفر ، وصارت اليه أموالهم ، فاستقام له أمر البربر وعامة كتامة ، واتخذ أبو عبد الله دار هجرة في فجج الأخيار في ايكجان الواقع في بلاد كتامة وجعله مقرا لدعوته ومجمعا لأنصاره من البربر^(٥) .

ولقد كان مركز أبي عبد الله محوطا بكثير من المصاعب . فتمكن من القضاء على كافة المؤامرات التي حاكها زعماء المغاربة وفقهاؤهم ليحولوا دون نشر الدعوة الاسماعيلية . فتكاثر الداخلون فيها وقوي أمره ، لما أوتيه

(١) ابن الأثير ج ٨ ص ١٢

(٢) ابن خلدون ج ٤ ص ٣١

(٣) البكري : المغرب ص ٦٣ - ٦٤ اتعاظ الحنفا للمقريري ص ١٣

(٤) ابن الاثير ج ٨ ص ١٢ اتعاظ الحنفا ص ٧٨

(٥) Gautier, les siècle obscurs du Maghreb, p. 318

من الفصاحة والعلم والذكاء • وانتشرت جيوش أبي عبد الله في بلاد المغرب، وعم نفوذه أكثر أجزاء تلك البلاد، وأصبح الاسماعيلية في ذلك الوقت أصحاب السلطان المطلق في جميع الجهات الواقعة الى الغرب من مدينة القيروان، واتبع أبو عبد الله الشيعي سياسة تنطوي على الحكمة وبعد النظر واقرار العدل بين الناس •

وبعد أن استقر هذا الداعي الكبير في بلاد المغرب رأى من الانسب كما هي عادة الدعاة الاسماعيلية (الرجوع للامام في كل مناسبة) أن يعلم امامه في السلمية عما وصلت اليه دعوته من نجاح فسير أخاه أبا العباس محمد بن أحمد على رأس وفد من اسماعيلية المغرب^(١) لينقل للامام المهدي الأخبار والتفاصيل بما فتح الله على يده وانه ينتظر أوامره اذا ما شاء أن ينقل مقر دعوته الى المغرب لأن السلمية لم تعد مكانا صالحا لاقامة الأئمة الاسماعيليين المستورين بعد أن ازداد النشاط الاسماعيلي في المغرب واليمن تقدما وازدهارا بالاضافة الى ان الخليفة العباسي قد شدد في طلب القبض على الامام الذي تروج الدعوة باسمه بعد أن بلغه ما توصلت اليه الدعوة الاسماعيلية من تقدم وازدهار^(٢) •

أخذ أبو عبد الله يواصل فتوحه منذ رحل وفده الى السلمية ففي سنة ٢٩٥ هجرية تمكن من بسط نفوذه على معظم أرجاء افريقية • وفي يوم الاحد مستهل رجب سنة ٢٩٦ هجرية دخل مدينة رقادة (وتقع جنوبي القيروان) واستقر في دار الامارة • وبهذا تكملت أعماله بالنجاح، ولما كان يوم الجمعة أمر الخطباء في القيروان ورقادة فخطبوا وأبطل ذكر اسم الخليفة العباسي في الخطبة، وأدخل عبارة (حي على خير العمل) وأضيفت اليها أسماء

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص (١٠١) المواعظ والاعتبار

ج ٢ ص ١١ •

(٢) ابن الاثير ج ٨ ص ١٤ •

« علي وفاطمة والحسن والحسين » • وبهذا زالت سلطة العباسيين الاسمية والفعلية عن هذه البلاد • وأمر الداعي بالسكة فضربت من غير أن ينقش عليها بل جعل في أحد وجهيها : « بلغت حجة الله » ، وفي الوجه الآخر « تفرق أعداء الله » ونقش على السلاح : « عدة في سبيل الله » ، ونقش على خاتمه الذي يختم به : (فتوكل على الله ، انك على الحق المبين) ونقش على خاتمه الذي يستخدمه في الطبع على السجلات : (وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته) وكان اذا ركب نودي في الجيش : يا خيل الله اركبي ، ووسم الخيل على أفخاذها : « الملك الله » وعلى أعلامه : « سيهزم الجمع ويولون الدبر » وأقام على ما كان عليه من لبس الدرر الخشن والقليل من الطعام الغليظ^(١) •

ولما استقرت الأمور لأبي عبد الله في رقادة وسائر البلاد الافريقية أتاه أخوه (أبو العباس محمد بن أحمد) ففرح به ، الا أنه حزن حزنا شديدا لما اعلمه بأن الامام قد وصل الى سجلماسة وألقى عليه القبض واليها العباسي، فبادر لجمع جيوش الاسماعيلية التي بلغ عددها مائتي ألف فارس وراجل ، وخرج في أول شهر رمضان سنة ٢٩٦ هجرية من بلدة (رقادة) فاهتز المغرب لخروجه وخافته قبيلة زناته ، وزالت القبائل عن طريقه ، وجاءته رسلها ودخلوا في طاعته^(٢) •

كتب ابو عبد الله كتابا الى الامام يبشره بقدمه وقد أرسله مع بعض ثقاته فدخل الى السجن بذئ قصاب وسلم الكتاب للامام •

طوقت جيوش أبي عبد الله الداعي سجلماسة عدة أيام فقاتل اليسع ابن مدرار حتى دحرت جيوشه وحاول الفرار فألقي عليه القبض ، وقيل جلد

(١) يحيى بن سعيد (ص ١٠٧) وابن الأثير (ج ٨ ص ١٧) ••

(٢) انعاظ الحنفا ص(٨٤ - ٨٩ - ٩٠) ابن الأثير ج ٨ ص(١٩ - ٣٢ - ٣٤)

حتى مات ، وقيل اعتنق المذهب الاسماعيلي فاطلق سراحه • وقيل أيضا أنه في اليوم الثاني من وصول الجيوش الاسماعيلية هرب اليسع بن مدرار أمير المدينة ليلا ، وقد حمل معه أقاربه وأمتعته ، فدخل أبو عبد الله وأصحابه البلد ، وأتوا مكان الامام المهدي فأخرجوه وأخرجوا ابنه أبا القاسم • وكان خروجه من السجن في السابع من ذي الحجة سنة ٢٩٦ هجرية • وهكذا زال ملك بني الاغلب من افريقيا وملك بني مدرار بعد أن استمر ١٠٣ سنوات بسجلماسة • وبويع الامام الاسماعيلي المهدي من عامة مسلمي سجلماسة ، وسرت الجماهير سرورا عظيما كاد يذهب بعقولهم ثم اركب الامام على جواد ومشى بركابه أبو عبد الله الداعي ورؤساء القبائل وكان الداعي العظيم يبكي ويقول مخاطبا الناس (هذا مولاكم) هذا هو الامام المين ، هذا الذي دعوتكم لامامته فأسرعوا الى لثم ركابه وادخلوا في طاعته تكتب لكم السعادة في الدارين فتقدم اليه خلق كثير (١) •

ومنذ ذلك اليوم المشهود قامت الدولة الفاطمية الاسماعيلية في كل شمال افريقية الذي خرج عن سلطان العباسيين ومن ثم توجه الامام المهدي الى رقادة فخف لاستقباله أهلها وأهل القيروان ، وسار بين يديه أبو عبد الله الشيعي ورؤساء كتامة فسلموا عليه بالخلافة وبايعوه على الطاعة (٢) •

نزل الخليفة الفاطمي الجديد بقصر من قصور رقادة ، وفي يوم الجمعة ذكر اسمه في الخطبة على منابر تلك البلاد ، وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين ، واستقر تقدمه ، ودانت له أهل البلاد : واستقامت له الاحوال ، فباشر الأمور بنفسه وسنفرد بحثا خاصا عن الامام المهدي في غير هذا المكان •

واذ نحن تقترب من نهاية بحثنا عن حياة الداعي الكبير أبي عبد الله

(١) تاريخ الدولة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص (١٠٤) •

(٢) اتعاظ الحنفا ص ٩٤ وابن الأثير ج ٨ ص ١٩ •

الشييعي مؤسس الدولة الاسماعيليه في المغرب لا بد لنا من التعرض لمزاعم بعض المؤرخين حول مصير الداعي الكبير ، ومناقشتها على ضوء الواقع والحقيقه والتجرد .

قيل : ان المهدي عندما تولى الأمور بنفسه كف يد أبي عبد الله ويد أخيه أبي العباس ، فداخل أبا العباس الحسد ، وعظم عليه الفطام عن الأمر والنهي ، والأخذ والعطاء ، فأقبل يزري على المهدي في مجلس أخيه ، ويتكلم فيه وأخوه ينهاه ، فلا يزيده ذلك الا لجاجا ، وقال له : « ملكت أمرا فجئت بمن أزالك عنه ، وكان الواجب عليه الا يسقط ححك^(١) » وما زال به حتى أثر في قلب أبي عبد الله فقال يوما للمهدي : « لو كنت تجلس في قصرك وتتركني مع كتامة أمرهم وأنهاهم لأنني عارف بعاداتهم لكان ذلك أهيب لك في أعين الناس » وأخذ أبو العباس يسر الى المقدمين بما في نفسه ... فأثر قوله في قلوب كثير من الناس ، منهم انسان من كتامة يقال له : « شيخ المشايخ » فواجه المهدي فقتله المهدي .. وخاف أبو عبد الله ، وعلم أن المهدي قد تغير عليه ، فاتفق وأخوه ومن معهما على الاجتماع عند أبي زاكي ، وعزموا على قتل المهدي ، واجتمع معهم قبائل كتامة الا قليلا ، فعلم المهدي صحة ما قيل عنه ، فلاطفهم وفرقهم في البلاد ، وجعل أبا زاكي واليا على طرابلس ، وكتب الى عاملها أن يقتله عند وصوله ، فلما وصلها قتله عاملها ، وأرسل رأسه الى المهدي ، وأمر المهدي عروبة ورجالا معه أن يرصدوا أبا عبد الله وأخاه أبا العباس ويقتلوهما فلما وصلا الى قرب القصر حمل عروبة على أبي عبد الله ، فقال : « لا تفعل يا بني » فقال : « الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك » فقتل هو وأخوه يوم الاثنين النصف من جمادي الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة وصلى عليه المهدي وقال : « رحمك الله أبا عبد الله وجزاك خيرا بجميل سعيك » .

(١) اتعاظ الحنفا ص ٩٥ ابن الأثير ج ٨ ص ٢٠

هذه الرواية لا يمكن الاعتماد عليها مطلقاً لأنها تناقض نفسها بنفسها
اذ كيف يعمد هذا الداعي الذي كان له الفضل الأكبر في تأسيس الدولة
الاسماعيلية الى التآمر على أمامه وهو يعلم حسب المفهوم الاسماعيلي بأن
مركز الامام أسمى المراكز البشرية ولا يمكن له أن ينهد اليه وهو الذي كان
بوسعه لو شاء ذلك أن يفعله قبل قدوم الامام . وعلى العموم هذه القصة
محض افتراء قصد منها تشويه سمعة الامام الاسماعيلي ، اذ كيف يلمس
الامام تأمر داعيه عليه ويأمر بقتله ، ثم يعمد الى الصلاة عليه والثناء على
أعماله ، والخلاصة كان هذا الداعي أحد رجالات العالم القائمين على
الدول واقامة الممالك العظيمة من غير مال ولا رجال وقد توفي في رقادة
سنة ٢٩٨ هجرية وصلى عليه الامام المهدي .



ابن سينا

حسين بن عبد الله

أدهشت عبقرية ابن سينا الذي ظهر في عصر كثرت فيه مباحث النظر ، ومذاهب الفلسفة ، ومدارس الحكمة والتصوف ، العلماء والمستشرقين في الشرق والغرب ، فلقبه بعضهم بأرسطو الاسلام وبقراطه . وسيظل التاريخ على مر الدهور يحمل في صفحاته أمجاد ابن سينا الخالدات .

ولد حجة الحق وشرف الملك الشيخ الرئيس أبو علي حسين بن عبد الله ابن حسن بن علي بن سينا في شهر صفر سنة ٣٧٠ هجرية في بلدة (أفشيناه) من أعمال (خرمين) من أبوين اسماعيليين . أبوه عبد الله من كبار دعاة الاسماعيلية ، وأمه ساره من عائلة عريقة باسماعيليتها . وكان والده عبد الله قد جاء من (بلخ) وعمل موظفا في حكومة السامانيين فنقل بحكم وظيفته الى بخارى ، وكانت الدعوة الاسماعيلية وقتئذ في أوجها تجوب أنحاء ايران وخاصة المنطقة المحيطة بالعاصمة ، حيث أشرق مجلس الدعوة وأشبع بدعاة يعدون من أرفع وأعلم رجالات البلاد ، فمنهم العالم النحرير ، والأديب الكبير ، ورجل الدولة المحنك ، وكانت أغلب اجتماعات هؤلاء ومناظراتهم تعقد في بيت والد ابن سينا عبد الله ، وكان ابن سينا يستفسر من والده وأعمامه الذين كانوا أيضا من كبار الدعاة عما يجول بخاطره من قضايا فلسفية ومذهبية وعلمية ، وهكذا نرى ابن سينا نشأ وترعرع في بيت عريق في الاسماعيلية ومركزا من مراكز دعوتها ومباحثها الفلسفية فتفتح عقله على المناقشات الفلسفية والبحوث الدينية في النفس والعقل وأسرار الربوبية والنبوة ، وتعهده أبوه بالثقيف والتعليم وأحاطه بجهاذة العلم فخرج من ذلك كله ، متعمقا في الفلسفة والهندسة ، وعلوم ما وراء الطبيعة ، ودفعه

طموحه ورغبته في العلم الى الاستزادة ، فعكف على دراسة الطب ، وان المرء ليقف مدهوشا عندما يرى فتى لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره قد قرأ أكثر علوم عصره بما فيها الفلك والرياضيات والفلسفة والطب حتى أخذ «فضلاء الطب» يقرؤون عليه هذا العلم . فهو اذن لم يكن طبيبا في هذه السن فحسب بل كان معلما في الطب يتعهد المرضى ويبرع في علاجهم ويقرىء التلاميذ ما اقتبس من مطالعات ، وما استنتج من تجاربه .

وما هي الا سنوات قلائل حتى طار اسمه في الآفاق ، فاستدعوه لمداواة « الأمير نوح بن منصور الساماني » فنجح في معالجته نجاحا أذهل العقول ؛ فقربه الأمير نوح اليه وأغدق عليه من نعمه ، وسمح له أن يتردد على مكتبته الزاخرة بالمؤلفات ، وقد وصفها ابن سينا فقال^(١) : انها مكتبة غنية بالكتب الكثيرة ؛ وكان بعض هذه الكتب مجهول الاسم لدى كثير من الناس ، كما كان بعضها غير معروف له من قبل ، ولم يصادفه في غيرها فيما بعد ؛ وللأسف ان هذه المكتبة احترقت بعد ذلك بقليل من الوقت ، فأتهمه جماعة من أعدائه بأنه أحرقها عمدا حتى يصبح وحده الواعي لما استفاده من كتبها النادرة ومخطوطاتها الفريدة .

وفي سنة (٣٩١ - ٣٩٢ هـ) غادر عبد الله والد ابن سينا (بخارى) مع ابنه بعد انهيار الدولة السامانية ، متوجهين الى خوارزم ، وقيل ان ابن سينا غادر (بخارى) لوحده بعد انهيار الدولة السامانية ووفاة والده فقصد الى (خوارزم) ، التي كان يحكمها (علي بن مأمون) وخليفته (مأمون ابن مأمون) وكانت الوزارة بيد أبي الحسن أحمد بن محمد السهلي ، فاستقبل ابن سينا من قبل الملك والحكومة والعلماء في بلدة (كوركانج) التي كانت في ذلك الوقت مركزا للعلم والثقافة وأعلن انضمامه الى الجمعية العلمية في تلك البلدة مع زمرة منتخبة من رجال العلم والادب مثل الفيلسوف

(١) تاريخ الأدب في ايران : براون : ص (١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣) .

« أبي سهل المسيحي » والطيب « أبي الخير الحسن بن الخمار » والرياضي « أبي نصر ابن العراق ^(١) » .

في ذلك الوقت بالذات سطع نجم السلطان محمود الغزنوي في (خوزنا) وانتشرت طلائع انتصاراته فرغب أن يكون بلاطه من أفخم بلاطات ذلك العصر ، فراح يجذب اليه العلماء والفلاسفة والشعراء بشتى الوسائل ، وحينما سمع بجمعية (كوركانج) أرسل الي (مأمون) خطابا أنفذه على يد واحد من أتباعه يدعى « حسين بن علي بن ميكائيل » يقول فيه : لقد سمعت أن جماعة من رجال العلم يقومون على خدمة أمير خوارزم مثل فلان وفلان وكل واحد منهم قد أصبح نسيج وحده وبرز في علمه ، ومن الواجب عليك أن ترسلهم جميعا الي قصري حتى يتشرفوا ببلقائي ، فنحن نرجو أن نتفع بعلمهم وفهم ، ونرجو أن يحقق لنا أمير خوارزم هذه الرغبة التي أبديناها ^(٢) . . فاستدعى « مأمون » الرجال الذين وردت أسماؤهم في كتاب الملك ، فلما حضروا قال لهم : « ان السلطان محمودا رجل قوي وقد جمع الجيوش الجرارة من خراسان والهند ، وهو يحرص على الاستيلاء على (خوارزم) ولست أملك أن أخالف أمرا أو أعصي له طلبا فما عساكم تقولون في ذلك ؟! » فأبدى ثلاثة من العلماء وهم « البيروني » و « الخمار » و « العراق » رغبتهم في الذهاب اليه ، مدفوعين في ذلك بما سمعوه عنه في نخوة وكرم . ولكن « ابن سينا » و « المسيحي » آثر الرفض واستطاعا بمعونة « مأمون » أن يعملوا على الهرب والفرار . فأما « المسيحي » فقد هلك في عاصفة رملية اجتاحتها في الصحراء ؛ وأما « ابن سينا » فقد استطاع بعد أن تعرض لأخطار كثيرة من أن يبلغ (أيورود) ثم ارتحل منها الي « طوس » و « نيسابور » وفي النهاية وصل الي « جرجان »

(١) كتاب جهار مقاله : ص ٣٥ - ١١٨ - ١٢٣ في الترجمة الانكليزية .

(٢) تاريخ الأدب في ايران : براون : ص ١١٢ .

التي كان يتولاها في ذلك الوقت رجل العلم والادب « شمس المعالي قابوس ابن وشمكير » فأحسن استقباله ، وكان ذلك حول سنة ٤٠٢ هجرية . فأقام ابن سينا في بيت (أبو حمد الشيرازي) الفيلسوف الاسماعيلي المعروف فتوثقت بينهما الصداقة حتى اشترى الشيرازي لابن سينا دارا بجواره ، وفيها ألف أكثر مؤلفاته القيمة .

وبعد أن قتل الامير شمس المعالي قابوس غادر ابن سينا جرجان الى « الري » و « قزوين » و « همدان » وكان وصوله في أواخر سنة ٤٠٥ هجرية فمكث فيها مدة تسع سنوات التحق خلالها بخدمة الامير البويهبي شمس الدولة ، ولقد تعرض خلال وزارته الى هجوم من قبل الجنود فنهبوا بيته ، وطالبوا باستقالته من الحكم ، ولم يكن شمس الدولة يرغب في تنحيته ، ولكنه وافق لغاية ادارية على اقالة ابن سينا من منصبه ، فاختبأ في بيت لابن سعيد دحدوك مدة أربعين يوما ، ولكن الزحار هاجم شمس الدولة فاستتجد بابن سينا الذي عالجه حتى شفي من دائه ، فأعاد ابن سينا الى الوزارة وظل فيها حتى أقاله الامير تاروم ، فتوارى عن الانظار مختفيا في بيت أبي غالب النار ، وأخذ يكتب علاء الدولة في أصفهان ، ولكن سرعان ما اكتشفت تلك المراسلات فاعتقل ابن سينا مدة أربعة أشهر بقلعة (فارودجان) حتى افتتح علاء الدولة همدان فأطلق سراحه ، فشد الرحال الى أصفهان مصطحبا معه عبيد الجاوزجاني وأخاه وخادمين ، وحينما وصل الى قرية (تايدان) التي لا تبعد كثيرا عن اصفهان خرج لاستقباله الاصدقاء وحاشية الامير علاء الدولة . فرحبوا بمقدمه وساروا بركابه حتى أبواب المدينة ، حيث كان ينتظره ركب آخر من حاشية الملك خرجوا خصيصا لاستقباله ، وظل ابن سينا في أصفهان متفرغا للدراسة والتطبيق والتأليف حتى اعتلت صحته من توالي الرحلات والغارات والسهر الطويل والعمل المستمر فوقع ضحية مرض (الزحار) ، المرض الذي اشتهر في مداواته وكان أول من برع في علاجه ، وكانت اصابته الاولى في هذا المرض الخبيث

عام ٤٢٥ هجرية أثناء حرب علاء الدولة و تاش فاراش في الكرج ، وعالج ابن سينا نفسه ولكن القروح التي تسببت من شدة الداء ، أهدته عن العمل وظل يعالج نفسه بدون أن يتقيد بالحمية عن الطعام ، فانتكس بعد أن عاد من رحلة الى همدان مع علاء الدولة فلأزم الفراش ، ولما شعر باقتراب أجله استحم ونزر التوبة واعتق عييده وخوله وتصدق بأمواله وراح يقرأ القرآن ويجوده داعيا الى الله لخلص نفسه ، ففارق الحياة في سنة ٤٢٨ هجرية وكان قد أكمل الخمسين من عمره تقريبا ، فدفن في همدان ، وأخيرا شيدت الحكومة الايرانية وجمعية البناء المتحدة ضريحا مهيبا ومكتبة فخمة سميت باسمه .

وبالحقيقة يعتبر ابن سينا الطبيب العالم الفيلسوف عبقرية فذة جديرة بالدهشة والاعجاب ، له مكانة رفيعة في سجل العابرة الذين تدين لهم الانسانية بالشيء الكثير في تطورها الفكري ، ولن يوجد بمثلها الدهر خلال القرون والاختباب ، وتتميز كتاباته بأمانة العالم البارع المبدع الخلاق ، كسب قصب السبق في كثير من الآراء التي نسبها الغرب الى نفسه ظلما بعد ابن سينا بعدة قرون . ولا يمكن للانسان مهما أوتي من البلاغة وقوة التعبير أن يقدر عظمة المجهود العلمي الذي اضطلع به ابن سينا ووفق فيه أحسن توفيق ، أسلوبه الادبي بليغ ، سديد المنطق ، قوي الحجج ، مؤلفاته تبلغ المائة ، عالج فيها شتى الموضوعات ما بين فلسفة ونجوم وطب وعلوم مختلفة أخرى ، وله شعر فلسفي عميق ، وأشهر كتبه :

- ١ - كتاب الشفاء ويبحث بعلوم الطبيعة وما وراء الطبيعة والرياضيات .
- ٢ - كتاب القانون في الطب .
- ٣ - كتاب علم الاخلاق .
- ٤ - كتاب المجسطي .
- ٥ - كتاب الموسيقى .

٦ - كتاب علم النبات •

٧ - كتاب الانصاف •

وفي قصص ابن سينا الرمزية ، كرسالة الطير ، أو قصة حي بن يقظان ، تنجلي الفلسفة الروحية السمرمية ، وعلى العموم كان ابن سينا كثير الحركة غزير الحيوية لا يستقر على حال ، يقضي الليالي بطولها في الكتابة والقراءة ، تعرض خلال حياته للوشايات والمكايد ، ومرات للقتل والسجن ، وانغمس في السياسة ، وتمتاز مؤلفاته بالدقة والتعمق والترتيب ، ويعتبر بحق منظم العلم والفلسفة في الاسلام •

وأجمل قصائد ابن سينا وأدعاها الى الاعجاب هي قصيدته العربية المشهورة عن الروح رأينا أن نوردتها كما جاءت في كتاب ابن خلكان^(١) :

ورقاء ذات تعزز وتمنع
وهي التي سفرت ولم تتبرقع
كرهت فراقك وهي ذات تفجع
ألفت مجاورة الخراب البلقع
ومنازلا بفراقها لم تقنع
في ميم مركزها بذات الاجرع
بين المعالم والطلول الخضع
بمدامع تهمني ولما تقلع
درست بتكرار الرياح الأربع
قفص عن الأوج الفسيح الأرفع
ودنا الرحيل الى الفضاء الأوسع
ما ليس يدرك بالعيون الهجع

هبطت اليك من المحل الأرفع
محجوبة عن كل مقلة عارف
وصلت على كره اليك وربما
أنفت وما أنست فلما واصلت
وأظنها نسيت عهدا بالحمى
حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت
تبكي اذا ذكرت ديارا بالحمى
وتظل ساجدة على الدمن التي
اذ عاقها الشرك الكثيف وصدها
حتى اذا قرب المسير الى الحمى
سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت

(١) ابن خلكان : طبع وستنفلد ١/٨٩ : وفي كتاب خرابات ضيا بك ١/٢٨٣

وغدت تفرد فوق ذروة شاهق
 فلأبي شيء أهبطت من شاهق
 ان كان أهبطها الاله لحكمة
 فهبوطها ان كان ضربة لازب
 وهي التي قطع الزمان طريقها
 فكأنها برق تألق بالحمى
 والعلم يرفع كل من لم يرفع
 سام الى قصر الحضيض الأوضع
 طويت عن الفطن اللييب الأروع
 لتكون سامعة بما لم تسمع
 حتى لقد غربت بغير المطلع
 ثم انطوى فكأنه لم يلمع
 وتنسب اليه بعض الرباعيات بالفارسية ومنها هذه الرباعية المشهورة^(١) :

ما بين حضيض الأرض وأوج زحل
 استطعت حل مشكلات الفلك بغير ثقل
 ونجوت بنفسي من أحابيل المكر والحيل
 وحلت كل العقد ، ما عدا عقدة الأجل !!٠٠٠

وقبل أن نهيي بحثنا عن هذا الفيلسوف العظيم والعلامة الشهير لا بد لنا من التعرض لأقوال بعض المؤرخين والكتاب الذين طلوعوا علينا بمعلومات جديدة يؤكدون فيها بأن ابن سينا لم يكن على مذهب الاسماعيلية بل كان شافعي المذهب ، أو على المذهب الحنفي ، وانه اشتغل بالفقه الخ ٠٠٠ ويضيفون الى هذا فيقولون انه لم يمل الى العقيدة الاسماعيلية المصرية التي اعتقدها أبوه وأخوه وصريح وباح بنفوره منها . ويتساءلون كيف يصح أن ينسب الى مذهب الاسماعيلية ؟ فان كان السبب وجود ذكر النفس والعقل في كتبه فكل الفلسفة تتناول النفس والعقل ، وان هذا لا يعطي الدليل على انه مستقي من الاصل الاسماعيلي ، لأن ابن سينا كان من أتباع المذهب الحنفي وان مذهب عائلته الباطني لم يمنعه من أن يكون كشيابان أهل بخارى المتفقهين فاشتغل بالفقه الحنفي الى آخر ما هنالك من أقوال رغب هؤلاء فيها

(١) تاريخ الأدب في ايران : براون : ص ١٢٥ .

أن يبعدوا عن الشيخ الرئيس اسماعيلته ، وأني أعجب لهؤلاء الكتاب والمؤرخين وخاصة المصريين منهم كيف يطبعون الاسماعيلية بالطابع المصري وكأن هؤلاء يريدون أن لا يتركوا أي شيء سواء كان عقائديا أو اجتماعيا أو مذهبيا أو فلسفيا الا ودمغوه بالطابع المصري (١) .

نحن لا نرد على هؤلاء ولا نناقشهم بل نضع أمام أنظارهم جميع الكتب التي أتت على ذكر ابن سينا ، وانا تؤكد أنها جميعها اتفقت على القول بأن ابن سينا ولد من أبوين اسماعيليين ، وانه درس على أبيه رئيس الدعوة في فارس أصول المذهب الاسماعيلي والفلسفة الاسماعيلية وعلم التأويل ، وان ابن سينا عندما وصل الى المراحل التي أوصلته الى أعلى مستوى في الفلسفة ، بدء يؤلف عما حفظه في مدرسة الدعوة ، ويلاحظ انه فلسف الآراء وطورها وأدخل على فروعها نظريات تتلائم مع الاصل حتى جاءت فلسفته أوسع شمولاً من فلسفة الفلاسفة الاسماعيليين الذين سبقوه ، ولكنها بجوهرها وأصلها لا تختلف عما جاء به ابن سينا ، وها هو يتفق مع فلاسفة الاسماعيلية في السياسة المدنية ، التي يجعلها ابن سينا الهية مستمدة من الله عن طريق النبي ، ثم الامام الذي يخلف النبي وتكون له الخواص النبوية ، وهو حاكم مطلق عليه أن يسن الشرائع ويقيم العدل . وفي قصصه الرمزية ، يرى ما يراه الاسماعيلية ، وهو أن النفس لا تنال السعادة الحقيقية الا باعراضها عن الشهوات وتركها الملذات والخضوع الى العقل وتطلعها الى الملأ الاعلى . وهو يرى مثلهم أيضا أن في التفكير والتأمل لذة وعبادة . أقول هذا القول وأترك لهؤلاء أن يطالعوا مزيدا من كتب الفلسفة الاسماعيلية ويقابلوها مع كتب ابن سينا فحتما يجدون أن الهدف واحد .

أما الاكتشاف العلمي الذي لم يسبقهم اليه أحد بأن ابن سينا اشتغل

(١) أذكر من هؤلاء الاساتذة : ابراهيم مذكور ، مصطفى جواد ، أحمد فؤاد الاهواني ، وغيرهم مع حفظ الالقب .

بالفقه الحنفي ، فهذا قول فيه كل الغرابة ، فابن سينا فلف ووصل الى أعلى درجات الفلسفة ، ولم يكتب بالفقه حرفا واحدا ، ولا تطرق الى البحث في المذاهب والفروض والسنن . . الخ ولا أدري من أين ساق هؤلاء الكتاب القول بأن ابن سينا اشتغل بالفقه الحنفي أو عدا الفقه الحنفي . . . الخ .



الحسين بن عبد الله الملقب (بعبد الله الرضي)

موضوع الحديث عن أئمة دور الستر شاق عسير على كل باحث في تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، لأن هذه الفترة غامضة أشد الغموض ، فمن الطبيعي أن لا نجد مؤرخا من مؤرخي العرب اهتم بهم في هذه الفترة ، وكتاب الاسماعيلية تحدثوا عنهم رمزا دون تصريح مما جعل البحث في هذا الدور صعبا شائكا لا يخرج منه بالحقيقة التاريخية المنشودة ، وذلك بسبب الستر الشديد الذي فرضه الأئمة والدعاة حول أنفسهم عملا ببدأ « التقية » وخوفا من بطش أعدائهم ، وكل ما كتب حول هذا الموضوع في عصرنا الحاضر لا يعتمد عليه ولا يوثق به وثوقا علميا صحيحا ، وسيظل هذا الموضوع الى أن تكتشف نصوص جديدة يوثق بها تاريخيا . وليس أدل على تخبط بعض الكتاب والمؤرخين في أحاديثهم عن الأئمة المستورين مما طلع به علينا مؤخرا الدكتور « الهمداني » بنصه الذي قال أنه عثر عليه في كتاب (الفرائض وحدود الدين) لجعفر بن منصور بن حوشب وملخص هذا النص أن جعفر الصادق كان له أربعة أبناء هم اسماعيل وموسى ومحمد وعبد الله ، وان الامامة كانت لعبد الله الذي اتخذ لنفسه اسم اسماعيل تقية ، وسلسل الامامة في عبد الله بن جعفر (الذي تسمى باسماعيل) ثم بعده محمد بن عبد الله ، ثم عبد الله بن محمد ، ثم أحمد بن عبد الله ، ثم محمد ابن أحمد ، ثم أوصى محمد بن أحمد الى ابن أخيه فتسمى سعيد بن الحسين (أو سعيد الخير) . وهكذا نرى هذه الخلافات الشديدة التي لا نستطيع أن نؤكددها ، لأن المصادر التاريخية الاسماعيلية السورية كما قلنا سابقا هي بنظرنا أوثق النصوص التي اعتمدنا عليها وسنظل نعتد عليها في أقوالنا

حتى تظهر نصوص غيرها أوثق منها^(١) .

ولد الامام الحسين بن عبد الله المعروف (بعبد الله الرضي) أو (رضي الدين عبد الله) في سلمية سنة ٢١٢ هجرية وأصبح اماما للاسماعيلية بعد وفاة أبيه وذلك سنة ٢٢٩ هجرية واتخذ الحسين بن عبد الله بن ميمون القداح حجة له وحجابا عليه وفوضه باجراء الترتيبات اللازمة لتعديل نظم الدعوة السرية ، والاستعاضة عنها بتنظيمات جديدة تتناسب مع العصر الذي يعيشون فيه وذلك بنقلها من طور التأسيس والتكوين وايجاد النظريات ، الى طور العمل والظهور من أجل تأسيس دولة اسماعيلية قوية ، وبالفعل عمد الامام الى ارسال الداعي الكبير أبي عبد الله الشيعي الى مدرسة الدعاة في اليمن ليدرّس آخر مراحل علمية فيها ومن ثم يتوجه الى المغرب نظرا للحاجة الماسة ولتقدم الدعوة وازدهارها في تلك الاصقاع^(٢) .

ومن جهة ثانية أخذ الامام يتجول سرا بين أتباعه فقصده العراق ، وفارس واستتبول فوزع الدعاة وجمع أموال النجوى والزكاة وعاد الى سلمية بأموال كثيرة ، وفي سلمية أخذ يعد العدة لتنصيب ولده محمد المهدي وليا للعهد فجمع الدعاة باحتفال مهيب ونص على امامة ولده محمد المهدي من بعده وقال له : (انك ستهاجر بعدي هجرة وتلقى محنا شديدة) .

وبالرغم من أن جهود هذا الامام ودعواته وحدوده كانت كلها موجهة الى اجراء الاستعدادات المتعلقة بالهجرة والانتقال الى المغرب ، فقد كرس جهودا ملموسة الى تطور الناحية العلمية والفلسفية وإلى ادخال نظام جديد للاتصال بواسطته مع الدعاة الذين كانوا موزعين في جميع البلدان الاسلامية وذلك

(١) في نسب الخلفاء الفاطميين : أسماء الأئمة المستورين كما وردت في كتاب أرسله المهدي عبد الله الى ناحية اليمن نشره الهمداني حسين بن فيض الله .

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٩٩ .

بواسطة الحمام الزاجل ؛ ويذكر التاريخ بأن الاسماعيلية هم أول من استخدموه للغايات السياسية والحربية ، وبرع الدعاة في استخدامه • وكذلك نبغ دعاة علماء كانت لهم جولات موفقة في عالم الادب والتأليف والفلسفة ، فانتشرت دعوتهم وتفاؤوا في الدفاع عنها بالقلم واللسان •

ويعتبر الاسماعيليون عهد هذا الامام (عهد ظهور) لأنهم أظهروا أنفسهم بعد أن كانوا مستترين وجاهروا بدعوتهم وبآرائهم المذهبية بعد أن كانوا يدعون بها في الخفاء ، وذلك عندما اشتد ساعدهم وقوي نفوذهم في سلمية ، وشعروا بالوهن والضعف الذي بدأ يدب في جسم الخلافة العباسية ؛ ولكن المصادر التاريخية تخالف هذا الرأي وتعتبر عهد الظهور منذ غادر المهدي سلمية •

ظل الامام (رضي الدين عبد الله) في سلمية يعمل بجهد ونشاط حتى وافته المنية سنة ٢٨٩ هجرية ودفن في سلمية في قلب (الجامع) ولا يزال ضريحه حتى الآن موجودا ويعرف لدى العامة بضريح (الامام اسماعيل^(١)) •



الحسين بن علي بن أبي طالب

قصة البذل والعطاء والتضحية والفناء ، ونكران الذات من أجل قول كلمة حق ، أو في سبيل ابداء رأي ، أو بقصد الوقوف في وجه ظالم مستبد ، أو بغية نشر عقيدة مثلى وتعميم رسالة انسانية مقدسة ، رافقت الكون منذ وجود الانسان الاول واستمر بريقها يضفي على الوجود هالة من التقديس والتعظيم والخلود .

وإذا عُدَّ الشهداء اعتبر الحسين بن علي بن أبي طالب امامهم ورائدهم ؛ أحدث مصرعه أكبر تصدع في صدر الاسلام ، فزرفت عليه العيون دما بدل الدموع .

ان مأساة سيد شباب أهل الجنة ستظل الى الابد وصمة عار في جبين الانسانية لن يزول أثرها على مر الايام والعصور ، وستبقى مشعلا ينير الطريق لذوي الايمان العميق ، ولأصحاب الآراء الحرة والرسائل المقدسة .

وستظل أيضا نبراسا لمن يعشق البطولات وينهد الى بذل الدماء رخيصة لاعلاء كلمة الحق مجلجلة عالية تهز أركان البغي ، ونارا تحرق الظالمين المستبدين .

ولا أخال هذه القصة تعود لتمثل على مسرح هذا الوجود الا إذا عاد الى الوجود يزيد وابن زياد ومن لف لفهما من العتاة المستبدين الذين لا يقيمون وزنا للقيم الخلقية والمبادئ الانسانية .

ولد الحسين بن علي سبط رسول الله وريحاته ، ويكنى بأبي عبد الله بالمدينة المنورة في الخامس من شهر شعبان سنة ٤ هجرية^(١) وقيل في الثالث

(١) تهذيب بن عساكر ج ٤ ص ٣١١ ابن الأثير ج ٤ ص ١ ، أبو الفداء ج ١ ص ١١٣٤ اصول الكافي للكليفي ص ٢٣٨ في سنة ٣ هجرية .

من شعبان سنة ٤ هجرية في المدينة المنورة ، قال جعفر بن محمد : لم يكن بين الحمل بالحسين بعد ولادة الحسن الاّ شهر واحد ، وقال الواقدي : علت فاطمة بالحسين بعد مولد الحسن بخمسين ليلة وكانت مدة حملها ستة أشهر ، ولم يولد لستة أشهر وعاش الا عيسى ابن مريم والحسين بن علي^(١) ولما ولد الحسين سماه ابوه (حربا) فجاء جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعلي وفاطمة أروني ابني ما سميتوه ؟ قال علي : (حربا) • فقال الرسول : بل هو حسين ، وهو اسم لم يكن لأحد قبله^(٢) وقال شرف علي^(٣) ذكر الشيخ العمي في الأمالي عن داؤود الرقي : انه لما حملت فاطمة الزهراء بالحسين قال لها النبي : يا فاطمة انك ستلدين غلاما هنأني به جبرائيل فلا ترضعيه حتى أجيء اليك ولو أقمت شهرا ، قالت أفعل ذلك ؛ وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض وجوهه ، فولدت فاطمة الحسين فما أرضعته حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماذا صنعت ؟ قالت : ما أرضعته ؛ فأخذه فجعل لسانه في فمه ، فجعل الحسين يمص لسانه حتى قال الرسول (اليها ••• اليها) يا حسين ؟

ويذكر التاريخ بأن والدة الحسين مرضت أثناء الوضع وجف لبنها فطلب الرسول للحسين مرضعة فلم يجد فكان يأتيه النبي فيلقمه ابهامه فيمصه ويجعل الله في ابهام الرسول رزقا يغذيه ، وقيل فعل ذلك أربعين يوما وليلة فأنبت لحمه من لحم رسول الله ودمه^(٤) •

(١) اصول الكافي ص ٢٣٨ - ٢٣٩ كتاب نيل الجنان في مشتهر الجنان ص ٢٥٤ •

(٢) مسند ابن حنبل في مسند علي ابن ابي طالب ابن الأثير ج ٢ ص ١٥

(٣) رياض الجنان ص ٢٥٢

(٤) اصول الكافي الكليني ص ٢٣٩ •

وفي ذلك قال الطباطبائي من قصيدة له :

ذادوا عن الماء ظمأنا مراضعه من جده المصطفى الساقى أصابعه
يعطيه بهامه آنا وآونةً لسانه فاستوت منه طبائعه
لله مرتضع لم يرتضع أبدا من ثدي انثى ومن طه مراضعه
غرس "سقاه رسول الله من يده وطاب من بعد طيب الأصل فارعه

وقال جعفر بن محمد : لما ولد الحسين حنكه الرسول صلى الله عليه وسلم بريقه وأذن في اذنه ، وتقل في فمه وسماه حسينا • ولقب الحسين بألقاب أشهرها^(١) : الذكي ، والطيب ، والرشيد ، والوفي ، والسيد ، والمبارك ، وأعلاها ما لقبه به رسول الله في قوله عنه وعن أخيه الحسن ، انهما سيدا شباب أهل الجنة ؛ وقال النبي : حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسينا ، حسين سبط الاسباط من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فيلنظر الى حسين •

أقام الحسين مع جده في طفولته ست سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام (لأن الرسول قد توفي يوم الاثنين ١٢ ربيع الاول سنة ١١ هجرية^(٢)) وذهب الى الحسين كل ما في فؤاد النبي من محبة وعطف ، فكان لا يطيق أن يستمع الى بكائه ، وقيل ان الرسول خرج يوما من بيته فمر ببيت فاطمة فسمع حسينا يبكي ، فقال لفاطمة : ألم تعلمي ان بكاءه يؤذيني ؟ وروى أبو عمر بن عبد البر القرطبي عن أبي هريرة انه قال : أبصرت عيناى هاتان وسمعت أذناى رسول الله وهو آخذ بكفي الحسين وقدماه على قدم

(١) الفصول المهمة للمفيد ص ١٧٦ نور الابصار للشلبنجي ص ١٥٢ الارشاد ص ٢٠٣ •

(٢) منهاج السنة النبوية ١١/٣

رسول الله وهو يقول : (تَرَقَّ ، تَرَقَّ عَيْنَ بَقَّةٍ ^(١)) قال : فرقي الغلام حتى وضع قدميه على صدر الرسول ثم قال له الرسول افتح فاك ، ثم قبله وقال : اللهم أحبه فاني أحبه . وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أقام الحسين مع والده فشهد معه جميع وقائعه من الجمل الى صفين .

وفي صباه تعلم فنون العلم والادب والفروسية ، وقد أوتي ملكة الخطابة من طلاقة لسان وحسن بيان ، واشتهر بالوفاء والشجاعة ، ومما قاله العقاد في شجاعته ^(٢) : « شجاعة الحسين صفة لا تستغرب ، لأنها الشيء من معدنه وهي فضيلة ورثها الآباء وأورثها الابناء » وقال محمد الصيان : كان الحسين مقداما منذ كان طفلا ^(٣) .

وكان الحسين كثير الشبه بجده رسول الله ، ليس بالطويل ، وليس بالقصير ، واسع الجبين ، كث اللحية ، واسع الصدر عظيم المنكبين ، ضخم العظام ، متماسك البدن ، رحب الكفين ، عبل العضدين والذراعين ، أبيض اللون مشرب الحمرة ^(٤) وقيل كان الحسين غاية في الجمال ؛ وقال سعيد السكر بسنده : ما رأيت أحدا قط أحسن ولا أملا للعين من الحسين ^(٥) .

نساؤه :

- ١ — الرباب ابنة امريء القيس الكلبية ، ولدت عبد الله وسكينة .
- ٢ — ليلي بنت أبي مره بن عروة بن مسعود الثقفي ولدت علي الأكبر الذي قتل مع أبيه بالطف .

(١) البقة البعوضة : ترق عين بقعة أي اصعد يا خفيف الجثة : الاستيعاب

١٤٨/١ .

(٢) أبي الشهداء للعقاد ص ٥٠

(٣) اسعاف الراغبين ص ١٣٤

(٤) فتح الباري للعسقلاني ٧٥/٧ .

(٥) البغدادي ج ٢ كتاب الشفا للقاضي عياض : ص ١١٢ .

- ٣ — ام اسحاق بنت طلحة بن عبد الله ولدت فاطمة •
 ٤ — عائشة بنت خليفة •
 ٥ — ام جعفر بن الحسين القضاعية •
 ٦ — شهربانو بنت كسرى يزديجرد واسمها (جهان شاه) ولدت زين العابدين •
 ٧ — حفصة بنت عبد الرحمن •

وكان له من جميع نسائه ستة اولاد وثلاث بنات هم :

- ١ — علي الاكبر قاتل بين يدي ابيه حتى استشهد •
 ٢ — علي الاوسط زين العابدين كان مع ابيه بكر بلاء فأسر ثم رجع الى مكة ومنه العقب •
 ٣ — على الاصغر جاءه سهم في القتال وهو طفل فاستشهد •
 ٤ — محمد استشهد بكر بلاء •
 ٥ — عبد الله استشهد بكر بلاء •
 ٦ — جعفر مات في حياة ابيه •

وله من البنات : زينب ، وسكينة ، وفاطمة •

نشأ الحسين وترعرع وعرف فضله حتى أصبح أكثر الشيعة والصحابة والمسلمين أجمع يرغبون له الخلافة بالاضافة الى السلطة الروحية التي كان يتمتع بها كامام •

ولما تولى الخلافة يزيد بعد ابيه معاوية بن أبي سفيان ، أقر عبد الله بن زياد على البصرة ، والنعمان بن بشير على الكوفة ، والوليد بن أبي سفيان على المدينة ، وعمر بن سعيد بن العاص على مكة وطلب منهم أن يدعوا الناس الى بيعته •

ولقد رفض مبايعته خلق كثير كما امتنع الامام الحسين وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، فكتب يزيد الى عامله على المدينة الوليد بن عقبة يقول :

أما بعد فخذ حسينا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، بالبيعة أخذا شديدا ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام .

ذهبت جميع الجهود التي بذلها الوليد لاقتناع الامام الحسين الذي رفض أن يبايع المعتصب يزيد لتأكده بأنه أحق منه بالخلافة وحائزا على ثقة أهل الحجاز والعراق لما عرف عنه من الاستقامة .

عول الحسين على مغادرة المدينة الى مكة بعد أن أصر عليه الوليد بالبيعة عنوة وقهرا ليزيد ، فخرج من المدينة ليلة الاحد في الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ٦٠ هجرية ومعه أهل بيته واخوته وبني أخيه قاصدا مكة ودخلها ليلة الجمعة في الثالث من شهر شعبان حيث نزل على (شعب علي) فأقبل أهل مكة ومن كان بها من المعتمرين يختلفون اليه ويجتمعون عنده .

ولما علم أهل الكوفة بوفاة معاوية وامتناع الحسين عن مبايعة ابنه يزيد ونزوله مكة ، اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن سرد الخزاعي بالكوفة وخطب فيهم صاحب المنزل فقال :

ان حسينا خرج الى مكة وأنتم شيعته وشيعة أبيه فان كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدوا عدوه فاكتبوا اليه ، وان خفتم الفشل والوهن فلا تعرفوه ؟ قالوا لا ! بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه : فكتبوا اليه يستقدمونه ليبايعوه ، وأرسلوا الكتاب مع عبد الله بن مسمع الهمداني وعبد الله بن وال فخرجا مسرعين حتى قدما على الحسين بمكة في العاشر من شهر رمضان ؛ ثم كتبوا اليه ثانية بعد ليلتين نحو من ١٥٠ صحيفة ثم ثالثا . وروى الطبري : أن أهل الكوفة كتبوا الى الحسين يقولون : ان معك مائة ألف ينصرونك . وتلاقت الرسل كلها عند الحسين ، فقرأ الكتب وسأل الرسل عن الناس وقال لهم : سأبعث معكم ابن عمي ليأخذ لي بيعتي ، فاذا وفق الى ذلك ذهبت اليكم .

ودعى مسلم بن عقيل بن أبي طالب وقال له : اذهب الى الكوفة فان رأيت

منهم اجماعا على ما كتبوا ، فاكتب لي برأيك ، ثم كتب رسالة سلمها الى هانيء بن هانيء وسعيد بن عبد الله وكانا آخر الرسل .

خرج مسلم بن عقيل في الثامن من ذي الحجة حيث نزل الكوفة واجتمع على بيعته اثني عشر ألفا وقيل ثمانية عشر ألفا ، وثلاثين ألفا في تقدير ابن قتيبة ، فحار والي الكوفة الأموي النعمان بن بشير فيما يصنع بمسلم وأتباعه وهم يزدادون يوما بعد يوم ، وكانت قد وصلت الاخبار الى يزيد تعلمه بأن النعمان رجل ضعيف يجب عزله ، وارسال آخر قوي ان كان له بالكوفة حاجة .

وعلى الفور أمر يزيد بعزل والي الكوفة وكلف والي البصرة عبد الله ابن زياد ليحل محله ! .

ويحدثنا عمر بن سعد عن أبي مخنف قال : حدثني المصعب بن زهير عن أبي عثمان قال^(١) :

أقبل ابن زياد من البصرة ومعه مسلم بن عمر الباهلي والمنذر بن الجارود وشريك بن الأعور وحشمه وأهله^(٢) حتى دخلوا الكوفة ، وعلى ابن زياد عمامة سوداء وهو ملثم ، والناس كانوا ينتظرون قدوم الحسين عليهم ، فأخذ لا يمر بجماعة من الناس الا سلموا عليه وقالوا مرحبا بك يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم ، ورأى من الناس من تباشرهم بالحسين ما ساءه ، فأقبل حتى دخل القصر . فنأدى بالناس الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخطب فيهم ناصحا ومرشدا ووعدهم بالمنح والعطايا .

ولما سمع مسلم بن عقيل بقدوم عبيد الله بن زياد أتى دار هانيء بن عروة المرادي فصارت تختلف اليه الشيعة وهو في الدار المذكورة ، وتواصوا

(١) مقاتل الطالبين ص ٩٦

(٢) مقاتل الطالبين ص ٢٤ ابن الأثير ١٠/٤ .

بالكتمان ، وقد بايعه ثمانية عشر ألفا ، فكتب كتابا الى الحسين أرسله مع عباس بن أبي شبيب الشاكري يخبره بالبيعة له واجتماع الناس عليه وانتظارهم اياه . شعر عبيد الله بانقطاع هانيء عن زيارته فجأة ، فافتتح بأنه يخفي مسلم ابن عقيل في منزله ، فسأله عنه وكلف من يأتي به ، فلما دخل هانيء على عبيد الله بن زياد ، فاتحه بشأن ايوائه مسلم بن عقيل وأمره أن يأتي به . فرفض هانيء وأنكر أن تكون له أي صلة بمسلم بن عقيل ، فهدده عبيد الله بالقتل ، وأخذ قضيبا فضرب به أنف هانيء وجبينه وخرجه حتى كسر أنفه ، وسالت الدماء على ثيابه وثر لحم خديه وجبينه على لحيته ، ولم يزل يضربه حتى كسر القضيب ، فأمر أن يلقي في بيت ويعلق عليه .

ترامى الى عشيرة مذحج أن هانيء قد قتله ابن زياد ، فأقبلت وأحاطت بقصر الامارة من كل جانب ، فاستعان ابن زياد بالقاضي وطلب منه أن يبلغهم ان هانيء لا يزال على قيد الحياة ، وقد حبسه ليسأله عن أخبار مسلم ابن عقيل ؛ فقال عمر بن الحجاج الذي كان على رأس مذحج ، اذا لم يقتل هانيء فالحمد لله وانصرفوا .

علم مسلم بن عقيل بما قد جرى لهانيء فنأدى بشعاره المتفق عليه وهو (يا منصور أمت) فاجتمع اليه ثمانية عشر ألفا من أهل الكوفة فسار بهم نحو قصر الامارة ، ولما شعر عبيد الله بأن الجموع أحاطت بالقصر ، أغلق الابواب وحاصر حتى المساء وليس معه في القصر الا ثلاثون رجلا من شرطته وعشرون من أشرف الكوفة وأهل بيته ومواليه ، فدعا ابن زياد الاشراف وأمرهم أن يخرجوا ويرفعوا راية الامان ، ويخذلوا الناس عن ابن عقيل ويخوفونهم من نتيجة الحرب وعقوبة السلطان ، ووزع عليهم الاموال الكثيرة ، فخرج كثير بن الحارس ، ومحمد بن الاشعث ، وقعقاع بن شور الذهلي ، وشبث بن ربعي التميمي ، وحجار بن أبجر العجلي ، وشمر بن ذي الجوشن الضبائي ورفعوا راية الأمان وخطبوا الناس حتى أقنعوهم ، فتفرقوا عن

ابن عقيل ، ولم يبق معه الا ثلاثون فارسا توجهوا معه نحو أبواب كنده ، وما بلغ الابواب الا ومعه منهم عشرة فقط ، وخرج في المساء وليس (١) معه أحد فمضى لا يدري أين يذهب حتى طرق باب امرأة يقال لها (طوعه أم ولد) فالتجأ عندها .

أما عبيد الله بن زياد فقد أمر رئيس شرطته الحصين بن نمير أن يمسك أبواب السكة ، ويبحث في الدور حتى يعثر على مسلم بن عقيل فيأتي به . وما زالوا يبحثون عن ابن عقيل حتى عثروا عليه في تلك الدار التي اختفى فيها ، فقاتلهم قتال الابطال حتى أمته محمد بن الاشعث بعد أن عجز عن القتال لكثرة ما أصابه من جراح .

فأخذه الى ابن زياد الذي أمر أن يصعد به الى فوق القصر ويضرب عنقه ، فقال مسلم مخاطبا ابن الاشعث : (والله لولا أمانك ما استسلمت ، قم بسيفك دوني قد اخفرت ذمتك) ، فسكت ابن الاشعث ، فصعدوا بابن عقيل الى أعلى القصر حتى أشرفوا على موضع (الحدائين) فضرب عنقه بكبير ابن حمدان الأحمري ثم صلبت جثته ، وعرض على الناس في شوارع الكوفة (٢) وكان ذلك يوم الاربعاء التاسع من ذي الحجة سنة ٦٠ هجرية ، وفي ذلك يقول الفرزدق :

وان كنت لا تدرين بالموت فانظري الى هانيء في السوق وابن عقيل
الى بطل من هشم السيف وجهه وآخر يهوي من طمار قتييل

هذا ما حدث لابن عقيل بعد أن أرسل كنه الى الحسين يطلب منه فيها القدوم الى الكوفة ، وانه بانتظاره ، ولما وصلت الكتب المذكورة الى الحسين خرج ميمما شطر الكوفة وكان ذلك يوم الثلاثاء الثامن من ذي الحجة

(١) الطبراني ١٩٤/٦ تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٥٩

(٢) الطبري ٢١٣/٦ مقاتل الطالبين ص ١٠٧

مع نخبة من شيعته في الحجاز ونفر من أهل بيته ومواليه وجماعة من البصرة •

فوصلت أخبار خروجه الى ابن زياد الذي أرسل رئيس شرطته (الحسين ابن نمير التميمي) وأمره أن ينزل القادسية ويقطع على الحسين جميع المسالك والمنافذ فلا يدع أحدا يخرج أو يدخل •

توجه الحسين نحو العراق فوصل (ذات عرق) فكتب الى أهل الكوفة رسالة يخبرهم فيها بقدومه بعثها مع قيس بن سهر الصيداوي ، ولكن الرسول قبض عليه في القادسية وأرسل مخفورا الى ابن زياد فقتله بعد أن رفض الصعود الى القصر ومخاطبة الناس مؤيدا يزيد ، فقفذ من أعلى القصر ودق عنقه ومثل بجثته أفطع تمثيل •

تابع الحسين سيره حتى أشرف على ماء من مياه العرب فوجد عليه عبد الله بن مطيع وكان قادما من العراق ، فلما شاهد الحسين قام اليه وسلم عليه ، فأخبره الحسين أنه سائر الى الكوفة واطلعه على كتب أهلها ، فقال له : أنشدك الله أن ترجع من حيث أتيت لأن (قلوب الناس معك وسيوفهم عليك) فأبى الحسين الا أن يمضي في طريقه فسار حتى وصل الى (زراد) حيث بلغه مقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة ، فقدم له جماعة من مرافقيه النصيح وناشدوه الله أن يعود ، فوثب بنو عقيل وقالوا والله لا نرجع حتى ندرك ثأرنا ، أو نذوق ما ذاق مسلم ، فقال الحسين : لا خير في العيش بعد هؤلاء •

ثم ارتحلوا حتى وصلوا (زبالة) فبلغه ما كان من أمر رسوله قيس فاعلم بذلك صحبه وقال : قد خذلتنا شيعتنا بالكوفة فمن أراد منكم أن ينصرف ، فلينصرف ليس عليه منا ذمام ، فتفرقوا يمينا وشمالا الا أهل بيته وقليل ممن تبعوه من مواليه الذين جاءوا معه من المدينة ، وواصل المسير حتى (بطن العقبة) فأخبروه أن خيل ابن زياد معسكرة في القادسية تسد

عليه الطريق ، وما زال سائرا حتى بلغ (شراف) فباتوا بها وساروا حتى التقوا بقائد ابن زياد حين الذي أبلغ الحسين أن ابن زياد أمره أن ينطلق بالحسين اليه ، أو يجمع به فلا يتركه يزول من مكانه ، فتحرك الحسين يريد العزيب ، فبلغها وجماعة ابن زياد يصرون على اتياده الى أميرهم ، فأخذ الحسين يعظهم ويرشدهم ، فتقدم اليه الحر وحذره من العاقبة قائلا : « لئن قاتلت لتقتلن ! » فصاح به الحسين : أباالموت تخوفني ٠٠٠ وأنشد :

سأمضي وما بالموت عار على الفتى اذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما
فان عشت لم اندم وان مت لم ألم كفى بك ذلا أني تعيش وترغما

ثم سار الركبان وكلما أراد الحسين البادية أسرع الحريميله نحو الكوفة وبعد جهد جهيد نزل الحسين في مكان سأل عن اسمه فسمى له « كربلاء (١) » وكان وصوله يوم الاربعاء أول محرم من سنة ٦١ هجرية ، وقيل الخميس الثاني من محرم سنة ٦١ هجرية (٢) وفي اليوم الثاني من نزولهم وصل جيش يزيد بقيادة عمر بن سعد وعدته أربعة آلاف فارس (٣) فانضم اليهم الحر بن يزيد فيمن معه ، واتصل هذا القائد بالحسين مستفسرا عن سبب مجيئه ، فأجابه الحسين بأن أهل الكوفة كتبوا له أن يقدم عليهم ، فاذا كرهوه فانه سيعود عنهم الى مكة ! فاقتنع ابن سعد بما قاله الحسين وكتب الى ابن زياد يعلمه ذلك ويطلب منه الكف عن الحسين ليرجع من حيث أتى ، لكن ابن زياد كتب الى قائده يطلب منه أن يعرض على الحسين بيعة يزيد فاذا رفض البيعة يمنعه من الماء وقومه ، ولما عرض الكتاب على الحسين رفض فحواه ، فأرسل قائد ابن زياد عمر بن الحجاج في ٥٠٠ فارس وأمرهم أن يحولوا بين الحسين والماء ولو قطرة واحدة .

(١) كانت تعرف قديما (بكور بابل) ثم حرفت وصحفت الى كربلاء .

(٢) الدينوري ص ٢٥١ ابن الاثير ٢٣/٤ الطبري ٦/٢٣٢ .

(٣) وفي رواية عشرة آلاف .

وفي اليوم الثاني اشتد العطش بالحسين وصحبه فناداهم أحد قواد ابن زياد عبد الله بن أبي الحصين الأزدي قائلاً : يا حسين أما تنظر الى الماء والله لا تذوقون منه قطرة واحدة حتى تموتوا عطشا • فأرسل الحسين أخاه العباس في عشرين رجلاً وثلثين فارساً يحملون القرب ، فقاتلوا على الماء حتى ملأوا القرب وعادوا •

وفي اليوم الثالث وصلت رسالة ابن زياد مع شمر بن ذي الجوشن وكان قد أرسلها الى قائده عبيد الله بن سعد يقول فيها :

أما بعد : فان نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم اليّ ، وان رفضوا فازحف اليهم حتى تقتلهم عن بكرة أبيهم ، ومثل فيهم فانهم لذلك مستحقون ، فان قتل الحسين فاوطيء الخيل صدره وظهره ، فان انت مضيت لامرنا جزيناك ، وان انت ابيت ، اعتزل جندنا وخل بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر والسلام •

اطلع عمر على الكتاب فقال لشمر والله لا يستسلم الحسين أبداً (ان نفساً آبية بين جنبيه) ، وأرسل الكتاب الى الحسين فطلب أن يمهله حتى صباح الغد •

وما كاد يبزغ فجر يوم الجمعة العاشر من محرم سنة ٦١ هجرية حتى عبأ الحسين أصحابه وكان عددهم اثنين وثلثين فارساً وأربعين رجلاً ، كما عبأ عمر بن سعد أصحابه الكثيرين وخرج نحو الحسين ، فلما دنوا من بيوته أشعلوا النار فيها ونشب القتال بينهما فتنافس رجال الحسين في الاستشهاد بين يديه وانضم الى الحسين من جيوش ابن زياد (الحر بن يزيد التميمي) وقاتل معه قتال الشجعان حتى استشهد بين يديه •

واستمر القتال واصحاب الحسين وأهله يسقطون الواحد تلو الآخر حتى استشهدوا جميعهم ، فاشتد العطش بالحسين فدنا من الفرات يبغي شربة ماء فرماه (حسين بن نمير) بسهم وقع في فمه فاتزعه وتلقى الدم بيديه ،

فامتلات راحتاه من الدم فرفعهما الى السماء وقال : ان تكن حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير منه وانتقم لنا من القوم الظالمين .

ثم رجع الى مكانه فاشتد به العطش واحاط به شمر بن ذي الجوشن برجاله والحسين يحمل عليهم فيفرقهم عنه وبالنهاية أحاطوا به من كل صوب وأسرع اليه رجل من كنده يقال له مالك بن النسر فضربه على رأسه بالسيف ومع هذا ظل الامام الحسين يجاهد ويناضل وأهله يستشهدون بين يديه الواحد تلو الآخر حتى بقى معه ثلاثة فقط فهجم على الصفوف المتراسة يدفعها عنه والثلاثة الباقون يحمونه حتى استشهدوا ، فأقبل عليه شمر ابن ذي الجوشن في مائة من رجاله فوجدوا الحسين وحيدا وقد أثنخ بالجراح في رأسه وبدنه ، فهجموا عليه يريدون الفتك به ولكنه حمل عليهم حملة الاسد فولوا الادبار وقاتل قتالا شديدا ، فابتعدوا عنه ورشقوه بالسهم فنادى شمر بن ذي الجوشن بالفرسان ويحكم ماذا تنتظرون اقتلوه فحملوا عليه من كل جانب وضربه (زرعة بن شريك التميمي) على كفه اليسرى فقطعها ، وضربه آخر على عاتقه فكبا منها على وجهه ومازال يقوم ويكبو وهم يطعنونه بالرماح ويضربونه بالسيوف حتى سكن حراكه ، فنزل اليه شمر بن ذي الجوشن واجتز رأسه وسلب ما كان عليه من اللباس ونهبوا ابله واثقاله ومتاعه ثم ندبوا عشرين فارسا ليطؤوا جثته بخيولهم ، فوطؤها مقبلين ومدبرين حتى رضوا صدره وظهره ، ثم تركوا جميع الجثث على الارض بعد أن احتزوا رؤوسها ومثلوا بها أقطع تمثيل ، ووضعوا الرؤوس على أسنة الرماح وأرسلوها الى ابن زياد ، وكان عددهم ٧٢ رأسا وحملوا النساء ومن كان معهم من الصبيان حفاة عراة يولولون باكيات ، ولم يسلم من تلك الموقعة الا علي زين العابدين الذي نص على امامته وهو مريض ، فحمل مع من حمل من النساء .

وقد وجد في جسم الحسين ٣٣ طعنة و ٣٤ ضربة سهم وفي ثيابه ١٢٠

إصابة نبال وبقيت الجثث في العراء حتى خرج اليها جماعة من بني أسد في الليل وتحت ضوء القمر فحفروا القبور ودفنوا الجثث^(١) . ولقد اختلفت روايات المؤرخين حول المكان الذي دفن فيه رأس الحسين فقيل أنه أعيد الى كربلاء ، وقيل دفن في البقيع عند قبر أمه فاطمة الزهراء ، وقيل وجد في خزانة يزيد بعد موته فدفن في دمشق ، وذكر أنه دفن في عسقلان حتى استولى الفاطميون على مصر فنقلوه الى القاهرة حيث دفن في المشهد الحسيني قربا من خان الخليلي .

والحقيقة التي نرجحها أن الرأس جاء به الى دمشق ابن زياد ومنها نقل الى عسقلان وظل فيها حتى استولى الاسماعيليون على مصر فنقلوه الى القاهرة حيث دفن في (المشهد المشهور) هذه هي مأساة سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي بن أبي طالب أوردناها كما جاء على ذكرها المؤرخون دون أن نجيز لانفسنا حق التلعيق عليها خشية اثاره النفوس .

والخلاصة لقد كان الحسين بطلا من أبطال التاريخ كتب بدمه المسفوك أسى معاني التضحية والتفاني في سبيل الحرية والحق والعدالة ، وسيبقى اسمه مخلدا في سجلات التاريخ وفي قلوب المؤمنين المخلصين من أتباعه الذين لا يزالون على استعداد لبذل كل غال ورخيص في سبيل الرسالة الخالدة التي ضحى في سبيلها سيد شباب أهل الجنة .



(١) الطبري ٢٦١/٦ ابن الاثير ٣٥/٤ مروج الذهب ٦٦/٢ مقاتل الطالبين ص ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ .

هرف الخاء

السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري

هذا داعي آخر من دعاة اليمن المخضرمين الذين عاشوا في دور الظهور ودور الستر فقدموا للدعوة الاسماعيلية في اليمن أجل الخدمات العلمية والادبية ، ويعتبر الداعي السلطان الخطاب بن الحسين الساعد الايمن للداعي الذؤيب ، ومركزه في الدعوة (مآذونا) ويلى الداعي المطلق الذؤيب ، ويعتبر أكبر وأرفع دعاة تلك البلاد وذكره أدريس عماد الدين فقال : (١) « وهما في العلم مناره وعلمه الذي لا تخبو ناره » وقال أيضا في مكان آخر : (٢) « وكان الخطاب بن حسن أخا الملكة في الرضاع . ذا منزلة جلية ، وهو أرفع الدعاة بعد الداعي الذؤيب بن موسى ، وعاضده في اقامة الدعوة الآمرية والطيبية في أوان الحزة الملكة السيدة الصليحية وبعد وفاتها ، وكانت له عندها مزية جلية ومرتبة وفضيلة . وهو من دعاة أيام الظهور والستر » . وكان الخطاب معروفا بالفضل والعلم والشعر والحكمة ، وبالأس عند الشدائد والاقحام في الحروب ، وبالورع والزهد ، وبالملك والسؤدد ، ويعتبر من شعراء اليمن المجيدين له ديوان شعر ، معظم قصائده في مدح آل البيت والأئمة ، وفي الحكم والحقائق ، وفي الرد على المعترضين على الدعوة ، والمفاخرة .

نورد بعض الابيات التي تبين مقدرته الشعرية ومدى تعلقه في النظام الفكري الاسماعيلي ، واخلاصه وحماسه للدفاع عن الدولة الصليحية قال :

(١) عيون الاخبار : ٢٢٢/٧ .

(٢) نفس المصدر ٢٢٦/٧ .

وسجني وتعذيبي بها وبلائني
اليه لاشقائي وطول عنائي
وخلعي من الاجسام كل غشاء
وجدت به من عزة وعلاء

مللت بدار الحس طول ثوائي
وجمع لطيفي بالكثيف ولزه
ومالي سوى فوز المعاد ارادة
لعلي بدار القدس أرجع كالذي

* * *

وعابرة من أسعد السعداء
بعروة اخلاص وحبلى ولاء
لمولاه دينا ليس فيه يراني
تعرفهم أنى من النصحاء
الى كل داء منهم بشفاء
مذاهب هذا الخلق غير هباء
ترأى لقوم مصحرين ظمءاء
وعروته للعترة النجباء
عليكم فداء الحقد أخبث داء
فان اناء الحقد شر اناء
ين هدءا من الايمان كل بناء
خلائق أعداء لكم لعناء
مقامات تلك الصفوة العظماء
بما جاءكم لو جاءكم بفناء
بغير اعتراض منكم ومراء
وسيرتهم تقلا عن العلماء
على كل خلصان من النصحاء
نصائح لم تبذل لأخذ كفاء

أرى الموت جسرا والأحبة خلفه
وهل يكره الموت امرؤ متعلق
غداراضيا في كل أمر مسلما
محضت لآخواني صريح نصيحة
وأودعتها روحا من القدس ساريا
وذلك أني بلوت فلم أجسد
سراب كما قال الاله بقية
ولا شيء الا ما علقتم بحبله
ألا واغسلوا من كل حقد قلوبكم
ولا تجعلوها للحقود أو انيا
واياكم والكبر والحسد انذ
دعوه وسوء الخلق والعجب أنها
فلا تستهينوا بالحدود وعظموا
تلقوا بحسن السمع والطوع أمرهم
ولا تسألوا لهم ذلك، وارضوا وسلموا
قتلك صفات المؤمنين وسمتهم
بذلت لكم نصح الأمين وسمتهم
فمن شاء فليأخذ ومن شاء فليدع

وكان الخطاب يقيم مع اخوته في مدينة (الجريب) وبعد وفاة أبيه حدث

نزاع بينه وبين أخيه الأكبر سليمان الشاعر ، وأدى الى قيام حرب بينهما دامت مدة طويلة من سنة ٥٠٠ هجرية الى سنة ٥١٤ هجرية فغلب الخطاب على الأمر وجعل الجريب مسكنه ومقر مملكته . وأخيراً تمكن الخطاب من أخيه سليمان فقتله غيلة ، وقيل أن أسباب هذا الخلاف يعود لاختلاف مذهب الشاعر سليمان الذي كان من السنة ، بينما الخطاب اسماعيلي المذهب والعقيدة . وبعد أن انتصر الخطاب على اخوته وسفك دماءهم جميعاً ، ضم اليه أولاد أخيه سليمان وآواهم ورباهم ، فلما كبروا أطفاهم بعض الناس وذكروهم مقتل أبيهم وادراك الثأر . ففتكوا بالخطاب على غرة وقتلوه بفراشه . واسمه الكامل كما أورده ايفانوف : « هو سيدنا الخطاب بن الحسن بن عبد الحفاظ الججوري الهمداني » ويذكر التاريخ أن الخطاب ظل على إخلاصه للسيدة الحرة الملكة أروى حتى وفاتها ، وبعد أن توفيت السيدة الحرة وجد نفسه وحيداً فعظم عليه الأمر وحزن حزناً عميقاً ولكنه ما سرعان ما لحق بها نتيجة مؤامرة دبرها أولاد أخيه سليمان (١) .

خلف هذا الداعي مؤلفات عديدة تبحث في مختلف العلوم الاسماعيلية وديوان شعر ضم أشعاره وقصائده . ومن مؤلفاته : كتاب النفس ويتألف من ثلاثة أبواب : الباب الاول معرفة النفس الباب الثاني ظهور النفس بالمودة ، الباب الثالث وجود النفس في الكمال . الثاني : كتاب منيرة البصائر : ومؤلف من عشرة أبواب : رسالة النعيم ، قصيدة الميمية في مدح سيدنا علي ، وينسب له كتاب غاية المواليد (٢) وذكر ايفانوف أن وفاته كانت سنة ٥٣٣ هجرية وتاريخ ولادته لم تتمكن من العثور عليه في كافة المصادر الاسماعيلية .

(١) نزهة الافكار للداعي أدريس ٨٧/١ عيون الاخبار ٢٢٦/٧ .

(٢) المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ٥١ .

خلف بن أحمد القاشاني

حياة الداعي الكبير خلف بن أحمد القاشاني ونشأته الاولى يكتنفها الغموض والابهام • وكل ما تمكنا من استنتاجه من مصادر تاريخية عديدة في مختلف اللغات ، أنه من مواليد مدينة قم في فارس درس في مدارس الدعوة الاسماعيلية التي كانت منتشرة بكثرة في تلك البلاد ، امتنن حياكة الملابس وحلج الأقطان ، وانخرط في صفوف الدعاة الاسماعيلية فأظهر غيرة نادرة ونشاطا كبيرا في حقل الجدل والمناظرة وجلب المستجيبين • وقد تمكن من أن يجمع حوله طائفة من رجال العلم المعروفين أمثال الداعي غياث ، وقيل أنه ذهب الى مركز الدعوة الرئيسي ، وبعد أن اكمل تحصيله عين رئيسا للدعوة في فارس وجعل مجاله الحيوي بلاد الري وقم وقاشان وطبرستان ، وبلاد الديلم ، وتمكن أن يجذب اليه خلقا كثيرا وقد عرف الاسماعيلية الذين التفوا حوله (بالخلفية) نسبة اليه^(١) واستطاع بما أوتيته من مقدرة جدلية أن يقنع بعض الحكام والوزراء والامراء فمالوا اليه ومدوا له يد المساعدة •

ويذكر أنه صنف عدة مؤلفات في الفقه والفلسفة وعلم التأويل ولكننا لم نعلم شيئا عنها لأنها فقدت بكاملها • وتدل المصادر الاسماعيلية على أن حجة الامام عبد الله بن ميمون القداح هو الذي اختار الداعي خلفا ليكون مقديما على دعاة بلاد الري وذلك بعد أن لمس فيه النبوغ والحماسة للمذهب ، أثناء وجود الداعي خلف في سلمية فعرض أمر تعيينه على الامام فاقره عليه ، وهناك بعض المصادر تذكر ان خلف ربما اشترك أثناء

(١) الفهرست : ابن النديم : ص ٢٦٦ •

وجوده في سلمية بتأليف رسائل اخوان الصفاء المشهورة • لا نعلم شيئاً عن مكان وتاريخ وفاته • ولكننا نعلم أن ابنه أحمد بن خلف تسلم رئاسة الدعوة من بعده وجعل نائبه الداعي الشهير غياث الدين الاستربادي الذي عمل على جذب كبار الامراء في بلاد فارس • ومن هؤلاء الحسين بن علي المرورودي ، الذي كان يتمتع بنفوذ كبير في الطالقان وهرات والغور ، كما استطاع استمالة كثير من العلماء ، حتى انه جعل أبا حاتم معروف النيسابوري الشاعر (٣٢٢ هجرية) نائبا عنه في نشر الدعوة الاسماعيلية في خراسان^(١) •



(١) Nizam El-Mulk : Siasset Naimeh, Vol. 11. pp. 271-272.

خليل الله علي

ولد الامام خليل الله علي بن نور الدين سنة ٩٣٢ هجرية في بلدة (انجودان) وتسلم الامامة بعد وفاة أبيه سنة ٩٥٧ هجرية ، باحتفال مهيب حضرته وفود كثيرة من الاسماعيليين من جميع أنحاء الهند ، فقدموا التحف والهدايا والأموال بين يدي الامام الذي أعلن لهم عن رغبته في احداث بعض التنظيمات في أمور الدعوة لتناسب مع وضع الاسماعيلية الاجتماعي في البلاد التي يعيشون فيها ، وفرض على الموظفين الدينيين ارتداء الجبة الخضراء والعمامة الحمراء ، ورتب لهم المعاشات بشرط ان لا يزاولوا أية مهنة أخرى (١) .

وعين العلامة الاسماعيلي (داهود الحسني) وكيلا عنه في بلاد السند وملحقاتها ، يساعده في هذه المهمة المرشد الديني (الياوا هاشم) فأظهرا نشاطا غريبا في تلك البلاد مما لفت انظار أمير المقاطعة (محمد سمره) فدبر مؤامرة للايقاع بهما ، ولكنهما تواريا عن الانظار ، فوزع الامير محمد سمره المناشير على المواطنين يحظرهم من حضور كافة الاجتماعات السرية والعلمية التي يعقدها الاسماعيليون ، وشدد في البحث عن الداعين الحسني وهاشم ، فاضطرا لمغادرة البلاد والعودة الى مركز الامامة في (انجودان) (٢) . ووزع على أتباعه نصائح وتعليمات سميت (كلامي بير (٣)) ، وسير عددا آخر من المبشرين الى المناطق النائية من الهند والخالية من العمران وزودهم

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب ص ٢٥١ .

(٢) نور مبین حبل الله المتين : جنارا ص (٥٤٢ - ٥٤٣) .

(٣) الشيعة في الهند : Hollister: ص ٣٣٧ .

بالأموال والتعليمات ، فتوغلوا في تلك المناطق الخالية وأخذوا يبنون القرى والمزارع ويقدمون الاغذية والكساء للمواطنين مما ساعد على انضواء الآلاف تحت لوأئهم •

أما النشاط الاسماعيلي في البلاد العربية وخاصة بلاد الشام ، فقد كان معدوما لان الفرقة والتناحر على تولي المشيخة أي الزعامة الدينية سببت لهم التأخر والاضمحلال • ويمكنني أن أقول الانقطاع الكلي عن مركز الدعوة في فارس •

وعلى العموم يعتبر الاسماعيليون في الهند عهد هذا الامام من أعظم العهود التي ازدهرت فيها الدعوة في بلادهم ، ويذكر التاريخ ان الامام شاه خليل الله كان يتمتع بشخصية علمية تنظيمية نادرة ، وقيل انه استطاع أن يتوسط لحل النزاع بين طهاسب الصفوي والسلطان سليمان التركي ، فعقد هدنة موقته بينهما ، وبذلك تمكن طهاسب من القضاء على الثورات الداخلية في بلاده التي كان يقودها امراء آل ميرزا : حيدر ميرزا ، وعلي ميرزا ، ومحمد ميرزا •

توفي الامام خليل الله علي في ١٥ شعبان سنة ٩٩٣ هجرية ودفن في (انجودان) في مقبرة الأئمة ولا يزال ضريحه باقيا حتى الآن ويزار •



خليل الله علي شاه الثاني

يعتبر الامام خليل الله علي آخر الأئمة الاسماعيلية الذين قطنوا ايران كانت ولادته سنة ١١٥٣ هجرية في بلدة (كرمان شاه) وأعلنت امامته سنة ١١٩٤ بعد وفاة أبيه ، كان محبا للعلم كريما تقيا ورعا قضى حياته بعيدا عن غمار السياسة مخصصا أوقاته للسهر على مصالح أتباعه ، اشتهر بكثرة التجوال والتنقل بين البلدان التي يقطنها الاسماعيليون ، وخاصة في مناطق الهند ، وافغانستان ، تزوج من ابنة عمه الاميرة (بي بي سركار ماتاسلامات) ابنة الامير بير ميرزا محمد الباقر خان ، وكان يكبرها بعامين ، وبعد وفاتها تزوج ثانية من الاميرة (يمن) فرزق منها أربعة ذكور وبنتين هما : شاه حسن علي ، ومحمد تقى خان ، ومحمد ابو الحسن ، ومحمد باقر خان ، والاميرة (شاه بي بي) والاميرة (كوهارتاج بيكم) •

في عهده عمت البلاد الفتن والفتن والفتن والفتن والفتن ، وأخذ حكام الولايات والمقاطعات يتآمرون بعضهم على بعض ، وكثرت الاغتيالات السياسية والدينية ، والظاهر ان بعض العلماء الاثنا عشرية الذين دأبوا على الكيد للاسماعيلية تأمروا مع حاكم مقاطعة (يزوين) فأوعزوا لأحد المتعصبين ويدعى الملا حسين يزوين نامي بأن يهاجم مقر الامام الاسماعيلي خليل الله علي شاه (الثاني) •

وبالفعل قاد الملا المذكور جماعة من أتباعه وهاجم قصر الامام الذي كان في قاعة المجالس والمحاضرات يلقي محاضرة مذهبية في جماعة من العلماء الغزل من السلاح فجرت معركة حامية قتل خلالها الامام مع نخبة من أتباعه وكان ذلك في شهر شعبان سنة ١٢٣٣ هجرية ، ودفن في النجف الاشراف •

ولما علم الاسماعيليون بالامر أضرموا الثورة في البلاد وهاجموا مقاطعة (يزدين) للثأر من حاكمها ولكن الشاه فتح علي القاجاري توسط لدى ولي عهد الامامة شاه حسن علي عارضا التعويضات وانه سيتولى بنفسه الانتقام من المتآمرين ، فأوعز شاه حسن علي للاسماعيليين بأن يعودوا الى مقاطعتهم ويخلدوا الى السكينة حرصا على سلامة البلاد (١) .

وبالرغم من أن معلوماتنا قليلة عن حياة هذا الامام وتنقلاته وأعماله غير انه يمكننا الاستنتاج من أقوال بعض المؤرخين الذين أتوا على ذكره في أماكن عدة من كتبهم انه كان رجل علم ومعرفة لم يتدخل مطلقا في السياسة ، بل كان يقضي جل أوقاته في المطالعة والقاء الدروس الدينية والمحاضرات ، وارسال الارشادات والتعليمات التوجيهية لاتباعه في جميع أنحاء العالم ، ولم نر أي مصدر يشير الى انه كان على اتصال مع الاسماعيليين في سورية ، وباعتقادنا ان الصلات كانت شبه معدومة أو بالاحرى مقطوعة تماما .



(١) نورمبين جبل الله المتين : جنارا : ص ٧٥١ .

هرف الراء

ركن الدين خورشاه بن علاء الدين

ولد ركن الدين خورشاه بن علاء الدين محمد سنة ٦٢٩ هجرية (١) وقيل سنة ٦٢٨ هجرية (٢) في قلعة (آلموت) وأصبح اماما للاسماعيلية بعد وفاة أبيه سنة ٦٥٣ هجرية .

ويذكر التاريخ ان أول عمل قام به بعد تسلمه الامامة أن أمر باعدام قاتل أبيه (الحسن المازندراني) واحراق جثته ، ومن ثم أخذ يعد العدة وينظم الجيوش لاستقبال المغول الذين وقعوا معاهدة سرية مع أهالي قزوين لقتال الاسماعيلية . ولقد علم الامام بهذه المعاهدة عن طريق نصير الدين الطوسي الذي كان وزيرا (لهولاكو خان) ، وبعد أن أجرى التحصينات اللازمة سير عائلته ونساءه بصحبة ولي عهده شمس الدين محمد الى أذربيجان .

تحولت جيوش هولوكو خان من مدينة (كيش) سنة ٦٥٤ هجرية الى معقلين من معاقل الاسماعيلية في ولاية قهستان بقيادة (بوكيان التتري) فاحتلها بعد قتال شديد وأمر باعدام كل من يزيد عمره على عشر سنوات ولم يستثن أحدا من سكان هاتين القلعتين « تون » و « خواف » .

وأرسل جيشا آخرأ لحصار بقية القلاع الاسماعيلية ، فاستمر الحصار مدة ستة أشهر كان خلالها هولوكو خان يرسل الوفود للمفاوضة مع الامام

(١) نور مبین جبل الله التین : لجنارا : ص ٤٤٤ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية : ٢٢١ .

(٢) تاريخ الادب في ايران : براون : ص ٥٨٠ ، الشيعة في الهند : ص ٣١٩ .

ركن الدين وينشر الوعود الكاذبة التي درج عليها المغول ، مما جعل الامام ركن الدين يصدق وعودهم فسلم الى قوادهم بعض المعقل والحصون ، وأرسل أخاه (شاهنشاه) الى هولوكو خان مع ثلاثمائة رجل ليستبقيهم لديه كرهائن . ولكن « هولوكو » سرعان ما التمس بعض الاعذار فأمر بقتل « شاهنشاه » في بلدة (جمال آباد) بالقرب من قزوین ثم قتل جميع الاسماعيلية الذين سلموا القلاع اليه مع الاطفال في مهادهم ٠٠٠٠ واستبسلت بقية القلاع الاسماعيلية في القتال ومقارعة المغول ، ولكن هولوكو عمد ثانية الى المراوغة والخديعة ، ففاوض الامام ركن الدين خيرو شاه وأصدر عفوا كتابيا (يرليغ) عن الاسماعيلية ، ولكن أبطال القلاع رفضوا الاستسلام واستمروا في القتال وقد استطاعوا أن يقتلوا عددا كبيرا من المغول .

وأخيرا على ما يظهر صدق الامام ركن الدين خيرو شاه وعود هولوكو خان فسلم نفسه الى المغول في ١٩ جمادى الثانية سنة ٦٥٤ هجرية . ولكن الاسماعيلية استمروا في القتال بالرغم من المحاولات الكثيرة التي بذلها الامام لاقناعهم بالتسليم ، واخيرا فتحوا أبواب قلاعهم بعد أن نفذت المؤن واشتبكوا مع التتر في معارك طاحنة قتل فيها اثني عشر الف اسماعيلي وثلاثون ألف تتري واستولى المغول على قلعتي « ألموت » و « ميمون دثر » فأشعلوا فيهما النار ودمروهما عن بكرة أبيهما ، وقيل أن « عطا ملك الجويني » وزير هولوكو استطاع أن ينهب بعض المؤلفات الاسماعيلية القيمة من مكتبة (ألموت) الشهيرة ، وان يأخذ بعض الادوات الهندسية والفلكية (١) .

واستولى المغول بعد ذلك على بقية معاقل الاسماعيلية في ايران ، فأخذوا « لمسر » سنة ٦٥٥ هجرية ولم يتمكنوا من الاستيلاء على قلعة « كردكوه » حتى سنة ٦٥٨ هجرية وكان يقيم فيها العالم الكبير الداعي « منهاج السراج »

(١) تاريخ الادب في ايران : براون : ص ٥٨٢ ، الشيعة في الهند :

يعمل على تدوين كتابه المشهور « طبقات ناصري » .

ويذكر براون (١) : « ان المغول أخذوا الامام ركن الدين خورشاه الى همدان وأحسنوا معاملته وسمحوا له بأن يتزوج فتاة مغولية ، و في ١٩ شوال سنة ٦٥٥ هجرية أرسله المغول الى « قراقورم » ليقدم نفسه الى الامبراطور المغولي « منكو خان » وفي أثناء الطريق اضطره الى أن يأمر ضباطه في « قهستان » بتسليم قلعته الى المغول ، ففعلوا ذلك بعد ما أمتهم المغول على حياتهم ، ولكنهم ما لبثوا أن قتلوا من السكان الآمنين اثني عشر ألفا بمجرد تحرك ركاب « ركن الدين » في طريقه الى « قراقورم » . فلما وصل ركابه الى بخارى أساء حراسه معاملته ، ولم يكديصل الى قراقورم حتى أمر « منكوخان » بقتله !! و أمر بعد ذلك بقتل جميع أتباعه حيثما كانوا . ولا شك أن العدد الذي هلك منهم كان كبيرا جدا !!»

وتذكر بعض المصادر ان أسباب قتل الامام (ركن الدين خيروشاہ) تعود الى أنه رفض أن يلبي رغبة (منكوخان) الذي طلب منه أن يكتب لاتباعه في بلاد الشام ليقدموا المساعدات للمغول ويتنازلوا لهم عن معاقلمهم وقلعهم (٢) .

وهناك روايات أخرى تقول بأن الامام ركن الدين خيروشاہ ظل في قلعة ألموت يدافع ويقاوم مع اتباعه طوال مدة الحصار ، ولما جرت المفاوضات بينه وبين هولاكوخان عن طريق ارسال الوفود والمندوبين وثق بعهود هولاكوخان وموآثيقه ففتح أبواب قلعة ألموت للجيش المغولية الذين بادروا للقبض على الامام ركن الدين مع ولده مظفر الدين وابن أخيه سيف الدين وبعض دعاة فآرسلوا الى بغداد ومنها سيروهم الى (قراقورم)

(١) تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي : براون : ص ٥٨٢-٥٨٣

(٢) نور مبین جبل الله المتین : جنارا : ص ٤٥٣ ، الشيعة في الهند :

للاجتماع بالامبراطور المغولي « منكوخان » بغية عقد معاهدة دائمة بينه وبين الاسماعيلية ، ولكن « منكوخان » رفض استقبال الامام وصحبه وأمر أن يربطوا بأذنان الخيول ، وبعد أن تم ربطهم أطلقت الخيول وهم معلقين بأذنانها ، وظلت تجري حتى تمزقوا ارباً ارباً وكان ذلك سنة ٦٥٤ هجرية •

ومهما كانت الظروف التي أحاطت بهذا الامام فقد تمكن المغول من خدعه بالدين تارة وبالتهديد أخرى حتى صدقهم فسلم اليهم أكثر القلاع ، وبذلك عرض أتباعه لخطر جسيمة أدت الى أوخم العواقب ، والظاهر أن الاسماعيلية في بلاد الشام لم تنطل عليهم أحاييل المغول فرفضوا جميع الرسائل التي بعثها اليهم الامام التي يطلب منهم فيها تسليم الحصون والقلاع للتر ، لعلمهم أن الامام مغلوب على أمره ، وظلوا في معاقلم أقوىاء أشداء ، وباعتقادي أن هذا الرفض من الاسباب الرئيسية لنقمة منكوخان على الامام اذ اعتبره غير مسموع الكلمة لدى أتباعه •

وعلى العموم أعلنت وفاة الامام ركن الدين خيروشاه رسمياً سنة ٦٥٤ هجرية أو في مطلع سنة ٦٥٥ هجرية والتاريخ الاول أصح •



هرف الذال

الذؤيب بن موسى الهمداني

كان للمدرسة المذهبية الاسماعيلية التي أسسها الملك المكرم في اليمن برئاسة الداعي الكبير ملك بن مالك أثر كبير في خلق جيل جديد من الدعاة العلماء الذين كان لهم شأن كبير في عالم الدعوة ، ولا غرو فان طلاب تلك المدرسة كانوا نخبة من التلامذة الافذاذ البعيدين عن أمور الملك والسياسة ، وقد لقنهم الداعي ملك كل ما أخذ من علوم الدعوة أبتان امامته بمصر . ويذكر التاريخ أن الملكة أروى الصليحي قد اختارت الداعي الشيخ الذؤيب ابن موسى الوداعي الهمداني ليرأس مدرسة الدعاة بعد وفاة مؤسس تلك المدرسة الداعي ملك بن مالك ، وسمنه داعيا مطلقا للإمام المستور ، وهذا اللقب أطلق عليه كغيره من الألقاب الكثيرة بعد انقسام الدعوة الاسماعيلية الى نزارية ومستعلية ، وانضمت اليمن الى الخلافة المستعلية بمصر ، ومن ثم عملت الملكة أروى الصليحي على فصل الدعوة بكاملها عن القاهرة وجعلتها مستقلة عنها ، أثر اختفاء الامام الطيب بن الأمر ، وبذلك اعتبر الداعي الذؤيب أول الدعاة المطلقين في دور الستر ، علما بأنه أدرك عهد الظهور وكان من أعلام اليمن العلماء ، وسمي (فراص الكتب) لاستخراجه دفائنها وفكه رموزها ، كما قال عنه صاحب النزهة (١) . وله رسالة تسمى برسالة النفس ، وتتضمن قضايا فلسفية تنفق مع مسائل الدعوة الحقيقية ومع الاساس الذي يقول بأنه لا يمكن الوصول الى معرفة النفس الا بعد معرفة الجسم ، ورسالة معرفة الموجودات ، أوردها الشيخ محمد بن طاهر في كتاب مجموع التربية (٢) .

(١) نزهة الافكار لادريس عماد الدين ٨٦/١ .

(٢) فهرست اسماعيل : (١٨١ - ١٨٧) .

وسانده وعاضده في اقامة الدعوة الاسماعيلية تلميذه السلطان الخطاب ابن الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري الهداني • بعد وفاة السلطان الخطاب آزره السلطان ابراهيم بن الحسين الحامدي • وقال عنهما أدريس (١) : « وهما في العلم مناره وعلمه الذي لا تنجو ناره » • ويقول أدريس أيضا (٢) : « هؤلاء الدعاة العلماء الذين تفرغوا لدراسة العلم فقط فقدموا للدعوة خدمات عظيمة لا تقدر بكنوز الدنيا وجواهرها » • وتدل المصادر الاسماعيلية على أنه تولى رئاسة الدعوة في اليمن سنة ٥٢٠ هجرية واستمر فيها مدة ستة عشر عاما حتى سنة ٥٣٦ هجرية وقيل أنه ظل حتى سنة ٥٤٦ هجرية (٣) هذا ما قاله ايفانوف ، والارجح أن وفاته كانت سنة ٥٣٦ هجرية كما ذكرها الهداني في كتابه : الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (٤) •



(١) عيون الاخبار : ٢٢٢/٧ •

(٢) نزهة الافكار : ٨٧/١ •

(٣) المرشد الى أدب الاسماعيلية (ص ٥٢) •

(٤) الصليحيون والحركة الفاطمية للهداني الباب العاشر (ص ٢٦٨) •

هرف السنين

سنان راشد الدين

كانت سورية من المراكز الهامة في تاريخ الدعوة الاسماعيلية ترتبط ارتباطا وثيقا بمقر الامام الاسماعيلي في (آلموت) وتلقى الدعاة والتعاليم والارشادات ، وكان الائمة في فارس يرسلون ممثلا لهم ونائبا عنهم وحجة لهم ليتولى الاشراف على شئون الاسماعيلية في تلك البلاد ؛ ولما انتزع الاسماعيليون مصياف من بني منقذ سنة ٥٣٥ هجرية جعلوها مقرا لممثل الامام ومركزا لنشر الدعوة ، وتدريب الفدائية ، ووضع الخطط الحربية للدفاع والهجوم ، وكانت مصياف تتلقى موجات متواصلة من الاسماعيليين المضطهدين الوافدين من الشرق والغرب ، هربا من السلاجقة والصلبيين ، ومن المذابح المحلية ، لذا قرر مجلس القيادة في آلموت أن يوفد ، الى سورية قائدا حكيما يتمكن من السيطرة على الاتباع ووضع حد للخلافات التي أخذت تذر قرنهما بين الاسماعيليين لتنافسهم على تولي الرئاسة والزعامة ، لأن ممثل الامام في ذلك الوقت الداعي أبو محمد قد بلغ من الكبر عتيا ، وبعد أن درست اضبارات جميع الحجج والدعاة وكبار القادة والعلماء وقع الاختيار على قائد فذ وشجاع مقدم على جانب عظيم من المعرفة والذكاء ، ونفس عامرة بالاخلاص ، وعقل واسع العلم يفيض بالحكمة ، وهو ممثل الامام في العراق « سنان راشد الدين » .

كانت ولادة سنان بن سليمان بن محمد ويكنى بـ (أبي الحسن) في آلموت سنة ٥٢٨ هجرية وقيل في البصرة في مكان يقال له (Aqro's - Sadan) (١) نشأ وتثقف في مدارس آلموت الاسماعيلية فظهر

(١) قال عنه ياقوت في معجم البلدان « مكان ولادة شخص قام بأشياء لم يستطع احد من قبله القيام بها ولا من بعده » .
Grand maitre des assassins p.p. 34

نبوغا عجيبا ويذكر التاريخ أن الامام القاهر بقوة الله كان يرعاه ويعطف عليه كأولاده^(١) ولما أكمل دراسته أوفده الامام الى العراق سنة ٥٥٥ هجرية فاستقر بالبصرة حتى سنة ٥٥٨ هجرية حيث اختير لتمثيل الامام على ذكره السلام في سورية ، فتوجه الى حلب حيث تمكن من اعادة النظام الى صفوف الاسماعيلية ، وشرع الناس يتوافدون اليه لسماع أحاديثه الشيقة ، وحججه القوية ، فأدهش العلماء والفقهاء بما أظهره من مقدرة علمية فائقة ، جعلته يحتل مكانا ساميا في القلوب ، وارتفعت منزلته ، وقوي نفوذه •

ثم نقل مقره الى منطقة مصياف • فوصل متخفيا بزّي الصوفية الدراويش وأقام في قرية (بسطريون) لا يعرفه أحد يعلم الصبيان القراءة والكتابة ، وقيل أنه كان يجلس على حجر خارج القرية يلقي دروسه لعدة ساعات بدون أن يتحرك وهو في مجلسه^(٢) وكان يعالج المرضى ويوزع الادوية ، واشتهر بين سكان تلك المنطقة بالشيخ العراقي الطيب ، وكان يلبس بردة يمنية ، يغسلها بيده ويحتذي خفا من صنعه ، ولما شاعت أخباره ذهب من نقل الى كبير دعاة الاسماعيلية (أبي محمد) الذي كان يقيم في الكهف ، أوصافه ومزاياه ، فقرر أن يذهب لمشاهدته بنفسه ، وبالفعل اجتمع به وعرض عليه الإقامة عنده في قلعة الكهف فوافق سنان وظل يعمل على مساعدة الشيخ (أبي محمد) مدة سبعة أعوام دون أن يطلعه على المهمة التي أوكلت اليه خشية أن تحدث فتنة أو انشقاق بين الاتباع ، أو ربما كان يقصد من وراء كتمان اسمه التفرغ لدراسة احوال الاسماعيلية ليتمكن من معالجة الاوضاع في المستقبل على أسس واضحة •

ويذكر صاحب المناقب هذه الحادثة فيقول : « ثم توجه الى بسطريون وهي قرية الى الكهف فأقام بها يعلم الصبيان الخط مدة فكان اذا مرض أحد

Grand maitre des assassins : Guyard, p.p. 35 (١)

(٢) نفس المصدر ص ٣٢ .

يأمرهم بشيء يداويه فيتعافى من مرضه فسموه طيبا وصار الناس يقصدونه بسبب المرض ويتباركون به ويشنون عليه فقال الشيخ ابو محمد رحمة الله عليه لما بلغه عنه ذلك ينبغي ان يكون هذا الرجل مقيما عندنا في القلعة ثم طلبه ورتب له طعاما وخبزاً بكررة وعشية فقبل - منه السلام - بعض المرتب وهو يستر نفسه فأقام - منه السلام - سبع سنين وظهر من صلاحه وزهده ما استعظمه الناس فسموه الشيخ العراقي وكان عليه برد يماني وهو في كل عام اذا نزلت الشمس برجها يفتق البردة ويغسل بطاتها ويصلح قضاها ثم يخطها بيده - منه السلام - ويلبسها ويضع لنفسه سرموجة لا خياط فيها سوى خيط النعل لا غير ولها زر عجمي يمشي بها - عليه السلام - فلما انقضت المدة مرض الشيخ ابو محمد رحمة الله عليه وبقي اياما فدخل المولى في بعض الايام وقال له يا شيخ ابا محمد قد انقضت مدتك وحان أجلك ونهار غد تفارق هذا العالم فقف على تقليدي قبل موتك فلما ان قرأ تقليده على الشيخ ابي محمد بكى فقال له المولى - منه السلام - لماذا تبكي فقال ياسبحان الله كيف لا أبكي أسفا على مافات من امثال الامر المطاع من مدة سبع سنين حتى ان مولانا قد جانبنا عوض المملوك ولم اعلم ما يجب علي من تسليم اليك والدخول في طاعتك ولم أقض حقا من حقوقك فقال المولى - منه السلام - يا هذا رأينا الامور جارية على يديك فاحسن بناءها وحق جابر السموات والارض لقد كان لك من السعادة والتسديد والتوفيق والتأييد ما لو شئت ان تأخذ قلعة الجبل بمصر وهمرت بها لاخذتها فعند ذلك فارق الشيخ ابو محمد في اليوم الثاني الظهر وهو الوقت الذي أشار اليه المولى منه السلام (١) .

ومن ذلك نستنتج ان الشيخ ابا محمد قد أصابه مرض شديد بعد أن تجاوز الثمانين أو التسعين من عمره فأراد سنان أن يطلعه على حقيقته ويعرض

(١) فصل من اللفظ الشريف مناقب المولى راشد الدين : ورقة (٤) نسخة خطية في مكتبي الخاصة .

عليه أمر تعيينه مكانه قبل وفاته ، فدخل عليه واعلن له بقرب وفاته وقدم له كتاب الامام في (آلموت) الذي يطلب فيه من الشيخ ، أبي محمد الطاعة لمثل الامام الجديد الشيخ سنان بن محمد الملقب براشد الدين ، والظاهر أن أبا محمد تأثر جدا فبكى على مافات ، ولكن سنان أفهمه بأنه لم يفعل ذلك الا حرصاً على وحدة الصف وجمع الشمل ، وتقديراً لخدماته فابتسم ومات مرتاح الضمير بعد أن أعلن لاتباعه ولمجلس دعاة ان الامام في آلموت قد عين سنان راشد الدين خلفاً له ، فاحتفل بهذه المناسبة في جميع الحصون والقلاع وتسلم سنان راشد الدين القيادة ونقل مقره الى مدينة مصيف حيث وجه اهتمامه الى ايجاد المدارس التعليمية ، لتخريج الدعاة ، وشرع بتدريب الشباب على أعمال الفدائية والامور العسكرية^(١) وعكف على بناء حياة الاسماعيليين على أسس منظمة من العمل المستمر في جميع الميادين ، وعمم المدارس وزودها بالدعاة الاكفاء والمدرسين العلماء ، لينشئ جيلاً مؤمناً مزوداً بالعلم والمعرفة ، ورمم القلاع ، وحث اتباعه على فلاحه الارض وزراعتها ، ودرّب الفدائية في المدارس التي أوجدها ، ونشط التجارة ، فاستقرت الامور وبلغت الاسماعيلية الذروة من الازدهار والسؤدد والمجد ، وكان سنان يقضي أيام الاسبوع منتقلاً بين القلاع والحصون وقد خصص يومين للاقامة بجبل مشهد، حيث ينقطع للتأليف ، ورصد النجوم ، والتأويل ، وكان يكثر من التخفي لزيارة بعض المدن السورية لتفقد شؤون الاسماعيلية فيها ، وكان في كل يوم جمعة يجلس على صخرة عالية يخطب ويحاضر داعياً الى التمسك باصول المذهب والعمل لما فيه مرضاة الامام صاحب العصر والزمان^(٢) .

كل هذه الاعمال حبيبة للاسماعيلية فتعلقوا به واثقوا لقيادته الروحية السامية ، كيف لا وقد كانت تتجسد فيه صورة الاسماعيلي النموذجي الذي

(١) Grand maitre des assassins : Guyard, p.p. 35

(٢) مناقب المولى سنان راشد الدين ورقة (٦) نسخة خطية في مكتبتي.

بسعة الافق العلمي ، والدهاء السياسي ، والمقدرة النادرة على التدريب والتنظيم ، مما أثار اعجاب ودهشة الكتاب والمؤرخين ، فقال ابن جبير الذي زاره في معقله^(١) : « ان الاسماعيليين يبذلون الانفس دون زعيمهم سنان ، وحصلوا من طاعته ، وامثال أمره ، بحيث يأمر أحدهم بالتردي من شاهق جبل فيتردى » ولم يقف نشاطه عند هذا الحد بل درب الفدائية على استعمال مختلف أنواع الاسلحة ، وعلمهم لغات أهل البلاد المجاورة ، وعاداتهم وتقاليدهم ومذاهبهم ، وبالتدرج تمكن من بسط نفوذه على القلاع المجاورة وهي : المرقب ، القدموس ، الخوابي ، الكهف ، صهيون ، العليقة ، المينقة ، أبو قبيس ، المهالبة ، الرصانة ، واعدها لاستقبال الاسماعيليين المضطهدين الوافدين من فارس والمدن السورية هربا من الارهاب والمذابح^(٢) .

ويذكر التاريخ ان سنان راشد الدين لعب دورا رئيسيا في السياسة السورية والمصرية وكان حجر الثقل في العالم الاسلامي ، ووقف سدا منيعا في وجه الصليبيين الذين تسللوا الى داخل البلاد السورية ، وملكوا شواطئ البحر المتوسط ، وكانت قوة فدائيته تهدد جميع الملوك والحكام ، وتمكن بواسطتهم من ارغام الصليبيين والمسلمين ، على مهادته وكسب وده ، وكان أول نزاع نشب بين سنان ونور الدين زنكي الذي استولى على شيرز وهاجم بقية القلاع الاسماعيلية بدون جدوى ، فعمد سنان الى ارسال أحد فدائيته فتمكن من وضع خنجر مسموم ورسالة تهديد عند رأس نور الدين تنذره بالموت اذا لم يقلع عن مهاجمة القلاع الاسماعيلية فانصرفت جيوشه في اليوم الثاني للانذار^(٣) .

وبعد وفاة نور الدين زنكي تزعم الجبهة الاسلامية صلاح الدين الأيوبي

(١) رحلة ابن جبير صفحة ١٧٤ .

(٢) نورمبين جبل الله المتين : جنارا : ٤١٣ ، خطط الشام : كردعلي : ٨١/٢

(٣) Grand maitre des assassins : Guyard, p.p. 101

الذي أذاق الاسماعيليين في مصر العذاب وفتك بعائلة الخليفة (العاضد)
 وكونوا احد عشر ولدا وأربع بنات واربع زوجات وأقارب آخرون يربو
 عددهم على ١٧٠ شخصا ، واحرق المكتبة الاسماعيلية الموجودة في دار الحكمة
 بعد أن بعثر محتوياتها • تألم سنان من تلك الاعمال فأوفد الفدائي المخلص
 (حسن الأكرمي) وامره بتهديد صلاح الدين في القاهرة ، فتمكن هذا
 الفدائي من دخول القصر الملكي والوصول الى حجرة رقاد صلاح الدين
 فوجده غارقا في أحلامه يغط في سبات عميق ، فترك له خنجرأ مسلولا ،
 منطعا بالدم ، بقرب الوسادة كما ترك بطاقة كتب عليها : « اعلم أيها السلطان
 المعتصب العاتي •• انك وان اقلقت الابواب ، ووضعت الحراس ، لا تستطيع
 أن تنجوا من القصاص ومن انتقام الاسماعيلية • أراك قد بالغت في القحة
 واستبدت وقتلت ، وظلمت وسلبت ، دون أن تحسب حسابا لشيخ الجبل
 الاسماعيلي الذي يقف لك بالمرصاد ، لو أردنا قتلك الليلة ل فعلنا ، ولكن
 عفونا عنك لعلك تقدر هذا ، واتنا نندرك لتصلح من سيرك وتعيد الحق
 المعتصب الى ذويه ، ولا تحاول أن تعرف من أنا فذلك صعب عليك ، وبعيد
 عنك ، بعد السماء عن الارض ، اذ قد أكون أخاك أو خادمك ، أو حارسك ،
 أو زوجك وانت لا تدري والسلام^(١) •

ولما وصلت جحافل صلاح الدين الى سورية أغار سنة ٥٧١ هجرية على
 بعض القرى الاسماعيلية في جهات حلب فخرّب بزاعة واعزاز ، فوثب عليه
 فدائي وطعنه بسكين في رأسه ، فجرحه جرحا بليغا وتمكن جنود صلاح
 الدين من القبض عليه وتقطيعه اربا ، فهجم عليه فدائي آخر وضربه بخنجره
 عدة ضربات ، فألقي القبض عليه واعدم فوراً • وعاد السلطان صلاح الدين
 مذعورا ، والتجأ الى خيمته خشية الاغتيال • وصمم على الثأر من مقدم
 الاسماعيليين في مصيف •

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : لمصطفى غالب : ص ٢١٢ •

فقصد معقل سنان راشد الدين في مدينة مصياف سنة ٥٧٢ هجرية في جيش عظيم ونصب عليها المنجنيقات وعسكر بضواحيها ، بينما أخذ سنان راشد الدين يتجول في القرى يتفقد أمرها ، ويعدها لليوم الفاصل والمركة الحاسمة ، وصعد الى قمة جبل مشهد ليرقب الجيش ، وليستقبل الوفد الذي سيره اليه صلاح الدين لمفاوضته على التسليم برئاسة محمد الكردي الذي سلم كتاب صلاح الدين الى سنان ، فرد عليه سنان برسالة مع الوفد المفاوض قال فيها « وقفنا على تفصيله وجمله ، فياللعجب من ذبابة تظن في أذن فيل ، ولقد قالها قبلك قوم آخرون فدمرناهم . وما كان لهم ناصر ، وما صدر من قولك في ضرب العنق ، فالليل وما وسق ، لتركن طبقا عن طبق كالباحث عن حنقه بظلفه » . وتوات بعد ذلك المفاوضات والتهديدات والوعيد ، فرد عليه سنان فقال (١) :

يا ذا الذي بقراع السيف هددنا
قام الحمام الى البازي يروعه
أضحى يسد فم الأفعى باصبعه
لو أن عمرك جلا أنت ماسكه
ثم كتب له ثانية :

بنا نلت هذا الملك حتى تأثلت
فأصبحت ترمينا بنبل بنا استوى
بيوتك فيها واشخر عسودها
مغارسها منا وفينا حديدها (٢)

ولما شعر سنان راشد ان الرسائل لا تجدي نفعا . عمد الى ارسال أحد الفدائية ليلا فدخل خيمة صلاح الدين ، برغم حيطته في فرض الحراسة

(١) هذه الابيات وجدناها في مخطوط اسماعيلي اسمه البستان ورقة (٢١٣) في مكتبتي الخاصة .

(٢) من مخطوط اسماعيلي اسمه من اللفظ الشريف ورقة (٢٣) .

المشددة ، فبدل موضع المصاييح التي كانت تنير الخيمة ، ووضع خنجرا مسموما غرسه في رغيف حار قرب رأس صلاح الدين وبجانبه قطعة من الورق كتب عليها عدة أبيات من شعر سنان :

انا منحناك ثوباً للحياة فان كنت الشكور وألا سوف نخلعه
قد قام قف الى قاف يزعزعه كضفدع تحت صخر رام يقلعه
ما يستحي ثعلب صغر همتسه يرسل الى أسد الغابات يفزعه

وجاء في المناقب هذان البيتان :^(١)

أما وجلال الملك ما تملكونها مراغمة ما دام ذا النصر قائم
نخبركم أنا قدرنا عليكم نؤخركم حتى تتم الغرائم

نهض صلاح الدين مبكرا حسب عادته ، ورأى الخنجر والكتاب ، فاعتقد أن سناناً من أشرف وأنبل الرجال ، اذ لو أراد قتله لما تأخر عنه بعد أن أصبحت حياته بيد ذلك الفدائي •

وعلى الفور استدعى خاله أمير حماه شهاب الدين الحارمي ، صديق سنان ، فتوسط بينهما بالصلح شريطة أن تشترك فدائية الاسماعيلية في الحروب الصليبية ، وبالفعل ساهموا بألاف الجند والفدائية في معركة حطين ، واغتيال ملوك الفرنجة في صور وغيرها •

ومن جهة ثانية سعى الصليبيون للتفاوض مع سنان ، والتحاليف معه ضد صلاح الدين ، ولكنه رفض ذلك مما أدى الى حصول منازعات مستمرة بين سنان والافرنج بعد ذلك • حيث يعتدي سنة ٥٨٨ هجرية كونراد مونتفرات أمير صور على سفينة اسماعيلية في عرض البحر ، فأرسل اليه سنان فدائين

(١) مناقب سنان راشد الدين نسخة خطية في مكتبي الخاصة ورقة (٩)

فقتلاه وقدم رأسه لصلاح الدين • فكافأهما وأحسن اليهما ومنحهما دقيقا ،
وأعطى سنانا عشر قرى ألحقها بمصياف^(١) •

وهكذا نرى سنانا حافظ على نصوص المعاهدة وعلى وعوده التي
قطعها للسلطان صلاح الدين فتوثقت بينهما عرى الصداقة في عهد خلفاء
سنان ، وخلفاء صلاح الدين •

وفي سنة ٥٨٨ هجرية توفي سنان راشد الدين ودفن في احتفال مهيب
في سفح جبل مشهد بعد أن خدم الاسماعيلية في سورية أكثر من ثلاثين
عاما •

وعرف سنان بأنه أديب كبير ، وعالم نحير ، وفيلسوف عبقرى ، وكان
له شعر حسن وكلام منشور جيد ، عالم في النجوم والرياضيات ، اشتهر بالمقدرة
الفائقة على القيادة والسيطرة التامة على الاتباع ، قوي الارادة ، طموحا
مؤمنا تقي ورع عفيف النفس •

ولقد تضاربت الأقوال حول مركز سنان الديني بالنسبة للدعوة الاسماعيلية،
فذهب البعض الى القول بأنه كان الامام الاسماعيلي نفسه يعمل متسترا باسم
سنان راشد ، وقال البعض الآخر بان سنان كان اماما بالفعل ، ولم تكن له
أية صلة بالأئمة الاسماعيلية في (ألموت) الخ ••

ونحن نرد على هؤلاء ونقول ان سنان لم يكن سوى ممثلا للامام وحجة
له وكان على اتصال دائم بأئمة الاسماعيلية في فارس ذلك ما تؤكد جميع
المصادر التاريخية أما أقوال العامة فلا يؤخذ بها ولا يعتمد عليها •



(١) مناقب سنان راشد الدين نسخة خطية في مكتبي الخاصة ورقة (١٤)

سيد سهراب والي

من كبار دعاة الاسماعيلية في وسط آسيا ، وقيل انه كان تلميذا للشاعر والفيلسوف الاسماعيلي الكبير ناصر خسرو ، ترك مؤلفات كثيرة ، فقد بعضها والباقي أتى على ذكرها المستشرق ايفانوف في كتابه المرشد الى أدب الاسماعيلية (١) وهي :

- ١ — كتاب صحيفة الناظرين وهو عبارة عن ٣٦ صحيفة تتضمن شرح لبعض أشعار ناصر خسرو .
- ٢ — روضة المعلمين .
- ٣ — بياني هفت عقائد اركان الشريعة .
- ٤ — من كلام أمير المؤمنين .
- ٥ — بياني هفت حدود الدين .
- ٦ — نصيحة أمير المؤمنين .
- ٧ — الدنيا والآخرة .
- ٨ — قصة حياة النبي .
- ٩ — معنى الاسم المبارك لحضرة الرسول .
- ١٠ — مطلوب السائلين .
- ١١ — نصيحة المؤمنين .
- ١٢ — نور ناما .
- ١٣ — رسائل في الدين والمذهب .
- ١٤ — رسائل الامام جعفر الصادق .

(١) المرشد الى أدب الاسماعيلية : ايفانوف : ص ٩٦ .

- ١٥ — رسالة دار بابي اصول الدين •
- ١٦ — شرح المراتب والحدود •
- ١٧ — علم التأويل •
- ١٨ — تأويل هفت أركان الشريعة •
- ١٩ — تأويلاتي لكساني راز
- ٢٠ — ام الكتاب •
- ٢١ — وصيات نامي حضرت رسول
- ٢٢ — زبدة الحقائق •

ذهبت جميع محاولاتنا وتنقيباتنا ادراج الرياح فلم نعر على اية ترجمة
لحياة هذا العالم الكبير وباعتقادي أنه من دعاة الهند الذين أوفدهم الحسن
ابن الصبّاح الحميري ليتولى أمور الدعوة فيها وأكثر كتبه باللغة الفارسية •

* * *

هرف الشين

شمس الدين بن أحمد الطيبي

من كبار شعراء وعلماء وفلاسفة الدعوة الاسماعيلية النزارية في بلاد الشام .
ولد شمس الدين بن أحمد الطيبي في قرية (بزاعة) من أعمال حلب سنة ٥٩٢ هجرية ، كان أبوه الشيخ أحمد الطيبي من كبار دعاة المذهب الاسماعيلي في جهات حلب ، وكان جل اهتمامه أن ينشئ ويربي ولده الوحيد شمس الدين تربية دينية صالحة ، فأخذ يلقيه كافة العلوم الاسماعيلية فاستوعبها كلها وهو في سن مبكرة ، وأخذ ينظم الشعر الفلسفي المعروف لدى الاسماعيلية ، وما كاد يبلغ أشده حتى وصلت أخباره الى مركز الدعوة الاسماعيلية النزارية في (آلموت) فاستدعاه الامام علاء الدين محمد حيث جعله شاعره الخاص ، وأخذ هو بدوره يتلقى علومه العالية على أيدي كبار دعاة وعلماء (آلموت) وتتلذذ فترة من الزمن على الفيلسوف الكبير نصير الدين الطوسي .

وأخيرا قرر مجلس الدعوة ارساله ليتولى أمور الدعوة في بلاد الشام ، على أن يكون داعيا متجولا في كافة البلاد ، يلقي المجالس والمحاضرات وينشر المذهب الاسماعيلي . وظل يتنقل بين القلاع حتى أصيب بمرض خطير توفي على أثره في بلدة مصيف سنة ٦٥٢ هجرية ودفن فيها .

يستدل من المصادر الاسماعيلية السورية بأن شمس الدين الطيبي ترك عدة كتب تبحث في الفلسفة الاسماعيلية وأصول المذهب ، فقدت كما فقد غيرها من مؤلفات الدعوة الاسماعيلية ، ولم يبق الا كتاب واحد فقط هو (دستور المولى علاء الدين^(١)) وأشعار وقصائد كثيرة موزعة في أغلب

(١) وقد جاء بآخر هذا الكتاب بأنه من تأليف سيدنا الداعي الاجل « شمس الدين بن أحمد الطيبي » وقد سمعه من « نصير الدين الطوسي » .

المخطوطات الاسماعيلية السورية ويستنتج منها ، أنه كان غزير المادة ، وشاعرا مبدعا ، تسكن من فلسفة المذهب الاسماعيلي وعبر عنها بأشعاره • ومن قصيدة له في مدح آل البيت يقول فيها^(١) :

ولديه يكون عدل وظلم
كانت الكائنات كالليل حتى
فاذا ما ارتقى يقصر وهم
وعليه يدور عرف ونكر
لاح من نوره فأشرق فجر
عن مدى فهمه ويعجز فكر
ومنها في الحكيات :

انما النفس للخليقة لب
فاطلب اللب واترك القشر يشر
واتبع الحق لا تمل عن هداه
أكثر الخلق في عمى وضلال
من دعاهم لباطل تبعوه
فهم الجاحدون لما أتاهم
وكذا الجسم في الحقيقة قشر
ح لك صدر ثم يوضع وزر
باعقاد يراه زيـد وعمر
ليس ينهيم عن الجهل زجر
واذا ما دعوا الى الحق فروا
بيبان الهدى من الله ذكر
ومنها^(٢) :

سقط اليوم حيث خس فأضحى
نحن أطفـال غادة وعلينا
والفتى في يد الطيعة عبد
نحن كالماء يدفع البعض بعض
فوق أيدي الملوك باز" وصقر
لولي الأـمـور نهي وزجر
فاذا حل قيـده فهو حر
ليتم المسـير والـدهر نهر

(١) وجدت هذه القصيدة بكاملها ضمن مخطوط اسماعيلي سوري باسم (الازهار) ورقة ١٢١ .

(٢) كتاب الازهار (نسخة خطية) في مكتبي الخاصة ورقة ١٢٢

ومنها في الاخلاق (١) :

فيه نيل الكنال بيض وصفر
ليس بالجاهلية يشتد أزر
مات غيظاً وفي الحشا منه جسر
فالفضا واسع وما ضاق بر
ذلة العاشقين في الحب مهر
دون درك الوصال بيض وسر

لا تكن كالصبي يلهيك عما
لا تكن واثقاً بخل جهول
لا تكن حاسداً قرب حسود
وإذا ضاق موضع بك فارحل
وإذا ما عشقت فاخضع بذل
أظن الوصال يدرك سهلاً
ومنها في مدح السادة الأظهر :

من ثناء الأئمة الطهر عطر
سادة قادة الميامين غر
شأنهم حكمة تقوى وبر
من الفرع والامامة زهر
مثل طوبى وما خلا منها قطر

طاب شعر الطيبي ، لم لا وفيه
أولياء الهدى أئمة صدق
قرشيون هاشميون عرب
دوحة أصلها النبوة والعلم
شمل الكون ظلها وجاها

ومنها (٢) :

وسقاة الغمام ان عز قطر
ذكرهم لم يكن عشاء وظهر
ولهم في الورى ظهور وسر
وبهم شرفت عراق ومصر
وبهم بشرت اذا جاء نصر
ووحى له وسسبط وصهر

هم هداة الأنام ان ضل قصد
وهم القصص في الصلاة ولولا
قبلة العالمين في كل دور
وبهم شرفت حجاز ونجد
وعليهم نزول اثنا فتحنا
وكفى المسدح أن يقال نبي

(١) المصدر نفسه ورقة ١٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ورقة ١٢٥ .

شمس الدين التبريزي

كان لعلماء الدعوة الاسماعيلية وفلاسفتها المغمورون وخاصة في أدوار الستر، وابان المصائب والمحن التي تعرضوا لها في مختلف البلدان التي كانوا يقطنونها أكبر تأثير على حرمان الاوساط العلمية والفكرية من اتساجهم الخصب الذي تبعث في شتى أقطار الارض ، ومن الثابت أن أغلب تصانيف أولئك العباقرة قد اندثر وفقد ولم يبق الا الجزء اليسير . وبالرغم من كل هذا فقد تمسكنا من معرفة بعض الشيء عن هذا الفيلسوف العبقري الذي كان أستاذا ومرشدا ومعلما لأكبر شاعر ايراني (جلال الدين الرومي) (١) .

يذكر تاريخ الدعوة الاسماعيلية النزارية في فارس أن الشيخ شمس الدين التبريزي المعروف (بشمس تبريز) هو ابن الامام الاسماعيلي علاء الدين محمد ، ولد في قلعة آلموت ونشأ وتأدب في مدرسة الدعوة فيها وأعد ليكون حجة لشقيقه الامام (ركن الدين خورشاه) الذي كان وليا لعهد أبيه علاء الدين محمد . وما كاد يبلغ العشرين من عمره حتى تفوق على جميع أقرانه ونبع نبوغا عجيبا في العلوم الروحية الفلسفية ، فقرر مجلس الدعاة أن يعهد ابنه بالمهمة التي أعد لها ، فأصبح حجة وبابا من أبواب الدعوة ، وأخذ يتنقل بين البلدان ليشرف وينظم أمور دعوته ، ولقد وضعه النقاد لكثرة تجواله فقالوا أنه كان مثل الكوكب يضوي في البلد التي يحط الرحال فيها لحظة قصيرة ثم يخفي فجأة وفي سرعة فائقة ، لذا لقب (برنده) أي (الطائر) وقد وصفه المؤرخ (ردهاوس Redhouse) في مقدمة ديوان (شمس تبريز) 'جلال الدين الرومي فقال : كان يتمتع بمقدرة علمية عجيبة يستطيع في لحظة

(١) نور مبین جبل الله المتین : لعلي محمد جنارا باللفة الاوردية ص ٤٦٣

أن يسيطر على كل من دخل مجلسه وسع محاضراته ، وقد شبهه بسقراط
 انفيلسوف اليوناني الكبير ، وفد الى (قونية) سنة ٦٤٣ هجرية حيث أقام
 بين أتباعه يعقد المجالس العلمية فصحه طوال مدة اقامته الشاعر الفيلسوف
 جلال الدين الرومي ودرس عليه^(١) .

ولما قامت الفتنة الكبرى في قونية في شهر ذي القعدة سنة ٦٤٤ هجرية
 تمكن جماعة من الغوغاء من قتل هذا الداعي الكبير والفيلسوف العظيم ،
 فجن جنون جلال الدين الرومي وأخذ يرثيه بغير الاشعار التي أصبحت على
 مر الزمان من الاناشيد الغنائية التي يرددتها المؤمنون الصالحون في كل
 المناسبات وجمعت تلك الاشعار في ديوان سمي (شمس تبريز)^(٢) .



(١) غزليات مختارة من ديوان شمس تبريز : R. A. (ص ١٨) من المقدمة .

(٢) من المثوي Sprenger المقدمة ص ١٠ .

شمس الدين محمد بن ركن الدين خورشاه

تذكر المصادر التاريخية ان الامام شمس الدين محمد كان بعيدا عن (آلموت) والقلاع الاسماعيليه في فارس عندما حلت بهم الكارثة على أيدي المغول سنة ٦٥٤ هجرية ، لان والده الامام ركن الدين خورشاه عندما شعر بخطر المغول الذي يهدد القلاع والحصون ، أرسل شمس الدين محمد بعد أن نص على امامته مع عمه الى أذربيجان وكان عمره في ذلك الوقت سبع سنوات^(١) ، فأقام في منزل الشاعر الفارسي (نزاري كستان) الذي كان داعيا للدعاة في تلك البلاد .

أما الاسماعيليون الذين نجوا من سيوف المغول فقد توجه قسم منهم الى بلاد الشام ، وقسم آخر سار الى الهند ، وأفغانستان ، والسند ، وهملايا ، وأذربيجان ، فعاشوا بالتقية فترة من الوقت .

والمصادر التاريخية تختلف في تحديد تاريخ ولادة الامام شمس الدين محمد ، فالبعض يقول أن ولادته كانت سنة ٦٣٣ هجرية^(٢) ، أي كان عمره ٢١ عاما عندما توجه الى أذربيجان ، بينما يذكر البعض الآخر أنه كان في السابعة من عمره عندما سيره والده ركن الدين خورشاه الى أذربيجان^(٣) ، ولنفرض أنه أرسله سنة ٦٥٣ هجرية فتكون ولادته سنة ٦٤٦ هجرية ، وهذا بنظرنا بعيد الاحتمال ، والارجح أنه كان قد تجاوز العشرين عندما نص على

(١) نور مبین حبل الله المتین : جنارا : ص ٤٦٠ ، الشيعة في الهند : Hollister ص ٣٣١ .

(٢) نفس المصدر ص : ٤٦٠ ، تاريخ الدعوة الاسماعيليه : ٢٢٣

(٣) الشيعة في الهند : Hollister ص ٣٣١

امامته • ولما أعلنت وفاة والده ركن الدين خيروشاه اعتبر اماماً للاسماعيلية وذلك سنة ٦٥٤ هجرية • فبادر الى نقل مقره الى مدينة (زردوز) في أزربيجان ولقب بـ (آغا شمس) وعرف في تلك البلاد (بسحمد زاردوزي) نسبة الى مدينة زردوز^(١) فعمل على اعادة تأسيس مركز قيادة الدعوة ووضع نظمها الجديدة بمساعدة بعض الدعاة العلماء الذين نجوا من تلك الكارثة ، فأخذت جموع الاسماعيليه تتوجه من كل حذب و صوب الى أزربيجان لتلقي التعليمات والارشادات ، وسير الامام شمس الدين محمد الدعاة الى السند ، والهند ، وأفغانستان ، وبامير وجميع المناطق المجاورة ، مصطنعين التقيه متكرين على هيئة التجار وأصحاب الاراضي ، وقيل « أنه نقل مقره فيما بعد الى قرية كبيرة اسمها « انجودا » وتقع على الطريق القديم الذي يصل بين اصفهان وهمدان ، وهناك قضى شمس الدين محمد بقية حياته^(٢) • وقيل انه كان كثير التنقل لتفقد شؤون أتباعه ، وكان دائم الاتصال مع أتباعه في بلاد الشام يشرف على شؤونهم ويعين دعائهم ، وكان يشرف على مدارسه فلاسفة وعلماء أمثال شمس تبريز ، وجلال الدين الرومي ، وحسام الدين حلي وغيرهم ، وتوفي في (زردوز) سنة ٧١٠ هجرية ودفن فيها ولا يزال ضريحه مزارا مشيدا ومعتنى به • وأعقب من الاولاد ثلاثة هم : قاسم شاه ، ومؤمن شاه ، وكياشاه ، وقد نص على امامة ولده قاسم شاه قبل وفاته ، وعين مؤمن شاه نائبا ، وكياشاه كبيرا لدعائه •



(١) الشيعة في الهند .

(٢) طائفة الاسماعيليه : كامل حسين : ص ٨٦ .

أبو فراس شهاب الدين المينقي

من كبار شيوخ الدعوة الاسماعيلية النزارية في سورية ، ومن جهابذة علمائها وفلاسفتها الذين كان لهم القدح المعلى في نشر الدعوة للامام النزاري غريب ميرزا •

ولد الشيخ شهاب الدين بن ابراهيم المينقي من أبوين اسماعيليين في قلعة (المينقة) سنة ١٧٢ هجرية ، وتلقى علومه الأولية على أبيه الداعي الشيخ ابراهيم ، وما كاد يبلغ أشده حتى أظهر من النجابة والذكاء الخارق ، ما أدهش والده وكبار دعاة عصره ، فرشحوه للقيام بمهمة داعي قلعة (العليقة) وقد استطاع شهاب الدين بما بذله من جهود علمية أثناء الفاء المحاضرات في مدارس الدعوة الاسماعيلية النزارية التي كانت منتشرة على طول الساحل السوري ، أن يكتسب ثقة الأئمة الذين كانوا في عصره وهم على التوالي :

الامام غريب ميرزا من سنة ١٨٩٩ الى ٩٠٢ هجرية

الامام أبو الذر علي من سنة ٩٠٢ الى ٩١٥ هجرية

الامام مراد ميرزا من سنة ٩١٥ الى ٩٢٠ هجرية

الامام ذو الفقار علي من سنة ٩٢٠ الى سنة ٩٢٢ هجرية

الامام نور الدين علي من سنة ٩٢٢ الى ٩٥٧ هجرية

وأصبح في عهد الامام مراد ميرزا كبيرا لدعاة سورية ولقبه (بأبي فراس) نظرا لفراسته في الامور الدينية ، وتعمقه في بحر القصائد الروحانية •

تعددت الميادين الفكرية التي صال وجال فيها ، فكانت له جولات رائعة في ايجاد القواعد الحسائية الفلكية ، وكذلك كان شاعرا رقيقا له أشعار

كثيرة ، وقصائد مبشرة في أغلب المخطوطات الاسماعيلية السورية ، ومن قصيدة النسب المشهورة نقتطف هذه الايات :

زوج البتول أخو الرسول ومن له
نور الامامة بعده من نسله
ذريته هم والكتاب كلاهما
فعلي ومولانا الحسين وولده
ثم الامام الصادق الوعد الذي
ومنها :

والسابع المولى معد المجتبي
ثم العزيز نزار يأتي بعده
وهذه أبيات له أيضا :

قل لقوم دفنوني ومضوا
ليت شعري مذ رأوني ميتا
أعلى الحاضر مني فيهم
ان للصانع فينا حكمة
وبنوا في التراب فوقي ما بنوا
ونعوي أي جزء قد نعوا
أم على الغائب مما لا يروا
عجز العالم عنها وعموا

ويستدل من المصادر الاسماعيلية السورية أنه كان لشهاب الدين أبي دراس ولد يسمى « ابراهيم » مات في حياة أبيه فأرسل له أحد الدعاة قصيدة يعزبه فيها بفقده ، ومنها يتضح فضل الشيخ شهاب الدين ومكاته العظيمة ندى الاسماعيلية عامة :

هياكلنا نحو المقام تسير
ونحن أناس عندنا الموت هين
ولكن فراق الألف صعب وطعمه
وعاقلنا نحو المرام يطير
يسير ، وعند الجاهلين عسير
كريسه على قلب المحب مرير

(١) من كتاب الازهار نسخة خطية في مكتبتي الخاصة من قصيدة النسب

لأرواحنا والجسم فهو حقير
الى النفس من بعد السرور شرور
أصابك منه انني لجدير
له اللؤلؤ المنشور منه غير

مفارقة الجسم الكثيف استراحة
توالت أفانين السرور وأقبلت
ألا يا شهاب الدين مهلاً فبالذي
سقى الله ابراهيم من غيث رحمة
ومنها :

منير برؤياه القلوب تنير
عليم فهيم سيد وحضور
مجيب حبيب للقلوب وقور
به انشرت للمؤمنين صدور
فليس له نحو الجسوم حدود
فللقدر الجاري بسذاك حدير
تأدب منا عاقل وبصير

فان شهاب الدين بدر دراية
كريم حلیم مستقيم مسدد
أديب لبيب كامل الفضل عارف
سني علي المعني مهذب
ومن كان في الأوج الالهي صاعداً
وليس لنا فيما قضى الله حيلة
لسان الفضا لما تكلم فوقنا

ومن هنا يتبين أن هذا الشيخ الجليل والعلامة النحرير كان عالماً فاضلاً
يستوعب بمكانة عظيمة في نفوس كبار الدعاة الاسماعيلية النزارية في عصره ،
ترك عدة مؤلفات عرفنا منها :

١- سلم الصعود الى دار الخلود ٢ - سلم الارتقاء الى دار البقاء .
وقد نسب اليه الاستاذ عارف تامر رسالة (مطالع الشمس في معرفة النفوس)
وبعد الاطلاع على النسخة الخطية لهذه الرسالة واجراء المقارنة تبين لنا أن
اسم الرسالة الاصيلي هو (كتاب البيان لمباحث الاخوان^(١)) لأبي منصور
انيماني الملقب بالشادلي ، ولم نثر على أي ذكر لرسالة باسم (مطالع الشسوس
في معرفة النفوس) ، ولعل في الامر التباس . وتوفي هذا الداعي سنة ٩٣٧
هجرية ولا يزال ضريحه قائماً يزار^(٢) .

(١) حققه وقدم له مصطفى غالب ونشره سنة ١٩٥٦ ميلادية في دمشق .

(٢) يوجد ضريحه في قلعة المينقة بقرب جبلة من محافظة اللاذقية .

شهاب الدين بن حبش السهروردي

الصراع الفكري المذهبي الذي اجتاحت البلاد الاسلامية في القرن الخامس الهجري بين الطوائف والفرق ، أوجد نخبة ممتازة من العلماء والفلاسفة الذين أوجدوا مختلف النظريات العلمية ليحاولوا عن طريقها الاثبات على أن من يتبع مذهبهم أو يأخذ بأصوله وتعاليمه يجد الخير والسعادة في الدارين ، ومن يخالف ما أتوا به اعتبروه مارقا زنديقا لا يمت الى الاسلام بصلة ، مما أدى الى المذابح الكثيرة ، والى الطعن في اصول المذاهب الاخرى ، مع ان التاريخ يذكر بالفخر أن اولئك المطعون في معتقداتهم كانوا من حملة المشعل الفلسفي الذي ينير الطريق الى المثل العليا ، والى الاشراقات الروحية السرمدية . ومن اولئك الضحايا والشهداء هذا العالم العبقرى والفيلسوف الكبير العلامة الشهيد شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي المعروف (بالقتيل) تميزا لمن كانوا يحملون نفس هذا الاسم .^(١)

تدل أغلب المصادر التاريخية على أنه ولد في نيسابور سنة ٥٤٥ هجرية وقيل سنة ٥٥٠ هجرية^(٢) أرسله أبوه لطلب العلم في المدرسة الاسماعيلية في مدينة (المراغة) وهو لا يزال صغيرا ، وهناك دُرِّس كافة العلوم الفلسفية الروحية مع زميله فخر الدين الرازي ، ومن ثم وصل الى (اصفهان) ليطلع على آخر مرحلة من مراحل العلوم المذهبية ، وبعد أن تم له ما أراد عين داعيا متجولا في مختلف البلدان الاسلامية ، وكان يفضل الإقامة بديار بكر ليشرف على المدرسة التي أسسها له الامام الاسماعيلي . وكان بطبيعته يحب التنقل

(١) وهو غير شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد البكري السهروردي الذي سنأتي على ذكره في غير هذا المكان .
 (٢) ابن أبي أصيبعة : ص ١٦٧ - ١٧١ ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان ٤/١٣٥

والاسفار ويفضل الخلوات الروحية العميقة . والجدير بالملاحظة أنه أشار في نهاية كتابه (المطارحات) الى هذه الرحلات والغاية منها فقال : « وهو ذا قد بلغ سني الى قريب من ثلاثين سنة ، وأكثر عمري في الاسفار والاستخبار والتفحص عن مشارك مطلع على العلوم ولم أجد من عنده خبر عن العلوم الشريفة ولا من يؤمن بها » . وهذه العبارة أكبر دليل على أنه كان يبحث عن رجل عنده القوة أو المقدرة على ادراك المعاني الفلسفية الروحية ، التي جسدها في الهامه ووحيه وامامه ؛ واخيرا حظ رحاله في مدينة حلب حيث ناظر بعض الفلاسفة والعلماء والفقهاء في عهد الملك الظاهر ابن صلاح الدين ، فافحمهم بالنظر لمقدرته العلمية الخارقة فحقدوها عليه واتهموه بالكفر والزندقة والالحاد والظعن في الدين الاسلامي وطلبوا من أمير حلب اعدامه . فأخذ يماطلهم ولكنهم كتبوا لصلاح الدين فارسل الى ابنه يهدده بالخلع اذ لم يقتل هذا الفيلسوف ولا تزال الروايات متفاوتة فمنهم من قال : انه مات مخنوقا والبعض الآخر يقول انه مات قتلا بحد السيف ، وقسم آخر يؤكد أن شهاب الدين امتنع بنفسه عن الطعام حتى دعاه الله الى جواره سنة ٥٨٧ هجرية وكان عمره ٣٦ سنة أو ٣٨ سنة ولقب (بالشهيد)^(١) .

هكذا يجب أن يموت العلماء وأصحاب المبادئ الحرة ، في عصر تبخرت فيه كل القيم الانسانية والاخلاقية ، وسيطر التعصب المذهبي الزميم على تلك المجتمعات الفاسدة .

وعلمنا الشهيد يعتبر بحق من عباقرة عصره لسلامة طبعه ومقدرته الابداعية ، وبراهينه الدامغة وحججه القوية ، كيف لا وقد عرف العالم على المضمون الروحي للعقيدة الاسماعيلية وأوجد النزعة الانسانية الحقيقية المستمدة من أصولها ، ومأساة الحلاج التي اهتزت لها بغداد عدة سنين لأكبر دليل

(١) نزهة الارواح : لرافع الشهرودي ص ٩٧ - ١٠٠

على عنف وقسوة اولئك الذين يسمون أنفسهم فقهاء وعلماء ، بينما يعيش في نفوسهم التنتة الحسد والغيرة والتحامل •

وباعتقادي أن صلاح الدين الذي أمر بقتل هذا الفيلسوف تلبية لرغبة رجال الدين في حلب الذين تقلوا له أن هذا العالم قد استطاع أن يؤثر في عقل ولده ولربما اعتنق مذهبه ، قد خاف أن ينضم ولده الذي كان لا يفارق هذا الفيلسوف الا نادرا الى صفوف الاسماعيلية فيشكل أكبر صدع في دولته وهو الذي لم يعرف حتى قضى على الدولة الفاطمية • ومهما يكن الامر فقد مات علمنا شهيدا كغيره من الشهداء الاعلام في سبيل أفكاره الحرة وعقيدته المثلى •

ومن أهم مؤلفات هذا المفكر العظيم :

- ١ - الألواح العمادية •
- ٢ - المطارحات •
- ٣ - اصوات اجنحة جبرائيل •
- ٤ - نزهة الارواح •
- ٥ - حكمة الاشراف •

وتضم أكثر مؤلفاته مقالات ميتافيزيقية وتشبهات وعروض مذهبية وابحاث روحية سرمدية لها مكانة عظيمة في عالم الفكر الخلاق المبدع •

وما ابداع ما قيل عنه : (١)

لقد بدأ السهروردي حياته الروحية بنقمة من شعر الحلاج في التوحيد :
 لانوار نور النور في الخلق أنوار وللسر في سر المرين أسرار
 وقضى عمره يوقع عليها متنوع الألحان •

(١) عبد الرحمن البدوي في كتابه شخصيات قلقة في الاسلام ص ١٣٢

شهربار بن حسن

وفد على دار العلم بالقاهرة المعزية كغيره من دعاة المذهب الاسماعيلي للتزود من العلوم المذهبية ، ولسماع المحاضرات التي كانت تلقى في دار الحكمة ، ويعتبر من علماء فارس وكرمان المشهورين ، وما كاد ينهي دراسته في القاهرة حتى أرسل داعيا لبلاد اليمن في عهد الملك المكرم الصليحي ، ليشرف على مدرسة الدعاة التي تأسست في اليمن ، فكان من كبار مدرسيها ومن أقدر فلاسفتها وعلمائها ، ومن ثم أعيد الى القاهرة في بعثة علمية ليدرس على المؤيد في الدين الشيرازي داعي الدعاة ؛ وبعد أن أنهى دراسته العليا مثل بين يدي الامام فاعجب به وبغزارة علمه ، خاصة وانه يتقن عدة لغات ويجيد النقاش والبحث والمجادلة فيها ، فأمره الامام بالعودة الى اليمن وأمره بأن يجعل مجاله الحيوي عدن ، والبحرين واليمن .

وفي اليمن قام بعض العلماء والفقهاء فصنفوا رسائل أنكروا فيها وجود العالم الروحاني ، فهب الشيخ شهربار للدفاع عن نظرية وجود العالم الروحاني فصنف رسالة في الرد على من ينكر العالم الروحاني ، وهذه الرسالة موجودة ضمن مجموعة رسائل الكرمانى الثلاثة عشر ، ومجموع التربية للشيخ محمد بن طاهر الحارثي ، ولشهربار بن حسن أيضا رسالة أخرى في معنى قول الله « انا فتحنا لك فتحا مبينا » ، صنفها جوابا على مسألة السلطان عامر بن سليمان الزواحي^(١) . وقصيدة أوردتها الداعي سليمان بن حسن^(٢) في كتاب النخب .

(١) المرشد الى أدب الاسماعيلية ايثانوف : ص ٤٩ .

(٢) الصليحيون والحركة الفاطمية باليمن للهمداني : ص ٢٦٦ .

هذا كل ما تمكنا من العثور عليه في المصادر الاسماعيلية عن حياة هذا الداعي الكبير الذي كان له شأن عظيم في بلاد اليمن وعدن والبحرين • أما تاريخ حياته فمجهول تماما ولم نستطع بالرغم من الجهود التي بذلناها في هذا الخصوص ، وكل ما توصلنا الى معرفته أنه جاء الى اليمن من كرمان وفارس وتردد على مركز الامامة في القاهرة ودرس على المؤيد في الدين الشيرازي وذلك في عهد الامام المستنصر بالله الفاطمي ، فعسى أن تكشف الايام مزيدا من المعلومات عن هؤلاء الدعاة العلماء المغمورين •



طاهر شاه الدكني الجنيدي

ينحدر طاهر شاه الجنيدي الدكني من اسرة مؤمن شاه بن شمس الدين محمد التي انشقت عن الاسماعيلية النزارية سنة ٧١٠ هجرية ، وهذه الاسرة لا نعلم شيئاً عن تاريخ حياة أئمتها ، كما أننا لا نعرف أي شيء عن نشاطها في ايران والهند ، سوى ما ورد في مقال للمستشرق ايقانوف نشره في المجلة الملكية الآسيوية بعنوان (العرق المنسي من الاسماعيلية) ويبدو أن ايقانوف قد استقى أكثر المعلومات التي أوردها في مقاله عن (فيرستا) ومع ذلك لم يكن فيه كل ما يروي غليل الباحث عن هذه الاسرة التي لعبت دورا هاما في تاريخ الهند ، مما دفعنا الى الاتصال ببعض أتباع هذه الاسرة في مصيف والقدموس ، حيث وجدنا لديهم بعض المعلومات الجزئية وردت في بعض المخطوطات السرية تلقي ضوءاً على أسماء أئمة هذا الفرع ، مما لا نجده كافياً للإيفاء بالعرض المطلوب ، وسنأتي في غير هذا المكان بنسخة عن شجرة نسب هذه الاسرة على أنه لا بد لنا ونحن في معرض الحديث عن اسرة مؤمن شاه من الاتيان على ذكر أحد أئمتها وهو طاهر شاه الجنيدي الدكني^(١) ففي تاريخه ما يفيد أنه كان من الشخصيات البارزة التي لعبت دوراً اولياً في مملكة (برهان نظام شاه^(٢)) في دكن . قيل انه ولد في مازندران الفارسية سنة ٨٦٠ هجرية وتلقى علومه في أحمد نكر ، ولكنه اضطر الى مغادرة فارس بناء على رغبة الملوك الصفويين ، فتوجه الى الهند حيث استقر في (دكن) في بلاط ملكها أحمد نظام الذي قربه اليه واتخذه مستشاراً له ، ولما توفي

(١) نسبة الى بلدة الدكن التي قطن فيها : الطائفة الاسماعيلية : كامل

حسين ص ٨٧ .

(٢) Ferishta, op. cit., IXIV, III, p. 134; الشيعة في الهند ،

Hollister ص ١١٧ .

أحمد نظام وخلفه ابنه برهان نظام شاه وكان في السابعة من عمره أصبح طاهر شاه وزيرا له فعمل على جعل دين الدولة المذهب (الشيعي) وقيل المذهب الاسماعيلي ، وقدم لهذه الدولة خدمات كثيرة ، وبعد وفاة برهان نظام شاه استلم ولده اسماعيل شؤون الدولة فساءت العلاقات بينه وبين طاهر شاه لاسباب أهمها الدس الذي تعرض اليه من قبل الوزراء وفي مقدمتهم (مرزاحسين) الاصفهاني فكان سببا لاعتزاله السياسة والتوجه الى أطراف المملكة وأخذ يعمل بالتدريس في إحدى المدارس الدينية المشهورة ، فحسده المعلمون والفقهاء واتهموه (بالهيرطوقية) وباجراء الاتصالات المشبوهة مع الملوك الاجانب وطالبوا الملك باعدامه ، ففر الى فارس واستقر فيها مدة عام واحد حيث أجبر على مغادرة البلاد ، فعاد الى الهند وقطن في (جابور) عاصمة عادل شاه . ولكن عادل شاه لم يهتم به فقرر أن يتوجه الى البلاد العربية ، ولكنه التقى صدفة وهو في طريقه الى الميناء بالخواجه (جوهان الوزير) الذي تمكن من اقناعه والعودة به الى أحمد نكر وكان ذلك سنة ٩٢٨ هجرية وظل فيها مدة عشر سنوات يعمل في السلك الدبلوماسي والتدريس حتى توفي سنة ٩٣٨ هجرية . ونقل جثمانه الى كربلاء في العراق بناء على وصيته . ترك مؤلفات كثيرة وكتب عديدة فقدت على مر الايام . وذكر له ديوان شعر ومجموعة نماذج للكتابة ، وأبحاث في الفقه الجعفري ، وشروح وحاشيات على الماجستي والشفاء لابن سينا والمطول ، وله في الفارسية كتاب (قدشداني راز) و(تحفة شاهي) وقصيدة اسمها (بلاكي ^(١)) .



(١) Ferishta, op. cit., III, p.p. 223 - 224 ، الشيعة في الهند ،

Hollister ص ١١٩ .

حرف العين

عامر البصري

من كبار شعراء الدعوة الاسماعيلية الذين عاشوا في دور الستر الاول ، ويستدل من أشعاره الكثيرة الموزعة في أكثر المخطوطات الاسماعيلية السورية ، أنه كان داعيا سيارا للامام الاسماعيلي المستور الذي تنشر الدعوة باسمه ، فتجول في سيواس وبلاد الروم وايران وتركيا . وفي أواخر حياته استقر في مركز الدعوة الرئيسي في سلمية ، حيث عكف على التأليف والقاء المحاضرات الدينية ، ويستنتج من تأنيته المسماة باسمه ، أنه كان صوفيا بين الصوفيين ، وفقيرا بين الفقراء ، وأميرا بين الأمراء ، وعالما لا يشق له غبار بين العلماء ، وشاعرا فحلا بين فحول الشعراء ، أي أنه كان يلبس لكل حالة لبوسها .

لم يبق من مؤلفاته الكثيرة التي وضعها في سلمية وفقدت مع مرور الزمن الا تأنيته العصماء ، وفيها النفحات الفلسفية الاسماعيلية ، ومبادئ الدعوة الباطنية ، وبعد أن أجرينا دراسة عميقة الجذور على تأنيته ، تبين لنا أنه ينتمي الى آل البيت ويمت بصلة النسب والقربى الى الامام الاسماعيلي لقوله :

واني من قوم هم زبدة الوري	وهم بقياس كالمخيض لزبدة
لنا الشرف الأعلى الذي طود عزه	تذل له أعناق كل قبيلة
ونحن لأهل الشرق والغرب قبلة	تصلي الينا سجداً كل ملة
وقد انزل الرحمن مائدةً لنا	حوت كل شيء من طعام ولذة
سيعرف من لم يعرف اليوم من أنا	مقامي غداً ان كان من أهل شيعة ^(١)

(١) تائية عامر البصري نسخة خطية في مكتبتي الخاصة ورقة ٣١ .

ونستطيع أن نؤكد أنه كان داعيا وحجة للامام الاسماعيلي التاسع رضي الدين عبد الله الذي تسلم الامامة سنة ٢٢٥ هجرية وتوفي في سلمية سنة ٢٦١ هجرية ولا يزال ضريحه فيها . وفيه يقول عامر من تأيئته :

هلموا اليه فهو منتظر الورى	وسر وجود الكل في كل آية
هو التاسع الفرد الجليل وعزه	سما وعلا في كل فكر برفعة
تظاهر منه الوحي بالنطق جارياً	على ألسن الأمجاد في كل دعوة
دعاة الهدى بالحق قام وجودهم	وأسرارهم تسري بعزم وقوة
من التاسع الفرد العلي تظاهرت	مواد العلى حتى بدت بالظهيره
فياعارفا للحق في كل وجهة	حظيت بنيل الفوز ثم السعادة
على الحاضر الموجود ألف تحية	من الجود في كل الوجود تجلت (٢)

وبعد دراسات طويلة ، وتنقيبات كثيرة قمنا بها استطعنا أن نستخلص من المصادر التاريخية الاسماعيلية السرية لمحة موجزة عن حياة هذا الشاعر الفحل والعالم الفيلسوف الكبير نوردها كما يلي :

هو عامر بن عبد الله بن حسين بن علي الهاشمي البصري ، ولد في مدينة البصرة حوالي سنة ٢١٧ هجرية ، تلقى علومه في مدارس الدعوة الاسماعيلية في البصرة ، ثم أخذ يتجول داعيا للامام الاسماعيلي المستور ، وظل ينتقل من قطر الى قطر حتى استقر به المقام في مدينة سلمية في سورية وتوفي هناك سنة ٢٧٨ هجرية .

وحتى تكون الفائدة أكبر وأعم رأينا أن تقدم بعض المختارات من تأيئته والتي سنعمل في وقت قريب على شرحها والتعليق عليها في كتاب خاص (١) :

(١) المصدر نفسه ورقة ١٨ .

(٢) تم طبعتها مؤخرا في معهد الدراسات الفرنسية بدمشق .

قال في التوحيد :

فشاهدته في كل معنى وصورة
تعالت عن الاغيار حقاً وجلت
بأنك يا محبوب أنت حقيقتي
تعينت الاشياء لي كنت نسختي
بغير حلول بل بتخفيض نسبة
لذاتي بديمومة سمرمدية
لنفسي عن نفسي بنفسي لغبية
لذاتي بذاتي وهو غاية غايتي
علمي تمحوني ووهمي مثبتي
لديه اذا ما دامها عين عزة
وكتمان سري فيه حمل المشقة^(١)

تجلى لي المحبوب من كل وجهة
وخاطبني لطفاً بكشف حقائق
فقال أتدري من أنا فأجبتـه
فقال لذاك الامر لكنما اذا
وأوصلت ذاتي باتحاد بذاته
وصرت فناء في بقاء مؤيد
فيأخذ مني فأصبح سائلاً
وأنظر في مرآة ذاتي مشاهداً
وأغدو وأمري بين حالين واقفاً
عذابي عذاب في هواه وذلتي
وتحقير قدري أن أراه تعظماً

* * *

ويبخل أن ينوي ويسخو بجفوة
يحن على طرف المعنى بنظرة
وفي كبدي من صده لدغ حرقة
تجده اذا ما كان بعد قطيعة^(٢)

يزور بلا وعد ويخلف وعده
وينعم لي بالوصل حيناً وتارة
ففي مقلتي من هجره فيض دجلة
وأحلى وصال الحل ان ذقت طعمه

* * *

وليس سواه ان نظرت بدقة
فان شئت أن تحييا به فله من
له كل اذن في البرايا وعيت

هو الواحد الفرد الكبير بنفسه
به كل حي وهو حي بذاته
له كل عين في الوجود يرى بها

(١) تائية عامر البصري نسخة خطية ورقة ١ .

(٢) المصدر نفسه ورقة ٢ .

له كل علم من علوم الحقيقة
على صورة كانت لخلق خلقه
بغير ازدياد لا ولا بنقصه
هو الغائب المشهور في كل بقعة
هو الناظر المنظور في كل لمحة
فلا يدركوا من برقه غير لمعة
صفات وذات ضمنت في هوية
فضال فيه كل قوم بحجة (١)

له كل كف بالورى باطش به
كذلك ما قال الاله لآدم
تناهى كمالاً فهو في كل حالة
هو الشاسع الداني الينا بنفسه
هو العاشق المعشوق في كل صورة
تجول عقول الخلق محدقة به
تكاثرت الاشياء والكل واحد
تحجب عنا واختفى بظهوره

* * *

اغينه في خلوة بعد خلوة
ف عندك لا عندي تكون اقامتي
خفياً جلياً في رقادي ويقظتي (٢)

فيا واحدا في كل شيء مشاهداً
اليك رحيلي ان رحلت وان أقم
أراك بعين العقل والحس دائماً

وها هو يقول في مكان آخر من القصيدة متحدثاً عن الروح والسموات
المتعلقة بالمواد وعن كيفية اظهار المبدعات من الوحدة الأحدية :

مخلدة ما ان تشيب بشيبة
بجرم مزاج من لطائف مادة
مثال لها في ظلمة حنسية
وليس يغيب الدهر عنها بحالة
معينة بالقسمة الأزلية
قديمة عهد واتصال مودة
مؤكددة لا تنقضي بقضية

عجبت لروحانية ملكية
وجوهرة من أمر ربي تعلقت
مؤيدة دوماً بالهام خالق
مزاج لها قد خص من دون غيرها
مقادير كفياتها وموادها
فمرها فيه اجتماع ونسبة
وبينهما عشق عظيم وصحة

(١) تائية عامر البصري ورقة ٤ .

(٢) المصدر نفسه ورقة ٥ .

تهيم به من حسنه وكماله
وتعشقه عشقاً عظيماً مبرحاً
فليس لها عنه انفكك بحادث
ولست تراها منه في كل حالة

هيام جميل من جمال بثينة
وتحرسه من كل سوء برأفة
وليس له عنها زوال بحيلة
وان خلعت ما ألبسته بعريّة (١)

وتحدث في أبيات أخرى عن معرفة اختراع النفس من الاسبق على رأي
الانبياء والمحققين :

واعلم بأن النفس عين لجملة
فمن جعل المجموع من كل مفرد
فعقلك سلطان واجناده القوى
عليها مدار الدائرة وفيضها
حجاب رقيب للنفوس بسره
تحجب في ذي منظر خير الورى
فريد البقا فيه البقا وهو في البقا
ومجمع هذا السر في الخلد شجرة

وليست بذات مفرد ذي بساطة
بسيط نهى عن حق كل حقيقة
لأعضائه والنفس شبه مدينة
جلياً بدا من دوحة علوية
به برز التالي الى الملكية
وأشرق منه السر في كل صورة
محل البقا والنفس فيه كريمة
تسمت بزيتونة اقدسية (٢)

وفي ذكر المبدأ والمعاد ووجود الفلك المحيط وتركيب الافلاك وسريان
الكواكب ودور الامام التاسع بالنسبة يقول :

ولي صورة محصورة العد طبعها
فأبدوا بها في حالة بعد حالة
قيامتي الصغرى بخلمي وانما
فأخفي زماني عن ملاحظة الورى
وليس الذي حققته بتاسخ

رجوعي اليها بعد حين بردة
وأخرها يتلوه أول نشأة
قيامتي الكبرى بتتيم دورة
وأبدو كما قد كنت في حال بداية
فتختلف الأعيان في كل عودة

(١) المصدر نفسه ورقة ١٠ .

(٢) تائية عامر البصري ورقة ١٢ .

واني لأبدو كالبذور كوامل
ليظهر مني باطناً بعد ما اختفى
وأرجع من بعد استتاري بارزاً
فأنهض حياً مثلما كنت قائماً
وما عدمت تلك النفوس وانما
فهل فيكم يا معشر الاهل ناشر
يفهم ما معنى الوجود بذاته
ويعلم ما معنى المعاد وما الذي
وقد دار هذا الفلك دورة قدرة
ولما تبدى في بدائع قوة
ترتبت الأفلاك في دور سبعة
وما دارت الأفلاك الاً بأنجم
ورتب اجرام النجوم بجوه

وأخفي كما تخفي صغار الأهلة
ويطن مني ظاهراً بعد مكثه
اليه كما قد كنت في بدء فطرة
وأعجب شيئاً سر هذي السريرة
تغيب وتبدو تارة بعد تارة
مقالات أسرار حوتها صحيفتي
بأطلاقه من كل قيد وعقلة
يراد به من اوبة بعد شقوة
وحاط بأحوال الزمان بحكمة
من الجهة العليا بأجسام ستة
بأكتافها في دورة بعد دورة
تلوح بها من فيض نور الهداية
وأشرق منه الفيض في كل طرفه (١)

* * *

كذلك بالافلاك لاحت بدورها
وفي كل جرم حل عزم وجوهر
كواكبها لاحت بجوهر مطلق
هي السر والأجرام شكل وجودها

كترتيب أشكال الحدود المقيمة
بمعنى لطيف شكله بالاشارة
لها من بديع العصر أعظم سطوة
ومظهر أشباح الجواهر سبعة (٢)

وما هو يظهر شوقه العظيم لمشاهدة طلعة امامه المستور الذي كان على
ما يظهر بعيدا عنه :

امام الهدى حتى متى أنت غائب فمن علينا يا ابانا بأوبة

(١) المصدر نفسه ورقة ١٥ .

(٢) نائية عامر البصري ورقة ٢٠ .

فقات لنا فيه روائح مسكة
 باسمها مفتره عن مسرة
 برؤياك يا قطب الوجود بنظرة
 ومثلك من يدعى لكل ملمة
 وعلمتنا أوضاع كل شريعة (١)

ترأت لنا آيات جيشك قادمًا
 وبشرت الدنيا بذلك فاغات
 مللنا فظال الانتظار فجد لنا
 سندعوك ان امر "عناانا لاضرنا
 برزت لنا في صورة العلم أولا

وهنا ينهج نهجا جديداً فينثر الحكم والمواعظ بدلا من الفلسفة وعلوم الكواكب والنجوم :

يجده وفعل الخير خير ذخيرة
 لنفسك عن أوساخ كل رذيلة
 وارعى له ترعى به حق حرمة
 والا فلا تنطق بجهل وانصت
 فيلقيك يا مسكين في كل بلدة
 واياك أن تغدو صريعا لقهوة
 فيصرع منك العقل أية سرعة
 ولا القول الا في امور مفيدة
 اليه بحرص مفرط وخساسة
 فتصبح مقنونا به شر مقنة
 بسجلكم عنكم بكل شير وضرة
 فخلوا ربهم عن الوساخ والاخوة
 ولا تظهر الكبرى اذ النفس تزلت (٢)

فمن يأت خيراً فهو مدخر له
 تخلق بأخلاق الاله مقدساً
 وقم بحدود الدين واحفظ حدوده
 وحدث بحق ان نطقت تفز به
 ولا تك منقاداً لطبعك ، طبعاً
 واياك أن تمشي أسيراً لقرية
 ولا تك ممن يشرب الخمر دائماً
 ولا تكثرن الهزل في كل مجلس
 ولا تكثرن الجمع لله ال مائلاً
 ولا تك متلافاً ولا مسكالا
 وكن حاملاً أثقال قومك دافعا
 وكن راعياً عن الخليل، وان جفتا
 وكن شاكراً لله في كل حالة

بسمه

ويتحدث عن نفسه ٤ والمكانة العلمية السامية التي كان يتمتع بها في

بسمه

(١) المصدر نفسه ورقة ٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ورقة ٣٠ . ٦٦ فقه رجب عباد الله مهديا : ١١٠

الايواسط العلمية ، ويذكر بعاده وهو يتجول في سيواس وبلاد الروم الى لقاء
امامه بعد أن زحف الشيب الى مفرقيه :

وما مانعي منها ونفسي أية
وقد شملتني من الهي غاية
سخاء وعلم راسخ وشجاعة
وعزمي وحزمي في صاحبي ومركبي
ولا عمل لي غير علمي وفكرتي
وما شبت من طول السنين وانما
تجرعت أحداث الزمان وذقتها
فلم أر في الدنيا أشد نكاية

وعزمي ماض والليالي ممدتي
وايدني منها الزمان بستة
وحزم واقدام وارهاق عزمة
جناني وتفويضي الى الله جنتي
ولا شافع لي غير اخلاص نيتي
خطوب مسروف الدهر شيب لمتي
بطعبي جناها حلوة بعد مرة
بقلب محب من فراق الأجرة^(١)



أقمتم بأكناف العراق وحكم
يجوب جبال الروم سعيماً وانه
بعيداً عن الاوطان فرداً مشتتاً
فطوراً تراني فوق صهوة سابع
ولست ابالي ان أكلت لقيمة
وطوراً تراني راجلاً بين رجلة
وطوراً ترى اللبجاج ثوبي وتارة
ولا فرق عندي بين يابس كسرة
ولا بين نومي فوق خز مسردق
لساني قومي والتفكير جمعيتي
وعقلي سلطاني ونطقي حاجب

بسيواس ملقى في ديار بعيدة
يدوم مرماً دونه كل غاية
طريداً عن الخلان في كل بلدة
وطوراً اوارى فوق كور وشملة
وبت ورأسي مسنداً فوق لبنة
وطوراً تراني فارساً وسط قفرة
تراني ملفوفاً بأقدم شملة
إذا نلتها يوماً وبين لقيمة
وبين ميتي فوق صخر وتربة
والفطي شهامي والمعاني حقيقتي
وجسمي عرشي والملوك رعيتي

(١) نائية عامر البصري ورقة ٣٢ .

وسري سميري والمعاني جنتي
وحلمي أنصاري وعلمي وسيلتي
ومالي تجريدي وكنزي قناعتي
والا فهذا كان مقدار طاقتي^(١)

وصدقي صديقي والعفاف ملازمي
وصبري معيني واحتمالي مساعدتي
وفقرتي غناء وانشغالي فراغتني
فان سلمت روعي فله درها

هذه أبيات مختارة من تأثية الشاعر الكبير عامر البصري فعسى أن يكون
القارئ فكرة صحيحة عن هذا الشاعر المغمور ، وما أكثر المغمورين في تاريخ
الدعوة الاسماعيلية .



(١) المصدر نفسه ورقة ٣٣ .

غريب ميرزا بن عبد السلام شاه (العباس بن عبد السلام)

هو العباس بن عبد السلام شاه ، ولد سنة ٨١٥ هجرية في مدينة (بابل)
اشتهر وعرف (بغريب ميرزا) جلس على عرش الامامة الاسماعيلية بعد
وفاة أبيه سنة ٨٩٩ هجرية . فاحتفل اتباعه بهذه المناسبة في كافة الاقطار
التي يعيشون فيها لمدة اسبوعين ، وباتهاء الاحتفالات نقل مركز امامته الى
بلدة (انجودان كادرخانة) من مقاطعة كاشان . بعد ان ساءت العلاقات
بينه وبين الصفويين ^(١) وحصلت حروب كثيرة وثورات داخلية هامة أضرمتها
القبائل التي كانت تقطن في غربي ايران وشرقيها ، وشتت قبائل التركمان
غاراتها على البلاد واشعلت الثورات في كافة المناطق ، وتجمع كافة الاسماعيليين
الموجودين في ايران في محلات ، وكاشان ، وأعلنوا انهم لن يتدخلوا في
الامور السياسية ، وفي مشاكل ايران الداخلية ، وفضلوا ان يوجهوا اهتمامهم
لزراعة والعبادة والانقطاع (الدروشة) . بينما عمد الامام غريب ميرزا
اني بناء المساكن للوافدين من الاسماعيلية الى تلك المنطقة ، فخصص المبالغ
الطائلة من ميزانية الاسماعيلية ووضعها تحت تصرف أخيه الاصغر الامير
(نور الدين) فشيّد الملاجئ والمساكن للمتعبدين المنقطعين عن عالم السياسة
ومشاكلها وأطلق على تلك الاماكن (نور آباد) تيمناً به .

وتذكر المصادر التاريخية ان الامام غريب ميرزا أناب عنه أخاه نور الدين
في مركز الدعوة بايران وتوجه بجولة تفقدية متخفياً بلباس (الدراويش) حيث

(١) نور مبین جبل الله المتین : جنارا : ص ٥٢٢ ، الشيعة في الهند
Hollister : ص ٣٣٤ .

زار اتباعه في أفغانستان وبلوجستان وبامير ، ومن ثم توجه الى الهند حيث استقر مدة عام تقريبا في السند والبنجاب يجري المباحثات والترتيبات اللازمة لنقل مركز امامته الى الهند ، لانه رأى بثاقب نظره ان الإقامة في ايران أصبحت صعبة جداً نتيجة للمشاكل الداخلية التي عمت البلاد من أقصاها الى أقصاها وبعد أن أعد العدة عاد الى فارس فأصابته عوارض مرضية شديدة توفي على أثرها سنة ٩٠٢ هجرية ودفن في مدينة (انجودان) ولا يزال ضريحه حتى الآن مزارا يأتيه الاسماعيلية من الهند والباكستان وأذربيجان للزيارة ، كما أن أغلب سكان تلك المقاطعة لا يزالون من الاسماعيلية يعيشون كمواطنين عاديين ويبلغ تعدادهم ثلاثين أو أربعين ألف اسماعيلي يمتنون الزراعة وصناعة السجاد •

وقيل ان الاسماعيليين في بلاد الشام بدأوا يشعرون بالاستقرار بفضل الخدمات التي قدمها لهم الداعي القاضي ابو النصر الديلمي الذي كان ممثلاً للإمام في تلك البلاد (١) •

وعلى العموم لم تستمر امامة غريب ميرزا سوى ثلاثة أعوام قضائها في التجوال لاجراء الترتيبات بشأن نقل مركز الامامة الى مكان أمين حيث يستطيع الأئمة من بعده أن يعيشوا بسلام •

الرجوع

الرجوع



الرجوع

الرجوع

(١) نفس المصدر : ص ٥٢٤ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص ٢٤٠ •

عبد السلام شاه

هو محمود بن المستنصر بالله الثاني ولد في مدينة (بابك) سنة ٨١٤ هجرية وأصبح اماماً للاسماعيلية بعد وفاة أبيه سنة ٨٨٠ هجرية فلقب بم (عبد السلام شاه) كونه كان محباً للسلام ، وفي نفس السنة أقام الاسماعيليون في مدينة (بابك) احتفالاً كبيراً حضرته وفود من جميع البلاد التي يقطنها الاسماعيلية بمناسبة تسلم عبد السلام شاه الامامة ، وبعد أن القيت كلمات الوفود في هذه المناسبة وقف الشاعر الاسماعيلي الكبير خاكي الخراساني والقي قصيدة عصماء باللغة الفارسية مطلعها (١) :

بأصاحب الزمان نظري كن بحال در لطف خودنكر مسنكر در فعال
وختنها بقوله (٢) :

خاكي رضي حضرة مولاي خودطلب اذبحر وصل نيست جزاين اتصال
وفي هذا المهرجان أعلن الامام عبد السلام شاه عن احداث تنظيمات جديدة في نظم الدعوة وخاصة في الوظائف الدينية : فأصبح اسم داعي الدعوة أو الحجّة أو البير يحمل لقب (مثل الامام) أو (وكيل) وأبدل كلمة مرشد ، بلقب (مكّي) وعين ناظراً للمالية في كل مدينة او مقاطعة اطلق عليه اسم (كساديا) الخ ••

وأعلن عن رغبته بأن تصرف وتنفق كافة الاموال التي تجمع على المشاريع العسراية والثقافية والصحية ورتب للموظفين الدينيين المعاشات الشهرية •

(١) نور مبین جبل الله المتین : جنارا : ص ٥١٨ •

(٢) ديوان خاكي الخراساني : تحقيق آصف فيض : ص ٣ •

وكان الاسماعيليون يحتفلون بمناسبة عيد جلوس الامام في كل عام فيقدمون للامام التحف والهدايا والاموال . وقيل أن أحوال الخمس والزكاة التي اعتاد الاسماعيلية تقديمها للامام منذ أقدم العصور كانت تجبى بواسطة لجان خاصة وتقدم للامام في يوم عيد جلوسه على مسند الامامة من كل عام .

ومنذ ذلك الوقت اطلق على الاسماعيليين الهنود لقب (الخوجة) لأن أغلبهم كانوا يعملون في التجارة والصناعة ، وقليل منهم من كان يهتم بالامور السياسية .

وعلى العموم انتشرت في عهد الامام عبد السلام شاه الاسماعيلية في مناطق وبلاد جديدة كبورما ومدغشكر وسيلان ، وازداد عددهم في مقاطعتي (ديز آباد ، وقاسم آباد) وتحسنت علاقاتهم مع الجوار . وكان الملوك الصفويون ينظرون الى الامام الاسماعيلي نظرة خاصة وقيل انهم كانوا يطلبون ارشاداته في جميع مشاكلهم السياسية والاجتماعية ، لما كان يتمتع به من مكانة علمية وأدبية مرموقة ، ولقد اتحف المكتبة الاسماعيلية بـ مؤلفات لا تزال تحتل مكان الصدارة في خزائن كتب الاتباع ومنها : كتاب مدائن الاسرار . ويبحث في أسرار العقائد الاسلامية والامور الروحية الالهية ، وكتاب (العقائد الاسماعيلية) وديوان شعر يتألف من قصيدة واحدة واسمه (القصيدة) ويتألف من ٢٠٠ صفحة . وازدادت صلة الاسماعيليين السوريين في مركز الامامة ولكنهم ظلوا يعيشون بالستر والتقية دون ان يجرؤا على اظهار عقائدهم خشية بطش الاعداء من بقية الطوائف وفي سنة ٨٩٩ هجرية توفي الامام عبد السلام ودفن في بابك (١) .



(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص ٢٣٨ .

أبو عبد الله بن أحمد النسفي البردغي

هو أبو عبد الله بن أحمد النسفي أو النخسي البردغي تلمذ على الداعي الكبير الامير الحسين بن علي المروروزي ، داعي خراسان ، وكان من ألمع وأعظم تلامذته علماً ودراية ، وقد نهج النسفي نهج استاذه المروروزي في التقرب الى أمراء وكبار القواد في عصره الذين كانوا في حكومة نصر بن أحمد الساماني فاستطاع ان يؤدي مهمته على أكمل وجه ويجذب الى الاسماعيلية كثير من أهالي خراسان ، وعبر نهر جيحون متوجهاً الى بخارى حيث نجح نجاحاً عظيماً بفضل مساعدة أكثر الامراء الذين دخلوا في مذهبه ، ولقد اشرت جهوده التي بذلها لاستمالة نصر بن أحمد الساماني الذي رحب بمبادئه وطلب مقابله ، مع أن نصراً هذا ، كان من اكبر مناهضي المذهب الاسماعيلي ، وهو الذي قبض على المروروزي استاذ النسفي وسجنه حتى مات ، وما كادت تتم المقابلة حتى طلب النسفي دية استاذه ومقدارها ١١٩ ألف درهم ليرسلها الى الامام الاسماعيلي فكانت موافقة الامير الساماني على دفع هذه الدية دنبلًا على تفانيه واخلاصه للمذهب الاسماعيلي وللإمام الفاطمي (١) .

وفي الحقيقة تعتبر علاقة النسفي بالبيت الساماني فصلاً مستعاً في تاريخ الاسماعيلية في تلك البلاد أيام عهد الامام عبيد الله المهدي ، لان النسفي أصبح صاحب الامر والنهي في دولة نصر بن أحمد الساماني فضعف جهوده في جذب الناس الى المذهب الاسماعيلي ، مما أثار عليه نقمة كبار رجال الدولة السامانية من السنين وخصوصاً العلبياء ورجال الدين الذين اخذوا يكيدون له ولا نصار الاسماعيلية .

(١) تاريخ الاسماعيلية السياسي لظه أحمد شرف ج ١ ورقة (٢٤٦) -

ويحدثنا ابن النديم ^(١) فيقول : ان نصر بن أحمد الساماني ندم في أخريات حياته على اندفاعه وراء النسفي . ولما مات جمع ابنه نوح الفقهاء لمناظرة النسفي فلما أفحموه قتله وقتل معه كثيرين من رؤساء الدعاة ووجوههم من قواد نصر الذين دخلوا في المذهب الاسماعيلي .

ويرى نظام الملك ^(٢) أن قواد نصر من السنين هم الذين دبروا المؤامرة على العرش الساماني ، لان نصر الساماني انضم الى المذهب الاسماعيلي وقرب اليه دعاة الاسماعيلية فصسموا على عزل نصر وتصيب كبير قواده على العرش ، وعولوا على اقامة مهرجان كبير يعلنون فيه بدء ثورتهم .

الا ان أحد المجتعيين أفشى هذه المؤامرة لنصر بن أحمد وابنه نوح ، فتحايلوا على كبير القواد وقتلاه ، ثم تنازل نصر عن الامارة ، وتولى بعده ابنه نوح الذي عمل على مطاردة الاسماعيلية بعد أن قتل النسفي . وان ما حل بالاسماعيلية يعد نكبة كبرى ، حتى انهم أطلقوا عليها اسم « المحنة العظمية » ولقد كان لهذه المحنة أثرها في وقف انتشار الدعوة الاسماعيلية في بلاد ما وراء النهر الى أن رفع ناصر خسرو منارها بعد قرن ونصف قرن تقريبا ^(٣) .

والخلاصة ان النسفي قام بدور سياسي خطير في تلك البلاد فألف جبهة فوية موالية للعقيدة الاسماعيلية واستطاع ان ينشر المذهب الاسماعيلي بقوة في خراسان وما وراء النهر ، ولقد فاق النسفي كثيرا من الدعاة العلماء ، فذاعت شهرته في عالم الادب وفي فلسفة المذهب الاسماعيلي ، واعتبر من كبار أحرار الرأي في خراسان . ومن مؤلفاته ^(٤) :

(١) الفهرست ص (٢٢٦) .

(٢) سياسة نامه ج ٢ ص (٢٨١ - ٢٧٨) .

(٣) تاريخ الدولة الفاطمية حسن ابراهيم حسن ص (٤٧٠ - ٤٧١) .

(٤) A Guide to ismaili Literature : by Ivanow

١ - كتاب المحصول ويتألف من ٤٠٠ صفحة جله في الفلسفة وهو أول كتاب عقائدي وضع للتداول والمناقشة في الوسط الاسماعيلي وبعضهم ينسب هذا الكتاب للكرماني والرأي الاول هو الأرجح وهذا الكتاب مفقود ولا وجود له .

٢ - كتاب عنوان الدين .

٣ - كتاب الدعوة الناجية ويتألف من ٧٠٠ صفحة في جزأين (٤) .

٤ - كتاب أصول الشرع ويبحث في الفقه الاسماعيلي وفلسفة ما وراء الطبيعة .

٥ - كتاب كون العالم وهو خاص بالفلك ووصف العوالم وهو مؤسس على المبادئ الدينية .

ولقد ذكره الكرماني في كتاب الرياض فقال ان النسفي كان يرمي من وراء تأليف كتابه المحصول الى التوفيق بين أبي حاتم الرازي وزميله او بالاحرى تلميذه أبي يعقوب السجستاني .

وكما ذكرنا آنفاً ، فقد قتل هذا الفيلسوف الكبير سنة ٣٣١ هجرية .



(١) أسماء صاحب الفهرست ص ٢٨٢ ط المكتبة التجارية : (كتاب الدعوة المنجية) .

عبد الله بن عباس الشاوري

بالرغم من تنقيباتنا الكثيرة لم نعر على تاريخ حياة هذا الداعي الذي تسلم رئاسة الاساعيلية عقب وفاة الداعي ابن حوشب الملقب بنصور اليمن، وكل ما تسكنا من معرفته ما جاء في كتاب الداعي ادريس^(١) حيث قال : « كان من أجل الدعاة مع منصور اليمن ، فقد أرسله ابن حوشب الى مصر ، فاستقر فيها مدة هناك معلماً للصبيان وداعياً ، فاستجاب لدعوته خلق كثير ، ثم عاد الى اليمن » • وزاد الجندي فقال^(٢) : « وكان من أصحاب المنصور وخصيصاً به ، وكان قد أرسله الى المهدي برسالة وهدية ، وصار عند المهدي منه صورة ومعرفة » •

وقيل أن منصور اليمن قبل وفاته قد سلم أمر رئاسة الدعوة للشاوري وأوصى أولاده باطاعة أوامره ومؤازرته في مهمته الجديدة • ولما توفي ابن حوشب كتب الشاوري الى الامام المهدي يعلنه بالامر ، وأخبره بأنه يقوم بأمر الدعوة ريثما تأتي أوامر الامام ، وفي الوقت نفسه كان الحسن ابن منصور اليمن يرى أن من حقه أن يخلف أباه في تولي رئاسة الدعوة لذلك رحل الى بلاد المغرب ، وقابل الامام المهدي وطلب منه أن يوليه رئاسة الدعوة بعد أبيه ، ولكن الامام أعلنه بأنه قد أقر تعيين الشاوري قبل قدومه ، وبعث له بسبع رايات • فعاد الحسن الى اليمن دون ان تتحقق رغبته^(٣) •

وعلى هذه الصورة تسلم الشاوري رئاسة الدعوة في اليمن ، وكان من

(١) عيون الاخبار ٣٨/٥ - ٣٩ •

(٢) السلوك للجندي (ص ١٥٠) •

(٣) كشف أسرار الباطنية (٤٠) •

أكبر دعاة تلك البلاد ، عالماً فيلسوفاً أديباً قدم للدعوة اليسنية خدمات عظيمة •

ولكن الحسن بن منصور اليمن لم يرض عن هذا التعيين واعتبر ان الشاوري قد أغتصب رئاسة الدعوة منه فحقدها عليه ، وصار هو واخوته يواصلون مداراته ، وهو يكرمهم ولا يحجب أحداً منهم بل يدخلون عليه متى شاءوا ، ومع ذلك فان الحسن فكر في التخلص منه وعرض الامر على أخيه الجبر التقي الورع العالم الجليل جعفر بن منصور اليمن فنصح له وقال له : « ان امرنا اذن يتلاشى ، ويزول ملكنا ، وتفترق هذه الدعوة ، ويذهب الناموس الذي نمسناه على الناس ، فلا تحدث نفسك بهلاكه ، فتهلك » (١) فلم يلتفت الحسن الى قول أخيه وكنتم السر في نفسه ، حتى دخل على ابن عباس في بعض الغفلات فقتله غدراً واستولى على ما بقي من دولة أبيه •

ولم يكتف الحسن بما فعل ، بل نهج سياسة جرت عليه وعلى بيته ومذهبه النكبات ، حين أعلن خروجه على الدعوة واعتناقه المذهب السني •



(١) كشف أسرار الباطنية (٤٠) .

عبد الله بن علي بن أحمد الحلواني

يعتبر (الحلواني) من الدعاة الافذاذ الذين خلدوا أسماءهم في عالم الدعوة الاسماعيليه . قيل انه ولد في العراق وانضم الى مدرسة الدعوة في سلمية ، فأظهر نبوغاً عجبياً ، في علم الفلسفة والتأويل ومن الارجح أنه اشترك في تصنيف رسائل اخوان الصفا . وبعد ان وقع عليه الاختيار ليرافق أباسفيان الى المغرب ، نزل بموقع يسمى ^(١) (سوق حماد) ، وأخذ ينشر دعوته بين القبائل ، فاستجاب اليه خلق كثير باعتبار أن أهالي تلك البلاد كانوا تواقين الى من ينقذهم من الحالة التي يتردون فيها . وكان يبشرهم بقرب الفرج ، ويقول لهم بأن الشمس ستشرق ، وستقام بين ظهرائهم دولة العدل والرخاء المنشودة ، وسيظهر من يملأ البلاد عدلاً كما ملئت جوراً وعسفاً .

التفت قبائل المغاربة حوله بعد ان ملئت قلوبهم بالأمل ودب في نفوسهم الحماس وعلى هذه الصورة حرث الارض واعدها لصاحب البذر .

وتدل المصادر الاسماعيليه على أن هذا الداعي الكبير كان متبحراً بالعلم ، قوي الحجّة ، دأب على التنقل لنشر دعوته في مختلف المناطق .

وتذكر له بعض المصادر الاسماعيليه السورية عدة مؤلفات جلها في انفسله وعلم التأويل ، كما وردت له في بعض المخطوطات الاسماعيليه السورية عدة ارجوزات واشعار قالها في مدح العترة الطاهرة وفي مناقب آل البيت .

ولكن أكثر مؤلفاته فقدت كما فقد غيرها من المؤلفات الاسماعيليه . وظل يعمل باخلاص ووفاء حتى توفي في سنة ٦٦٤ هجرية .

(١) الكامل لابن الاثير ٨/ ١١٠ .

عبد الله بن محمد بن اسماعيل (الوفي أحمد)

يعتبر الامام (أحمد الوفي) عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق من ألمع أئمة دور الستر الاول ، وأكثرهم علماً ، ساهم في النشاط الفكري مساهمة فعالة فألف كتابه المعروف باسم (رسائل اخوان الصفاء) رغبة منه في المحافظة على الدين الصحيح ، وحتى لا تطغى البدع الفلسفية التي اجتت في عهد الخليفة المأمون العباسي على التفكير الاسلامي .

ان أقوال المؤرخين متضاربة ومختلفة أشد الاختلاف حول تاريخ ومكان ولادة هذا الامام ، يقول بعضهم انه ولد في بلدة (محسود آباد) سنة ١٧٩ هجرية ، ويقول آخرون : انه ولد في (عسكر مكرم^(١)) سنة ١٦٩ هجرية ، وقيل أيضاً أنه ولد في البصرة بين (١٦٠ - ١٦٥) هجرية . وبعد مراجعة كافة النصوص التاريخية الاسماعيلية الموجودة لدينا نستطيع ان نرجح أن ولادته كانت في عسكر مكرم سنة ١٧٩ هجرية وفيها نص على امامته بعد وفاة أبيه عبد الله ولقب (بالوفي) واتخذ حجة له عبد الله بن ميمون القداح ، وازداد في التستر والخفاء ، ثم خرج سراً من عسكر مكرم الى (زامهر) ومنها الى الديلم ، وهناك تزوج بامرأة من الاسرة العلوية والدها الامير علي الهمداني ، فرزق منها ولدأ لقبه (محمد التقى) .

ولقد انتشرت دعوته انتشاراً واسعاً في بلاد العرب وفارس واستجاب

(١) عسكر مكرم بلد في نواحي خوزستان ، منسوبة الى مكرم بن معزء الحارث صاحب الحجاج بن يوسف وقد نسب اليها قوم من أهل العلم ، منهم العسكريان : انظر معجم البلدان لياقوت .

الدعاة ، وقد حفر سرداباً في الصحراء حتى داخل بيت الامام في سلمية لدعوته خلق كثير . ولما تسربت أخباره الى الخليفة العباسي المأمون ، وعرف بنشاطه وجهوده واستجابة الناس الى دعوته ، تقرب الى العلويين ، وجعل هذا التقرب وسيلة للإيقاع بالامام المستور احمد الوفي عبد الله ، ويحدثنا الساريخ ان الكثيرين من الدعاة قتلوا في هذه الفترة لاعتقاد المأمون انهم من الأئمة ؛ وعندئذ اضطر الامام الى مغادرة الديلم قاصداً معرة النعمان في سورية ، فأقام فيها مدة ثم غادرها بعد ذلك الى سلمية ، حيث جمع حوله نخبة من كبار الدعاة والعلماء ، فخطط لهم الأنظمة الخاصة بالدعوة وترتيباتها ، ثم قام بوضع احدى وخمسين رسالة فلسفية دعاها (رسائل اخوان الصفاء واخلان الوفاء) وتقول المصادر الاسماعيلية أن السبب في تأليف هذه الرسائل هو : أن المأمون العباسي أراد أن يظهر علم الهيئة ويجعل معرفتها الدين ، وان الهيئة المبدأ والمعاد ، وعلى معرفتها الحساب والثواب والعقاب ، ليرى الخلق أن الذي جاء به محمد (ص) لا أصل له ، وان الصحابة لما لم يتقينوا ذلك عملوا بعلي عليه السلام ما عملوا ، وانهم في ذلك مصيبون ، وان لا ذنب عليهم ولا عيب ينسب اليهم في قتل ذرية النبوة قضاء بماطل من دعاء قريش ، فلما علم ولي الحق ذلك صنف الرسائل (١) ويذكر التاريخ ان الذين قاموا بتأليف هذه الرسائل كانوا من العلماء ، فامامهم عالم كبير ومؤلف ذائع الصيت ، وحجته عبد الله بن ميمون القداح من أبرز علماء عصره ودعاته ممن نبغوا في العلم في عصرهم ، ولقد لخص الامام هذه الرسائل برسالة واحدة سماها (الرسالة الجامعة (٢)) وألف رسالة أخرى جمعت علوم جميع الرسائل وسماها (جامعة الجامعة (٣)) .

(١) زهر المعاني لادريس عماد الدين ص (٦٠ - ٦١) .

(٢) حققها الدكتور جميل صليبا ونشرها المجمع العلمي العربي بدمشق

في جزأين .

(٣) حققها الاستاذ عارف تامر ونشرها دار العلم للملايين ، بيروت لبنان .

وعندما عثر المأمون على تلك الرسائل أمر بالبحث عن مؤلفيها المجهولين فذهبت محاولاته أدراج الرياح .

وهكذا أصبحت سلمية قاعدة رئيسية للدعوة الاسماعيلية ودار هجرة لأئمة المستورين يرسلون الدعاة منها الى مختلف البلدان والاقاليم لبث الدعوة باسم الامام أحمد بن عبد الله ويذكر التاريخ ان اموال الزكاة كانت تصل الى سلمية باستمرار من جميع المناطق التي يسكنها الاسماعيلية بواسطة الدعاة ، وقد حفر سرداباً في الصحراء حتى داخل بيت الامام في سلمية طوله خمسة عشر ميلا ، وكانت الاموال والذخائر تحمل على الجمال فيفتح لها باب السرداب في الليل وتنزل فيه باحمالها عليها حتى تحط في داخل الدار ويخرج في الليل ثم يهال على باب السرداب بالتراب فلا يدري به أحد (١) .

وفي سلمية نص على امامة ولده (محمد التقي) (٢) على مشهد من رجال دعوته وانتقل الى مصيف ومات فيها ودفن بأعلى قمة جبلها بسان سبي المشهد ، وكان ذلك سنة ٢١٢ هجرية .



(١) سيرة جعفر الحاجب (١٧) .

(٢) أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل .

عبد الله بن ميمون القداح

يعتبر عبد الله بن ميمون القداح في طليعة حجج الأئمة الاسماعيلية المستورين ، ومن أعظم منظمي أصول المذهب الاسماعيلي . كان واسع الاطلاع غزير العلم في معرفة جميع المذاهب والاديان ، ومن أهم الشخصيات العلمية الفلسفية في عصره ، لعب دوراً هاماً في تكوين عقائد الاسماعيلية وتنظيماتها انسرية ، وقد وصفه المقرئزي (١) بقوله : كان عالماً بجميع الشرائع والسنن والمذاهب ، وكان يتعاطى الطب وعلاج العين ، ويقدم الماء النازل فيها .

اعتمد في تنظيماته المذهبية على الفلسفة ، وأعد نخبة من الدعاة الذين دربوا على فنون الالقاء والتأثير في النفوس ، ووضع شروطاً يجب أن تتوفر بالداعي أهمها : أن يكون على جانب كبير من الذكاء والفصاحة والجادبية في الحديث ، كما أوجد هيئات علمية منظمة خصص جماعة منها لتدريب الدعاة وتلقينهم فنون الجدل ، ولقد استعان على اتصالاته بالدعاة في مختلف بلدان العالم بالحمام الزاجل ، كما نادى بنظرية الامام المستور فقال ، انه مصدر انعلم والعرفان وان الوصول اليه لا يكون الا عن طريق الحجة ، وبذلك تمكن من جذب كثير من الشيعة الاثني عشرية الى اعتناق المذهب الاسماعيلي ، وبالفعل نجح في نشر الدعوة الاسماعيلية في كثير من البلاد الاسلامية .

تاريخ حياة عبد الله بن ميمون احيط بهالة من الغموض والمبالغات حتى ان أغلب المؤرخين ذهبوا الى القول بأن هذه الشخصية الفذة لا وجود لها الا في مخيلة الاتباع والمريدين وفي روايات بعض المؤرخين . وقيل أيضاً : أنه لما مات أبوه ميسون ادعى الانتساب الى علي بن أبي طالب عن طريق اسماعيل

(١) خطط المقرئزي ج ٢ ص ٣٤٨ .

ابن جعفر الصادق ، وانه لم يشتغل بالقداحة لوجه الله بل بغية جذب الاشياع^(١) وذكر أنه كان من غلاة الشيعة ديصاني المذهب ، شعوبياً كأبيه ، وانه اتخذ عم الفلك (النجامة) وسيلة للتغريب بالناس^(٢) ويذكر مؤرخو الشيعة الاثنا عشرية أنه قام بدور هام في تاريخ الاسماعيلية منذ مطلع القرن الثالث وانه كان محدثاً ، وبينوا الاشخاص الذين رووا عنه ؛ وجعله الكاشي في كتابه معرفة الرجال راوية للأئمة ، ومؤلفاً له من الكتب كتاب (مبعث النبوة) وكتاب (صفات الجنة والنار)^(٣) وتجمع المصادر الشيعية على أنه كان معاصراً لمحمد الباقر وابنه جعفر الصادق ، وذكروا انه كان محدثاً اثنا عشرياً نزل على وفائه للامام موسى الكاظم •

وفي بعض الاحيان تتفق المصادر الشيعية مع السنة فتقول : ان عبدالله ابن ميسون القداح اغتصب الامامة من ابناء محمد بن اسماعيل ثم دعا لابنه ولنفسه ، ومع ذلك لم يرموه كما رماه مؤرخوا السنة بالزندقة والاحاد والشعوبية •

أما المصادر الاسماعيلية فتضفي عليه هالة من الاجلال والاحترام ، فيقول الداعي ادريس عماد الدين في كتابه زهر المعاني : ان عبد الله كان حجة للامامين عبد الله بن محمد بن اسماعيل وأحمد بن عبد الله ، ويرى الاسماعيلية فوق هذا ان عبد الله من سلالة سلمان الفارسي ، كما يعتبره من دعاة الكرزية (أساس) الأئمة الاسماعيلية المستورين •

ومن استعراض هذه الآراء والاقوال المتضاربة المتناقضة نستخلص الى القول ان عبد الله كان كأبيه ميمون شخصاً محترماً خلف أباه في رئاسة الدعوة الاسماعيلية وأصبح الساعد الأيمن للامام المستور ، وانه كان شخصية فذة

(١) نهاية الارب للنويري ج ٢٦ ورقة ٢٢ ، ٢٣ •

(٢) ابن النديم الفهرست ص . (٢٦٧) •

(٣) فهرست كتب الشيعة ص ص (٩٧) •

لها مكائنها في نفوس الاسماعيلية حتى انهم سلسوا اليه قيادهم ؛ وأما ما ذهب اليه المؤرخون من سنة وشيعة ليس له أية حقيقة ، ولم تؤيده المصادر والنوقائع والاحداث ، فهل من المعقول أنه كان كما يدعون ثويا ديسانيا وقد تعشق الأئمة الاسماعيلية وتفانى في خدمتهم ، واستمات لنشر دعوتهم ؟ أما ما ذكر أنه عاصر الباقر والصادق في أوائل القرن الثاني الهجري فلا يعتمد عليه لان أغلب المصادر الموثوقة تشير الى انه عاش في القرن الثالث حتى قابل دندان بعد سنة ٢٦٥ هجرية •

أما ما أورده المؤرخون عن نشأته ومولده فقد جاءت معلوماتهم وأقوالهم متضاربة متفاوتة لذا نستطيع ان نستخلص منها بأن ولادته كانت في أواخر حياة أبيه ميسون أي في نهاية القرن الثاني لا في أوائله ، وان الحياة امتدت به وأصبح من المعمرين حيث مات سنة ٢٧٠ هجرية في سلمية ودفن فيها •

والجدير بالاهتمام أن عبد الله اشترك في جميع الثورات التي قامت في وجه المأمون العباسي • وبعد أن تم له نشر المذهب الاسماعيلي في الأهواز انتقل الى عسكر مكرم ومنها توجه الى البصرة حيث نزل على آل عقيل ابن أبي طالب ومنها رحل الى سلمية حيث استقر بها مع امامه المستور فاشتغل في التأليف والتصنيف ونقل الدعوة من دور التأسيس والتكوين وخلق المبادئ النظرية الى دور العمل ، وليس أدل على سمو مركزه لدى الأئمة الاسماعيلية من قول الامام المعز لدين الله فيه (كان قاذح زناد الفكر) •



عيد الله المهدي

ولد الامام عبيد الله المهدي ابن الامام رضي الدين عبد الله سنة ٢٥٩ هجرية في مدينة سلمية^(١) وتسلم الامامة بعد وفاة أبيه عام ٢٨٩ هجرية حسب النص الامامي المعترف به لدى الاسماعيلية .

اختلف العلماء والمؤرخون في نسب عبيد الله اختلافا كبيرا ، فأيد جماعة صحة نسبه الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، وأنكر جماعة صحة هذا النسب وقالوا أن عبيد الله من سلالة ميمون القداح ، وذهب آخرون الى القول أنه من سلالة موسى الكاظم . وانقسم الذين يؤيدون صحة نسبه الى علي ابن أبي طالب الى ثلاث طوائف : طائفة قالت انه من الأئمة الاثني عشرية أو الموسوية ، وطائفة تنسبه الى اسماعيل بن جعفر الصادق وهم الاسماعيلية ، وأيدهم في ذلك جماعة من السنين ، وأيد قلة من الاسماعيلية نسب عبيد الله الى ميمون القداح ، والغالبية العظمى من العلماء السنين .

وإذا هذه الآراء المتناقضة ، والأقوال المتفاوتة لا يسعنا الا أن نستعرض ملخصا موجزا عنها ونناقشها مناقشة بعيدة عن التحيز والالتباس خدمة للعلم والحقيقة ، علما بأن طائفة كبيرة من العلماء السنين يثبتون صحة نسب هذا الامام الى علي وفاطمة . ومنهم ابن الأثير وابن خلدون والمقريري وغيرهم . فيذهب المقريري الى القول : ان الله لا يملك الدعي ولا ينصره ، والكاذب لا يملك البلاد ، ولا يمكن له في الارض^(٢) ويستدل على ذلك

(١) قال ابن خلكان (وفيات الاعيان ١/٢٧٢) : وكانت ولادته في سنة ٢٥٩ هجرية وقيل سنة ٢٦٠ هجرية بمدينة سلمية ، وقيل بالكوفة .

(٢) المقريري : اتعاظ الحنفا ص ٣٠ .

بحديث لموسى الكاظم عن ظهور المهدي بالمغرب ، وانتشار الدعوة الاسماعيلية شرقا وغربا فيقول : « نقل عن أئمة آل البيت عليهم السلام الاشارة الى أمر عبيد الله المهدي ؛ فمن ذلك أن موسى الكاظم بن جعفر الصادق سئل عن ظهور القائم متى يكون ، فقال : ان ظهور القائم مثله كمثل عمود من نور سقط من السماء الى الارض ، رأسه بالمغرب وأسفله بالمشرق ، وكذلك كانت بداية أمر المهدي عبيد الله . فانه ابتداء من المغرب وانتهى أمره على يد بنيه الى المشرق . فانه ظهر بسجلماسة سنة ٢٩٦ هجرية ، وهي أقصى مسكون المغرب . ودعى المستنصر ببغداد في سنة احدى وخمسين وأربعمائة . » ويستدل المقرئ على صحة نسب عبيد الله من اتجاه ميول الامراء المسلمين نحوه ، لعلمهم بصحة نسب عبيد الله الى علي وفاطمة ، ويستند أيضا الى قصيدة الشريف الرضي الذي يثبت فيها صحة نسب الخلفاء الفاطميين ، ويعلق ابن الاثير أهمية كبيرة على هذه القصيدة في اثبات صحة النسب ؛ ومما جاء فيها قوله :

مقول صارم وأنف حمي
الضيم كما راغ طائر وحشي
ل غلام في غمده المشرفي
وبمصر الخليفة العلوي
ي اذا ضافني البعيد القصي
س جميعا محمد وعلي
وأوامي بذلك الظل ري
سرى ومن خلفه هلال مضي^(١)

ما مثامي على الهوان وعندي
واباه" محلق بي عن
أي عذر له الى المجد أن ذ
أحمل الضيم في بلاد الأعادي
من أبوه أبي ومولاه مولا
لفك عرقي بعرقه سيدا النا
ان جوعي بذلك الربع شعب
مثل من يركب الظلام وقد أ

وأما ابن خلدون فقد دحض أقوال المؤرخين والكتاب الذين يشكون بصحة نسب عبيد الله حيث يقول :

(١) ابن الاثير ٩/٨ .

« ومن الاخبار الواهية ما يذهب اليه الكثيرون من المؤرخين والاثبات في العبيدين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة ، من نفهم عن أهل البيت صلوات الله عليهم ، والظن في نسبهم الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس ، تزلفا اليهم بالقدح فيمن ناصبهم ، وتفننا في الشماتة بعدوهم . . . ويفعلون عن التفتن لشواهد الواقعات ، وأدلة الاحوال التي اقتضت خلاف ذلك ، من تكذيب دعواهم والرد عليهم ، فانهم متفقون في حديثهم عن مبدأ دولة الشيعة أن أبا عبد الله المحتسب ، لما دعا بكتامة للرضا من آل محمد ، واشتهر خبره ، وعلم تحويمه على عبيد الله المهدي وابنه أبي القاسم ، خشيا على أنفسهما ، فهربا من المشرق محل الخلافة ، واجتازا مصر ، وأنهما خرجا من الاسكندرية في زي التجار (٢) » ويأتي ابن خلدون بأكثر من سلسلة واحدة للنسب ، يؤكد فيها جميعها أن عبيد الله من سلالة اسماعيل ، ويقول : انه ابن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم ، بينما يقول المقرئ : ان عبيد الله بن الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، والمؤرخ ابن النديم يتفق مع ما يذكره الاسماعيلية أنفسهم ، من أن عبيد الله بن الحسين ابن أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر .

ومما لا جدال فيه أن الاسماعيلية يؤيدون نسب عبيد الله الى علي وفاطمة : الا أن هناك جماعة منهم يقولون ان عبيد الله من الانباء الروحانيين للأئمة المستورين ، انه كان اماما مستودعا ، اذن امامته انما قامت لأنه استودع لينقلها الى سواه ، فلم يكن والحالة هذه من الانباء الحقيقيين للأئمة المستورين ، وانما انتقلت الامامة عن طريقه من امام مستقر الى امام مستقر آخر ، وفي الحقيقة لا يوجد عالم أو مؤلف واحد من الاسماعيلية ينكر على عبيد الله نسبه الى محمد بن اسماعيل ؛ واعتبر المؤرخون الذين درسوا كافة

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢١ .

الاقوال التي وردت حول نسب الأئمة الاسماعيليين فصولا شائكة في تاريخ الدعوة الاسماعيلية خاصة وفي تاريخ المسلمين عامة ، لما احيطت به من غموض ، ونحن يمكننا أن نوضح هذا الغموض بجلاء لأن صاحب البيت أدري بالذي هو فيه ، معتمدين في ذلك على ما رواه أحد دعاة الاسماعيليين الذين عاشوا مع الامام المهدي في سلمية ، وهو الداعي جعفر الذي كان حاجبا للامام المهدي رافقه وعاش في قصره ، وقد استعرض جعفر المذكور في سيرته تاريخ حياة عبيد الله المهدي المعروف لدى الاسماعيلية (بـمحمد المهدي) في سلمية وذكر أن المهدي قد تزوج ام القائم في سلمية ووصف ليلة الزفاف بقوله (١) :

« ثم زوج الامام قبل وفاته المهدي ع م بابنة عمه ام القائم ع م ، قال جعفر فاذكر أن المهدي ع م تقدم اليّ بأن لا أبرح في ليلة زفافها باب المجلس ، قال : فلزمت النساء حولي الى أن فتح المهدي ع م الباب ورمى الي بالسبئية ، قال فنشرتها على رأسي ورقصت بها والنساء حولي يلعبن ويكبرن ، قال وكثيرا ما كان يذكر ذلك معي المهدي بالله والقائم بأمر الله والمنصور بالله والمعز لدين الله صلى الله عليهم » •

فيا أيها المؤرخون والكتاب والعلماء ماذا تقولون بهذا النص ؟ هل لديكم نظريات جديدة حول هذا الموضوع ؟ وهل تدعون كما ادعى قبلكم أولئك الذين استأجروا من قبل العباسيين لتشويه التاريخ الاسلامي والنسب ان نظرية انتساب الأئمة الفاطميين الى آل القداح مهزلة في جبين تاريخ العرب ، هذا فضلا عن قصص الاستيذاء ، وروايات الاستقرار ، وغيرها من الآراء المتناقضة المتضاربة • ولا أدري كيف تجيز الامانة العلمية ، وتحري الحقيقة القول : ان آل القداح اغتصبوا الامامة من آل

(١) سيرة جعفر الحاجب نشرها ايثانوف في مجلة الآداب المجلد ٤ الجزء

الثاني ص (١٠٨ - ١٠٩)

البيت وادعوها لانفسهم ؟ وليس أجمل من رواية تأمر هذه الاسرة على أئمتها وهم الذين بذلوا حياتهم في سبيلها •

ونعود لنناقش قضية التبني الروحي ، فنقول بصراحة ان العقائد الاسماعيلية لا تقر هذه النظرية ولا تعتبرها نظرية ثانية ، وكل ما هنالك ان للأئمة اعتبارا لدى الاسماعيليين يجيز الأبوة الروحية ، فهم أصحاب الروح الكلية التي انبثقت منها أرواح جميع المريدين ، وان الروح الجزئية تعود الى أصلها وهي الروح الكلية بعد مفارقة البدن ، لذا نرى الأئمة في كل عصر وزمان يخاطبون أتباعهم بقولهم : (أبناءي الروحيين) وهذا لا يشكل نظرية الأبوة الروحية كما يفهمها البعض •

والحقيقة التي لا غبار عليها أن عبيد الله امام مستقر ابن امام مستقر نص عليه امام كبار رجالات دعوته في سلمية وتزوج أم القائم ابنة عمه وهي عذراء لم يدخل بها قبله فولدت القائم بالسلمية ومنها ارتحل عبيد الله مع القائم وأمه وبعض رجال حاشيته ، ذلك ما تؤيده كل المصادر والوثائق الاسماعيلية في سورية ، وبعائني أن ما جاء على ذكره بعض المؤرخين الاسماعيليين أمثال أدريس عماد الدين وصاحب غاية المواليد يؤكد أيضا صحة هذه الرواية ، ولما كانت حياة الأئمة المستورين وتنقلاتهم تحاط بهالة من الستر والكمتمان الشديد خشية الاضداد فمن المؤكد أن الحجج وكبار رجالات الدعوة الموثوق فيهم كانوا يسمون في أكثر الأحيان باسماء الأئمة تقية عليهم ، فهذه الاقوال شيء وقصة التأمر على الامامة واغتصابها شيء آخر ، فالعقل والوجدان والتاريخ يأبى أن تصم اسرة ميمون القداح التي تفانت في خدمة الدعوة الاسماعيلية بالخيانة وادعاء الامامة • ومهما اختلف العلماء في نسب عبيد الله فهو من سلالة علي ابن ابي طالب لحما ودما •

في بداية عهد هذا الامام انضمت أكثر قبائل المغرب للداعي (أبي عبد الله الشيعي) مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ، واحرزت جيوشه

الاتصارات في جميع المعارك التي خاضتها ، فانتشر المذهب الاسماعيلي انتشار النار بالهشيم وتفرقت الدعوة في كافة الانحاء يدعون الناس للانضمام تحت راية الامام الاسماعيلي والجهاد في سبيل نصر قضيته .

وبعد أن استقرت الامور رأى الداعي أبو عبد الله الشيعي من الانسب (الرجوع الى الامام في كل مناسبة) أن يعلم امامه عما حققته الدعوة من نجاح ، فسير أخاه ابا العباس محمد بن احمد على رأس وفد من اسماعيلية المغرب ^(١) لينقلوا للامام المهدي الاخبار والتفاصيل بما فتح الله على يده ، وانه ينتظر أوامره ، اذا ما أراد أن ينقل مقر الامامة الى المغرب ، لان السلمية لم تعد مكانا صالحا لاقامة الأئمة الاسماعيلية المستورين بعد ان ازداد النشاط الاسماعيلي في المغرب واليمن بالاضافة الى ان الخليفة العباسي قد شدد في طلب القبض على الامام الذي تروج الدعوة باسمه بعد أن علم المقتدر ما توصلت اليه الدعوة في المغرب من تقدم وسعة انتشار . فأوعز لوالي سلمية أن يبحث عن الامام عبيد الله ويقضي عليه .

وصل الوفد الذي أرسله الداعي ابو عبد الله من المغرب وسلم رسالة الداعي أبي عبد الله الى الامام عبيد الله ، وبعد أن اطلع على فحواها قرر مغادرة سلمية فأمر رجاله بأن يكونوا على أهبة الاستعداد للسفر معه ^(١) . ويحدثنا جعفر الحاجب فيقول ^(٢) : أمرنا الامام محمد المهدي بالأخذ في أهبة السفر والخروج معه واطهر لنا أنه يريد اليمن .

وبعد أن تهيأت جميع الوسائل والاسباب لهجرة الامام المهدي الى المغرب ، خرج ومعه خاصته ومواليه وكان خروجه من سلمية وقت العصر

(١) ابن خلدون ٣٣/٤ المقدمة - تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٠٢

(٢) سيرة جعفر الحاجب ص (٦٦) .

وكانت وجهته مدينة حمص ومنها قصد طرابلس الشام (١) وقيل أنه قصد الرملة بعد أن مكث في طرابلس يوماً واحداً ، أما مدة إقامته في الرملة فهي في شهر رجب سنة ٢٨٩ هجرية حتى منتصف سنة ٢٩١ هجرية ثم غادرها متوجهاً الى مصر فدخلها مستتراً بزى التجار (٢) فأنت كنب الخليفة العباسي الى عيسى النوشري أمير مصر تأمره بالقبض على الامام المهدي .

وعندما قرئت هذه الكتب كان في المجلس أحد الاسماعيلية فنقل الخبر الى الامام المهدي ، فغادر مصر مع أصحابه ومعه أموال كثيرة .

فرق النوشري الاعوان في طلب المهدي وخرج بنفسه ملاحقاً الامام المهدي وقيل قبض عليه ولكنه أطلق سراحه بعد أن اعتنق مذهبه ، وقيل انه أراد أن يرسل معه من يوصله الى رفقته . وقيل أيضاً أنه أعطاه مالا حتى أطلقه (٣) .

تابع الامام المهدي المسير حتى داهمه في الطريق بعض اللصوص بموقع يقال له (الطاحونة) فنهبوا متاعه وكان منها كتب وملاحم كانت لأبائه فعظم أمرها عليه .

ويحدثنا جعفر الحاجب فيقول : جرى على الامام في طريقه مع القافلة عند خروجه من مصر وعند وصوله الى الطاحونة من البربر من أخذ بعض رحله وكتب للمهدي فيها علوم كثيرة فكان أسفه عليها أشد من أسفه على غيرها مما ضاع له الى أن جمعها الله عز وجل وقت خروج القائم الى مصر في السفارة الاولى . تابع الامام المسير حتى وصل قسطنطينية ومنها

(١) يقول ايفانوف بكتابه *Ries of the Fatimids* بانه خرج من سلمية فيها بيت الداعي (أبي محمد) الذي هيا له الخيول العربية من قرية « شيزر » الاسماعيلية .

(٢) اتعاظ الحنفا ص (٨١ - ٨٢) .

(٣) ابن الاثير ٤٤/٨ .

سجلماسة ، حيث قبض عليه واليها العباسي اليسع بن مدرار ووضعه في السجن (١) .

علم أبو عبد الله الشيعي بما جرى للإمام في سجلماسة ، فبادر وحشد جيوش الاسماعيلية التي بلغ عددها مائتي ألف فارس وراجل ، وخرج في أول شهر رمضان سنة ٢٩٦ هجرية من بلدة (رقادة) فاهتز المغرب لخروجه وخافته قبيلة زناته ، وزالت القبائل عن طريقه ، وجاءته رسلها ودخلوا في طاعته . كتب أبو عبد الله كتابا أرسله الى الامام المهدي في سجنه يبشره فيه بقدمه ، فأدخل رجل قصاب من الاسماعيلية الكتاب الى السجن وسلمه للإمام .

وبعد فترة وجيزة وصلت جيوش أبي عبد الله الى سجلماسة فطوقتها عدة أيام ، فقاتل خلالها اليسع بن مدرار حتى دحرت جيوشه وولى الادبار فألقى عليه القبض وقيل جلد حتى قتل ، وقيل اعتنق المذهب فأطلق سراحه . وهكذا زال ملك بني الأغلب من أفريقيا ، وملك بني مدرار بعد أن استمر ١٠٣ سنوات بسجلماسة .

وفي السابع من ذي الحجة سنة ٢٩٦ هجرية اخرج الامام المهدي من السجن فبويع من عامة مسلمي سجلماسة . وسرت الجماهير به سرورا عظيما كاد يذهب بعقولهم ، ثم اركب الامام المهدي على جواد ومشى بركابه أبو عبد الله الداعي ورؤساء القبائل وكان هذا الداعي الكبير يبكي ويقول مخاطبا الناس : هذا مولاكم ، هذا هو الامام المبين ، هذا الذي دعوتكم لامامته ، فأسرعوا الى لثم ركابه وادخلوا في طاعته تكتب لكم السعادة في الدارين ، فتقدم اليه خلق كثير .

ارتحل الامام عن سجلماسة بعد أن لبث فيها أربعين يوما متوجها الى

(١) اتعاظ الحنفا (٨٤ - ٨٩ - ٩٠) . ابن الاثير ١٩/٨ - ٣٢ - ٣٤ .

أفريقيا فوصل مقر ملكه (رقادة) بعد أن زال ملك بني رستم من (تاهرت) وأمر أن يخطب له يوم الجمعة وسير الدعاة الى مختلف المناطق يدعو الناس للدخول في مذهبه .

وأعلن الامام في مؤتمر عقده لرجال دعوته عن انتهاء دور الستر والتخفي الذي بدأ بالامام محمد بن اسماعيل ، وبدأت حياة جديدة حيث تولى الامام السلطتين الزمنية والروحية .

قضى الامام المهدي ست سنوات في تنظيم أموره الداخلية ، واعداد جيش لجب ليفتح به مصر ، بعد أن انتشرت فيها الدعوة انتشارا عظيما على يد الداعي (أبي علي) كما عمل على تنظيم دعائه وحججه في الخارج ، ولا سيما في اليمن والبحرين ، وأحرز النصر على القرامطة وتمكن من قتل زعيمهم أبي سعيد وعين أخاه أبا طاهر مكانه ، وأرسل سنة ٣٠١ هجرية جيشا بقيادة ولي عهده القائم لفتح مصر فاحتل برقه واستولى على الاسكندرية والقيوم وصار في يده أكثر البلاد .

وسير جيشا آخر عن طريق البحر بقيادة (حباسة) فاستولى على بعض المناطق المصرية .

وخرج المهدي لتفقد أحوال البلاد ولاختيار مكان صالح لبناء عاصمة لملكه ، فزار تونس ، وقرطاجنة ووصل البحر وقد شاهد جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند ، فتأملها فوجد فيها راهبا في مغارة فقال له : بم يعرف هذا الموضوع فقال : هذا يسمى جزيرة الخلفاء ! فاعجبه هذا الاسم فبناها وجعلها دار مملكته ، وشرع بالبناء يوم السبت الخامس من ذي القعدة سنة ٣٠٣ هجرية ، وشيدت فيها دار لصناعة السفن الحربية الكبيرة ، وجعل لها سورا محكما وأبوابا عظيمة زنة كل مصراع ألف قنطار ، وطوله ثلاثون شبرا ، ووزن كل مسمار من المسامير التي استعملت في تركيبه ستة أرتال ، ولم تلبث أن أصبحت مرفأ هاما وفرغ من بناء المهدي سنة ٣٠٥ هجرية

واقتتل إليها في شوال سنة ٣٠٨ هجرية • وأمر المهدي ببناء مدينة أخرى بجوار المهديّة ، وجعل بين المدينتين ميدانا فسيحا وأحاطها بسور وأبواب وحراس وسماها (زويلة) نسبة الى احدى قبائل البربر !

وأسس المهدي في المهديّة وغيرها من المدن مدارس للدعوة ولتخريج الدعاة الذين استطاعوا أن ينشروا الدعوة في كثير من أرجاء العالم الاسلامي ، وخاصة في بلاد الاندلس ، ولقد ضاعفت هذه المدارس الجهود المبذولة لتجديد النشاط المذهبي في البلاد التي كان ينتشر فيها المذهب الاسماعيلي من قبل ، كمصر ، والشام ، واليمن والبحرين والعراق وفارس • وعمم المهدي الفقه الاسماعيلي المستمد من تعاليم الامام جعفر الصادق وأمر بأن يقضى بموجبه •

ودلت تنظيمات وسياسة المهدي ودعائه على عبقرية نادرة المثال ، فنجحوا نجاحا منقطع النظير واستطاعوا أن يدخلوا في المذاهب الاسماعيلية عددا كبيرا من الامراء والقواد فاتصلوا بالمهدي وبايعوه • وبعد فترة وجيزة أصبحت جميع البلاد في قبضة الاسماعيلية الذين أزالوا دولة الادارسة وأخضعوا القبائل الكثيرة في المغرب ، ومن المهديّة وجه الامام حملاته لقتال الروم في ايطاليا وصقلية وسواهما ، وهدد في آخريات أيامه جنوة نفسها ، كما انتصر على اسطول الروم في سردينية •

وقد قال شعراء افريقية في المهديّة وانتقال المهدي اليها :

حطّطت الرحل في بلد كريم	رعته له الملائكة الكرام
لقد عظّمت بأرض الغرب دار	بها الصلوات تُقبل والقيام
هي المهديّة الحرم الموقّيّ	كما بتهمّة البلد الحرام
كأن مقام ابراهيم فيه	ترى قدميك ان عدم المقام
وان لثم الحجيج الركن أضحى	لنا بعراض قصركم التّشام
لئن شاب الزمان وشاب ملك	دعائمه اذا عجمت حطام

لَمُنْكَك أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ مُلْكُ غَلَامٍ وَالزَّمَانُ بِهِ غَلَامٌ
لَكَ الدُّنْيَا وَنَسْلُكَ حَيْثُ كُنْتُمْ فَكُلُّكُمْ لَهَا أَبْدَانٌ أَمَامَ

والخلاصة يعتبر الامام عبيد الله المهدي من الرجال الذين لا يوجد بهم
الدهر الا نادرا . قوي الشخصية ، امتاز بالصبر والجود ، وكان مهيبا يُفرض
احترامه وتقديره على من يراه ، وسيما جميل المنظر ، قوي الساعد ، شديد
البأس ، وكان حين تولى الامامة يمتلىء قوة ونشاطا ، استطاع أن يوطد
دعائم المذهب الاسماعيلي في كثير من أرجاء العالم ، توفي بمدينة المهديّة
بعد أن حكم المغرب أكثر من أربع وعشرين سنة وتوفي وله من العمر نحو
ثلاث وستين سنة ، وامتد نفوذ الدولة التي أسسها فيما بعد من المحيط
الاطلسي غربا الى بلاد العراق شرقا ، ومن جبال طوروس شمالا الى بلاد
السودان جنوبا ، وكانت هذه الدولة مضرب المثل في ازدهار الحضارة
الاسلامية وفي السياسة والدين والثقافة ، وكانت وفاة المهدي سنة ٣٣٢
هجريّة ودفن بالمهدية .



علي بن أبي طالب

حياة الامام علي بن أبي طالب ذلك الطود الانساني العظيم الذي انطلق من أرض المعجزات امثولة رائعة للتفاني الفردي في سبيل الواجب الجماعي المقدس ، ونضال مرير في سبيل تركيز أسس ومعالم العقيدة الاسلامية المثالية ، وتحصينها بأصول عقلية علمية ، حتى لا تترك بين جنباتها منافذ يلج منها الكفر والوهن والانحلال .

فهو أول فتى من قريش اصطرت في اعماقه نوازع التطلع الى المجد والرفعة والسؤدد ، وحب الجهاد في سبيل خير الانسانية جمعاء ، وتفاعلت في نفسه الطاهرة المتوثبة ، أسمى القيم الروحية ، فشارك الرسول (ص) في ثورته على الرجعية والكفر والظلم وعبادة الاوثان . ووقف ينافح ويدافع عن عقيدته بكل ما أوتي من قوة وبأس ، عاملا على نشر الدعوة الاسلامية الحققة في ربوع الجزيرة العربية وفي كافة انحاء المعمورة ، لتكون نورا وهاجا يضيء ظلمات النفوس ، فتصل الى شاطئ الامان والسلام ، فمثل الأئمة والرسل كمثل الينابيع التي تنفجر خيرا وبركة لتحول الصحراء القاحلة الجرداء الى رياض غناء فينانة ، يفرسون المحبة والفضيلة في النفوس الشريفة ، ويدخلون السكينة والامن الى الصدور القلقة المضطربة ، فهم المهذبون لآبناء البشر والمترسخون للقواعد الالهية والاجتماعية الخيرة ، وهم الحكماء الهادون الى معرفة القوى السرمديّة الفاعلة في الوجود .

في يوم مولد علي ذلك القطب الاسلامي العظيم تفجرت ينابيع الارض بالخير والعتاء ، وازدهت واحات الصحاري بالخضرة النضرة .

ولد الامام علي مع رطوبة الليل ، وانداء الصباح ، وانفاس الصبا

المشوبوب بالنزعة الالهية الصوفية المحضة التي لا تعرف التردد ولا الوسطية ، لانها استمرار أبدي لمعنى التطلع الازلي لما هو أفضل وأسمى وأنبى ، ذلك التطلع العجيب الذي يهدف الى اكتشاف كنه الغيب ، واطلاع الناس على مكنونات الوجود وما سيحدث في العصور والايام .

من لهيب الصحراء ، ومن انبساط الرمال ، ومن جنائن يثرب ، وخمائل الطائف ، ومن ذلك البيت الهاشمي العتيق المحيط بالكعبة المشرفة ، انبثق النور الذي شمع على الوجود فأضاء سرائر النفوس ، وركز قواعد العدالة والمحبة في العالم .

ذلك النور السرمدي هو علي بن أبي طالب بطل الاسلام وحامي حمى المسلمين ، والسيف البتار الذي أدخل الرعب الى قلوب الكفار والمنافقين والمرتدين .

كانت ولادته في سنة ٦٠٤ ميلادية الموافق ليوم الجمعة الثالث عشر من رجب سنة ٣٠ من عام الفيل ، في قلب الكعبة الشريفة حيث لم يسبق لغيره أن ولد في ذلك المكان الطاهر ، فكان تكريماً لفرعي هاشم الذي انحدر منه الطفل عن فاطمة وعن أبي طالب حفيدي الامل الثابت الكريم . وقد رغبت أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أن تسميه حيدرة تيمناً باسم أبيها أسد^(١) ولكن والده أبو طالب لم يشاركها الرأي فأصر على تسميته (علياً) لعلو شرفه ، كونه ولد في الكعبة ، وكان أصغر أبناء أبيه وقد توفي والده وله من العمر ست سنوات ، فترعرع في بيت ابن عمه محمد (ص) حيث اندمج قلباهما ونفساهما في وحدة حياتية سرمدية لا انفصام لها ، وما كاد يبلغ العاشرة من عمره حتى ظهرت عليه امارات الذكاء الحاد الخارق ، والشجاعة النادرة ، هب لمساعدة الرسول (ص) يوم هاجمه الفرسان

(١) الحيدرة هو الاسد .

القرشيون ، فقال حكمته البليغة التي خلدها الزمان فجاءت مثالا يقتدى به في التضحية والفداء : « والله لن يصلوا اليك حتى أوسد في التراب دفينا » وليس في وسع أي انسان مهما أوتى من قوة التعبير وسعة القلم والمعرفة وكثرة الاطلاع أن يحصي مناقب علي بن أبي طالب وفضائله ، فقد جمع بين الحكمة والبلاغة والشجاعة والايان المطلق ونصرة المظلوم ، ومساعدة الفقراء البائسين ، ومحاربة النزعة الطبقية والتمييز بين مختلف الناس ، فكان بمثابة العالم المدقق عن كل علم وكل نتيجة للراغب في الاكتشاف والتبين ، وتركيز ذاته الفاعلة على قواعد ونواميس عميقة واسعة الادراك ، تسير أغوار الحياة والوجود ، فتصل الى النتائج المنطقية ، وتحدد قيمة المجتمع ، وقيمة الافراد التي يتشكل منها ذلك المجتمع .

وكان عقله الجبار النافذ معجزة من معجزات التاريخ سبق تفكير بيئته وأهله وعصره في ادراك حقيقة المجتمع وتفسيره .

لقد بدد الامام علي المفاهيم الوهمية عند الناس وأوضح حقيقة واقعية لم يسبقه الى ايضاحها عالم من علماء الكون منذ فجر التاريخ حتى هذا العصر ، لقد أعلن في حكمته البليغة اليتيمة ، (ما جاع فقير الا بما متع به غني) ثم أردف قائلاً لتقرير هذه الحقيقة بحكمة أخرى (ما رأيت نعمة موفورة الا وبجانها حق مضيع) .

كان الامام علي طفلاً مبكر النماء سابقاً لانداده في الفهم والقدرة ونشأ رجلاً مكين البنيان في الشباب والكهولة حافظاً لتكوينه القوي حتى ناهز الستين .

تزوج السيدة فاطمة بنت النبي (ص) سنة ٦٢٣ ميلادية فأنجب منها الحسن والحسين ومحسنا وبنتين هما زينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى ولم يتزوج في حياتها أما بعد موتها فقد تزوج أكثر من اثني عشر امرأة .

وكان مجموع أبنائه أربعة عشر ذكراً وسبع عشر أنثى نذكر منهم :

محمد الأكبر المعروف بابن الحنفية أمه خولة بنت قيس بن جعفر الحنفي ،
والعباس الأكبر ، وعبد الله ، وعثمان الأكبر ، وجعفر الأكبر أمهم أم البنين
بنت المحل بن الديات بن حرام الكلابي . وقتل هؤلاء الاربعة مع الحسين
بالطف (١) وعمر الاصغر أمه الصهباء أم حبيبة ، وعبد الرحمن وعبيد الله
أمهما ليلى بنت مسعود بن خالد التميمي ، ويحيى ومحمد وعون أمهما
أسماء بنت عميس الخثعمية (٢) ، فهؤلاء الذكور منهم من مات في صباه
ومنهم من قتل ولا عقب له ولم يعقب سوى خمسة منهم : الحسين والحسن
ومحمد ابن الحنفية والعباس وعمر وسائرهم لم يعقب (٣) .

كان الامام علي فارسا لا يشق له غبار ، يرفع الفارس ويجلد به الارض .
ولم يبارز أحدا الا وقتله ، ولم يصارع أحدا الا وصرعه ، كان يصيح
الصيحة فتتخلع لهولها القلوب . قضى حياة مليئة بالمهمات العظام ، وأدى
رسالة تروح بثقلها الجبال ، ولكنه تغلب على كل العقبات التي اعترضت
طريقه بفضل صبره وثباته وما فطر عليه من مناعة ونفاذ فكري . فاستطاع
أن يصل الى الأوج ويجلس على كرسي أمانيه محاطا بهالة من الخلود لا يمكن
أن تتغير مع الزمن (٤) .

لازم (الرسول) في غزواته . وكان نصيره الذي أبلى بلاء حسنا
في جميع حروبه وفتوحاته ، فاشتد ساعد الاسلام بقوة ساعد علي وهو الذي
رقد في فراش الرسول (ص) ليلة الهجرة بالرغم من علمه الأكيد بأن أهالي
مكة سيقتلون الراقد في الفراش .

(١) ابن الاثير ج ٣ ص ٢١٠ - الطف أرض بضاحية الكوفة في طريق
البرية (معجم البلدان لياقوت) .

(٢) نفس المصدر ج ٤ ص ٤٧ .

(٣) انعاظ الحنفا ص ٦ - ٧ ابن الاثير ج ٢ ص ٢٠١ .

(٤) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٣٤ .

ويقول العقاد (١) : أحاديث النبي في فضل علي ومحبه متواترة في كتب الحديث مشهورة ، منها ما انفرد به وهو حديث الخيمة الذي رواه (الصديق) حيث قال :

رأيت الرسول خيم خيمة وهو متكئ على قوس عربية ، وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين ، فقال : معشر المسلمين ، أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة ، حرب لمن حاربهم ، ولي لمن والاهم ، لا يحبهم الا سعيد الجد طيب المولد ، ولا يبغضهم الا شقي الجد رديء الولادة . وعلق العقاد على هذا الحديث قائلاً : هذا نموذج من الاحاديث النبوية في فضل علي ومحبه ومنزلته عند الله ونيبه وهي تعد بالعشرات . وأورد هذه القصة :

« بعث رسول الله علياً الى اليمن ، فسأله جماعة من أتباعه أن يركبهم ابل الصدقة ليريحوا ابلهم فأبى . فشكوه الى رسول الله (ص) بعد رجعتهم ، وتولى شكايته سعد بن مالك بن الشهيد . فقال : يا رسول الله لقينا من علي الغلظة وسوء الصحبة والتضييق . . . ومضى يعدد مآلقيه ، حتى اذا كان وسط كلامه ضرب رسول الله على فخذه وهتف به : يا سعد بن مالك ابن الشهيد ، بعض قولك لأخيك علي ؟ فوالله لقد علمت انه جيش في سبيل الله . ثم قال العقاد : يلوح لنا أن النبي عليه السلام كان يحب علياً ويحبه الى الناس ويمهد له سبيل الخلافة في وقت من الاوقات » .

ومما لا جدال فيه أن رسول الله أحب علياً حبا شديدا وأولاه اهتمامه لان العوامل التي تدعوه الى مثل هذا الحب كثيرة فهو صاحبه والمنافع عن دعوته وبديله في فراشه وصهره وابن عمه وزوج ابنته العزيزة فاطمة وابن امامه (أبي طالب) وحاميه من أذى قريش الخ . . . (٢)

(١) كتاب عبقرية الامام ص ١٦٠ .

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٣٦ .

وبعد أن أدى النبي حجة الوداع ونزل (وهو في طريق العودة) عند غدیر خم في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة في السنة العاشرة للهجرة ، أنزل عليه قوله تعالى : (يا أيها الرسولُ بَلِّغْ مَا أَنزَلَ لَكَ مِنَ رَبِّكَ وَأَنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)^(١) فبادر النبي (ص) وأمر باقامة الصلاة حتى انتهى منها فأخذ بيد علي بن أبي طالب وعقد كفه بكفه وقال (٢) :

« أستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا : بلى • أستم تعلمون اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ! قالوا بلى • أستم تعلمون اني أولى بكل مؤمن من نفسه ! قالوا بلى • قال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من أخذه وأدر الحق معه حيث دار • هذا وصيي وخليفتي وقاضي ديني من بعدي ومنجز وعدي ، فعلي مني وأنا منه من خالفة يلعبه الله والملائكة والناس أجمعين اشهدوا فقد بلغت وأنذرت ما أمرني ربي فمن قال قولي فاز ونجا من جملة المؤمنين ومن خالف قولي ضل وغوى وكان من النادمين فقد أنذرتكم وحذرتكم وفوضت أمري الى الله ان الله سميع بصير فليبلغ حاضرکم غائبکم » •

واعتبر الشيعة هذا القول تليغا لامر الله تعالى ونصاً صريحا بوجوب اتباع علي ومن بعده ذريته المنصوص عليهم ، وقالوا أن هذه البيعة جاءت بعد المبايعات الثلاث (بيعة الدار – بيعة الخيزرانة – بيعة ام سلمى) •

ولقد حصل أول تنازع بشأن الخلافة وأحقيتها أثناء مرض الرسول بعد

(١) سورة ٦٨/٥ .

(٢) مسند ابن حنبل ص ٨٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٩٥٢ ج ٤ ص ٢٨١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ج ٥ ص ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٦١ .

عودته من حجة الوداع فيما رواه محمد بن اسماعيل النجار باسناده عن عبدالله ابن عباس قال (١) :

لما اشتد بالنبي مرضه الذي مات فيه قال أتوني بدواة وقرطاس اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي . فقال عمر : ان رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله ، وكثر اللغط : فقال النبي قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع فقال ابن عباس : (الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله) واختلف المهاجرون والانصار . فقالت الانصار منا أمير ومنكم أمير ، واتفقوا على رئيسهم سعد بن عبادة الانصاري فاستدركه أبو بكر وعمر في الحال بان حضرا سقيفة بني ساعدة فانفقوا على مبايعة أبي بكر وذهبوا الى المسجد حيث خطب عمر فقال : لقد كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه فايما رجل بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فاقتلوه . وتخلف الكثير عن المبايعة منهم الامام علي حيث كان مشغولا بتجهيز النبي وملازمة قبره .

ولما توفي أبو بكر أوصى بالخلافة لعمر فقال الناس (قد وليت علينا فظاً غليظاً) وبعد موت عمر انتقلت الخلافة الى يد عثمان فانشق المسلمون عليه لعدة أسباب منها :

- ١ - رده الحكم بن أمية الى المدينة بعد أن طرده رسول الله (ص) وكان يسمى (طريد رسول الله) .
- ٢ - نفيه أبا ذر الغفاري الى الربذة كونه وجه له بعض الانتقادات .
- ٣ - تزويجه مروان بن الحكم ابنته وتسليمه خمس غنائم افريقيا .
- ٤ - ايواؤه لعبد الله بن سعد بن أبي سرح بعد ان اهدر دمه النبي . وتوليته مصر .

(١) الملل والنحل لابن الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني المتوفي سنة

٥٤٨ هجرية ص ٦ - ٧ .

- ٥ - أطلق يد أبناء اسرته في الولاية والعمالة .
- ٦ - اتهم واليه الوليد بن عقبة أنه أم الصلاة وهو سكران .
- ٧ - توسعه في بناء القصور وحرمانه بعض الصحابة وضربهم على مشهد من الملأ .
- هذا ما جعل المسلمين ينقمون عليه ويخذلونه ويرفضون بيعته حتى قتل في داره .

فتسلم علي ابن ابي طالب السلطة بعد ان تمت البيعة الشرعية وذلك في سنة ٣٦ هجرية الموافق سنة ٦٥٦ ميلادية ونقل مقره الى الكوفة وباشر بعزل ولاية عثمان الفاسدين ومنهم كبار بني أمية ، فاتهمه الأمويون بالتهاون في البحث عن قتلة عثمان واعتصم معاوية بدمشق وأبى أن يبايع عليا وأشعل الفتنة بين المسلمين ، فقرر الامام علي اخماد هذه الفتنة قبل أن تأكل الاخضر واليابس فسير جيوشه الى العراق والشام ولما وصل البصرة التقى بجماعة عائشة وطلحة والزبير (بوقعة الجمل) نحو العاشر من جمادى الاولى سنة ٣٦ هجرية الموافق ٤ كانون الاول سنة ٦٥٦ ميلادية وانتهت المعركة بانتصار جيوش الامام علي ، فتابع المسير باتجاه جيوش معاوية وبعد مضي شهر من المسير دخلت جيوش الامام علي المدائن وقطعت الفرات الى الرقة وهناك التقت بجيوش معاوية في سهول (صفين) الواقعة على ضفة الفرات اليمنى وجرت مناوشات عديدة بينهما وتكاثرت الرسائل بين الامام ومعاوية فكان معاوية يطالب بثار عثمان ، والامام يدعو للطاعة فلا يجيب ، وفي النهاية انقطعت المراسلة بينهما وتجددت المناوشات وقلما اشتبك فيها الجيشان في وقعة جامعة حتى كانت وقعة (الهرير) في ١٠ صفر سنة ٣٧ هجرية الموافق ٢٨ تموز سنة ٦٥٧ ميلادية وحاقت الهزيمة بجيوش معاوية وهم بالفرار ، بينما سارت جيوش الامام بخطى سريعة نحو النصر يقودها الاشر النخعي .

وهنا عمد معاوية الى الحيلة وأمر جيوشه بدفع المصاحف على أسنة الحراب ، فشعر الامام علي بالمكيدة فقال لقومه (قاتلوا الفئة الباغية حتى تفيء لأمر الله ، وهذا كتاب الله الصامت ، وأنا كتابه الناطق) فطلب أهل العراق من الامام الموافقة والرضى بحكم القرآن ، وفي النهاية جرى التحكيم وظهرت الخديعة فأحدثت انشقاقا بين الصفوف فنجت جيوش معاوية من الاندحار المؤكد ، بينما انقسمت جيوش الامام على نفسها وخرجت جماعة منها لقبوا بالخوارج •

بعد تلك المأساة المؤلمة عاد الامام علي الى الكوفة معترضا قتال الخوارج ، بعد أن بذل جهودا جبارة لاعادتهم الى صفوفه ، ولكنهم أصروا على الثورة ، فسارت اليهم جيوش الامام وقضت عليهم ومن ثم عاد الامام الى الكوفة ليتأهب لمحاربة معاوية •

وبينما كان الامام علي يتأهب لمحاربة معاوية اجتمع في مكة نفر من الخوارج فتذاكروا القتلى من رفاقهم في النهروان والقوا وزر هذه الدماء كلها على ثلاثة هم : علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو ابن العاص ، فتعاقدوا على قتلهم ، فقال عبد الرحمن بن ملجم أنا أكفيكم عليا • وقال البرق بن عبدالله التميمي أنا أكفيكم معاوية وقال الثالث وهو عمر ابن بكر التميمي أنا أكفيكم عمرو بن العاص ، فتعاقدوا وتوافقوا على الوفاء واقعدوا شهر رمضان ، ولكن المصادفة العجيبة هي التي شاءت أن تشحذ عزيمة ابن ملجم بحافز من الغرام الظاميء لا يرويه الا دم ذلك الشهيد الكريم (١) •

واتفق الثلاثة على يوم عينوه ليقتل كل منهم صاحبه ، فأما عمرو ابن العاص فقد اشتكى بطنه تلك الليلة فلم يخرج من بيته وأمر خارجه ابن

(١) مقاتل الطالبين ص ٢٩ عبقرية الامام ص ١٠٢ الطبري ج ٦ ص ٨٣ ابن أبي حديد ج ٢ ص ٤٢ ابن الاثير ج ٣ ص ١٦٨ الامامة والسياسة ج ١ ص ١٣٤ البداية والنهاية ج ٧ ص ١٤٥ تاريخ الخلفاء ج ١ ص ١١٧ •

حذافة (١) صاحب شرطته أن يصلي بالناس فضربه عمر بن بكر وهو يحسبه عمرا فقتله ، فقال له عمرو أردتني وأراد الله خارجه ، وأمر بقتله •

وأما معاوية فعرض له صاحبه فلم ينل حاجته اذ قيل ان معاوية كان دارعا أو لانه لم يصب منه مقتلا ولقى الضارب حتفه •

وأما الامام علي فضربه ابن ملجم في جبينه بسيف مسموم وهو خارج للصلاة فتوفي بعد أيام في ليلة الجمعة لاحدى عشر وقيل لثماني عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة ٤٠ هجرية بالكوفة عن ثلاثة وستين عاما ودفن في الظهر بجانب القرى (٢) •

وازاء هذه الرواية لا يسعنا أن نمر مرور الكرام دون أن نعطي رأينا في الموضوع فنقول : لا شك وان مؤامرة القتل قد دبرت لاغتيال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للتخلص منه حتى تؤول الخلافة من بعده الى معاوية وباعتقادي أن معاوية ورفيقه كانا على علم بهذه المؤامرة وربما كانا هما اللذان دبراها وهي جزء من مؤامرة التحكيم المشهورة • هذا ما تشبهه الوقائع كونهما في تلك الليلة تغيبا عن الصلاة بحجة المرض أو غيره ، وذلك انفاذا لسمعتهما لدى المسلمين ، وعلى العموم فقد نجحت خطتهما أو بالاحرى خطة معاوية وحده فتخلص من عدوه الألد الذي لو مد الله في عمره لتغير وجه التاريخ الاسلامي •

صفاته :

كان الامام علي رجلا ذكيا قويا لا يعرف في الحق لومة لائم ، شجاع

(١) في مقاتل الطالبين ص ٣٠ خارجه بن أبي حبيبة احد بني عامر بن لؤي
 (٢) اتعاظ الحنفا ص ٦ ابن الاثير ج ٣ ص ٩٦ وقال الاصفهاني في مقاتل الطالبين ص (٣٧) توفي الامام علي ليلة الاحد ٢١ رمضان وقال ابن كثير في البداية والنهاية ج ٧ ص ١٣٠ ضرب يوم الجمعة فمكث يوم الجمعة وتوفي ليلة الاحد .

لا يعرف له موقف جبن عن الحق أو تخاذل عن نصر المروءة ، فهو في حياته ومماته شهيد ذكائه وعظمته البالغة . انتسبت اليه فرق عديدة من المسلمين وأخذت عنه وجعلته الاكثرية الساحقة منهم معلما ومرشدا معصوما ، وقائدا لا يضل سبيله ، عنه أخذ الحكماء الذين شرعوا علم الكلام قبل أن يتطرق اليه علم يونان أو فارس ، وكان من أفصح الخطباء ، وأبلغ العلماء ، قوي البيان ، وهو أول من وضع أصول النحو ، قيل أن ابا الأسود الدؤلي شكاه اليه شيوع اللحن على السنة العرب ، فقال له : اكتب ما أملي عليك ثم املاه اصولا فيها ان كلام العرب يتركب من اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا بفعل ، وان الاشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر ، ثم قال لأبي الاسود هذا النحو يا أبا الأسود ، فعرف العلم باسم (النحو) .

وللامام علي شعر قليل وهو لا يعدو العشرات ومما نسب اليه قوله يصف همدان في وقعة صفين :

ولما رأيت الخيل ترحم بالقنا فوارسها حمر النحور دوامي
وأعرض تقع في السماء كأنه عجاجة دجن ملبس بقتام
فلو كنت رضوانا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

ويذكر التاريخ أن علي بن أبي طالب كان وهو خليفة المسلمين يأكل الشعير وتطحنه زوجته بيديها وكان يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير فيقول : (لا أحب أن يدخل بطني الا ما أعلم) .

وروى النضر بن منصور عن عقبة بن علقمة قال :

دخلت على الامام علي فاذا بين يديه لبن حامض آذنتي حموضته ، وكسر يابس ، فقلت يا أمير المؤمنين ! أتأكل مثل هذا ؟ فقال لي يا أبا الجنوب ! كان

رسول الله يأكل أيبس من هذا ويلبس أخشن من هذا (وأشار الى ثيابه)
فلم لا آخذ بما أخذ به • وقد خفت الا الحق به •

ومن كتبه التي هي فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق (نهج البلاغة)
الذي جمعه الشريف الرضي الشاعر العباسي من أحفاد الامام علي المنحدر
من سلالة موسى الكاظم ، وهو كتاب أخلاقي حكيم هدف من ورائه الى
توجيه الناس توجيهاً اجتماعياً ودينياً وأخلاقياً ، هذا ما يدع قولنا بان الامام
علي كان استاذاً لطلاب العلم والمعرفة الاسلاميين ، ويعتبر من أعرف الناس
بالله وبالقرآن وأحسنهم عقلاً وأكثرهم ذكاءً أنار القلوب بالايان الصادق،
والمثل العليا ، والحب العميق للانسانية الفاضلة • كل عبارة من عباراته شاهد
له بالملكية الموجودة في قدرة الوعي ، وقدرة التعبير •

والخلاصة ان الامام علي انتقل الى جوار ربه بعد أن نص على امامة
الحسين ودفن في النجف الاشرف وقيل في الظهر بجنب القرى والتوبة^(١) •



(١) قيل للحسين بن علي أين دفنتم أمير المؤمنين ؟ قال : خرجنا به ليلاً
من منزله فمررنا على مسجد الأشعث ، حتى خرجنا به الى الظهر بجنب القرى •
مقاتل الطالبين ص (٤٢) •

علي بن حاتم بن ابراهيم الحامدي

قام بأمر الدعوة بعد وفاة أبيه وأخذ يرسل دعائه لنشر الدعوة المستعلية في كافة الاقطار . وانشقت دعوته بحراز وخالف أتباعه من اليعابد وأوامره وتمردوا عليه مما دعاه الى ترك حراز والتوجه الى همنعاء ، وظل فيها يقيم الدعوة وينشر مذهبه في أعمالها ، ثم خرج الى حصن ذمرمر لتفقد أحوال أتباعه ، فأدركته العلة فانزل محمولا الى صنعاء ، وتوفي في يوم السبت ٢٥ من ذي القعدة ٦٠٥ هجرية ويقال أنه مات مسموماً (١) .

وبالرغم من العقبات الكثيرة التي اعترضت الدعوة والخلافات الكثيرة التي حدثت بين دعائها وأتباعها فقد استطاع هذا الداعي أن يجعل أباه قدوة له فيتترك المعتكف السياسي والخلافات القبلية ، ويوجه نشاطه الى الناحية العلمية فيغور الى أعماق المؤلفات الاسماعيلية فيشبعها درسا وتمحيصا ومن ثم يعتمد الى التأليف والقاء المحاضرات المذهبية وقد لاقت دعوته في أول عهده الرواج والانتشار ولكن الخلافات التي ذرت قرنها بين أتباعه أدت الى تحطيم فاعلية دعائه ، فسيطر اليأس والخمول عليهم ، مما أدى الى همود النشاط الدعائي .

وله رسالة روضة الحكم الصافية وبستان العلوم الشافية (٢) وتتضمن سبع عشرة مسألة في الحقائق . وفيها شرح بعض أقوال أبي يعقوب السجستاني من كتابه المسمى بالبشارات وشرح بعض مناجاة المؤيد في الدين الشيرازي ، ولم يذكر له أي مصدر تاريخي أو أدبي غير هذا المؤلف سوى

(١) نزهة الافكار للداعي أدريس عماد الدين ١٩١/١

(٢) فهرست اسماعيل ص ٣٦٤ .

قصيدة كتبها الى زعيم اليعابد يناشده فيها الائتلاف منها :

نسيم الصبا ألم بسوح اليعابد ليوث الشرى البانين أعلى المفاخر
ذؤابة قحطان بن هود ولبها وأسرة ذي العلياء عمرو بن عامر
وقل يا أباة الضيم يا صيد يعبد أفي الحزم أن ترضوا بهذا التشاجر
وان تهملوا اصلاح ما أن غفلتم عن اصلاحه أبتم بصفقة خاسر

ولكن الوعظ والتذكير لم ينفعم ، فاشتد الخلاف بينهم ، واعرضوا عن
حراسة الحصون ، وكانت النتيجة أن تفرق شملهم وخمدت دعوتهم ،
وتبعثروا في كل مكان .

وهكذا نرى أن عهد هذا الداعي قد عرف بالشقاق والفرقة وخمول
الدعوة .



علي بن حسن شاه (آغا خان الثاني)

ولد الامام علي بن حسن شاه الحسيني (آغا خان الثاني) في بلدة محلات في ايران . ورث عن والده حسن علي شاه الجرأة والاقدام وحب المغامرة ، أقام مع والدته عدة سنوات في كربلاء . حيث تلقى علومه العربية ، فدرس الأدب والتاريخ والفلسفة وقضى فترة من شبابه متنقلاً بصحبة الأمير (زيلو سلطان) بن فتح علي شاه وبعض الامراء القاجاريين بين كربلاء وبغداد وبقية البلدان العراقية (١) .

ولما توفي الشاه فتح علي ، واستلم الملك الأمير محمد شاه ، استدعى الامام علي شاه ووالدته للاقامة في طهران ، وبعد الحوادث والمؤامرات التي استهدفت الى ابعاد الامام حسن علي شاه من البلاد الى الهند، ظل علي شاه مع والدته في ايران ، حيث كلف من قبل والده برعاية أمور الاسماعيلية في فارس والعراق وبلاد الشام ومنحه لقب (بير) (٢) . وظل مع والدته وبقية أفراد العائلة في فارس حتى استقر الامام علي شاه في الهند ، فاستدعاهم جميعاً للاقامة معه . (٣)

يستدل من المصادر التاريخية أن علي شاه كان محباً للصيد ومغرماً بتربية الخيول والاعتناء بها ، كما كان مولعاً بالأدب والسياسة والفلسفة ومتمتعاً

(١) History of the ismailis : By A. S. Pickloy : p.p. 83

(٢) نور مبین جبل الله المتین : جنارا ص (٦٢٩ - ٦٣٠) .

(٣) The SHI'A of INDIA J. N. Hollister : p.p. 371

بعلوم المذاهب الاسلامية ، ترأس في حياة أبيه الجمعية الاسلامية المحمدية في الهند ، وانتخب عضوا في مجلس مدينة بمباي ، وفي سنة ١٢٩٨ هجرية أصبح اماما روحيا للاسماعيلية بعد وفاة أبيت ولقب (بصاحب السمو الملكي آغا خان الثاني) (١) .

وجه جل اهتمامه لايجاد المدارس في جميع المناطق الاسماعيلية ، وخصص لها ميزانية ضخمة من الاموال التي كانت تأتيه من الاتباع ، وكذلك أنفق الاموال الطائلة لبناء المستشفيات والمؤسسات الاجتماعية ، وقدم المساعدات المادية والمعنوية للطبقات الفقيرة من أبناء الهند ؛ في عهد هذا الامام وصل أول وفد من اسماعيلية بلاد الشام حيث عرضوا مشاكلهم الداخلية واختلافاتهم على الامام الذي استعمل سلطته الروحية وزودهم بالأوامر والارشادات التي تكفل لهم التضامن والاخاء والمحبة ليعيشوا كغيرهم من الاسماعيليين بسعادة وهناء (٢) .

هذا ما بذله من الناحية الاسماعيلية ، أما نشاطه في الحقل السياسي والاسلامي ، فقد أصبح الناطق الرسمي باسم جميع مسلمي الهند ، وعمل على تأليف جمعية اتحاد الفرق الاسلامية وانتخب رئيسا لها ، ومهمة هذه الجمعية تقوية الروابط بين الطوائف الاسلامية . وتوحيد كلمة المسلمين الهنود ، ليسيروا جنبا الى جنب مع موكب الحضارة والتقدم والرقي .

تزوج الامام علي شاه ثلاث مرات : الاولى تزوجها اثناء اقامته في العراق ، وهي ابنة أحد رؤساء العشائر العراقية توفيت في ايران . والثانية تزوجها في الهند وتدعى (ماتازو جاتان الشيرازي) فولدت له شهاب الدين شاه ، وقد توفي في حياة أبيه وهو في الثالثة والثلاثين من عمره ، وكان

History of the ismailis : By. A. S. Picklay : p.p. 84 (1)

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص ٢٧٠ .

أديبا عالما بالفلسفة والدين ترك عدة مؤلفات (١) ونور الدين شاه ، توفي اثر حادث حسان وهو في الثلاثين من عمره ، وكان رياضيا مغرما بركوب الخيل وتربيتها .

وزواجه الثالث كان من الاميرة القاجارية عالية شمس الملوك ابنة أخ الشاه محمد علي القاجاري ، وابنة نظام الدولة بن عبد الله خان الدولة ابن حاجي محمد خان الاصفهاني القاجاري (٢) ، كان أبوها نظام الدولة عالما فيلسوفا تولى رئاسة الوزراء في عهد فتح علي شاه القاجاري ، وكان عمرها أربعة وعشرين عاما عندما عقد قرانها على الامام علي شاه في مقاطعة كرمان (٣) وفي يوم الجمعة الثاني من تشرين الثاني سنة ١٨٧٧ ميلادية الموافق الخامس والعشرين من شوال سنة ١٢٩٤ هجرية ولدت له سلطان محمد شاه الحسيني (آغا خان الثالث) في منزل (شهر العسل) بمدينة كراتشي (٤) .

وفي شهر آب من عام ١٨٨٥ ميلادية قام الامام علي شاه برحلة صيد في (بونا) فهطلت امطار غزيرة وشديدة لعدة ساعات ، وكانت الارض رملية موحلة غاصت قدماه فيها طوال هذه المدة فأصيب ببرداء فظيعة ثم انقلبت الى ذات الجنب ، ولم يلبث ان مات بعد ذلك بسبعة أيام (٥) ، فنقل جسمانه الى مدينة بمباي واعلنت الطائفة الاسماعيلية الحداد لمدة اسبوع ، وبعد أن جرى تحنيط الجثة نقلت الى كربلاء في العراق حيث دفنت هناك باحتفال مهيب .

وبالرغم من قصر عهد الامام علي شاه فقد اعتبره الاسماعيلية من العمود

(١) الشيعة في الهند : Hollister ص ٣٧١ .

(٢) نور مبین جبل الله المتین : جنارا ص ٦٢٧ .

(٣) History if the ismailis : By. A. S. Picklay : 24

(٤) مذكرات آغا خان : ص ٥٨

(٥) نور مبین جبل الله المتین : جنارا ص ٦٣٢ ، مذكرات آغا خان ص ٥٩ .

الزاهره التي بلغ فيها الاسماعيلية درجة كبيرة من الازدهار الاقتصادي والتجاري والعلمي • وانتشر الاسماعيليون الهنود في جميع انحاء العالم حيث أسسوا الشركات التجارية والمؤسسات الاقتصادية في أفريقيا وسيلان ، وبورما ومدغشكر الخ ••

أما الاسماعيلية في سورية فقد أصابهم قليل من الازدهار ، وتوجهوا الى البادية حيث قاموا باعادة بناء مدينة سلمية المشهورة •



علي بن حماد

تقوم الدعوة الاسماعيلية على الجدل والمناظرات والابحاث العلمية ، عن طريق ايجاد نظريات فلسفية حمل لواءها علماء أجراء ، ودعاة أفذاذ استطاعوا أن ينشروا عقائدهم في أكثر أنحاء العالم الاسلامي بعد أن قوضوا الانظمة الفكرية والسياسية . ولقد كان للتستر الشديد الذي فرضته أنظمة الدعوة وقوانينها على آرائها وعلومها وأهدافها وأعمالها ودعاتها خوفا من البطش والاضطهاد ، ومحاربة الافكار الحرة أكبر الاسر في فقدان أغلب المصادر الاسماعيلية التي تثير السبيل لكل باحث منقب في تاريخ هذه الدعوة ؛ كما فتحت الباب على مصراعية أمام الاعداء للفس والظلم وتصنيف ما توحيه اليهم مخيلتهم ، بدون أن يكلفوا أنفسهم التحري عن الحقيقة التي ينهد اليها كل عالم متجرد . هذا عالم جليل آخر وداعي كبير ذهبت مؤلفاته كغيرها من المؤلفات الاسماعيلية الكثيرة الى عالم النسيان واعتبرت بحكم المفقودة ، وحتى تاريخ حياته ومجال نشاطه الحيوي قد أكل الدهر عليه وشرب . وكل ما وجدناه عنه هو ما أتى على ذكره المستشرق الكبير ايفانوف حيث قال⁽¹⁾ : « داعي من دعاة الاسماعيلية في بلاد الري عين من قبل الامام قبل أبي يعقوب السجستاني ، ويظهر أنه من بني حماد » من مؤلفاته كتاب الآثار في مدح آل البيت . والظاهر ان هذا النص نقل عن فهرست ابن النديم .

وكادت جميع محاولاتنا لمعرفة المزيد عنه أن تتبخر لولا أن عثرنا في كتاب اسماعيلي مخطوط على هذا النص الذي نورده كما وجدناه :

A. Guide to ismaili Literature : W. IVANOW : p.p. 31 (1)

« قام بأمر دعوة الحق والصدق في جزيرة الري الداعي علي بن حماد البصري ، مرسلا من قبل مولانا الامام المستور عبد الله بن الحسين ، بعد أن سلم أمر الدعوة في البصرة قبل مولانا الامام المستور عبد الله بن الحسين، بعد أن سلم أمر الدعوة في البصرة الى غيره من الدعاة الذين تخرجوا من مدرسة التنظيمات في سلمية ، لأنه يفهم لغة أهل كل البلاد التابعة له ، وأبوه حماد كان من كبار خدام الامام العلماء الفلاسفة (١) » .

من كل هذا لم نستطع أن نستنتج الا أنه كان داعيا في البصرة وباعتباره كان من الضليعين في اللغة الفارسية فقد عينه الامام داعيا له في فارس حيث جعل مجاله الحيوي في الري وما يتبعها من المناطق حسب تنظيمات الدعوة السرية ، وبعد أن توفي هذا الداعي خلفه أبو يعقوب السجستاني ، ومن الطبيعي جدا أن من يحل محله العالم السجستاني يجب أن يكون فيلسوفا وعالما نحريرا كالسجستاني .



(١) ورد هذا النص في كتاب (البستان) نسخة خطية في مكتبي الخاصة ورقة ٢١٠ ، وهذا المخطوط عجيب غريب كالبستان فيه اشعار وقصائد وأخبار ورسائل فلسفية ونبذ تاريخية من كل لون .

علي بن حنظلة المحفوظي الوادعي

مما لا جدال فيه أن الدعوة اليمنية بعد العصر الفاطمي أنتجت نخبة ممتازة من الدعاة العلماء الذين كان لهم أكبر الاثر في الحفاظ على التراث العلمي الاسماعيلي ، ولا تزال خزائن اليمن عامرة بالمؤلفات الاسماعيلية القيمة ، التي نقلت اليها من القاهرة منذ عهد الامام المستنصر بالله الفاطمي ، ولعلماء الدعوة اليمنية الفضل الاكبر في نقل شتات التراث الفكري الاسماعيلي وتدوينه في كتب ومؤلفات ، وحفظ ما تركه الدعاة والفلاسفة والمؤلفون في عهد الخلفاء الفاطميين ، وكان للداعي المطلق علي بن حنظلة الوادعي الفضل الاكبر في رعاية هذا التراث الفكري والمحافظة عليه ، بعد أن تسلم الدعوة اثر وفاة الداعي المطلق علي بن محمد بن الوليد ، ولا غرو فقد كان منارا للعلم والمعرفة يقصده طلاب العلم من مختلف الجهات . جدد النشاط الاسماعيلي في جميع أنحاء اليمن والسند والهند ، وحظر على الدعاة التدخل في الشؤون السياسية بالرغم من أن البلاد كانت تعج بالثورات والاضطرابات ومن مؤلفات هذا الداعي التي ذكرها ايقانوف في المرشد الى أدب الاسماعيلية^(١) :

قصيدة سبط الحقائق وتحتوي على ستمائة وثلاثة وستين بيتا مطلعها :

الحمد لله العلي السامي عن صفة الكمال والتمام

اذ التمام والكمال صنعته سبحانه تقدمت هويته

ويتلو الحمد أبيات في التوحيد والصلوات والنصيحة في محاسبة النفس

(١) المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ٥٩ رقم ٢٤٠ W. IVANOW

بالنفس واطاعة أولي الامر والحدود وذكر مفيديه بعض الدعاة المطلقين في اليمن • ثم يتكلم عن التوحيد ، وعالم الابداع ، والافلاك ، والاركان ، والمزاج ، والمتزج ، وأدوار الكواكب السبعة ، وأهل الجنة الابداعية ، ودور الكشف وأهله ، ودور الستر وأهله الخ ••

وله رسالة تسمى بضياء الحلوم ومصباح العلوم^(١) وهي من الكتب الضخمة التي تبحث في علم المبدأ والمعاد وهي مبوبة على أربعة أبواب : الاول : في التوحيد ، والثاني : في المبدأ ، والثالث : في الميعاد المحمود ، والرابع : في ميعاد الصور النافرة المضرة المستكبرة •

وتوفي الداعي علي بن حنظلة في يوم السبت ٢٢ ربيع الاول ٦٢٦ هجرية •



(١) نفس المصدر ص ٦٠ رقم ٢٢٩ W. IVANOW

علي سلمون خان بن سلطان محمد الحسيني

كان علي سلمون خان الذؤابة المشرقة في شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وشلالا من العطاء لا ينضب له معين ، زرع متاهات الحياة شموسا لا ينطفئ لها ضوء ! فهو كالنسر يشمخ في أجواز الفضاء بحثا عن قمة لم يتربع عليها نسر بعد ! ولم يكن لها عهد بالنسور ! عرف ما بنفسه من دنى تتقزم دونها كل دنيا ، وعهد في آفاقه آفاقا لا يطاولها حد ، فتجاوز الدنيا وحدودها ، وحلق صعدا حيث شروش الكون تتوضع في نقطة البدء ، فعب منها حتى الثمالة ، وانعطف الى دنيا البشر ، أما ترنم لوليدها ، وطيبيا يقتلع أسباب الداء ، ومشعلا يكشف عن الاحداق عتمة الليل وغفن الصديد !

إذا كانت في الكلمة قدرة على التعبير – وما أعجزها هنا – فقد كان « علي » هذا ، الكلمة المطلقة ! . .

فلا حاجز يستطيع أن يصفع وجه الشمس ، ولا غيمة تقوى على أن تجلل فيء اسوداد خريفي باهت ، كذلك أمر الأئمة في دعوتنا : تصاعد نحو الاكمل والاجل ، وانعطف للبناء من أجل الاكمل والاجل !

وعيناه – في سلمية – مبعوثا لوالده الامام (آغا خان الثالث) رسول خير ، وباني مجد ، فتلقفته النفوس الظمأى وقد استبد بها جفاف الأوام ، وحظيت بطلعته البهية النواظر ، فأيقظ في أهدابها الابداع ، ورسم على مداها الرحب دنيا مخملية فيها من جمال الحياة ألف لون ولون ! .

فكان أن امتلكناه عندما امتلك قلوبنا ، وحظينا به كله ، عندما استأثر بمجامع مشاعرنا ! .

فأحبنا بكل جوارحه ، وافسح لنا المجال كي ندوب في خضم ذاته ،

فكان أن ذاب في كل ثنية من ثنيات مشاعرنا ، وأصبح منا والينا •

لم يحب علي خان - وهو المحب للجميع - أكثر مما أحب اسماعيلي سورية ، فشملمهم بعناية زائدة وعطف بالغ ، وخصهم دون سواهم بالمحبة المطلقة ، فأوصى أن يستقر جسده الطاهر عندهم ليبقى شاهد صدق على محبته ، وعربون اعجاب وتقدير لهم ! •

وتتوالى زيارات علي خان التفقدية الى سلمية والى جميع أقطار العالم وليا لعهد الامامة ، ومبعوثا لوالده الامام سلطان محمد شاه الحسيني ، فيسطع نجمه ، وتذيع شهرته ؛ وفجأة ••• يؤدي الامام آغا خان الثالث أمانة ربه ، وتفرض الوصية ، فاذا بعلي خان خلو من الامامة ، واذا المطوق بها ابنه « كريم » ! •

فابتسم علي خان ابتسامة الواثق المنتصر ، ووقف بحزم واصرار محترما قدسية الوصية ، متقيدا بأصول العقيدة ، فأعطى المثل الاعلى في التضحية ، بالرغم من قيام مظاهرات التأيد لامامته •

كانت ولادة علي بن سلطان محمد شاه الحسيني في ١١ حزيران عام ١٩١١ ميلادية في الساعة الحادية عشرة والدقيقة السابعة عشرة صباحا في مدينة تورين • أمضى طفولته بصحبة والدته في سويسرا وايطاليا وفرنسا ، وتلقى علومه على المربي الشهير (وادينجتون) عميد كلية مايو في الهند ، ودرس الحقوق في لينكولن وان كان على مستوى رياضي رفيع شغوبا بركوب الخيل وقيادة السيارات والطائرات بجرأة نادرة ، واسع الثقافة ، وقاد الذهن ، مجبا للتثقل ، والعمل الشاق الطويل ، بطل من أبطال التحرر الفكري وعدم التعصب الديني • مثل والده في كثير من المهمات الدينية ولم يكن قد تجاوز الحادية عشرة من عمره ، وكان يعد لحمل أعباء الطائفة الاسماعيلية وقياداتها^(١) •

(١) نور مبين جبل الله المتين : جنازا ص ٧٣٥ ؛ لقب بعلي سلمون خان نسبة لسلمية في سورية •

كان يجيد الانكليزية والفرنسية والايطالية والاسبانية والفارسية والاوردية اجادة نادرة ، ويعرف العربية والالمانية ، أصبح وليا لعهد الامامة الاسماعيلية في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٧ ميلادية ، وجرت احتفالات كبرى بهذه المناسبة • وتزوج من (جوان بربارا بارد بيلر) ابنة اللورد شارستون في ١٨ أيار سنة ١٩٣٥ ميلادية في مدينة باريس في قاعة البلدية وتم زواجهما الديني حسب الشريعة الاسلامية في جامع باريس وأصبحت العروس بعد أن اعتنقت الاسلام تحمل اسم (تاج الدولة) • وزار وزوجته الهند في السنة التي أعقبت زواجه ومثل والده في حفلة يوييله الفضي في (حيدر آباد) ثم ذهب الى أفريقيا وتركيا ومصر وسورية • وانجب من زواجه هذا في سنة ١٩٣٦ ابنه الاكبر الامام الحاضر (آغا خان الرابع) كريم ، وابنه الثاني محمد أمين عام ١٩٣٧ ميلادية (١) •

ولما كان علي خان يتعشق الروح العسكرية ويحب المغامرات والرياضة بأنواعها تطوع في الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ م • في الفرقة الاجنبية بالجيش الفرنسي برتبة ملازم وحارب في خط ماجينو عام ١٩٣٩ ميلادية ، ثم عين مرافقا للجنرال (ويغاند) ولما انهارت فرنسا انتقل الى الجيش البريطاني وعاش عدة سنوات كضابط ارتباط بين الجيوش الانكليزية والفرنسية في سورية ولبنان وفلسطين ، ثم اشترك في حرب ليبيا وتدرج في الرتب العسكرية بعد أن قام بمهمات خطيرة أكسبته شهرة واسعة في الحقل العسكري ، وفي ١٤ آب عام ١٩٤٤ ميلادية اشترك في نزول الحلفاء على الشاطئ الفرنسي كمساعد للجنرال (ديفرس) وضابط ارتباط ، وكان أول ضابط من الحلفاء تطأ قدماه الشاطئ الفرنسي ، واستطاع أن يحرر في ١٥ آب منطقة كان ، ومدينة كان بكاملها في ٢٥ منه • وبعد انتهاء الحرب تمكن من العثور على خيول والده المشهورة التي كان قد سرقها الالمان ،

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب ص ٣٢١ - ٣٢٠

وقد استرجع أكثرها • أنعم عليه الحلفاء بأرفع الاوسمة الانكليزية والاميركية والفرنسية •

وفي الحقل الاسماعيلي أصبح ينوب عن والده (آغا خان الثالث) في كثير من الاحتفالات والمناسبات ، وقد استفاد من التجارب الزمنية فأضحى رجلا عاملا في جميع الحقول الحياتية • وأوكل اليه والده أيضا مهام التنظيمات الاجتماعية والثقافية في جميع المناطق الاسماعيلية فبرهن عن نشاط وجد لا محدودين ، كما أظهر تفوقا بارزا في معالجة مختلف القضايا التي تهم الطائفة •

كان « علي خان » يملك عددا ضخما من أحسن خيول السباق في العالم ، وهو بدوره كان خيالا ماهرا ، ربح عدة مرات سباق الدربي ، وثلاث مرات الجائزة الكبرى للهواة ، وزاد عدد انتصاراته في ميادين السباق على المائة في فرنسا وانكلترا وايرلندا والمانيا ولبنان ومصر ، كل هذه الانتصارات التي حققها في السنوات الاخيرة دليل على عظمة مستواه الرياضي الرفيع ، وقوة أعصابه وشجاعته الخارقة ، اشترك في سباق السيارات ، وسباق التزحلق على الثلوج ، وكان أهم عمل يفتخر به في حياته الرياضية ، عندما قاد طائرة ذات محرك واحد خالية من اللاسلكي ، ولم يكن معه سوى مساعد واحد لمسافة ستة عشر ألف كيلو مترا ، حيث بدأ رحلته من الهند حتى بور ماليزيا فسنغافورة وعاد بعد ذلك الى نقطة الانطلاق ، ولقد جلب له شغفه بالرياضة كثيرا من المتاعب والصعوبات •

وفي ٢٧ أيار سنة ١٩٤٩ تزوج من الممثلة السينمائية العالمية (كارمن كانزيتو) أو (ريتاهيوارث) بعد أن طلق زوجته (جون) في نفس العام • وزواجه هذا شغل الصحافة العالمية أسابيع طويلة ، وفي ٢٨ كانون الاول من نفس العام أنجبت له طفلة دعاها (ياسمين) • ولكن حياتهما الزوجية لم تستمر طويلا ، فاشتدت المشاحنات بين الزوجين وأخذت تزداد مع مرور الايام حتى انفصلا رسميا في ٢٧ كانون الثاني عام ١٩٥٣ ميلادية •

وفي السنوات الاخيرة التي أعقبت نهاية الحرب العالمية الثانية كثرت مهام علي خان وازدادت أعماله ، واهتم اهتماما كبيرا بشؤون الاسماعيلية في سورية ، فقدم لهم المساعدات والارشادات القيمة خلال زيارته العديدة ، فازدهرت حياتهم الاقتصادية ، وكثر عدد المتعلمين فأرسل البعثات العلمية الى الخارج على نفقته الخاصة ، وشيد المدارس العديدة في القرى والداكر ، وأصبح لا يطيق البعد عن سلمية ، لذلك صرح في آخر زيارته له بأنه كتب في وصيته منذ اثني عشر عاما أن يدفن في باحة المسجد الكبير الذي بناه في مدينة سلمية .

وبرز (علي خان) في الاوساط الدولية العالمية كسياسي عظيم ، وخطيب مفوه قوي الحججة عندما أصبح المندوب الدائم لدولة باكستان في هيئة الامم المتحدة . وقد تبنى الدفاع عن القضايا العربية ومشاكل الشعوب الملونة ، وكانت مواقفه هذه مشرفة لباكستان ، كما أكسبته شهرة واسعة أدخلته في قلب كل الذين عرفوه .

وظل يشغل هذا المنصب حتى توفي في باريس يوم الخميس الثاني عشر من أيام عام ١٩٦٠ ميلادية الموافق الخامس عشر من ذي القعدة سنة ١٣٨٠ هجرية بحادث اصطدام سيارته التي كان يقودها بنفسه وبسرعة على غاية من البساطة ودفن جثمانه مؤقتا في قصره الخاص في (نويللي) بانتظار نقله الى سلمية في سورية تنفيذا لوصيته .

هذه ترجمة موجزة لحياة علي خان الذي حصل لي شرف معرفته عن كتب خلال زيارته العديدة لسورية ، وفي القاهرة والهند وباكستان كان يقربني اليه في جميع المناسبات ويتحدث الي طويلًا عن أشياء وأشياء ، وكان همه الوحيد أن يرى الاسماعيلية في سورية في طليعة الاسماعيليين تقدما وازدهارا وفعالية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية .

لم تكن مطلقا وفاته خسارة للطائفة الاسماعيلية فحسب بل كانت للانسانية عامة .

علي بن الفضل الجيشاني

كان مغمورا يعيش في الكوفة ، ويقال انه تعلم اصول الدعوة الاسماعيلية فيها . واسمه كما ورد في المصادر الاسماعيلية : علي بن الفضل الجدني الخنفري الجيشاني . ويحدثنا القاضي النعمان في كتابه افتتاح الدعوة فيقول (١) : « كان ابن الفضل شابا جميلا من أهل بيت تشيع ونعمة ويسار . ويقال له أبو الحسن علي بن الفضل خرج حاجا من جيشان في جماعة من أهلها » . فوصل الى الكوفة بعد أن أدى فريضة الحج سنة ٢٦٧ هجرية وأخذ يبكي عند قبر الامام الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب وينتحب ، ويعدد مناقب الامام ويذكر فضله ، مما جعل دعاة الاسماعيلية يحرصون على استمالته الى دعوتهم . وبعد أن تم لهم ذلك شرعوا في تلقيه أصول المذهب الاسماعيلي وتعاليمه ومن ثم أرسلوه حسب العادة الى حضرة الامام الاسماعيلي للدراسة عليه والتزود من معينه الروحي الذي لا ينضب ؛ ولما اتصل علي بن الفضل بالامام الحسين بن أحمد أخذ يعده الاعداد التام داعية له في بلاد اليمن . وبالرغم من اختلاف المؤرخين في الشخص الذي عهد لابن الفضل بالسفر الى بلاد اليمن نستطيع أن نؤكد اعتمادا منا على ما ذكره القاضي النعمان ان الامام الاسماعيلي الحسين بن أحمد هو الذي قام بهذا الامر ، لأن الامام المذكور بعد أن أخذ العهود والمواثيق على ابن حوشب رأى أن يختار له رفيقا تتوفر فيه كافة الشروط المتوفرة بابن حوشب فوقع اختياره على علي ابن الفضل لما كان يتمتع به من ذكاء خارق وعلم غزير ، فأمر باحضاره ، ولما وصل لعهده قال الامام مخاطبا ابن حوشب : « ... هذا الذي كنا نتظره فكيف رأيك في الذي عرضته عليك من أهل اليمن ؟ » فامثل أبو القاسم

(١) افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ص ١٠ .

لأوامر الامام التي قال فيها : « ... الى عدن لاعة فاقصد ، وعليها فاعتمد ، فمنها يظهر أمرنا ، وفيها تقر دولتنا ومنها تفرق دعائنا^(١) » ثم أمره بالاستتار والاعتماد على التأويل ، واتخاذ التشيع وسيلة لتحقيق أغراضه ، ثم قال له : « واجمع الرجال والمال والزم الصوم والصلاة والتقشف ، واعمل بالظاهر ، ولا تظهر الباطن ، وقل لكل شيء باطن ، وان رد عليك ما لا تعلمه فقل لهذا من يعلمه وليس وقت ذكره^(٢) » كما أوصاه بعلي بن الفضل خيرا فقال له : « هو شاب قريب عهد بالامر ، فانظر كيف تسوس أمره^(٣) » ثم توجه الى علي بن الفضل فقال له : « ان هذا الرجل الذي نبعث به معك بحر علم ، فانظر كيف تصحبه^(٤) » ثم قال : « الله بصاحبك ، وقره واعرف له حقه ، ولا تخالفه فيما يراه لك ، انه أعرف منك وانك ان خالفته لم ترشد^(٥) » ثم قال لهما : « أبعثكما الى اليمن ، تدعوان الى ولدي هذا ، فسيكون له ولذريته عز وسلطان ، وان الله عز وجل قسم لليمانيين ألا يتم أمر في هذه الشريعة الا بنصرهم^(٦) » .

خرج الداعيان الكبيران من الكوفة الى القادسية في نهاية سنة ٢٦٧ هجرية ، فوافيا مكة في حين قدوم الحجاج من اليمن^(٧) وبعد أن أدى مناسك الحج تابع علي بن الفضل وزميله ابن حوشب السير جنوبا حتى وصلا الى (غلافقة) أول سنة ٢٦٨ هجرية فقرر الداعيان المذكوران أن يفترقا على أن يتصل كل واحد منهما بصاحبه ليتعرف أحواله ، فاتجه ابن حوشب الى

(١) افتتاح الدعوة للنعمان ص ١٢ .

(٢) افتتاح الدعوة للنعمان ص ١٣ .

(٣) نفس المصدر للنعمان ص ١٦ .

(٤) افتتاح الدعوة للنعمان ص ١٤ .

(٥) كشف أسرار الباطنية للحمادي ٢٣ .

(٦) زهر المعاني للداعي ادريس عماد الدين ص ٦٥ .

(٧) افتتاح الدعوة للنعمان ص ١٤ ، عيون الاخبار للداعي ادريس ٣٥/٥

مدينة الجند ، وكانت غايته عدن لاعه ^(١) ؛ أما علي بن الفضل فتوجه الى بلاد يافع الجبلية ، بالقرب من الجند ، فأظهر الزهد والتقشف والصلاح والتفقه بالدين ، والتضلع في المذاهب السنية ، فأقبل الناس عليه من كل فج فأمر أصحابه ببناء حصن فوق جبلهم في جهة سرو يافع واتخذة قاعدة ليركز فيها دعوته وليجعلها مقرا لنشاطه المذهبي والسياسي ^(٢) .

وفي سنة ٢٩٤ هجرية هجم بجيشه الذي أعده اعدادا تاما على بلاد ابن أبي العلاء سلطان لحج وأبين ، ودارت الحروب في خنفر فانتصرت جيوش علي بن الفضل بعد أن أظهر قيادة حكيمة ومعرفة فائقة بأساليب الحرب واحتل المذيخرة وحصن التعكر ، وتتبع جعفر المناخي حتى قتله في وادي نخلة ، وبذلك اشتد ساعده وقوي مركزه فاتجه الى بلاد يحصب فدخل مدينة منكث واحرقها ، ثم أغار على صنعاء ودخلها لأول مرة من ناحية الشهابيين وذلك سنة ٢٩٥ هجرية ، ولكن أسعد ابن أبي يعفر حاول استرجاعها مرارا ، وبقيت صنعاء مكان تجاذب ، حتى استقر فيها ابن الفضل سنة ٢٩٩ هجرية ولم يقف طموحه عند هذا الحد بل استمر في فتوحاته حتى دان له معظم تهامة بعد أن استولى على زييد وقتل واليها المظفر بن حاج أكبر ممثل لبغداد في اليمن .

ولما استقر علي بن الفضل باليمن ظل على ولائه للامام الاسماعيلي مدة أظهر فيها التقشف والورع ، فكان كما يصفه الحمادي : « أخذ بالنسك والعبادة ، فكان نهاره صائما وليله قائما ؛ فأنسوا اليه وأحبوه ، ثم انهم قلدوه أمرهم ؛ وجعلوا حكمهم اليه ؛ فسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ^(٣) ويسكن بينهم ؛ فقال لا أفعل هذا ، ولست أسكن بين قوم جهال ضلال ،

(١) عيون الاخبار للداعي ادريس ٣١/٥-٣٣

(٢) كشف أسرار الباطنية (ص ٢٨) .

(٣) كشف أسرار الباطنية (ص ٢٤) .

الا أن يعطوني العهود والمواثيق ألاّ يشربوا الخمر ؛ ففعلوا له ذلك ، وانهم ينكرون المنكر وينكرون على أهل المعاصي بأجمعهم » . فحلفوا على الطاعة ، وأن لا يخالفوه بما أمر ، فوعدهم خيرا (١) ومن هنا يتضح لنا أن ابن الفضل ظل مدة في بلاد اليمن على ولائه للاسماعيلية لا تقل عن عشرين سنة اذا علمنا أنه وصل الى اليمن سنة ٢٦٨ هجرية ، وأن خروجه على الاسماعيلية علنا لم يكن الا بعد أن استولى على المذيخرة سنة ٢٩٤ هجرية ، واتهم المؤرخون ابن الفضل بأنه أحل لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات والاخوات (٢) كما أظهر المجوسية وكفر بما جاء به من عند الله عز وجل (٣) . وقيل أنه كان يخاطب نوابه بعبارة « من باسط الارض وداحيها ، ومزلزل الجبال ومرسيها ، علي بن الفضل (٤) » .

ويروى أنه لما دخل الجند خطب شاعره على منبرها ، فقال من قصيدة طويلة تدور حول محرمات الشريعة والاستهانة بها (٥) :

خذي الدفء ، يا هذه ! والعبى	وغني هزازيك ، ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم	وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعة	وهذي شرائع هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلاة	وحط الصيام ، ولم يتعب
ولا تطلبي السعي عند الصفا	ولا زورة القبر في يشرب

(١) السلوك للجندي ١٤٣ .

(٢) السلوك للجندي ١٤٣ - ١٤٤

(٣) أرندونك ص ٣٠٢ نقلا عن سيرة الهادي لعلي بن محمد بن عبد الله

العباسي العلوي .

(٤) السلوك للجندي (١٤٨) .

(٥) جاء بعضها في كتاب كشف أسرار الباطنية ٣١ ؛ والسلوك للجندي

١٤٤ ؛ واغلب الظن أن قائلها من الخطابية ، ومن ثم نسبت لشاعر علي بن الفضل .

وهكذا نرى أن ابن الفضل قد خرج عن صميم المعتقدات الاسماعيلية ، وحتى عن مبادئ الدين الاسلامي الحنيف . بالرغم من أنه كان شخصية بارزة ، وقائدا بارعا ، وحاكما ناجحا ، ووطنيا متحمسا ، وبعقائدي أن كل هذه الاتهامات قد بالغ فيها المؤرخون والكتاب لأنهم لم يأتوا بأدلة قاطعة تثبت اتهاماتهم ، وها ان الحمادي وهو من ألد أعداء الدعوة الاسماعيلية يذكر سياسته البارعة في السلم والحرب ، ويتحدث عن شهامته واقدامه ، وايفائه العهود والمواثيق ، وحمايته المظلومين ، ونصرته لمبادئ الاسلام (١) .

وعلى العموم فالتاريخ الاسماعيلي يذكر بصراحة أن علي بن الفضل بعد أن أضحى سيد اليمن ، عمل على التخلص من جميع المذاهب وقيودها ، فنأدى بقطع الحج ، وقال : « حجوا الى الحرّف ، واعتمروا الى الثلاث » . وبعد صدور هذه الاقوال عنه اعتبر في رأي الدعوة (٢) « قد نكث عهده ، واستهواه الشيطان وأضله ، ففارق الدعوة وخرج من الملة .. وافترى على الله وعلى أوليائه ، مقتديا بالمضلين من قبله ، فكانوا له شر أسوة ، واستمال الجهال ، فكانوا له من الانصار والاتباع ، فارتكب المحارم ، ومال الى الاباحات ، أو كفر بعد ايمانه ، وباء بلعنة الله » .

ومن الناحية السياسية ظل ابن الفضل ينافق منصور اليمن ويخادعه ويقول له : « انما أنا سيف من أسيافك » ولما فتح صنعاء سنة ٢٩٩ هجرية اجتمعا وتشاورا في فتوحهما . فاقترح منصور اليمن أن يوقف الحرب ، ويبدأ بالاصلاحات . ولما ازداد نفوذ ابن الفضل وأصبح سيد اليمن بلا منازع قرر تكوين دولة منفصلة عن العباسيين والفاطميين ، وأعلم منصور اليمن بقراره وطلبه للطاعة ، فكتب اليه منصور يذكره بالعهود والمواثيق التي أخذها عليهما الامام ، وحذره من خطر التفكك والتفرقة ولكنه أجابه بقوله :

(١) كشف أسرار الباطنية ص ٢٩ .
 (٢) عيون الاخبار للداعي ادريس ٤٣/٥ .

« هذه الدنيا شاة ، ومن ظفر بها افترسها (١) » وتمادى في اصراره فاستعد أبو القاسم وحصن بلاده وسار فاستولى على (شمام حمير) وحاصر مدينة (الظلمة) حيث كان ابن الفضل وأتباعه وقطع التموين عنهم وأخذ يلاحقهم في كل مكان وكان بينهم قتال شديد ، ومن ثم حاصر علي بن الفضل صنعاء ثمانية أشهر فاضطر المنصور الى عقد راية الصلح بينهما ، ومن ثم توفي ابن الفضل وقيل أن سبب وفاته أن طيبيا جاء لمعالجته فدس له السم فمات سنة ٣٠٣ هجرية .



(١) عيون الاخبار للداعي ادريس ٤٩/٥

أبو الحسن علي شاه

ولد الامام أبو الحسن علي بن قاسم علي في مدينة (كوهك شاه نزار) سنة ١١٥ هجرية • وجلس على أريكة الامامة الاسماعيليه سنة ١١٤٣ هجرية باحتفال كبير حضره الشاه نادر افشاري حاكم ايران ووفود عديدة من الاسماعيليين من جميع بلدان العالم حيث قدموا الهدايا والتحف والاموال الكثيره ، وكان أول خطوة خطاها الامام أبو الحسن علي أن أعلن بأنه سينفق جميع الاموال التي قدمها أتباعه بمناسبة عيد جلوسه لبناء مدينة جديدة يسكنها مع النخبة المثقفة من الاسماعيليين ، ونقل مركز دعوته الى بلدة (قيان) الواقعة بقرب (دركان) و (جنجران) حيث هدم جميع المنازل القديمة وأخذ يشيد فيها الابنية الحديثه المتوفرة فيها كافة الشروط السكنية المعروفة في ذلك العصر ، وصرف المبالغ الطائلة لايجاد الحدائق والبساتين الغناء التي جلب لها الاغراس من بلاد الشام •

ويذكر التاريخ ان الامام أبا الحسن علي كان محبا للسياسة مولعا بالتنقل والتجوال لدراسة أحوال أتباعه عن كسب ، أدخل تعديلات طفيفة في أنظمة الدعوة فلقب مثله في المناطق باسم (بادا) ومنحه كافة الصلاحيات (١) •

في عهده اندلعت الحروب والثورات الداخلية بين القبائل والطوائف الايرانية بعد وفاة (نادر شاه أفشاري) فسيطر على الملك الامير (كريم خان) وشرع باستئصال المفاسد والثورات من الجذور ، وقيل ان كريم خان هذا ينتسب الى العائلة (الزندية) المعروفة بالشجاعة والاقدام والمشهورة بميولها

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيليه : ص ٢٦٣ - ٢٦٤ •

للاسماعيلية ، حتى ان كريم خان عندما أصبح ملكا على ايران كان يقول للناس أنا لست الامريدا لمولاي أبي الحسن علي ، وبالفعل كان يستشير الامام بكل شاردة وواردة ودعاه لزيارته في مقر ملكه ، ولما وصل الامام استقبله استقبالا منقطع النظير .

ويذكر المؤرخ الاسماعيلي الهندي (جنارا) ان الامام أبا الحسن علي شاه كان معروفا ومشهورا لدى أتباعه بعدة أسماء وألقاب ذكر منها : سيد شاه محمد حسن شاه ، حسن بيك ، أبو الحسن علي شاه ، آغا محمد حسن شاه ، ويضيف الى ذلك قوله : ان النشاط السياسي والعلمي والاجتماعي الذي بذله مولانا أبو الحسن علي لا يحد ولا يوصف ، أنفق أكثر أموال الخزانة الاسماعيلية على المشاريع العمرانية والصحية والعلمية ، وخاصة على تأسيس المدارس والمستشفيات ودور السكن ؛ ولما شعر فقهاء وعلماء الطوائف الاخرى بزيادة نفوذ الامام حاولوا كعادتهم تأليب الحكام عليه ، ولكنهم لم يفلحوا نظرا لما كان يقدمه من خدمات جليلة للشعب الايراني بأجمعه (١) .

توفي أبو الحسن علي سنة ١١٩٢ هجرية ودفن في (وادي السلام) بالنجف الاشرف .



(١) نور مبين جبل الله المتين لجنارا ص ٥٦٧ - ٥٦٨ .

علاء الدين محمد بن جلال الدين الحسن

تدل المصادر التاريخية على ان ولادة الامام علاء الدين محمد كانت سنة ٦٠٩ هجرية أو (١) سنة ٦٠٨ هجرية في قلعة ألموت ، وجلس على عرش الامامة الاسماعيلية سنة ٦١٨ هجرية بعد وفاة أبيه ، واقيمت الافراح والاحتفالات في جميع البلدان التي يقطنها الاسماعيلية وأتته كتب البيعة والولاء من كافة القلاع والحصون ، وباعتباره كان في التاسعة أو العاشرة من عمره فقد تولى ادارة شؤون الاسماعيلية مجلس الدعاة ريثما يبلغ الامام أشده ، وكان أول عمل قام به أن أعاد تصنيف الفدائية والجيش والمالية والادارة بعد أن كادت تصل الى درجة الانهيار في عهد والده (٢) ، كما أمر بتأسيس المكتبة الاسماعيلية وأحضر لها المؤلفات القيمة من مختلف الاقاليم ، وقيل انه أنفق الاموال الطائلة على اعادة تأسيسها وفرشها ، ووجه عناية خاصة لدور العلم ، وخصص يومين من كل اسبوع لالقاء المناظرات العلمية من قبل أساتذة وطلاب مدارس الدعوة ، وكان يغدق المنح والعطايا على المتفوقين ويرقي الاساتذة المتناظرين . وبذلك ازدهرت العلوم الفلسفية والفقهية ، ونبغ دعاة علماء أمثال الفيلسوف نصير الدين الطوسي ، والشاعر الفيلسوف شمس الدين الطيبي داعي دعاة بلاد الشام وغيرهم ، والجدير بالذكر أن المشرف العام على تلك المدارس كان شقيق الامام وحجته (شمس تبريز) .

(١) تاريخ الادب في ايران : براون : ص ٥٧٩ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية

ص ٢١٧ .

(٢) The SHI'A of INDIA. By NORMAN : p.p. (317 - 318)

وفي سنة ٦٣٢ هجرية أغار (أرخان) على بعض الحصون الاسماعيلية في نيسابور فاحتلها بعد أن قتل ونهب وأحرق كل شيء فيها ؛ ولما علم الامام علاء الدين محمد بهذه النكبة أوفد الداعي كمال الدين بن اسماعيل مندوبا عنه ليطلب (أرخان) بالتعويضات عما أصاب الاسماعيلية في نيسابور ، ولكن (أرخان) أساء الى هذا الداعي وهدده بالقتل ، فعاد وأبلغ الامام بما حدث ، فأمر الامام بأن يجهز جيشا قويا من الاسماعيلية لقتال (أرخان) والثأر منه ، وبالفعل سارت اليه جموع الاسماعيلية وبعد قتال مرير ألقى القبض على (أرخان) وأعدم ، ووقعت معاهدة مع خلفه منح بموجبها الاسماعيلية الامتيازات المحلية وسلمت اليهم قلعة (دامغان) كتعويض عما أصاب اسمايلية نيسابور •

وفي سنة ٦٥١ هجرية خرج هولالكو لغزو حصون الاسماعيلية ، وأرسل الى ملوك المسلمين المجاورين سجلا جاء فيه : « نحن انما حضرنا بأمر الخان لندك حصون الملاحدة ، فاذا رأيتم أن تحضروا بأنفسكم الينا وتلحقوا عساكركم بعساكرنا ، فانا سنحفظ عليكم بلادكم ، وسنعوض عليكم معاوتكم هذه بالانعامات الملكية ، أما اذا ترددتم وتمنعتم فاني سأنقض عليكم فور انتهائي من أمر هذه الطائفة الضالة الاسماعيلية (١) واستجاب ملوك المسلمين المجاورون للاسمايلية لنداء هولالكو خوفا من بطشه وتهديداته ورغبة منهم للتخلص من الفدائيين الاسماعيليين • فسارت جموع المغول وجيوش المسلمين لمحاربة الاسماعيلية في حصونهم فقاوموا ثلاث سنوات ، وهذه فترة كان بإمكان الدول الاسلامية أن تنتبه للخطر المغولي وتعمل على مساعدة الاسماعيلية ، ولكن على العكس تعاونوا مع المغول ، فكان أن قضى على كل بمفرده وعم البلاء العالم الاسلامي •

ويذكر التاريخ أن هولالكو خان بعد أن احتل مدينة بغداد وقع معاهدة

(١) طائفة الاسماعيلية : كامل حسين : ص ٨٥

صداقة وعدم اعتداء مع الامام علاء الدين محمد وعين بموجبها العلامة نصير الدين الطوسي وزيرا أولا لهولاكو خان ، ولما استقرت الامور وزع علاء الدين محمد دستورا خاصا للاسماعيلية حظر فيه عليهم ارتكاب الموبقات والمعاصي ، وشدد في حضور الصلاة اليومية والاجتماعات الخاصة التي تلقى فيها الدروس المذهبية ، وعين لهذه الغاية دعاة اكفاء تتفاوت درجة ثقافتهم ومقدرتهم العلمية حسب الدروس التي يلقونها (١) .

وقبل أن نتهي كلمتنا عن هذا الامام لا بد لنا من ايراد بعض أقوال المؤرخين حوله ومناقشتها والرد عليها . قال براون : (٢) « كان عمره تسع سنوات تولى الوصاية وزيره ، وقيل أن فاتحة أعماله كانت أن أمر بقتل جماعة من النساء اللاتي كن في حريم (والده) بحجة أنهن تآمرن على قتله ، كما أمر بحرق بعضهم وهن على قيد الحياة . ولم يبلغ الخامسة عشر حتى أصيب بعارض شديد من (المالمخوليا) ٠٠٠ وتزوج علاء الدين وهو صغير ولم يبلغ الثامنة عشر من عمره فأنجب أول أولاده (ركن الدين خورشاه) فجعله خليفة له على الاسماعيلية ، ولكن أفعال الايام جعلت الحسد يدب بينهما بحيث سعى الوالد الى خلع ابنه ، وعمل جاهدا على ذلك ولكن الاسماعيلية رفضوا أن يجيبوه الى ما طلب ، لانهم يدينون بالمذهب القديم ، ووجد علاء الدين مقتولا في (شيركوه) في آخر شوال سنة ٦٥٣ هجرية وقد بادر ابنه (ركن الدين) الى الامر باعدام قاتله (الحسن المازنداني) واحراق جثته ، ولكن الاقاويل ثارت بانه هو الذي حرضه على قتل أبيه » .

ونحن نرد على هذا القول فنقول : يستدل من المصادر الاسماعيلية

(١) لدينا نسخة خطية من هذا الدستور في مكتبتنا الخاصة .

(٢) تاريخ الادب في ايران : ص ٥٧٩

الموجودة بين أيدينا وأقصد بها كتاب (دستور المولى علاء الدين) الذي أملاء على حجته في بلاد الشام العلامة شمس الدين الطيبي ابان وجوده في (آلموت) أن الامام علاء الدين محمد كان يتمتع بكافة قواه العقلية ، وبمقدرة علمية لا تتوفر بشخص مصاب بمرض (المايلخوليا) أي الجنون ، أو بالاحرى النوبات الهيستيرية ، أما ما قيل أنه فكر بنزع الامامة عن ولده (ركن الدين) فكما يظهر انه لمس وهو العالم الجليل ، بولده الثاني الفيلسوف (شمس تبريز) القوة لادارة دفعة شئون الاسماعيليين في ذلك العصر المضطرب ، فكان من جراء ذلك التفكير أن قام بعض الدعاة ممن يتمسكون عادة بالنصوص القديمة فحالوا دون تنفيذ هذه الرغبة ، وهذه الحادثة من الاسباب التي جعلت ابنه الثاني (شمس تبريز)^(١) يغادر القلاع ليعيش في ايران بعض الوقت مرشدا ومدرسا للعلوم الروحية ، ومن ثم يتوجه الى قوينه بعد فاجعة (آلموت) ليتأس مدرسة الصوفية فيوجهها الوجهة الاسماعيلية بالتعاون مع تلميذه الداعي جلال الدين الرومي • وليس بغريب أن يقدم أحد الخونة من الاتباع أو غيرهم على اغتيال الامام فهو انسان يجري على جسده ما يجري على بقية الاجساد البشرية •

وعلى العموم أوجد عصر هذا الامام نخبة ممتازة من رجال الفكر والفلاسفة الذين كان لهم شأن كبير في عالم الفلسفة والعلم والمعارف • وتوفي في آخر شوال سنة ٦٥٣ ودفن في آلموت •



(١) نور مبین جبل الله المتین : جناراً : ص ٤٣٠ ، الشيعة في الهند ، نورمان ص ٣١٨ •

المستنصر بالله الثاني

علي شاه بن محمد بن اسلام شاه

يعتبر الامام المستنصر بالله الثاني من كبار العلماء في عصره ، ومن رواد الفلسفة الاسلامية ، أخذ عنه أغلب العلماء المتصوفة الذين ظهروا في عصره في فارس والهند وافغانستان ، كانت ولادته سنة ٨٠٦ هجرية في مدينة (بابك) وتسلم الامامة بعد وفاة أبيه سنة ٨٦٨ هجرية ولقب بـ (المستنصر بالله الثاني) ورد اسمه في كتب التاريخ علي شاه بن محمد بن اسلام شاه ، كان يتجول متفقدا أتباعه في جميع المناطق دون خوف أو وجل لما كان يتمتع به من احترام لدى كافة الحكام والملوك والامراء ، وجه جل اهتمامه لتقوية الاقتصاد الاسماعيلي فخصص كل الاموال التي كانت ترد الى دار الدعوة لتقوية التجار والصناع والمزارعين من اتباعه ، فكانت توزع عليهم كقروض ترد الى خزينة الدعوة في مركز الامامة بعد أن تتحسن حالة المستنصر (١) .

وجه عناية خاصة لترقية العلوم ، وادخل تنظيمات وتجديدات كثيرة في الامور التعليمية ، وافرد في قصوره غرفا خاصة لتلقى فيها الدروس الفلسفية والفقهية ولعقد المجالس التأويلية ، والمناظرات بين دعاة وعلماء المذهب الاسماعيلي ، واختار الدعاة ذوي المقدرة العلمية فأوفدهم الى المناطق النائية ، وعين الداعي (فرزند سيد نوربخش) في كشمير ، والداعي نور صابر بن حسن كبير الدين في أفغانستان ، وكلف (بير) شمس الدين الثاني بتسيير امور الدعوة في السند ، والداعي (سيد كمال الدين الثاني) في

(١) نور مبین جبل الله المتین جنارا : ص (٥١٦ - ٥١٧)

البنجاب ، فازدهرت الدعوة على أيديهم ودخل في المذهب خلق كثير من الوثنيين والهندوس ، وبذل أقصى الجهود لانقاذ الاسماعيليه في سورية من الهوة التي تردوا اليها فأوفد لهم كبير دعائه (محمد نور حسن) ليدرّس أوضاعهم ، فعاد بعد مدة مع بعثة اسماعيلية سورية قوامها ثمانية أشخاص ، حيث تدارسوا أمرهم مع الامام وقدموا له بعن المطالب ، فأخذ قضيتهم بعين الاعتبارا ووعدهم بتلبية جميع مطالبهم ، ومن ثم سيرهم مع ثلاثة من كبار الدعاة ليفضوا الخلافات حول الزعامة الدينية (١) .

وتذكر المصادر العلمية والتاريخية أن الامام المستنصر بالله قد صنف عدة كتب تبحث في الفقه والفلسفة وعلم التأويل ، ولكنها فقدت جميعها ولم يبق منها الا كتاب واحد فقط اسمه (بندياني جوان مردي) ويبحث في اصول المذهب الاسماعيلي ويعتبره الاسماعيليه في فارس والهند كدستور لهم يرجعون اليه في خلافاتهم المذهبية (٢) ، وقيل ان الامام المستنصر بالله الثاني كان يتمتع بمكانة سياسية عظيمة كان لها أكبر الاثر في تسيير شؤون ايران وكشمير ، والسند الداخلية والخارجية ، وكان موضع اعجاب وثقة وتقدير جميع المذاهب والطوائف على السواء . توفي سنة ٨٨٠ هجرية ودفن في مدينة بابك الايرانية .



(١) تاريخ الدعوة الاسماعيليه لغالب : ص ١٣٦ .

(٢) A Guide to ismaili literature ivanow. p.p. 206

علي بن محمد بن طاهر الصائغ العجمي

تولى زعامة الاسماعيلية في ولاية حلب بعد وفاة (الطيب المنجم) والمرجع أنه أرسل من مقر الدعوة الاسماعيلية النزارية في فارس لمساعدة الطيب المنجم وليكون نائبا له ، وبالرغم من الجهود التي بذلناها لم تتمكن من معرفة تاريخ نشأته ، وباعتقادي أنه كغيره من كبار الدعاة تلقى علومه في مدارس الدعوة في فارس ، وبعد تخرجه التحق بخدمة الحكيم المنجم في ولاية حلب .

وما كاد يتسلم منصبه حتى وجه اهتمامه الى تنشئة الشباب الاسماعيلي تنشئة عسكرية قوية ، فعمم التدريب على أعمال الفدائية والدفاع والهجوم ، وسار على نهج سلفه في التقرب من رضوان والافادة من عطفه وتشجيعه ، وكان يساعده في ادارة شؤون الاسماعيلية مقدم الاسماعيلية وقاضي القضاة أبو الفتح السرميني ، ولقد تمكنا من احتلال أفامية التي كانت تابعة للفاطميين في مصر ويحكمها خلف بن ملاعب الكلابي ولقد ذكر تعيينه بهذا المنصب ابن ميسر فقال (١) : « ان أهل أفامية قدموا الى مصر ، وكانت مذاهبهم اسماعيلية ، وسألوا واليا يكون عليهم ، فوقع الاختيار على ابن ملاعب » . وبذل الاسماعيلية المستحيل لرد هجمات الصليبيين الغزاة المتوالية ، واخراجهم من قلاع منطقة حلب ، ولكن الصليبيين تمكنوا من احتلال سرمين جنوب حلب التي كانت مقرا للقاضي أبي الفتح السرميني ، فلجأ الى أفامية ، حيث احتلها أيضا الصليبيون ، ولكن أبا طاهر الصائغ جرد عليهم حملة سنة ٤٩٧ هجرية وطردهم منها ، ولكنهم عادوا اليها ثانية بقيادة تكريد صاحب

(١) تاريخ مصر ، ابن ميسر : ١٣٧/٢ .

انطاكية وحاصرها حتى استسلمت له سنة ٥٠٠ هجرية (١) وقتل أبو الفتح السرميني وأسر أبو طاهر الصائغ وجماعة من وجهاء الاسماعيلية ولم يتركه الصليبيون الا بعد أن اقتدى نفسه وجماعته بمال كثير (٢) فاستقبل الصائغ من قبل رضوان خير استقبال ، ولما اشتدت الحملات الصليبية صمم (الصائغ) على اغتيال الامير (دوسانجيل) في طرابلس فأرسل له من طعنه بخنجر فأرداه قتيلا .

وفي سنة ٥٠٥ هجرية تألبت الطوائف المجاورة على الاسماعيلية في منطقة حلب والباب فقتل منهم الآلاف وقيل أنهم لم يتركوا الاطفال والنساء والشيوخ (٣) ، وفي سنة ٥٠٧ هجرية توفي رضوان ملك حلب فخلفه ابنه ألب أرسلان الذي استطاع زعماء حلب من السنين أن يقنعوه بلزوم تلافى خطر النشاط الاسماعيلي في المدينة والولاية ، واعلموه ان في قتالهم وقتلهم أعظم القرب الى الله تعالى (٤) ، فبادر الملك الى اعطاء الاوامر بالقبض على زعماء الاسماعيلية ، وحتم على أتباعه ضرورة قتل كل من يعثرون عليه من الاسماعيلية . فقبض على أبي طاهر الصائغ ، وابنه ، وعلى الداعي اسماعيل أخي الطيب المنجم ولم يفلت من تلك المذبحة الا الداعي « حسام الدين ابن دملج » الذي فر الى الرقة والداعي ابراهيم العجمي ، وبعد أن نهبت منازل جميع الاسماعيلية وصودرت أملاكهم ، وقتل منهم بظاهر حلب ثلاثمائة، وقتل جميع القادة والزعماء وقيل قذف بهم من أعلى القلاع ومثل بالاطفال والنساء ، حتى انه لم يبق بحلب من الاسماعيلية بعد هذه المذبحة من يعرف .

-
- (١) مرآة الزمان : ابن الجوزي : ٨ ورقة ١١ .
 (٢) تاريخ الاسلام للذهبي ٣ ورقة ٥١٧ .
 (٣) زبدة حلب : ابن العديم : ١٤٧/٢ .
 (٤) تاريخ الدول والملوك : ابن القرات : ١ ورقة ٧٢ .

علي بن محمد الصليحي

في الربع الاول من القرن الخامس الهجري كانت السياسة في بلاد اليمن تنحدر بسرعة نحو التفكك والتدهور ، ولم تكن في البلاد وحدة سياسية تجمع شمل الامراء والزعماء تحت قيادة واحدة ، بل كانت السلطة موزعة بينهم وهم متباغضون متنافرون يهاجمون بعضهم البعض ويقتتلون على السلطة ، ولم تكن تربطهم بالخلافة العباسية سوى اقامة الخطبة وضرب السكة باسم الخليفة العباسي .

وفي هذا الجو السياسي المشحون بالقلق والمشاكل وعدم الاستقرار ظهر الداعي علي بن محمد الصليحي^(١) واطبقت شهرته الآفاق ، وزاع صيته بين الناس فقيها صالحا وعالما جليلا . فلا غرو فقد نشأ في بيت عرف بالعلم والتقوى ، فنشأ نشأة طيبة في بيئة عربية حرة ، لها تقاليدها من الاخلاق الفاضلة ، والعلوم الاسلامية الغزيرة ، وكان أبوه القاضي محمد سنيا ، شافعي المذهب ، حسن السيرة مطاعا من أهله وجماعته ، ولا يخرجون عن أمره (٢) .

ولد أبو الحسن علي بن محمد بن علي الصليحي سنة ٤٠٣ هجرية في مدينة قتر من أعمال حراز^(٣) « وكان شابا أشقر اللحية أزرق العينين ، وليس في اليمن من يماثله في ذلك »^(٤) وتزوج ابنة عمه السيدة الحرة أسماء بنت شهاب ، وكانت من خيرة نساء اليمن ثقافة وكمالا وجمالا .

-
- (١) ينسب الى قبيلة الاصلوح من بلاد حراز .
 - (٢) الكفاية والاعلام للخزرجي (ص ٤٧) .
 - (٣) عيون الاخبار للداعي ادريس ٢/٧ .
 - (٤) مرآة الزمان ١/٢ ورقة ٨٨ ب .

وكانت رئاسة الدعوة اليمنية في ذلك الوقت منوطة بالشيخ سليمان ابن عبد الله الزواحي الذي تولاهما بعد أن فترت اثر وفاة ابن حوشب وانقسام ابنائه على أنفسهم ، فشاهد الشيخ سليمان عليا ولاحظ عليه علائم النجابة والذكاء ، ودلائل الفضائل (١) وهو في أوان الاستجابة ، فأخذ الشيخ يتصل به ويطلعه على ما عنده من أخبار وآمال ومشروعات كبار حتى استماله وغرس في قلبه من علومه وأدبه ومذهبه ، ولما نضجت تعاليمه جعله خليفته في الدعوة بعد أن أخذ موافقة الامام المستنصر على ذلك (٢) ولما توفي الشيخ سليمان الزواحي ترك له كل ما كان لديه من المؤلفات والكتب الاسماعيليه فأخذ يدرسها دراسة عميقة حتى عرف أصول الدعوة وفروعها وكان لفظته أكبر عامل في نجاحه .

واتخذ من ميدان الحج والاتصال بالحجاج حقلا لغرس مذهب ونشر عقائده وتميئتها ، فصار يحج بالناس عن طريق السراة والطائف نحو من خمس عشرة سنة ، فانتشر ذكره في البلاد على لسان الخاصة والعامة ، ولما حج سنة ٤٣٨ هجرية اجتمع بفريق من قومه ، همدان ودعاهم الى نصرته ومؤازرته في دعوته ، فأجابوه وبايعوه وكانوا ستين رجلا من رجالات عشيرته على الموت أو الظفر بقيام الدعوة الاسماعيليه (٣) فبانضمامهم اليه اشتد ساعده ، وتمكن من تكوين جماعة صغيرة مخلصة ، وبدأ يستعد للثورة ، فكون جيشا من بطون همدان وكتب للامام يستأذنه بالثورة .

وبعد عودته من الحجاز جهر بدعوته واتخذ حصن مسار بجبل حراز مقرا له وما زال يستميل الناس حتى اجتمع اليه من سنجان وهمدان وحمير خلق كثير (٤) .

- (١) عيون الاخبار للداعي ادريس ٣٨/٧ .
- (٢) عيون الاخبار للداعي ادريس ٢/٧ .
- (٣) قرة العيون لابن الديبغ ورقة (٢١) الكفاية والاعلام ص ٤٧ .
- (٤) بلوغ المرام في شرح مسك الختام للعرشي : ص ٢٤ .

ولم تكن الامور ممهدة له ليقوم بنشر الدعوة في جميع أنحاء اليمن لان دولة نجاح السنية تعمل على قمع كل المحاولات التي يقوم بها دعاة الاسماعيلية لنشر مذهبهم ، لذا عمد الصليحي الى مداراة نجاح وأظهر له أنه يدين بالطاعة له ، ثم دبر مؤامرة للتخلص منه وكان ذلك سنة ٤٥٢ هجرية حيث أهداه جارية فدست لم السم فمات (١) وخلفه من أولاده سعيد الاحول وجياش ، غير انهما لم يستطيعا أن يقفا في وجه الصليحي طويلا فهربا الى دهلج ، وبذلك قضى على دولة نجاح وضم زيد الى جانبه (٢) .

وفي سنة ٤٥٥ هجرية تمكن الصليحي من افتتاح اليمن بكاملها فملك قلاعها وحصونها ومدنها وسهلها وجبلها وامتد نفوذه من مكة الى حضرموت، وجعل صنعاء عاصمة للملكه وبنى فيها عدة قصور ووحد البلاد تحت علم واحد ، وأخذ ينظم سياسة الدولة وادارتها (٣) . وولى من يثق بهم الحصون والبلاد ، واستعمل ابنه أحمد بن علي المكرم على (الجند) وما يليها . واعادة الدعوة وتنظيماتها الى ما كانت عليه في بلاد اليمن قبل وفاة ابن حوشب، وأقيمت الخطبة للإمام المستنصر ولعلي الصليحي وزوجته السيدة أسماء بنت شهاب ، وزالت الخلافة العباسية (٤) .

وقد بلغ من ثقة الامام المستنصر بعلي الصليحي واطمئنانه الى ولائه أن منحه لقب « الامير الأجل شرف المعالي تاج الدولة سيف الامام المظفر في الدين نظام المؤمنين » ولقبه أيضا (منتخب الدولة وصفوتها ذو المجدين منجب الدولة وغرسها ذو السيفين نجيب الدولة وصنيعتها ذو الفضلين) (٥) ، وعهد

(١) ابن خلدون ٢١٤/٤ .

(٢) خطط المقريري ١٧٢/٢

(٣) قرة العيون ورقة ٢ الكفاية والاعلام للخزرجي (٤٧) .

(٤) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٦٣ .

(٥) سجلات وتوقعات المستنصر رسالة رقم ٣ ص ٣٤ .

اليه اقرار الامور في مكة والمدينة واعادتهما الى حظيرة الدعوة الاسماعيلية ،
فاستطاع بما أوتيته من حكمة تامة ومقدرة فائقة أن يثبت أقدام الفاطميين
وان يعيد الخطبة للخليفة الفاطمي على منابر بلاد الحجاز (١) .

وبلغ من تعلق علي الصليحي بحب الامام المستنصر أن كتب اليه يطلب أن
يأذن له بالسفر الى القاهرة للمثول بين يديه ، وبعث الكتاب مع الداعي ملك
ابن مالك ، فارسل اليه الامام كتابا في جمادي الآخرة سنة ٤٥٩ هجرية
يأذن له بالمجيء الى مصر . ولكن علي الصليحي كان في طريقه الى مكة
لإداء فريضة الحج ، واستخلف ابنه أحمد المكرم على صنعاء ، وأوصاه
« بالعدل وحسن السيرة والسياسة ، وتقوى الله في الجهر والسريرة ، والعمل
بأعمال الشريعة واقامة دعائمها ، والائتمار بأوامرها والانتها عن محارمها » (٢)
وكان قيامه من صنعاء في يوم الاثنين السادس من ذي القعدة سنة ٤٥٩
هجرية .

وصل علي الصليحي الى الهجوم ولم يكن معه سوى ابنه الموفق وزوجته
أسماء بنت شهاب وأخواه عبد الله و ابراهيم وجماعة من بني الصليحي ، لان
رجالهم وجميع أتقائه كانوا قد تقدموه الى هجر وما كاد يحط الرحال في
ضيعة يقال لها (أم الدهيم) حتى فاجأه سعيد الاحول على رأس جماعة
من العبيد الاحباش ، وانقضوا عليه في يوم السبت الحادي عشر من ذي
القعدة ، ومعه بنو عمه الذين أبلوا بلاء شديدا ، وكان السلطان عبد الله ابن
محمد أشدهم يومئذ اقداما واعظمهم بطشا بالاعداء (٣) وبعد قتال شديد
قتل الملك الصليحي وأخواه عبد الله و ابراهيم وبعض أقاربه . أما الامير
الموفق ابن علي الصليحي ومهنا بن علي المظفر الصليحي فقد اتجها الى مكان

(١) ابن خلدون ٤/٢١٥ .

(٢) عيون الاخبار .

(٣) عيون الاخبار للداعي أدريس عماد الدين ٧/٩٠ .

النساء لحمايته ، ولكن العبيد ما لبثوا أن حاصروا هذا المكان واستمر حصارهم حتى يوم الاربعاء الخامس عشر من ذي القعدة . فاستأن مهنا وخرج الى الاحول ، فأخذ منه ميثاقا شديدا على الحرائر الصليحيات وعلى من بقى من بني الصليحي وسواهم ، ولكن الاحول غدر بالرجال فقتلهم عن آخرهم ونهب الاموال والاتقال ، ثم سار الى زييد ومعه النساء ورأسا الملك علي بن محمد الصليحي وأخيه السلطان عبد الله محمولان على رمحين أمام هودج الملكة أسماء . ونصب الرمحان أمام الطاق الذي تنظر منه الملكة الحرة أسماء في الدار التي حلت بها ، هذا وقد اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي قتل فيها علي الصليحي فقال البعض ان قتله كان في سنة ٤٧٣ هجرية (١)

وقال بعض آخر : ان ذلك حدث في سنة ٤٥٩ هجرية (٢) . والارجح والاصح ما جاء بالسجلات المستنصرية ، وقد جاء في السجل الذي بعث به الخليفة المستنصر الى الملك أحمد المكرم ما يفهم منه ذلك ، فقد أظهر فيه المستنصر أسفه الشديد على وفاة الصليحي ثم نادى بالمكرم ملكا من بعده (٣) ويؤيد هذا القول عمارة اليميني حيث قال : (٤) « ان قتله كان في يوم السبت الثاني عشر من ذي القعدة سنة ٤٧٣ هجرية ، وقيل سنة ٤٥٩ هجرية ، وهي رواية صحيحة » .

والخلاصة يعتبر الملك علي الصليحي من أشجع القواد الفاتحين الذين لمع اسمهم على صفحات التاريخ بما أحرزه من انتصارات وما قام به من أعمال مجيدة ولو لفترة قصيرة ، فسار بالرعية سيرة الحق والعدل وعامل الناس بالحسنى ، وأدب القبائل الثائرة التي كانت تقطع الطرق وتتهب

(١) كشف أسرار الباطنية للحمادي ص ٤٤ .

(٢) عيون الاخبار ٧/٨٨ الكفاية والاعلام للخزرجي ٤٩ ، انباء الزمن ٤١ .

(٣) السجلات رقم ٤٠ .

(٤) تاريخ اليمين لعمارة ٢٢ .

الحجاج ، فازداد التفاف الامراء والزعماء حوله فشكل منهم قوة هائلة تمكن بها من اعادة الامن والطمأنينة للبلاد وثل عروش الملوك وقضى على دويلاتهم المفككة ، ومن الناحية الاسماعيلية فقد ظهر عليا على صفحات التاريخ داعيا متمسكا بأهداف دينه ، متسامحا مع المذاهب الاخرى ، يعمل بما شرع الله في دينه ، يسهر على تحقيق العدل الذي أنزله الله في محكم كتابه « كان عالما وفقهيا مستبصرا في علم التأويل »^(١) كما كان خطيبا ممتازا •



(١) نفس المصدر لعمارة ١٥١٤ .

علي بن محمد بن الوليد الانف العشمي القرشي

تقلد مراسم الدعوة في بلاد اليمن وتوابعها ، بعد وفاة الداعي المطلق علي بن حاتم الحامدي • وكان له مع الداعي حاتم وابنه الداعي علي الرتبة السامية واليد الطولى • وقال عنه حاتم الحامدي : (١) « ••• أما شرف النسب فانه أشرف أهل الوقت نسبا ، وأعلاهم حسبا ، وأقدمهم في الدعوة الهادية ، وأسبقهم الى الأفعال المرضية ، وذلك أن جده ابراهيم بن أبي سلمة لسبقه وشرفه سفره علي بن محمد الصليحي الى الحضرة الشريفة المستنصرية • وانهم من أشرف قریش وأعلى العرب من بني عبد مناف بن قصي • وأما الطهارة والورع والعبادة والعفة والنسك والولاية والآداب ، فلا يقاس أحد به من أهل زمانه • ولذلك أضفت أمر الدعوة الهادية سلام الله على صاحبها في الجزيرة اليمنية اليه » • ولما كان هذا الداعي يتمتع بسمعة طيبة وعلم وافر غزير فقد تحسنت أمور الاتباع واقبلوا عليه من كل حذب وصوب لسماع محاضراته والتزود من علومه ، والدراسة عليه ، وأيده السلاطين والامراء من همدان ، وجعل مقره مدينة صنعاء حيث اعتكف كغيره من الدعاة على الدراسة والتأليف والدفاع عن الدعوة بالقلم واللسان ، ويعتبر من أنشط دعاة المستعلية في بلاد اليمن ، استطاع أن يجمع شمل أهل الدعوة في اليمن ويحصن الاتباع بالمعاقل والحصون الجبلية ، كما بذل جهوده لجمع التراث العلمي الفاطمي الذي كان مبعثرا في جميع أنحاء البلاد فضبطه وحفظه في أماكن خاصة حتى لا تتسرب اليه أيدي الغزاة الذين كانوا يتصارعون في البلاد • وقام بدوره في وضع الاسس العلمية للدعوة السرية الجديدة •

(١) نزهة الافكار للداعي ادريس عماد الدين ١١٢/١ •

وكانت وفاة علي بن الوليد في شهر شعبان سنة ٦١٢ هجرية وكان عمره قد زاد على التسعين عاما • وهو يدرس ويؤلف ومن مؤلفاته :

١ - كتاب تحفة المرتاد وغصة الاضداد^(١) في الرد على الفرقة المجيدية واثبات امامة الطيب بن الأمر وذكر تسلسل الامامة • وفيه نبذ من علم الحقائق •

٢ - رسالة جلاء العقول وزبدة المحصول^(٢) وهي تنقسم الى ثلاثة أبواب تحتوي على ثمانية وعشرين فصلا •

٣ - الرسالة المفيدة في ايضاح ملغز القصيدة^(٣) وهي شرح القصيدة التي يروى أن قائلها الحكيم ابن سينا ومطلعها :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وأورد فيها من رسائل اخوان الصفا فصلا في علة كراهية الجميع الموت ومحبتهم البقاء بتمامه وكماله •

٤ - كتاب ضياء الألباب المحتوي على المسائل والجواب^(٤) ويشتمل على اثنين وثلاثين مسألة والجواب عنها •

٥ - ويوان شعره^(٥) وفيه أشعار في الرد على الفرق المخالفة وفي مدائح الأئمة وامام زمانه الطيب •

(١) فهرست اسماعيل (٢١٠) نشره ستروتمان تحت عنوان (اربعة كتب اسماعيلية) .

(٢) فهرست اسماعيل (٢٧٧) .

(٣) فهرست اسماعيل (٣٤١) .

(٤) المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ٥٦ رقم

(٥) فهرست اسماعيل ص ٥٠ .

- ٦ - كتاب دافع الباطل وحتف المناضل ^(١) في الرد على الغزالي في كتابه المستظهري .
- ٧ - كتاب مختصر الأصول ^(٢) ويشمل شرح المقالات وكيفية انقسامها ، والرد على الفلاسفة وبعض الفرق .
- ٨ - كتاب تاج العقائد ومعدن الفوائد ^(٣) يتضمن مائة مسألة في معتقدات مذهب الدعوة .
- ٩ - كتاب مجالس النصح والبيان ^(٤) فيه أربعون مجلسا من المجلس الاول والمئة الى الاربعين والمئة .
- ١٠ - رسالة الايضاح والتعيين في كيفية تسلسل ولادتي الجسم والدين ^(٥) في علم المبدأ والمعاد واثبات امامة الطيب بن الأمر .
- ١١ - رسالة لب المعارف ^(٦) وهي عبارة عن سبعة مسائل : الاولى عن القائم وعن الشريعة في دوره ، والثانية عن الهيولى والصورة ، والثالثة عن قول الله تعالى يخرجون من الأجداث الآية ، والرابعة عن قول الامام المعز اذا كانت هذه السموات والارض فانية فما ظنك بما دونها ، والخامسة عن قول الامام المستنصر في القائم بانه سابع النطاق ، والسادسة عن الامام وحدوده ، والسابعة عن قول القاضي النعمان في كتاب أسرار التأويل أن النطاق يأخذون عن الحدود .

-
- (١) فهرست اسماعيل ص ١٢٩ .
- (٢) المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ٥٧ رقم
- (٣) فهرست اسماعيل (١٧٣ - ١٧٩) .
- (٤) فهرست اسماعيل ص ١٩٥ .
- (٥) نفس المصدر ص ١٠ ، نشرها ستروتمن في مجموعة (اربع كتب اسماعيلية) .
- (٦) فهرست اسماعيل ٣٦٥ .

- ١٢ - رسالة لباب الفوائد وصفو العقائد ^(١) في المبدأ والمعاد •
- ١٣ - كتاب الذخيرة ^(٢) يتضمن بحثاً عن التوحيد والابداع والانبعاث والنبوة والامامة •
- ١٤ - ملحقة الازهان ومنبهة الوسنان ^(٣) •
- ١٥ - نظام الوجود في ترتيب الحدود ^(٤) •
- ١٦ - تاج الحقائق ومعدن الفوائد ^(٥) •
- ١٧ - رسالة في منال الاسم الاعظم •
- هذه هي المؤلفات التي صنفها هذا الداعي خلال حياته الطويلة التي قضاها في خدمة العلم والمعرفة وتمتاز مؤلفاته بسعة الاطلاع ، والمعرفة التامة بأصول المذهب الذي يعتنقه ، ولا تزال كتبه من أهم الكتب الدينية المحفوظة لدى طائفة البهرة في اليمن •



-
- (١) فهرست اسماعيل ٣٨٣ •
- (٢) المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ٥٨ رقم (٢٣٠) •
- (٣) نفس المصدر ص ٥٨ رقم (٢٢٥) •
- (٤) نفس المصدر ص ٥٨ رقم (٢٢٦) •
- (٥) نفس المصدر ص ٥٩ رقم (٢٣٨) و (٢٢٨) •

علي بن مراد ميرزا

ولد الامام علي بن مراد ميرزا سنة ١٨٨٦ هجرية في مدينة (أنجودان)
وتسلم الامامة بعد وفاة أبيه سنة ٩٢٠ هجرية باحتفال كبير ولقب بـ(ذي الفقار
علي) نهج نهج والده في التقرب من أقربائه الصنفويين وساعدهم في الامور
السياسية والاصلاحات الاجتماعية ، وكون فرقة خاصة من أتباعه الاسماعيليين
وعين لها القواد والضباط ، وقدم لها السلاح على نفقته الخاصة لتقوم بحراسة
المنطقة التي يقطنها الاسماعيليون وكان مقرها الرئيسي في (محلات) .
وافتح مدارس الدعوة واحضر لها الاساتذة والمدرسين ذوي المقدرة العلمية ،
كما قام بحملة واسعة لجمع الكتب التي تبحث في مختلف العلوم من جميع
أنحاء العالم للاستعانة بها على الابحاث العلمية والفلسفية . ووزع على
أتباعه في جميع أنحاء البلاد كتاب خاص عرف (بالتعليقة) حظرهم فيه
من ارتكاب الموبقات ، وحثهم على التمسك بأمور الدين والمداومة على
العبادة ودفع أموال الزكاة ، وذكر لهم انه على استعداد لسماع الشكاوي
في الخامس عشر من كل شهر والنظر في القضايا العامة والخاصة . وساهم
في فض المنازعات التي حصلت بين السلطان الصنفوي والسلطان سليم في
أذربيجان (١) .

وفي عهد هذا الامام هوجمت سورية من قبل السلطان سليم الاول فهب
الاسماعيلية الذين أذاقهم الأمرين (قانصوه الغوري) وقدموا المساعدات
للسلطان سليم وقيل ان أحد الفدائية أغمد خنجره في صدر (قانصوه
الغوري) ثم قذفوه بين سنايك الخيل ، لذلك قدم السلطان سليم في أول

(١) نور مبین جبل الله المتین : جنارا : ص ٥٣٣ - ٥٣٤ .

الامر المساعدات للاسماعيلية فتتسموا الرجاء واعتقدوا بأن السلطان سيسمح لهم بيزاولة شعائرهم الدينية ويعيد اليهم القلاع التي فقدوها ، ولكن السلطان سليم ما لبث أن استقر به المقام حتى جرد على الاسماعيلية الحملات وأذاقهم الويلات فتواروا عن الانظار ، وذهب أحد الدعاة الى مركز الامامة في فارس حيث قدم تقريره للامام الذي بادر للتوسط لدى السلطان سليم فوافق على منحهم قليلا من الحرية الدينية وسمح لهم بالعودة الى قلاعهم على أن لا يقوموا بأي نشاط سياسي (١) .

وكذلك في عهده انتشرت الدعوة الاسماعيلية في الهند انتشارا غريبا حيث كان الهندوس يدخلون أفواجا بالآلاف ، فكان يقدم للفقراء منهم الاموال ويوجههم لمزاولة الاعمال التجارية والحرف ، وقيل أنه أمرهم بالهجرة الى المناطق البكر ليؤسسوا الاعمال التجارية فيها ، فنجحوا نجاحا عظيما وأصبحوا من أغنى التجار والصناع (٢) .

وتوفي الامام ذو الفقار علي في (أنجودان) ودفن في مقبرة والده سنة ٩٢٢ هجرية .



(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص ٢٤٦ .

(٢) الشيعة في الهند : Hollister ص ٣٣٦ .

الظاهر لاعزاز دين الله علي بن المنصور

تعتبر النعرات الدينية ، والاختلافات المذهبية ، من الاسباب الرئيسية التي فككت المجتمعات الاسلامية وقوضت دعائمها في العصور السالفة •

فالمجازر والمذابح التي ارتكبت باسم الزود عن حياض الدين والدفاع عنه ، ستبقى نقطة سوداء قاتمة على صفحات التاريخ البشري ، فكم من الارواح البريئة ذهبت ضحية محاربة الكفر والالحاد والذندقة تشكو لخالقها ظلم الانسان وعسفه •

لذا نرى الامام الظاهر لاعزاز دين الله قد استطاع بما أوتيته من حكمة ولباقة وحسن سياسة أن يكسب محبة وعطف أهل الذمة ، الذين أمن لهم الحرية الدينية المطلقة •

ولد الظاهر لاعزاز دين الله أبو الحسن علي (١) في يوم الاربعاء ١٠ رمضان سنة ٣٩٥ هجرية وبويع له بالخلافة يوم عيد النحر سنة ٤١١ هجرية وعمره ست عشرة سنة (٢) وفي عهده تعرضت البلاد لققط شديد استمر عدة سنوات ، فتنفشت المجاعة وانتشرت الامراض في جميع البلاد ، وارتفعت أسعار المواد الغذائية وكثر النهب والسلب (٣) ولكن الامام تيقظ للامر وعمل على اتقاذ البلاد من الخطر المحدق فوزع الاموال والاطعمة والادوية على أفراد الشعب وضرب بيد من حديد على اللصوص والمارقين العابثين في النظام ، فاستتب الامن وتحسنت حالة البلاد وتحسنت الزراعة وازدهرت التجارة ،

(١) قيل أبوهاشم، التاريخ الفاطمي ص ١٦٨ وأبوه الحاكم بأمر الله الفاطمي .

(٢) وفيات الاعيان ابن خلكان ٣/٣٦٧ .

(٣) خطط المقرئزي ٢/١٧٦ ابن الاثير ٩/١٥٤ .

وضبط الامور في داخل البلاد وخارجها • وقد بنى في عهده منظره اللؤلؤة بالقرب من القصر الغربي الصغير وتعد من أجمل المنارات التي أنشئت في القاهرة في عهد الاسماعيليين •

وجه عنايته الخاصة لدار العلم الاسماعيلية فنظمها تنظيما دقيقا واختار لها الدعاة والمدرسين ذوي الاخلاق الكريمة والعلوم الغزيرة ، ووزع المتخرجين من تلك الدار في البلاد وبث الدعوة في بغداد وفارس سنة ٤٢٥ هجرية فاستجاب له خلق كثير ، والف الامام فرقة خاصة من الشباب الاسماعيلي الاقوياء وجعلهم على أتم الاستعداد لتنفيذ الاوامر في كل لحظة ، وأمر بتلقيهم العلوم وتدريبهم تدريبا فنيا على جميع الاسلحة وفنون القتال والعلم بها • واقتفى أثر آبائه فاعتنى بدور العلم وشجع العلماء وخصص لهم الاموال ، وأمر الناس بأن يحفظوا كتاب (دعائم الاسلام) وكتاب (مختصر الوزير) وجعل لمن حفظ ذلك مالا ، فحفظها خلق كثير ، وفي عهده بلغت رقعة الامبراطورية الفاطمية افريقية ومصر والشام والحجاز وبغداد وبعض المناطق في بلاد فارس •

وفي سنة ٤١٨ هجرية وقع الامام الظاهر الهدنة مع امبراطور الدولة الرومانية وخطب للامام في القسطنطينية •

وفي سنة ٤٢١ هجرية أمر بجمع الدعاة والفقهاء والوزراء والقواد ونص بحضورهم على ولاية العهد لابنه المستنصر بالله وهو ابن ثمانية أشهر ، فوزعت العطايا لهذه المناسبة الكريمة ، وأقيمت الافراح في جميع أنحاء المملكة •

وفي الخامس عشر من شعبان سنة ٤٢٧ هجرية مرض بالاستسقاء وتوفي ليلة الاحد ودفن في مقبرة القصر بالقاهرة •

كان الامام الظاهر منذ أن تسلم عرش الخلافة والامامة سمحا ، عاقلا لين العريكة حسن السيرة والسياسة منصفا للرعية يسعى دائما لراحة ورفاهية

شعبه باذلا في سبيل ذلك الاموال الطائلة ، ساعد العمال والمزارعين وقدم لهم الارشادات القويمة والاموال الطائلة ، وأباح ذبح الحيوانات التي لاتصلح لحرث الارض ، وذلك اثر الوباء الذي أصاب بعض الحيوانات التي يستخدمها الفلاحون في فلاحة الارض ، وكتب الى الناس كتابا جاء فيه : « ان الله تعالى بتتابع نعمته وبالغ حكمته ، خلق ضروب الانعام وعمل فيها منافع للانام ، فوجب أن تحمي البقر المخصوصة بعمارة الارض ، المذلة لمصالح الخلق ، فان في ذبحها غاية الفساد ، واضرار للعباد والبلاد (١) » .

ولم يقم الظاهر ببناء كثير من المنشآت ، لاشتغاله بالعمل على ضبط الامور في داخل البلاد وخارجها .

ولم يتمتع الظاهر بالخلافة مدة طويلة ، ليتمكن من اجراء الاصلاحات التي قام بها سبعة من الخلفاء ، ومع هذا فقد اعتبر عصره من العصور الزاهرة التي جاءت بالرخاء والرفاهية للشعب وخاصة الطبقات الفقيرة العاملة من عمال ومزارعين ، وكذلك نبغ في عهده علماء وفلاسفة وأدباء كان لهم تأثير كبير في نشر الوعي الثقافي في مختلف أنحاء الامبراطورية ، وتجلت عبقرية هذا الامام ودعائه بما بلغته الدعوة الاسماعيلية في عصره من تنظيم وسعة انتشار .



(١) أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ٤/٢٥٢

علي بن نزار بن المستنصر بالله

يعتبر أول الأئمة الاسماعيلية النزارية في « آلموت » ومؤسس الدولة النزارية في فارس ، كانت ولادته في القاهرة سنة ٤٧٠ هجرية ، وارتحل مع والده الامام نزار من سجلماسة الى قلعة آلموت ، وتسلم الامامة الاسماعيلية بعد وفاة أبيه نزار سنة ٤٩٠ هجرية وكان لا يتجاوز العشرين من عمره^(١) فوجه اهتمامه الى تشيئة الاسماعيلية وتنظيم دعوتها السرية في مختلف البلدان ، وعمل على خلق جيل جديد من الشباب الواعي المدرك المؤمن بقيادته الحكيمة ، فعمل منهم جيشاً قوياً قسّمه الى فرقتين : الاولى اسمها (الفدائية) وهي المكلفة ببذل التضحيات السريعة المستعجلة ، وتنفيذ الاوامر السرية الهامة ، ولقد تدرّب أفراد هذه الفرقة على استعمال كافة أنواع الاسلحة وعلى الفروسية ، كما لقنوا العلوم الفلسفية والمذهبية ، واتفقوا أغلب اللغات الشائعة في ذلك العصر ، والفرقة الثانية جعل اختصاصها نشر الدعوة بأسلوب خاص في مختلف المناطق وبين كافة الطبقات ، وهم المكلفون بالدفاع عن المذهب باللسان ، وعلى الغالب كانت مؤهلاتهم العلمية التي يتلقونها في مدارس الدعوة تؤهلهم لاحتلال اكبر الوظائف الادارية في البلاد التي يرسلون اليها . وكان العقل المدبر حجة الامام الحسن بن الصباح الحميري المشرف العام على تلك التنظيمات . وبواسطة هذه الأنظمة الحديثة القوية توصلت الاسماعيلية الى درجة عظيمة من الانتشار وآلت اليها القلاع والحصون وقويت شوكة الاسماعيلية فهابها الملوك وخافها الامراء والسلطين ، واجتاحت الدعوة الاسماعيلية خراسان وما وراء النهر ، وملكوا القلاع التالية : قلعة قهستان ، وجور ، وخوسف ، وزوزن ، وقاين ، وتون ،

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب : ص ١٨٧

والاطراف المجاورة لهما وقلعة خالنجان بقرب اصفهان ، وستاوند ، وكردكوه ، والناظر بخوزستان وقلعة الطنبور ، وخلادخان . وغيرهما من القلاع والحصون المنيعة ، وعقد قران الامام على (سيداني خاتون) باحتفال عظيم . وبمناسبة هذه الانتصارات الكبيرة اجتمع مجلس الدعاة في (آلوت) واتخذوا قرارات منها :

- ١ - نظراً للنجاح الذي احرزته الدعوة بفضل قيادة الامام علي بن نزار يلقب هذا الامام (بالهادي) .
- ٢ - يكلف حجة الامام الحسن بن الصباح بالاشراف الفعلي على كافة الامور السياسية والعسكرية ويلقب (بشيخ الجبل) .
- ٣ - يعتبر الامام علي الهادي المرجع الأول والأخير للقضايا العلمية والدينية والفلسفية (١) .

وفي سنة ٥٢٠ هجرية عظم أمر الاسماعيلية في بلاد الشام وازداد نفوذهم فملكوا بانياس في شهر ذي القعدة وانتشرت دعوتهم في حلب ودمشق والقدموس ومصيف والخوابي وغيرها من البلاد السورية (٢) . كذلك تعرض الاسماعيلية لغارات عنيفة وحصار مستمر من قبل السلاطين السلجوقيين ، ففي سنة ٥٢٢ هجرية أمر الوزير المختص أبو النصر أحمد بن الفضل وزير السلطان سنجر بغزو قلاع الاسماعيلية ومدنهم في خراسان ، وقتلهم ايما وجدوا فظفر بهم ، ونهبت أموالهم وسبيت حريمهم ، وسير الجيوش لقتالهم في (طريث) و (بهيق) من اعمال نيسابور فاحتلت جيوشه الجرارة قرية (طريث) وقتلوا كل من عثروا عليه في طريقهم من الاسماعيلية وقبضوا على النساء والاطفال ، فأمر قائد الحملة أن يحفر خندقا خارج البلدة وتضرم النار فيه ، فجعل يأتي بالاطفال والنساء الاسماعيلية الى النار افواجا ويلقيهم فيها

(١) نور مبين جبل الله المتين لجنارا : ص ٣٦٤ - ٣٦٥ - هفت بابي

بابا سيدنا للحسن الصباح - ورقة ١٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل : ١٠/١٠٨ - ١١١ - ١١٢ : تاريخ الدعوة

الاسماعيلية ص ١٨٨ .

حتى قتل منهم خلق كثير ، ولم يسلم من تلك المجزرة البشرية الا الداعي (الحسن بن سبك) الذي رفض الاستسلام وصعد (منارة القرية) ثم رمى نفسه عنها فمات (١) .

وفي سنة ٥٢٣ هجرية في العاشر من شعبان أمر نظام الملك الوزير السلجوقي أن يقبض على نجار اسماعيلي اسمه (طاهر) فقتل ومثل به وهو ميت ، فعظمت هذه الجريمة لدى الاسماعيليين لان هذا النجار كان مقدما على الفدائيين ، فحزن عليه الامام الهادي وأوعز الحسن بن الصباح لأحد الفدائية أن يثار للنجار من نظام الملك فأغمد هذا الفدائي خنجره في صدر نظام الملك في ١٠ رمضان سنة ٥٢٣ هجرية . وفي سنة ٥٢٨ هجرية توفي الحسن بن الصباح وانتخب (كيا بذرك أميد) ليحل محله .

ومن هنا يتبين لنا ما كان يتعرض اليه الاسماعيلية في عهد هذا الامام الذي كان دأب التنقل من مكان الى آخر يشرف بنفسه على أمور مريديه الذي تعرضوا لاضطهادات عنصرية ومذهبية لا مثيل لها في التاريخ ، وبالرغم من كل هذا فقد وجه جهوده للناحية التنظيمية والعلمية فكان يعقد المناظرات ويلقي المجالس العلمية ، ويذكر له الاسماعيلية مؤلفات علمية قيمة ولكن أكثرها فقد نتيجة تلك الاضطهادات والحروب ومنها :

١ - كتاب صفات المؤمنين ٢ - نور العارفين ٣ - اصول الحدود والدين ، وغيرهم من الرسائل الفلسفية والنصائح والارشادات التوجيهية .

وظل يعمل وينظم شئون أتباعه المنتشرين في كافة انحاء العالم الاسلامي حتى أدركته الوفاة في قلعة (لامستر) سنة ٥٣٠ هجرية وقيل سنة ٥٣٥ هجرية بعد أن سلم الامامة لولده محمد بن علي بن نزار (٢) وقيل في قلعة لامبير والاصح أنه توفي في سنة ٥٣٠ هجرية ودفن في قلعة لامستر .

(١) نفس المصدر : ٢٢٤/١٠ : تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٨٩ .

(٢) نور جبين حبل الله المتين : لجنارا ٣٦٣ . ص .

عمارة بن أبي الحسن اليميني

مؤرخ كبير ، وشاعر فحل ، وفقه عظيم ، ترك لنا سيرته التي يستنتج منها أن اسمه الكامل : نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي الحكمي اليميني المشهور (بعمارة اليميني) • ولد في تهامة باليمن^(١) نشأ وترعرع في بيئة عرفت بحبها للعلم والأدب والشعر ، فظهر نبوغاً عجيبياً في كل هذه العلوم التي على ما يظهر تلقاها في مدارس الدعوة الاسماعيلية الكثيرة التي أوجدها ابن حوشب ، وبعد أن اكتمل نضوجه العلمي سار حاجا الى مكة ، ومن هناك بعث به أمير مكة (القاسم بن مُفليته) سنة ٥٤٩ هجرية رسولا من قبله الى مصر ، فدخلها في غرة ربيع الاول سنة ٥٥٠ هجرية ، فاستقبله الخليفة الفاطمي الفائز ووزيره الصالح طلائع بن رزيك بالترحاب ، فأثشد في قاعة الذهب بالقصر قصيدة عصماء قال فيها :

حمدا يقوم بما أولت من النعم
حتى رأيت امام العصر من أمر
وفدا الى كعبة المعروف والكرم
بين النقيضين من عفو ومن تقم
تجلو البغيضين من ظلم ومن ظلم
على الحقيقيين من حكنم ومن حكم
مدح الجزيلين من بأس ومن كرم
على الحميدين من فعل ومن شيم
فوز النجاة وأجر البر في القسم

الحمد للعيس بعد العزم والهمم
قر من بعد مزار العزم من نظري
ورحن من كعبة البطحاء والحرم
حيث الخلافة مضروب شرادقها
وللامامة أنوار مقدسة
وللنبوة آيات تنص لنا
وللمكارم أعلام تلعننا
وللعلى ألسن تشنى محامدها
أقسمت بالفائز المعصوم معتقدا

(١) النكت العصرية ص ٧ ، ٨ .

لقد حمى الدين والدنيا وأهلها
 اللابسُ الفخرَ لم تنسج غلائله
 قد ملكته العوالي رِقَّ مملكته
 ليت الكواكبَ تدنو فانظما
 خليفة ووزير مَدَّ عدلها
 زيادة النيل تقص عند فيضها
 وزيره الصالح الفراج للغمم
 الا يد الصانعين السيفِ والقلم
 تعيرُ أنفَ الثريا عزة الشمم
 عقود مدح فما أرضى لكم كلمي
 ظلا على مفرق الاسلام والأمم
 فما عسى يتعاطى مِنَّة الديم^(١)

ولقد أعجب الخليفة الفائز ووزيره بهذه القصيدة ايما اعجاب ، حيث يذكر عمارة انه بعد أن أنشد قصيدته خلعت عليه الخلع الموشحة بالذهب ، ودفع اليه الوزير خمسمائة دينار ، وأتته مثلها من السيدة أخت الخليفة . يضاف الى ذلك هذه الرسوم التي أطلقت له من دار الضيافة في مناسبات كثيرة مما لم يطلق لأحد قبله وأقام الامراء وكبار موظفي الدولة الولائم والحفلات التكريمية في بيوتهم ، وظل في القاهرة الى شوال سنة ٥٥٠ هجرية^(٢) ثم عاد الى مكة ، ومنها أنفذه أميرها بمهمة أخرى في صفر سنة ٥٥١ هجرية . ويظهر أن الإقامة في مصر أعجبتة فظل فيها وأصبح من مشاهير شعراء البلاط الفاطمي في عهد الخليفين الفائز والعاقد ، وشنق في اليوم الثاني من شهر رمضان سنة ٥٦٩ هجرية لتعصبه للفاطميين ، وقيل انه قتل لاشترائه في المؤامرة التي دبرت لتقويض سلطان الأيوبيين^(٣) .

ولا بد لنا ونحن نقرب من نهاية ترجمة حياة هذا الشاعر الكبير والمؤرخ الشهير من الأتيان على ذكر روايات واقوال بعض المؤرخين الذين أكدوا بان عمارة اليميني بالرغم من اخلاصه وتقائه في سبيل الفاطميين لم يعتنق مذهبهم ، بل ظل سنياً شافعي المذهب^(٤) مع أن الخليفة الفاطمي ووزيره قد

(١) نفس المصدر ص ٣٢ - ٣٤ .

(٢) نفس المصدر ص ٤١ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان : ٤٧٥/١ - ٤٧٧ .

(٤) تاريخ الدولة الفاطمية : حسن ابراهيم حسن : ص ٤٦٠ .

الحا عليه مراراً لا اعتناق المذهب الاسماعيلي واستدلوا على ذلك من قوله :

مذاهبهم في الجود مذهب سنة وان خالفوني في اعتقاد التشيع

ونحن نؤكد لهؤلاء ولكل من يظن ويعتقد بأن عمارة اليمني لم يكن على مذهب الاسماعيلية ، بأن عمارة كان اسماعيلياً متعمقاً في أصول المذهب ، لقوله :

أقسمت بالفائز المعصوم معتقداً فوز النجاة وأجر البر في القسم^(١)

فهل من المعقول أن يقسم بالامام المعصوم معتقداً الا من كان على مذهب الشيعة أو بالأحرى على مذهب الفاطميين ، الذين يقولون ان لا نجات للانسان من عذاب النار الا اذا اعتقد بالامام المعصوم هذا من ناحية ومن ناحية ثانية ، المعروف أن عمارة قد كلف بمهمة سرية تتعلق بالمصلحة الفاطمية العليا حيث كان الوسطة بين القاهرة ومكة ، فلو لم يكن من الاسماعيلية الموثوق فيهم لما اعتمد عليه الخليفة والوزير من جهة وأمير مكة من جهة ثانية . وليس أدل على ايمانه العميق بالمذهب الفاطمي ، كقوله :

وللامامة أنوار" مقدسة تجلو البغيضين من ظلم ومن ظلم^(٢)

واخيرا ان من يضحي بنفسه في سبيل مبدأ وعقيدة ، لا يمكن بأي شكل من الاشكال أن يقال عنه بأنه لم يكن يعتنق تلك العقيدة . ومهما يكن من أمر مذهبه فقد كان مخلصاً للفاطميين وضحي في سبيلهم .

وعلى العموم ترك لنا عمارة الشاعر المؤرخ الفقيه العالم عدة مؤلفات ثرية ، وكتاب تاريخ اليمن الذي يعتبر من أعظم المصادر التاريخية عن اليمن، وله أيضا ديوان شعر . والرسائل الاخوانية .

(١) البيت ١٢ من القصيدة التي القاها في قاعة الذهب : النكت العصرية

ص ٣٢ .

(٢) نفس المصدر .

هرف الفاء

فريد الدين العطار

كان لعلماء الدعوة الاسماعيلية النزارية في فاس أثر كبير في تطور الحركة الفكرية في تلك البلاد ، وثبت تاريخيا ان اغلب ادباء وعلماء وفلاسفة تلك البلاد كانوا يمتون الى الاسماعيلية بصلة .

ومن أولئك الشعراء المشهورين الذين خلفوا آثاراً أدبية احتلت مكان الصدارة في تاريخ فارس الأدبي الشاعر الفيلسوف الطيب أبو طالب محمد ابن أبي بكر بن ابراهيم بن مصطفى بن شعبان المعروف (بفريد الدين العطار) (١) ويذكر التاريخ أنه ولد في نيساور وامضى فيها ثلاثة عشر عاما من طفولته ، التزم فيها الدراسة والتعلم في مدرسة الدعاة الاسماعيلية ، ثم اكثر من الترحال والتجوال فزار الري ، والكوفة ، وتوجه الى مصر ، ودمشق ومكة ، والهند ، وتركستان للتبشير في المذهب الذي اعتنقه ، ومن ثم عاد فاستقر في مدينة نيسابور حيث افتتح صيدلية لصنع وبيع الادوية ، ولمداواة الفقراء والمساكين ، ويذكر في كتابه (مصيبت نامه) وكتابه (الهي نامه) وقال صراحة أنه الفهما في صيدليته « داروخانه » التي كان يتردد عليها في ذلك الوقت خمسمائة من المرضى ، كان يقوم على فحصهم وجس نبضهم ، ويدل التاريخ على أنه درس الطب على (الشيخ مجد الدين البغدادي) .

ومن الثابت أنه اشتغل في التأليف وجمع اشعار الفلاسفة الاسماعيلية مدة ٣٩ سنة .

ولما شعرت السلطات بنشاطه ألبت عليه الغوغاء فاتهموه بالاحادواالذندقة

(١) تاريخ الأدب في ايران : بروان ص ٦٤٣ ، لباب الالباب ٢٣٧ - ٢٣٩ .

فهدموا منزله ونهبوا متاعه وقتلوه وقيل كان ذلك في ١٠ جمادي الثاني سنة ٦٢٧ هجرية ودفن في نيسابور ولا يزال ضريحه هناك ويزار •

ولقد اختلف آراء أصحاب التراجم في وفاته فقال البعض كانت سنة ٥٨٩ هجرية على أيدي المغار عندما أغاروا على نيسابور وقيل سنة ٦١٩ أو سنة ٦١٤ والارجح سنة ٦٢٧ هجرية • ويذكر التاريخ أن عدد مؤلفاته كان مساويا لعدد سور القرآن وقيل زادت مؤلفاته على الخمسين • ومن مؤلفاته المشهورة : أسرار النعمة وهو من الكتب المذهبية : و « منطق الطير » وعلى العموم أغلب آثار هذا الفيلسوف العبقري لم تطبع حتى الآن الا طباعة على الحجر في مدينة « لكنو » في سنة ١٨٧٢ م كما طبعت بعض آثاره مؤخرا في الهند وايران والبلاد الاوربية (١) •



(١) ألف عن حياته وصوفيته كتاب نشر ضمن مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية .

فخر الدين الرازي

هذا عبقرى آخر من عباقرة الفكر الاسماعيلي في فارس كان له باع طويل في كافة العلوم التي كانت معروفة في عصره ، غزير الانتاج وقد شمل انتاجه الأدبي موضوعات كثيرة فكتب عن تفسير القرآن والحديث والفقه والفلسفة وعلم النجوم والتاريخ والبلاغة كما صنف موسوعة في العلوم . ويذكر له بروكلمان ٣٣ مؤلفاً^(١) لازالت باقية حتى الآن .

ولد فخر الدين الرازي سنة ٥٤٤ هجرية في الري وانخرط مبكراً في تنظيمات الدعوة الاسماعيلية وأخذ يحصل علومه في مدارس الدعوة على أيدي كبار الدعاة في بلدة (المراغة) وارتحل الى (خوارزم) وما وراء النهر داعياً لتلك البلاد بعد أن أنهى دراسته الأولية . ومن ثم قصد مقر الدعوة في (ألموت) حيث زار الامام الاسماعيلي (أعلا محمد) فدرس عليه مدة من الزمن حتى أتقن آخر مرحلة من مراحل الدراسة المذهبية^(٢) فاختره الامام ليتولى شؤون الدعوة في أذربيجان ، فرحل اليها واستقر فيها يلقي المجالس والمحاضرات ويصنف ويبحث فترة من الوقت ثم تعرض للاضطهاد كغيره من دعاة الاسماعيلية فسجن بايعاز من السلطان محمد خوارزم شاه ؛ وقيل أنه صنف أكثر كتبه العلمية وهو في السجن وبعد أن اطلق سراحه توجه الى مدينة (هراة) حيث أدركته الوفاة سنة ٦٠٦ هجرية . وهكذا قضى هذا العالم الفاضل والداعي الكبير نجه بعد أن تعرض في حياته التي

(١) Brockelmawn : Gesch. s. Arab Litt. Vol. 1 p.p. 506 - 508

(٢) نور مبین حبل الله المتين لجناراً : ص ٤٠٦ .

استمرت اثنان وستون عاما الى التشريد والسجن والاضطهاد في سبيل المبادئ
الفلسفية التي كان يبشر فيها ؛

ومن الجدير بالذكر أن أغلب مؤلفاته كانت باللغة العربية وقيل أن آخر
تأليفاته رسالة (في ذم الدنيا) كتبها في مدينة هراة سنة ٦٠٤ هجرية ، وله
أيضا كتاب (الاختيارات العلائية) باللغة الفارسية . أهدها الى امامه (أعلا
محمد) بعكس ما قيل بأن الاهداء كان لملك خوارزم (علاءالدين خوارزمشاه)
وصنف في سنة ٥٧٤ هجرية موسوعة العلوم الشهيرة ، التي لا تزال حتى
الآن تشغل مكانا علمياً ممتازاً في الاوساط العلمية في مختلف أنحاء العالم ،
وله أيضا عدة مؤلفات مذهبية وفلسفية وخاصة في علم التأويل الذي نبغ
فيه دعاة الاسماعيلية منها :

- ١ - كتاب عالم الافلاك الروحاني ٢ - النجوم السائرة والارواح
- الطاهرة ٣ - الاحاديث الظاهرة ٤ - الأنوار . علوم آل محمد . الخ . . .



حرف القاف

قاسم شاه بن شمس الدين محمد

في عهد هذا الامام واجهت الاسماعيلية النزارية أزمة حادة بسبب ادعاء مؤمن شاه شقيق الامام قاسم شاه الامامة حيث تبعه فريق من الاسماعيلية الذين شردوا من قلاعهم وحصونهم اثر كارثة المغول المشهورة ، واعترفوا به وبأولاده من بعده حتى انقطعت سلسلته في سنة ٩٥٠ هجرية وآخر امام من أئنتها طاهر شاه المعروف بالدكني (١) وسنأتي على ذكر أئنة هذه السلسلة في غير هذا المكان ، والاغلبية الساحقة من الاسماعيلية ظلوا على اخلاصهم للامام قاسم شاه بن شمس الدين محمد صاحب النص الشرعي والابن الأكبر للامام شمس الدين محمد المولود سنة ٦٦٠ هجرية في مدينة (زردوز) في أزربيجان وقد تسلم الامامة بعد وفاة ابيه شمس الدين محمد سنة ٧١٠ هجرية فوجه اهتمامه لتوزيع المهاجرين الاسماعيلية على الهند ، وافغانستان ، وبلاد الشام ، ومثلتان ، وبامير وغيرها من المناطق ووزع الدعاة الاكفاء ذوي المقدرة العلمية على الاقطار التي لم تصل اليها التعاليم الاسماعيلية ، فأوفد الداعي (شاه نزاري) الى وسط الهند والداعي بهاء الدين زكريا الى بالخشنان والتبيت وكشمير ، والداعي شمس الدين علي الى (مثلتان) والمناطق المجاورة لها (٢) ، وشمس الدين سبنداوري في هندوستان (٣) وعين أخيه وحجته ونائبه (في أول الامر) مؤمن شاه مثالا له في فارس وقزوين وبلاد الشام ، وأخيه الاصغر (كياشاه) داعياً لمنطقة آلموت والبلاد القريبة منها حتى حدود

-
- (١) الطائفة الاسماعيلية : كامل حسين ٨٧ ، نور مبین جبل الله المتين : جنارا : ٤٧٦ ، الشيعة في الهند Hollister ص ١١٧ .
(٢) نفس المصدر : كامل حسين : الشيعة في الهند Hollister : ص ١١٨
(٣) نور مبین جبل الله المتين ، لجنارا : ٤٨١ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٢٢٨ .

كيلان على أن يكون مقره في (مآهيان)^(١) وبعد فترة من الوقت أته رسائل الدعاة عن طريق الحمام الزاجل تبشره بنجاح الدعوة ، وبنفس الوقت وردت الى مقر الامامة معلومات سرية خطيرة تفيد بأن شقيقه مؤمن شاه استغل منصبه كحجة للامام وممثلا له في فارس وبلاد الشام وأخذ يغوي بعض الدعاة من ذوي النفوس الضعيفة الذين يبحثون عن المناصب ليقبوا الدعوة باسمه ، وبالفعل تسكن من استمالة بعض المشردين وقسما من سكان القلاع والحصون السورية ، فبادر الامام قاسم شاه الى تعيين الكتب مع دعائه المخلصين وطلب منهم ان يتجولوا في جميع المناطق ويعلموا ان مؤمن شاه ادعى الامامة لنفسه بدون حق ، اذ لا يمكن ان يصبح اماما الا صاحب النص الشرعي المعترف عليه ، وحظر الجميع اتباعه تصديق دعواه . وبالرغم من كل هذا تبع مؤمن شاه قسم ضئيل من الاسماعيلية وساقوا الامامة فيه ولقبوا (بالجون دهرمية) أو (المؤمنية)^(٢) ويستدل من المعلومات التي بين أيدينا ان هذه الفرقة بقيت محافظة على التعاليم الاسماعيلية ولعبت دوراً هاماً في تاريخ ايران والمناطق المجاورة ، ولا يزال قسم صغير جدا يعد بالعشرات من هذه الفرقة في مصيف والقدموس ، وفي قرب الحدود الروسية الايرانية ، وامامهم من سلالة مؤمن شاه لا يزال مستوراً عن الانظار ولا يعرف عنه شيء وقيل لم يبق من السلالة أحد^(٣) .

ويستدل من المصادر التاريخية ان هذا الانقسام لم يكن له أي تأثير على انتشار الدعوة حيث ازدهرت في خراسان وطبرستان وكرمان والديلم ، وكيلان وكريك والمناطق المحيطة بالموت ، وازداد عدد معتنقي المذهب الاسماعيلي في افغانستان وبلوخستان وهندوستان وكشير ، والهند بصورة عامة ، ولقد أظهر الداعي الكبير الفيلسوف شمس الدين سبزاوري نشاطا عجيبا

(١) الشيعة في الهند : Hollister : ص ١١٨ .

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : ص ٢٢٨ .

(٣) الطائفة الاسماعيلية ص ٨٧ .

في الهند وملتان وبامير فلقبه الامام (بير شمس الدين) (١) .

وفي بلاد الشام ظل القسم الاكبر من الاسماعيلية في حلب وبقية القلاع على ولائهم لقاسم شاه وكان يتزعمهم موسى حسن القصار الذي نظمهم خير تنظيم وجمع صفوفهم فازداد عددهم (٢) ولكن هذا الداعي الكبير لم يلبث طويلا حتى توفي في مدينة حلب وشيع جثمانه باحتفال كبير وقيل ان عدد الفدائية الاسماعيلية الذين ساروا وراء نعشه بلغ عشرون الفا، وباتتهاء حياة هذا الداعي زال نفوذ الاسماعيلية وسيطر عليهم الخمول والكسل ففرق شملهم واتابتهم المصائب والمحن وتألب عليهم الجوار ، واستبيحت دماؤهم وقتلوا اينما وجدوا ونهبت مستلكاتهم ، واحتل السلطان قسم كبير من بلادهم، كل هذا حدث بعد وفاة الظاهر بيبرس وتولي السلطات المنصور قلاوون الحكم ، وبعد هذه النكبة في حلب وتوابعها غادر أغلب الاسماعيلية حلب وتوغلوا مستترين في المدن السورية .

ويذكر التاريخ ان الاسماعيلية قد تسكنوا من السيطرة على اقليم السند كله ، وظلوا يسيطرون على ذلك الاقليم مدة طويلة (٣) .

وعلى العموم تنفس الاسماعيليون الرجاء في عهد هذا الامام الذي اشتهر بكثرة التجوال لتفقد شئون اتباعه ، وقيل انه كان عالما زاهدا تقياً ورعاً يعيش عيشة التقشف والتصوف ، نبع في عهده دعاة علماء كان لهم تأثير كبير في نشر المذهب الاسماعيلي في الهند والسند ، وافغانستان ، وقيل أيضا ان الامام أسس مركزاً كبيراً لتدريب الدعاة في (ملتان) .

وتوفي سنة ٧٧١ هجرية ودفن في مدينة (قائم اباد) من بلاد ايران بعد أن نص على امامة ولده اسلام شاه .

(١) نور مبين جبل الله المتين : جنارا : ص ٤٨٣

(٢) الدولة النزارية : ص ١٩٤ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٢٢٨ .

(٣) الطائفة الاسماعيلية : كامل حسين ص ٨٩ .

قاسم علي شاه

عثرنا في المصادر التاريخية الاسماعيلية في الهند على ترجمة كاملة لحياة وأعمال الامام قاسم علي شاه ويستنتج منها على انه ولد في مدينة (كوهك شاه نزار) سنة ١٠٩٠ هجرية وتسلم الامامة بعد وفاة أبيه سنة ١١٠٥ هجرية باحتفال كبير وافراح عظيمة عمت جميع البلدان الاسماعيلية ، وتذكر تلك المصادر ان الامام قاسم علي شاه قد تدخل فعلا في سياسة ايران الداخلية ، وقد سيطر على البلاط الملكي سيطرة تامة واخذ يوجه سياسة البلاد حسب ما تقتضيه المصلحة العليا للملكة ، وقيل انه قدّم قروضا كبيرة للسلطان حسين بن سليمان الصفوي ، الذي اعترف باستقلال منطقة كرمان الاسماعيلية اداريا ، حتى ان كافة الوظائف الادارية في تلك البلاد كانت بيد الاسماعيليين^(١) .

ويستدل أيضا من ترجمة حياة الامام قاسم علي شاه على أنه كان عالما اديبا قدم خدمات علمية كبرى وساعد العلماء والفلاسفة والادباء . وكان يقيم بصورة دائمة في محلات . وتزوج ابنة الشاه طهماسب الثاني الصفوي (شهرمين) ، وهذا الزواج يدل على أن الصفويين كانوا ينشدون التقرب من الأئمة الاسماعيليين لاكتساب تأييدهم ويتخذوا منهم قوة في المجالات الداخلية والخارجية ، وهذا دليل واضح على ان الاسماعيليين كانوا يشكلون قوة فعالة في ذلك الوقت ، واستعان الصفويون أيضا بكبار علماء وفلاسفة الاسماعيلية وسلموهم المناصب الكبرى في الدولة ، وقيل ان اغلب اساتذة ومعلمي المعاهد الايرانية أصبحوا من علماء الاسماعيليين^(٢) .

(١) نور مبین جبل الله المتین : جنارا : ص (٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨)

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : ص (٢٦١ - ٢٦٢)

ولقد أوجد هؤلاء العلماء بالتعاون مع العلماء والفقهاء الاثنا عشرية
الانظمة والقوانين المشتقة من الفقه الجعفري ، ولا يزال يعمل فيها في أغلب
المحاكم والمؤسسات الحقوقية والقانونية في ايران •

ويستدل ان الامام قاسم علي شاه كان يتونى بنفسه ادارة شؤون مقاطعة
كرمان ؛ وقد قدم من اموال الصندوق الاسماعيلي العام المساعدات لميزانية
المقاطعة لتتسكن من تحسين احوال المواطنين •

وفي عهد هذا الامام اندلعت ثورات قبلية داخلية وخارجية في ايران
واضطرت الاحوال في البلاد ، بعد ان فنتح بغداد من قبل الاتراك ، وغزت
عساكر علي خان القاجاري ايران فاحتلت بندر عباس وتوغلت في البلاد
واخيرا قتل شاه طهماسب الثاني سنة ١٤١ هجرية • فاجتمعت الاسرة الصفوية
واتخبوا عباس الصفوي ، ولكنه لم يتمكن من وقف تيار القبائل القاجارية
بقيادة نادر شاه فاستولوا على المملكة الصفوية وطردها الملك (١) •

وقيل ان نادر شاه هذا كان من أعز اصدقاء الامام قاسم علي شاه
فخطب نادر شاه وده ولاقى تأييده •

وتوفي الامام قاسم علي شاه سنة ١١٤٣ هجرية ودفن في مقاطعة (كerman)
ولا يزال قبره مشيدا •



(١) نو رميين جبل الله المتين جنازا : ص ٥٥٩ .

قيس بن منصور الدايعي

من كبار شعراء ، وعلماء ، وفلاسفة ، الدعوة الاسماعيلية النزارية في سورية ، الذين قضت الحروب والنكبات التي ألمت بالاسماعيلية في جهات حلب على آثارهم الفكرية .

كانت ولادة الشيخ قيس بن منصور في بلدة (دايع) من أعمال حلب سنة ٥٩٧ هجرية . اشتهر وعرف بسيدنا (الدايعي) نسبة لمسقط رأسه ، تلقى علومه الاولى في مدارس الدعوة الاسماعيلية في مدينة حلب ، ومن ثم أرسل في بعثة دراسية الى فارس لاتمام تحصيله العالي في مركز الدعوة في قلعة (ألموت) على الامام الاسماعيلي علاء الدين محمد ، ولما مثل بين يدي الامام ألقى قصيدته الميمية العصاء في مدح آل البيت ومنها :

الدين محترم والحق منتظم	بآل بيت رسول الله معتصم
أئمة الهدى أنوار مشعشة	تكشف لهم الآفاق والظلم
هم الحماة لدين الله ، فاعتصموا	بجلهم ، ولهم في العز مغتتم
مولاي جئت من الشهباء مرتحلا	لكي أعبّ من العرفان ما أسم
عهدتكم للورى نبراس معرفة	ومن منابتكم تستقطر الحكم
لئن تشرف قيس في مديحك	فذاك فخر تناهى دونه الامم

وفي سنة ٦٤٨ هجرية عاد الى حلب فوضع تحت تصرف رئاسة الدعوة في بلاد الشام كداعي سيار ، فأخذ يتجول على كافة القلاع والحصون الاسماعيلية واعظا ومرشدا ومحاضرا ، وأخيرا استقر في حلب حيث عكف على التصنيف والتأليف والتدريس حتى اصيب بمرض اقعده عن السير مدة عام تقريبا ، وفي مطلع عام ٦٥٥ توفي في محلة باب النيرب بحلب ونقل جسده الى مسقط رأسه في دايع حيث دفن باحتفال مهيب .

ترك لنا الداعي الداخي غير أشعاره الكثيرة عدة رسائل فلسفية ومؤلفات مذهبية لم يبق منها الا الكتب التالية :

١ - رسالة السماء والعالم (١) .

٢ - رسالة كشف الاسرار المخزونة في تأويل القرآن وحقيقة أئمة الزمان .

٣ - رسالة التحقيق لاهل الايمان والتصديق (١) .

٤ - رسالة الاسابيع (٢) .

ولما كان هذا الداعي غزير المادة كما يتضح من المصادر الاسماعيلية ، لذلك أعتقد بأن له مؤلفات كثيرة ولكنها اما ان تكون مفقودة بفعل الزمن ، أو ان مالكيها يحرسون عليها ويخفونها عن الاعين . فالى ان تتوفر لنا معلومات أخرى عن هذا العالم نكتفي بما اوردناه .



(١) هذه الرسائل موجودة في مكتبي الخاصة ضمن مخطوط اساعيلي فيه عدة رسائل اسماعيلية .

(٢) حققها عارف تامر ضمن خمس رسائل اسماعيلية .

صرف المكاف

كريم بن علي بن محمد شاه الحسيني (آغا خان الرابع)

ما كادت صحف العالم واذاعاتها تردد نبأ وفاة (آغا خان الثالث) سلطان محمد شاه الحسيني في سويسرا حتى توجه زعماء الاسماعيلية من مختلف انحاء العالم الى مقر (الآغا خان) في قصر بركات بسويسرا حيث وصلت وصية الامام الراحل على متن طائرة خاصة من لندن حيث كان بنك « لويدز » محتفظا بها . وقد كانت الوصية كما يلي :

« نظرا للظروف التي تغيرت تغيرا أساسيا في العالم ، في السنوات الاخيرة ، ونظرا للتغيرات الكبرى التي وقعت ، ومن بينها اكتشاف العلوم الذرية ، فاني على يقين ان مصلحة الطائفة الاسماعيلية تقتضي ان يخلفني شاب نشأ وترعرع في السنوات الاخيرة وسط هذا العصر الحديث ، وان تكون له نظرة جديدة للحياة عند تولي زعامة الطائفة الاسماعيلية ، لذلك : أختار حفيدي « كريم » ليكون خليفة لي ، وزعيما للطائفة من بعدي . ! » .

واستنادا الى هذه الوصية اعلنت امامة كريم بن علي شاه الحسيني ولقب (بأغا خان الرابع) ووجه الى عموم الاسماعيلية في العالم البرقية التاريخية التالية : عن جنيف في ١٤/٧/١٩٥٧ الى مراكز الدعوة الاسماعيلية في جميع أقطار العالم : « بمناسبة تسلي الامامة المقدسة ، بموجب ارادة جدي المطلقة الجديرة بالذكري والاحترام ، أرسل بركاتي الابوية ، والامومية لجميع أبناء الروحين الاعزاء في كافة أنحاء العالم . ! »

« آغا خان الرابع »

كانت الفرحة عظيمة لدى الاسماعيلية ، بالامام الجديد ، فنفضوا عن

سواعدهم غبار الكسل ، وتحفزت مشاعرهم استعدادا لمعركة البناء الفعال ،
واقامة المجتمع الاكمل الذي يلائم مقتضيات التطور ومتطلبات العصر
الحديث •

ولم تكن سلمية ، وتوابعها ، الا في طليعة مناطق الاسماعيلية استعدادا
واستشارا • ووثقت في أنها ستعيد سيرتها الاولى في ان تلعب الدور الطبيعي
في الاشعاع الفكري ، والمنطلق القوي الذي يوجه امكانيات الاسماعيليين في
العالم أجمع لما فيه الخير والفلاح •

كانت ولادة كريم بن علي بن سلطان محمد شاه الحسيني (آغا خان
الرابع) في ١٣ كانون الاول سنة ١٩٣٦ في مدينة جنيف بسويسرا ، أمه
الاميرة البريطانية (جون بربارا يولد) ابنة اللورد تشارستون • تلقى علومه
الاولية في مدارس سويسرا ، فأتقن الانكليزية والافرنسية والاسبانية ، كما
درس اللغة العربية واخذ يتكلمها وهو في العاشرة من عمره ، أظهر تفوقا
 بالرياضيات ، وبعد ان اكمل تحصيله في سويسرا انتسب الى جامعة (هارفرد)
الاميركية ••

عرف بين أقرانه بالذكاء الحاد والنشاط في جميع الحقول ، اشترك في
كافة فرق الجامعة الرياضية ، كثير المطالعة ويقول رفاقه في الجامعة ان
باستطاعته ان يمسك كتابين انكليزيا وفرنسيا وان يقرأهما معا • وعرف كذلك
أنه محظوظ جدا وذلك لنجاته مرتين من حادثتي اصطدام مروعتين •

الاولى عندما انفجر يخته في سان توريز ، والثانية بحادث اصطدام
سيارته في باريس ، واستنادا الى وصية حده (آغا خان الثالث) تولى الامامة
في ١٤/٧/١٩٥٧ وكما جرت العادة لدى تنصيب كل امام جديد قام بجولته
لاخذ البيعة من الاتباع ولاقامة مراسيم تنصيبه ، فاقامت له أول حفلة تنصيب
في دار السلام في (تنكانيكا) في ١٩ تشرين الثاني عام ١٩٥٧ وفي نيروبي عاصمة
(كينيا) في ٢٢ منه وفي كمبالا عاصمة أوغندا في ٢٥ منه ، وقد شهد هذه

الاحتفالات مندوبون عن الطائفة من جميع انحاء العالم . وكذلك احتفل بتنصيبه في كراتشي عاصمة باكستان في ٢٣ شباط ١٩٥٨ وفي (دكا) عاصمة باكستان الشرقية في ١٢ منه ، وفي ٣٠ تموز عام ١٩٥٩ زار سورية واحتفل بتنصيبه حسب الاصول المتبعة لدى الطائفة الاسماعيلية .

ولقد تمخض عن زيارة (آغا خان) لسورية كما كان متوقعا اجراء تعديلات جذرية في تنظيمات الدعوة واجهزتها ، واعلن عن تبرعه ببعض المساعدات المادية لتنشيط العلم ، وايفاد البعثات الطلابية على نفقته الخاصة للدراسة في الخارج ، كما وضع بعض الاموال باسم بنك أهلي لمساعدة المزارعين والتجار .

ولا بد ونحن نقارب الانتهاء من الحديث عن امامنا الحاضر (آغا خان الرابع) أن ننوه بأن بعضا من الذين وضع ثقته فيهم ، وتم تعيينهم في ظروف استثنائية غير طبيعية بتأثير من بعض العوامل المحلية القاهرة ، جنحوا عن الخط القويم الذي رسمه لهم ، واستغلوا ثقته بهم ، فراحوا يتخبطون في دوامة المنافسات الشخصية ، مستسلمين لاهوائهم ضارين عرض الحائط بقدسية الامانة الملقاة على عاتقهم ، فتسببوا بتعطيل أمور الدعوة ، وبعثرة أموالها ، وتبزيرها بطرق لا تتفق ومصالحة الطائفة العالية .

ولنا وطيد الامل في ان يعالج امامنا الشاب ، بما امتاز به من مقدرة على تصريف الامور ، تلك الاوضاع الشاذة ، مقتفيا سيرة اجداده الأئمة السالفين ، ويخلص الطائفة ممن تسلطوا عليها من مرضى النفوس الذين أعمتهم مصالحهم الخاصة ، وشهوة التحكم والسيطرة بمقدرات الطائفة .



كيا بزرك أميد

كان للمدارس الاسماعيلية التي أوجدها الحسن بن الصباح في المناطق الاسماعيلية اكبر الاثر في ايجاد نخبة ممتازة من الدعاة والعلماء والقادة الذين لعبوا دورا فعالا في التطورات السياسية والعسكرية والعلمية في آسيا .

ومن اولئك القادة التي انجبتهم تلك المدارس الداعي الكبير (كيا بزرك أميد) وتذكر المصادر الاسماعيلية انه ولد في بلاد الهند في عائلة اسماعيلية عريقة ، لذا قرر ابوه ان يرسله وهو في سن مبكرة ليدرس في مدارس الدعوة الاسماعيلية في فارس وبالفعل انضم الى مدرسة الفدائية في ألموت فاطهر نبوغا عجيبا وقام بتنفيذ مهمات كثيرة اوكلت اليه ، فترقى في المراتب حتى أصبح مقدا على قلعة (لامبير) وقائدا لفرقة الفدائية فيها ^(١) . وحاكما على قلاع (رودبار) .

ولقد أذهل عارفيه بحسن قيادته وتنظيماته العسكرية ، واجادته النادرة لتطبيق عنصر المفاجأة ، ولما زاعت شهرته في كافة القلاع استدعاه الحسن ابن الصباح سنة ٥١٧ هجرية وسلمه قيادة المنظمات العسكرية وجعله نائبا له .

ولم يكن هذا القائد مختصا بالامور العسكرية فحسب ، بل كان ميالا الى العلم والمعرفة وله باع طويل في الدراسات الفلسفية ، ونظريات قيمة عميقة في علم التأويل ، ولما توفي الحسن بن الصباح اختاره الامام علي الهادي ليحل محله وكان ذلك سنة ٥١٨ هجرية ، فعمد بدوره الى ادخال التنظيمات الجديدة في صميم الانظمة العسكرية التي كان قد أوجدها الحسن بن الصباح ،

(١) نور مبین جبل الله المتین : لجنارا ص ٣٨١ .

مما ساعده على احتلال المواقع الكثيرة وصد الجيوش الجرارة التي كانت تهاجم الاسماعيلية على الدوام (١) .

وتوفي الداعي القائد كيا بزرك أميد سنة ٥٣٥ هجرية ودفن في قلعة ألموت . ولا بد لنا ونحن نستعرض ترجمة هذا الداعي الكبير من ان نتعرض لاقوال المؤرخين الذين أشاروا اليه من طرف خفي وقالوا أنه ادعى الامامة لنفسه بعد وفاة الحسن بن الصباح دون ان يعبا بأولاد نزار اصحاب الحق الشرعي مما حدا ببعض المتعصبين من الدعاة والقادة الى اعلان الثورة والتمرد عليه فاعدم منهم خمسمائة اسماعيلي .

ان هذه الرواية بعيدة عن الواقع والحقيقة ، وهي عبارة عن دس وتحامل من قبل الاعداء الذين أزهلهم الاقبال على الانخراط في صفوف الاسماعيلية فحاولوا تشويه سمعة هذا البطل والظعن في نسب الأئمة من نسل نزار وهو لا يخفى على كل ذي عينين (٢) .



(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٢٠٣ .

(٢) تاريخ الادب في ايران : لبراون (ص ٥٧٦ - ٥٧٧) .

ملك بن مالك الحمادي الهمداني

عندما شعر المهتمون بأمور الدعوة الاسماعيلية في مصر بأن مركز الخلافة بدأ يتزعزع قرروا ان يختاروا مكانا آخر يجعلوه مدرسة لتدريب الدعاة وبنفس الوقت لنقل التراث العلمي الاسماعيلي او بالاحرى قسم منه الى المكان الجديد الذي سيقع اختيارهم عليه ، وبعد البحث قرروا ان يجعلوا من اليمن مكانا ثانيا لمدارس الدعوة الاسماعيلية • نظرا لوفرة العلماء فيها وملكاته ملوكها السامية بالنسبة للخليفة الفاطمي واخلاصهم الدائم ؛ لذا فقد كلف الامام المستنصر رئيس بعثة الصليحي قاضي القضاة ملك بن مالك الحمادي الهمداني الذي قدم الى القاهرة على رأس وفد من وجوه اليمن ليستأذنوا للملك الصليحي لاداء فريضة الحج بعد ان تم له فتح جزيرة اليمن بأسرها (١) •

والمصادر الاسماعيلية التي بين أيدينا تدل على أن قاضي القضاة لملك ظل في القاهرة مدة خمس سنوات كان خلالها يعيش في دار المؤيد في الدين الشيرازي يدرس عليه • ويأخذ عنه ، ويكتب ما استفاده منه الى ان استوعب ما عنده ، واخيرا قدم له المؤيد سبعا وعشرين مسألة فأجاب عنها جميعها ، فاتضح لباب الابواب سيدنا المؤيد انه أصبح جديرا برئاسة مدارس الدعوة اليمنية ، ولم يكتف بهذا القدر من العلم بل كان يحضر المجالس المستنصرية طوال مدة اقامته في القاهرة ، وبذلك وقف على التعاليم المهمة من باب الابواب وقد كان لهذه التعليمات والارشادات الاثر الفعال في توجيه الدعوة الاسماعيلية في اليمن •

(١) نزهة الافكار لادريس عماد الدين ٨٤/١ - ٨٥ عيون الاخبار للداعي

ادريس ١٠٣/٧ •

ولما علم الامام المستنصر باغتيال الملك عني الصليحي وهو في طريقه الى الحج ، اثر كتاب وصله من السيدة الحرة اروى الصليحي تعلمه بالخبر وتطلب ان يوافق على تعيين ولدها المكرم عوضا عنه ، كتب الامام المستنصر كتابا أرسله مع القاضي ملك بن مالك بعد ان تم دراسته في القاهرة واصبح جديرا ليكون رئيسا لمدارس الدعوة اليمنية وكان ذلك سنة ٤٥٩ هجرية أو سنة ٤٦٠ هجرية ولقب بداعي (القلم) . ومما جاء في سجل الامام المستنصر الذي أرسله مع ملك بن مالك ما ذكره ادريس عماد الدين فقال (١) « ... وساق الى ولدك (المكرم) من التشريفات والالقب ما شفعه بما هو أزيد من ذلك صحبة : قاضي قضاة اليمن ملك بن مالك » . وما كاد ملك بن مالك يحط الرحال في اليمن ويسلم الكتاب الى السيدة الحرة ويعلمها بأنه مكلف من قبل الامام المستنصر وباب ابوابه المؤيد في الدين لتنفيذ سياسة معينة بالنسبة للدعوة حتى أخذ الملك ووالدته السيدة اروى لايقطعان أمرا من امور الدولة والدعوة الا اذا استشاراه ، نظر للمكانة العظيمة التي أصبح يتستع بها ، وكان القاضي ملك في بعض الاوقات يوجه للملك المكرم النصائح واحيانا ينهاء عن بعض المسائل بقوله : « انك في الملك في مقام الامام عليه السلام ، فلا ينبغي لك ان تتواضع عن منزلتك (٢) » . ويذكر الداعي ادريس أيضا فيقول ما معناه ان الملك المكرم كان « داعي السيف » وكان ملك داعي القلم (٣) : « وارسل الامام عليه السلام الداعي الاجل ملك بن مالك الى اليمن ، فأقامه داعيا مع الداعي الملك المكرم ، وأمر المكرم بأن يقوم بالسيف والقاضي ملك داعي القلم ، وجعل الى الملك المكرم امر الملك والسياسة ، والى الداعي ملك اقامة القضاء وأمور الدعوة (٤) ومن هنا يتضح ان الملك المكرم

-
- (١) السجلات المستنصرية رقم ٥٥ . عيون الاخبار ١٨٨/٧ .
 - (٢) عيون الاخبار للداعي ادريس ٧ / ١٠٤ .
 - (٣) عيون الاخبار للداعي ادريس ٧ / ٨٣ .
 - (٤) نزهة الافكار لادريس عماد الدين ٨٣/١ .

كان الرئيس الاعلى للدولة والدعوة ، ولكنه ترك امر الدعوة للقاضي ملك يتصرف فيها بالرجوع اليه . ومن هنا ايضا نلاحظ ان تغيرا اساسيا قد حصل في صلب دستور الدعوة الاسماعيليه في اليمن ، لان امور الملك والدعوة كانت مركزة في شخص الملك ، على حين اشترك مع الملك القاضي ملك في ادارة شئون الدعوة ، وفي عهد الملكة أروى وبعد ان اصبحت تحصل لقب حجة الامام ، قال صاحب العيون ادريس ^(١) : فرفعت بذلك عن حدود الدعاء الى مقامات الحجج ، وكفلت كافة المؤمنين ، والدعاة الميامين ، والحدود والمستجيبين خير كفالة . واوضحت البرهان في ولاية الأئمة عليهم السلام ، وأظهرت معالم الدعوة للتابعين ، واستعانت في تشييته قواعد الدعوة بقاضي القضاة ملك الذي لقب في عهدها بداعي البلاغ » واستمر ملك بوظائفه العديدة يعمل بجد ونشاط الى ان وافته المنية في ٢٧ جمادى الاخرى سنة ٥١٠ هجرية ودفن في بلهـاب .

ولقد لعب هذا الداعي الكبير دورا هاما في تاريخ الدعوة الاسماعيليه في بلاد اليمن . وعاصر علي بن محمد الصليحي والمكرم والسيدة الحرة أروى الصليحي ، ويذكر التاريخ أنه كان عالما نحريرا وفيلسوبا عبقريا خدم الدعوة الاسماعيليه خدمات عظيمة ، وزود مكتبتها بعدد من المؤلفات الضخمة التي تبحث في كافة العلوم المذهبية وانفقهية ولا تزال كتبه في خزائن الدعوة الاسماعيليه البهريه في الهند ولم يصل لدينا ما يشير الى عدد مؤلفات هذا الداعي الكبير .



(١) عيون الاخبار للداعي ادريس ١٤١/٧ .

حرف الميم

محمد بن أحمد الرفنة

من كبار الدعاة الاسماعيليين النزارية في سورية ، الذين اخذوا على عاتقهم نشر الدعوة الاسماعيلية في بلاد الشام محمد بن احمد الرفنة •

اشتهر وعرف بين الاسماعيلية السوريين بخصومته العنيفة مع اتباع الفرقة المؤمنية ، الذين خرجوا على الدعوة الاسماعيلية ، وكان هؤلاء بالحقيقة مجموعة من ذوي النفوس المريضة (اما حاقد موتور ، او وصولي انتهازي) لذلك اعتبرهم الدعاة من الخوارج ، الواجب المجاهدة معهم ، لتخليص الدعوة من شرورهم •

ولد الشيخ محمد بن أحمد الرفنة^(١) في (بارين أو بعرين^(٢)) وما كاد يبلغ الثامنة من عمره حتى ظهرت عليه علائم النجابة والذكاء وقوة الحافظة ، درس على أبيه الشيخ احمد الرفنة أصول المذهب الاسماعيلي وعلوم الفلك والرياضيات ، ومن ثم أرسله ابوه الذي كان داعيا في جهات (بعرين) في ذلك الوقت الى مصيف المركز الرئيسي للدعوة الاسماعيلية في بلاد الشام لاتمام تحصيله العقائدي ، فأظهر نبوغا عجيبا ، لما كان يتمتع به من مقدرة فائقة على الجدل والمناظرة وسرعان ما اطبقت شهرته جميع الاوساط الاسماعيلية في بلاد الشام • فانتخب في بعثة دراسية اوفدت الى

(١) نسبة الى مكان ولادته .

(٢) يقول عنها ابو الغداء بتقويم البلدان ص (٢٥٩) هي بلدة صغيرة ذات قلعة قد دثرت ولها عين وبساتين ، وهي على مرحلة من حماه الى الفر بيملة يسيرة الى الجنوب وبها عمارة قديمة تسمى (الرخنية) لها ذكر شهر في التاريخ .

مقر الامام الاسماعيلي اسلام شاه في مدينة (بابك) في فارس ، فظل هناك حتى أعلنت وفاة الامام اسلام شاه سنة ٨٢٧ هجرية • وحل محله ابنه الامام محمد بن اسلام شاه • واثناء حفلات التنصيب التمس وفد الاسماعيلية في سورية من الامام الجديد ان يختار لهم بعض الدعاة الاشداء الذين يستطيعون الوقوف في وجه دعاة الفرقة المؤمنية التي اخذت تذرقرنها في بعض الجهات السورية ، وخاصة في مدينة حمص • فوق اختيار الامام على الشيخ محمد الرفنة الذي كان موضع ثقة الجميع •

توجه الداعي الشيخ محمد الى حمص ، فجعلها مقرا له واخذ يشتبك بمناظرات علمية مذهبية مع داعي الفرقة المؤمنية (سعد بن داوود البدخشاني) ، واستمر في مقارعتة ومناظرته مدة عام تقريبا حتى اضطره الى مغادرة حمص سرا والعودة الى بدخشان بعد ان انقض اتباعه من حوله • وبعد ثلاث سنوات من الاقامة في حمص توجه الى قلعة (الكهف) فاستقر بها مدة طويلة كان خلالها يتجول على كافة القرى والحصون الاسماعيلية واعظا ومرشدا ومعلما ، ومن ثم عين في مصيف رئيسا لمدرسة الدعوة ، فعكف على التصنيف والتدريس والتأليف حتى توفي سنة ٨٥٩ هجرية ولا يزال ضريحه في مصيف وقد حول مؤخرا الى مسجد للصلاة •

يستدل من المصادر الاسماعيلية السورية ان هذا الداعي الكبير كان غزير المادة ، كثير التأليف والتصنيف ، وله شعر حسن موزع في أغلب المخطوطات الاسماعيلية السورية ، وجل أشعاره في مدح آل البيت وفي الرد على المخالفين ، ترك عدة رسائل ومؤلفات مذهبية وفلسفية نذكر منها :

١ - الرسالة الكافية : تبحث في فلسفة المذهب وتنظيم الدعوة والدعاة والحج •

٢ - رسالة في الرد على البدخشاني : وهي تضم المناظرات العقائدية التي أجراها مع داعي الفرقة المؤمنية في حمص •

٣ — رسالة الشفاء من الوباء : يرد فيها على مزاعم الفرقة المؤمنية ، الذي اعتبرها من الاوبئة الفتاكة التي تنفث سمومها في المجتمع الاسماعيلي السوري •

وباعتقادي ان لهذا الداعي مؤلفات أخرى كثيرة لا تزال موجودة في مصياف والقدموس ، ولكن مع الاسف الشديد فان مالكيها يحرصون عليها أشد الحرص ، فيسترونها عن الاعين ، معتقدين بأن في اظهارها للسأ الكفر كله ، كأنهم لا يزالون يعيشون في القرون الغابرة •

وكم تتمنى لو ان هؤلاء المتعصبين الذين يمتلكون المخطوطات الاسماعيلية يفسحون المجال لمن يرغب من العلماء والكتاب ، وطلاب المعرفة ، للاطلاع على هذه الكنوز الدفينة ، بعد أن زال عهد التستر والتخفي والتعصب المقيت • ولكنهم يفضلون ان تدفن هذه الكنب معهم في قبورهم على أن تظهر للوجود ، فتناولها الايدي درسا وتحليلا •

أما اولئك الذين لا يزالون حتى الآن يصنفون ويخترعون شجرات النسب التي يذكرون فيها اسماء وهمية خيالية اوحتها اليهم مخيلتهم المريضة ، فنقول لهم اتقوا الله ، وحافظوا على الامانة العلمية الملتاة على عواثقكم ، فمثل هذه التصرفات لا تجدي نفعا ، لان الجوهر مهما علتة الاتربة والغبار ، يبقى يشع في الظلام لينير الطريق القويم امام المؤمنين الاتقياء الشرفاء •



محمد بن اسلام شاه

في عهد الامام محمد بن اسلام شاه اصبح للاسماعيلية في الهند سيطرة اقتصادية ونفوذاً وتأثيراً كبيراً على ملوك الاقليم وامرائه ، وعاشوا مواطنين مسلمين ، يعملون في التجارة والزراعة والصناعة ، ومهروا في صناعة الذهب حتى عرفوا « بالسنار » أي الصاغة (١) .

كانت ولادة الامام محمد بن اسلام شاه في مدينة (بابك) الايرانية سنة ٧٧٢ هجرية . تولى الامامة بعد وفاة ابيه سنة ٨٢٧ هجرية ، فاقتفى اثر ابيه فوزع الدعاة على المناطق ورتب لهم المعاشات الكبيرة وشيد لهم دورا ليدرسوا فيها أصول المذهب الاسماعيلي ، وقام بجولة تفقد فيها اتباعه في عموم أنحاء الهند ، واختار حسن كبير الدين ليكون حجة له ومشرفا عاما على شؤون الدعوة في جميع أقاليم الهند ، ولما توفي الداعي الكبير بير صدر الدين عين ابنه تاج الدين خلفا له . ويذكر التاريخ ان الامام محمد بن اسلام شاه هو أول من أحدث التغيرات في درجات الدعاة التي كانت في العصور السابقة ، فأصبح لقب (بير) بدلا من الحجة ، و (ملا) أو (آخوند) بدلا من الداعي ، وفي هذه التنظيمات أصبح (الپير) نائبا عن الامام يقع على عاتقه عبء جمع شمل الطائفة وادارة شئونها ، واعتبر من اقرب المقربين للامام ، حاول الامام محمد بن اسلام شاه أن ينهض بالاسماعيليين في بلاد الشام بعد أن خيم عليهم البؤس والشقاء ، وتفشت في صفوفهم التفرقة ، مما أدى الى بعثتهم في المدن ليعيشوا بالتقية والكتمان ، ومال اكثر سكان مصيف والقدموس الى الفرقة (المؤمنية) . فأرسل لهم الاعانات والارشادات وعين

(١) الطائفة الاسماعيلية : كامل حسين ص ١١١ .

لهم الدعوة^(١) .

تزوج الامام محمد من السيدة (خديجة بي بي) ابنة سيد عالم شاه نامي ، وكانت على غاية من الجمال وحسن السيرة ، عالمة ، جليلة القدر متفقهة في أصول المذهب الاسماعيلي ، كما اشتهر زوجها الامام محمد بتقواه وعلمه ومعرفته النادرة العميقة لكافة العلوم والاديان السماوية ؛ وقيل ان الناس كانوا يأتونه أفواجا وجماعات ليدرسوا عليه وليحكم في اختلافاتهم الدينية .

ويقول (جنارا) : « كان قصر الامام شاه محمد عبارة عن ندوة علمية تعقد فيه المناظرات بين العلماء والفلاسفة والفقهاء ، وكان - لذكره السجود - يفصل ويحكم في الاختلافات العلمية^(٢) » .

وهذا دليل واضح على ان الأئمة الاسماعيليين الذين قطنوا أذربيجان بعد كارثة المغول قد تركوا الامور السياسية ووجهوا جلّ اهتمامهم الى الناحية العلمية والتجارية حفاظا على كياناتهم ووجودهم ، فانتشرت دعوتهم في بلاد الهند والسند وكشمير وايران بشكل ملحوظ .

وتوفي الامام محمد بن اسلام شاه سنة ٨٦٨ هجرية .



(١) الشيعة في الهند : Hollister ص ٣٣٤ .

(٢) نور مبین جبل الله المتین : جنارا : ص ٥١٠ - ٥١١ .

محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق

ذكرنا في غير هذا المكان ان وفاة الامام جعفر الصادق أدت الى انقسام شيعته الى عدة فرق منها الفرقة التي نادت بامامة ولده اسماعيل وعرفت بالاسماعيلية ، ولما توفي اسماعيل كان ولده محمد طفلا والذي نص على امامته في حياة جده جعفر الصادق أي قبل سنة ١٤٥ هجرية . وذلك لان الامامة كما قلنا لا يمكن أن ترجع القهقري ، ويستدل من المصادر الاسماعيلية أن ولادة محمد بن اسماعيل كانت سنة ١٣٢ هجرية في المدينة المنورة . وتدور حول امامة اسماعيل أحاديث وروايات متناقضة ومضطربة .

وتذكر بعض المصادر الاسماعيلية أن جعفر الصادق لما عين ولده موسى الكاظم ليكون سترا على حفيده محمد بن اسماعيل صاحب الحق الشرعي ، استبد موسى الكاظم بالامر دون محمد بن اسماعيل وذلك بعد وفاة الامام جعفر الصادق ^(١) ويرى البعض الآخر أن الامام جعفر الصادق عهد الى ميمون القداح الذي كان من أخلص الاتباع برعاية محمد بن اسماعيل حتى يبلغ أشده ، لانه كان طفلا عند وفاة أبيه اسماعيل ^(٢) . ومن هذه الاقوال وغيرها نستطيع أن نؤكد استنادا على المصادر الاسماعيلية أن اسماعيل لم يكن طفلا كما يدعون عندما تسلم الامامة بعد وفاة أبيه لاننا ذكرنا عندما استعرضنا حياة اسماعيل في غير هذا المكان أن اعلان موت اسماعيل في حياة أبيه لم يكن الا تغطية أو بالاحرى ذرا للرماد في عيون العباسيين الذين كانوا يلاحقونه في كل مكان ، ومن الواضح أن وفاة

(١) زهر المعاني للداعي ادريس ص ٤٩ ، ٥١ .

(٢) نفس المصدر ص ٤٧ .

اسماعيل كانت سنة ١٥٨ هجرية وفي ذلك الوقت كان عمر ولده محمد ستة وعشرين عاما ، وبعنقادي أن من كان عمره هكذا ليس بحاجة الى وصاية أو رعاية ، وكل ما هنالك أن موسى الكاظم ادعى الامامة لنفسه بعد وفاة أبيه . وهذه الحادثة مشهورة ورواها اكثر المؤرخين المنصفين ، أما علاقة ميمون القداح في الامر ، فيمومن كان حدا من حدود الدعوة الاسماعيلية برتبة حجة أو باب الأبواب ومن الطبيعي وحسب الانظمة الاسماعيلية يقتضي أن يبقى من يحمل هذه الرتبة مرافقا للامام في حله وترحاله .

ومن الطبيعي جدا أن محمد بن اسماعيل بعد أن أصبح وليا لعهد أبيه بموجب النص الشرعي أن ينظم دعوته ويركز دعائمها قبل وفاة جده ، وبالفعل أخذ يدعو لنفسه وهو في الحجاز وساعده على ذلك حدوده وأتباعه ، خاصة وأن العباسيين كانوا طوال عهد المهدي وقسم من عهد الرشيد مشغولين بحروب الزنادقة والعلويين الثوار .

ففرق الامام محمد بن اسماعيل دعاته في جزائر الارض ، وأمر أهل الجزائر باقامة الدعوة باسمه فعمرت الارض وانتشر الامر ، واقبلوا في السياحة لايجاد دار هجرة لهم ^(١) . ويذكر بعض المؤرخين بأن الامام محمد ابن اسماعيل عندما شعر بالخطر الذي يتهدده من قبل الرشيد العباسي حضر سردابا في داره بالمدينة ، حتى اذا ما شعر بدنو الخطر توارى فيه عن الانظار .

وتتفق المصادر جميعها في القول بان محمد بن اسماعيل استطاع أن يخرج سرا من المدينة ويتوغل في شرق المملكة الاسلامية ، فيقول البعض أنه قصد فرغانة واستقر بها ^(٢) . بينما يرى البعض الآخر أنه استقر في

(١) اسرار النطقاء لجعفر بن منصور : ص ٦٠ .

(٢) W. IVANOW : the rise of the fatimids - : p. 30

نيسابور^(١) حيث تزوج هناك وانجب ابنه عبد الله الرضي الذي عهد اليه بالامامة من بعده .

ويقول غيرهم : ان محمدا بن اسماعيل توجه من المدينة الى العراق فالري ، ومنها الى دوماوند ، حيث استقر بقرية تدعى (سملا) أطلق عليها فيما بعد (محمد آباد) نسبة اليه . وان خروجه لم يكن خوفا من العباسيين بل كان لنشر الدعوة واتقاذ أبنائه ودعاته الى كافة أنحاء العالم الاسلامي .

ونحن وان كنا نتفق مع هؤلاء في بعض ما جاء بهذه الروايات الا أننا نخالفهم في هذه الرواية لأن المصادر الاسماعيلية السورية التي هي بين أيدينا تذكر أن الامام محمد بن اسماعيل عندما كان يقيم في المدينة وينشر الدعوة منها الى جميع البلدان الاسلامية ، شعر الرشيد بما يقوم به ، فكتب كتابا سريعا وزعه على عماله في جميع المناطق يطلب منهم فيه القاء القبض فورا على محمد بن اسماعيل التي تزوج الدعوة باسمه وعلى حججه وحدوده ودعاته أينما وجدوا ، وبطريق الصدفة رأت زوجة الخليفة السيدة زبيدة الكتاب المذكور وباعتبار أنها كانت تميل الى المذهب الاسماعيلي فقد شق عليها أن يلقى القبض على الامام محمد بن اسماعيل فأرسلت اليه صورة عن الكتاب المذكور مع أحد الاشخاص فلما اطلع الامام محمد بن اسماعيل على الكتاب المذكور وعرف نوايا الخليفة تجاهه . غادر المدينة سرا مع حخته ميمون القداح وبعض الدعاة الى الري حيث رحب بهم حاكمها اسحق بن عباس الفارسي باعتباره من الاسماعيلية ، وقدم للامام كل المساعدات التي مكنته من الوصول الى نهاوند حيث استقر به المقام هناك ، وتزوج من ابنة أمير تلك المقاطعة (أبي منصور بن جوش) ورزق منها أربعة أولاد ، هم : عبد الله ، محمد ، أحمد ، الحسين .

(١) زهر المعاني للداعي أدريس عماد الدين ص ٥٤ .

ولما بلغ الرشيد ما فعله اسحق بن عباس الفارسي أمر باحضاره ، فجلد بين يديه حتى مات •

ومن جهة ثانية سير العساكر الى نهاوند لالقاء القبض على الامام محمد بن اسماعيل الذي أخذ ينشر دعوته بسرعة ، ولكن أتباع الامام محمد ابن اسماعيل أحاطوا بعساكر الرشيد وردوها على أعقابها • وخشية أن يرسل حملات أخرى قرر الامام أن يغادر نهاوند فتوجه الى (دوماوند) حيث جعل مقره في قرية (سملا) التي عرفت فيما بعد بـ (محمد آباد) نسبة اليه^(١) •

وتقول المصادر الاسماعيلية السورية أيضا أن الامام غادر محمد آباد سرا الى مدينة تدمر في سورية وكان ذلك سنة ١٩١ هجرية فاتخذها مقرا له وكان الاسماعيليون يأتونها من العراق وفارس (٢) •

ومن تدمر أوفد الى المغرب الداعيين المشهورين الحلواني وأبا سفيان وقال لهما : « انكما ستدخلان أرضا بورا لم تحرث قط فاحرثاها وكرماها وذللاها حتى يأتي صاحب البذر فيضع حبه » •

وبعد أن نظم الدعوة ونشر الدعاة والحجج في جميع البلدان نص على امامة ولده عبد الله ولقبه بأحمد الوفي وتوفي سنة ١٩٣ هجرية ودفن على رأس رابية تقع في الشمال الشرقي من مدينة تدمر ولا يزال ضريحه فيها حتى الآن ويعرف لدى العامة بضريح (مولاي محمد بن علي) •

ويعتبر الامام محمد بن اسماعيل أول الأئمة المستورين ، والناطق السابع ، لان امامته كانت بداية دور جديد في تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، قام بنسخ الشريعة التي سبقتة ، فجمع بين النطق والامامة ، ورفع التكاليف الظاهرية

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٩٠ .

(٢) كتاب الهدى والبيان في معرفة امام الزمان ورقة (٢٥) نسخة خطية .

للمشريعة ، فنأدى بالتأويل ، واهتم بالباطن ولذلك قال فيه الداعي أدریس (١) :
« وانما خص محمد بن اسماعيل بذلك ، لانتظامه في سلك مقامات دور الستر ،
لأنك اذا عدت آدم ووصيه وأئمة دوره ، كان خاتمهم الناطق ، وهو نوح
عليه السلام واذا عدت عيسى ووصيه وأئمة دوره ، كان محمد (ص)
متسلما لمراتبهم ، وهو الناطق خاتم للنطقاء ، وكان وصيه عليه السلام بالفضل
منفردا به ، واذا عدت الأئمة في دوره كان محمد بن اسماعيل سابعهم ،
وللسابع قوة على من تقدمه ، فلذلك صار ناطقا وخاتما للاسبوع ، وقائما
وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس ، ببيان معانيها واطهار باطنها
المبطن فيها » .

ولقد رأينا من الافضل أن نورد للقارىء ما ذكره الداعي أدریس في
كتابه زهر المعاني حول امامة محمد بن اسماعيل بالنص الواحد ليكون على
بينة من الأمر ؛ قال أدریس (٢) :

« وقام محمد بن اسماعيل ، صلوات الله عليه ! وهو سابع الأئمة
وقائمه ، مقابل لجدته علي أمير المؤمنين تمام الدور الروحاني ، والخلق
الآخر الذي هو نفس الشيء وروحه ومعناه ، وهو تمام الدور الاول ، ومنه
ابتداء الدور الثاني .

وكان بالمدينة ، فقام بدين الله سبحانه ، وبث الدعاة ، ونشر العلوم ،
وأمر دعائه بطلب دار هجرة يلجأ اليها . وكان في عصر الرشيد ، فلما بلغه
علم محمد بسبب انتشار دعوته ، أمر بالقبض عليه ، وأن يؤديه اليه .
وكان الامام قد أعد بداره سردابا ينكتم فيه من الضد . فلما وصل الرسول
من الرشيد الى المدينة ، دخل ذلك السرداب واختفى فيه ، وطلبوه فلم يجدوه

(١) زهر المعاني للداعي أدریس ص ٥٦ .

(٢) أدریس عماد الدين زهر المعاني ص (٥٣ - ٥٦) .

ولا قدروا عليه ، فعادوا الى الرشيد ، وانهوا اليه خبر ما فعلوه . ولما هداً
الطلب ، سار الامام في طلب دار هجرته ، وخلف بالمدينة ولدين خاليين من
الامامة ، وهما اسماعيل وجعفر ، وشخص الى نيسابور بنفسه منكتما عن
ضده ، وهو يدور ما بينها وبين الديلم . وتزوج بنيسابور امرأة ،
فولدت له ولدا فسماه عبد الله ، وكني بالرضي ، وعرف عبد الله الامام بالعطار
كتما لمقامه واخفاء له . ونصب له حُجبا ، وأمر كل واحد من الحُجب
والحُجج أن يتسمى باسم الامام ، فمن أخذ العهد على مستجيب ، سمي له
أحد أولئك الحُجب ، حتى يُمضي الوهم اليه سترا على صاحب الامر . وجرت
بذلك السنة والقضية في الأئمة المستورين الثلاثة . فمن ذلك أن الدعاة في
أوضاعهم يسمون هؤلاء الأئمة بأسماء مختلفة ، ما اتفق منها في ذلك اثنان .

فقام محمد باللسان وصمت عنه السيف الى بلوغ الكتاب أجله ، فأظهر
العلوم ، وبين الحقائق وكشف لخصائمه منها السر المكتوم ، فظهرت منه
حقائق ومعجزات ، ودلائل وآيات ، لم تظهر في الأئمة من قبله ، ولا قام أحد
من الأئمة كمثلته ، لانه السابع صاحب القوة والظهور ، والضياء والنور ،
ومبين العلم المستور .

وكان محمد بن اسماعيل متم الدور المنتهية اليه غاية الشرائع المختومة
به ، المشتمل على مراتب حدودها ، المحيط بعلومهم . وهو القائم بالقوة ،
صاحب الكشفة الاولى ، لان القائم بالفعل هو القائم الكلي ، الذي هو
صاحب الكشفة الاخرى والبطشة العظمى ، قائم القيامة الكبرى ، لان القيامات
كثيرة ، أولها المأذون المكفوف ، ثم المأذون المطلق ، ثم الداعي المحرم ، ثم
الداعي المطلق ، ثم داعي البلاغ ، ثم الحجة ، وغايتها الباب . وانما كانت
هذه الحدود قيامات ، كقيام كل واحد منهم بما يتصل من الصور المجردة
المفارقة للجسام الصائرة الى أفقه المعروفة به .

ويتلو هذه القيامات قائم قيامة كبرى ، وهو المقام الذي هو الامام

عليه أفضل السلام ، فهو قائم القيامة ونهاية النهايات ، وكل أحد ممن ذكرنا قائم بنسبة الى من دونه . ويتلوها جميعا قائم القيامة الكبرى ، صاحب البطشة العظمى ، المجتمعة عنده جميع المقامات ، وهو لهم غاية الغايات الشريفة ، الجامع لها وانما وقع عليه اسم الناطق السابع لنطقه بالامر الالهي ، وجمعه للفضل الذي هو اليه متناهي ، وليس بتمم ولا رسول ، بل هو منفرد برتبة الوحدة ، وقد تم التمام ، واتسق النظام . وانما خص محمد بن اسماعيل بذلك ، لانتظامه في سلك مقامات دور الستر ، لانك اذا عدت آدم ووصيه وأئمة دوره ، كان خاتمهم الناطق ، وهو نوح عليه السلام واذا عدت عيسى ووصيه وأئمة دوره ، كان محمد (ص) متسلما لمراتبهم ، وهو الناطق الخاتم للنطقاء ، وكان وصيه عليه السلام بالفضل منفردا واذا عدت الأئمة في دوره ، كان محمد بن اسماعيل سابعهم ، وللسابع قوة على من تقدمه . فلذلك صار ناطقا وخاتما للاسبوع وقائما ، وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس ببيان معانيها ، واظهار باطنها المبطن فيها .

. ومحمد بن اسماعيل لم يبطل شيئا من ظاهر شريعة محمد صلى الله عليه وآله ! بل أكدها ، وأمر بالعمل بها .

وعلى ذلك سنة الأئمة الطاهرين من أبناءه التابعين لهم ، قياما بالتكليفات ومحافظة على المفترضات ، من غير ترخيص ولا اهمال ، ولا ترك ولا ابطال ، وانما عنى الامام المعز بقوله : وعظمت بقيامه ظاهر شريعة محمد ، لما كان لمعانيها مبينا ، ولاسرارها كاشفا ومجليا ، فأزال عن أتباعه وأشياعه اعتقاد الظاهر ، على ما فيه من تعطيل وتشبيه للمبدع الحق بمخلوقاته ، وتمثيل وتجسيم للملائكة الروحانيين ، واعتقاد لذلك ، على ما هو موجود في هذه الدار . فعطل ذلك الاعتقاد ، وبين فيه المراد ، كسفا للحقائق ، واظهار البيان الصادق ، وقياما بالتأويل الذي عرف فيه التوحيد بحقيقته ، ونزه

الباري سبحانه عن صفة خليقته ، وعرفت الملائكة بجوهرها اللطيف ، وبين الثواب والعقاب على ما يعتقدُه أهل التجسيم والتكثيف » •

وعلى العموم لا بد من الاشارة الى أن اسم الابن الذي نص على امامته بعد محمد بن اسماعيل والمعروف لدى الاسماعيلية النزارية • والمدون اسمه على شجرة الامامة هو عبد الله الملقب (أحمد الوفي) لذا من الأرجح أن يكون هذا الخلط بالاسماء قد ارتكب نتيجة لسرية الدعوة ولكثرة الدعاة الذين كانوا كما ذكر الداعي أدريس يسمون باسم الامام تنويها للاضداد ، وحرصا على سلامة صاحب الحق الشرعي ، وباعتقادي أن الاسم الحقيقي هو كما ورد في كتاب الداعي ادريس وغيره (عبد الله) ولكنه لقب (بأحمد الوفي) وهذا هو الأرجح والاصح لان المصادر الاسماعيلية السورية النزارية تعتبر عبد الله الرضي الامام الثاني بعد أحمد الوفي ويعتبرونه ابنا للامام محمد التقي ، ذلك ما تدل عليه كافة المصادر الاسماعيلية السورية وهم أدري بالصحيح لان أئمة دور الستر الاول عاشوا بين ظهرانيهم ، فالمصادر المأخوذة حول هذه القضية من الكتب الاسماعيلية السورية تعتبر أدق وأصح وأثبت من غيرها من المصادر •



ابن الهيثم

يعتبر الفيلسوف أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم من أشهر علماء الرياضيات في العصر الفاطمي (١) ولد في البصرة ونشأ فيها ، ثم رحل الى الشام وعاش في كنف أمير من أمرائها ، فأغدق عليه المنح والعطايا ، ولكن ابن الهيثم قال للامير : « يكفيني قوت يومي » وتكفيني جارية وخادم ، فما زاد عن قوت يومي ان أمسكته كنت خازنك ، وان أنفقته كنت قهرمانك ووكيلك ، واذا اشتغلت بهذين الامرين فمن الذي يشتغل بأمرى وعلمي ؟ فما قبل بعد ذلك الا نفقة احتاج اليها ولباسا متوسطا (٢) وهكذا نرى أسمى معاني الترفع عن المادة الحقيرة تتجسد في نفس ابن الهيثم المبدعة الخلافة ، فينصرف الى العلم والدراسة مكنتيا بما يقيم به أوده ، وليت علماء اليوم الذين يتهافتون على الاصفر الرنان واقتناء السيارات الفاخرة يضعون نصب أعينهم ما قاله ابن الهيثم فيكرسون أنفسهم لخدمة العلم خدمة حقيقية بعيدة عن المادة •

ويذكر التاريخ أن أميرا جاء ابن الهيثم يطلب العلم عليه ، فقال له : أطلب منك للتعلم أجرة قدرها مائة دينار في الشهر الواحد ، فدفع له الامير ما طلبه ، وأقام عنده ثلاث سنوات يأخذ العلم ، فلما عزم الامير على العودة الى بلاده ، قال له ابن الهيثم : خذ أموالك بأسرها فلا حاجة لي اليها وأنت أحوج اليها مني عند عودتك الى مقر ملكك ، ومسقط رأسك ، واني قد جربتك بهذه الأجرة ، فلما علمت أنه لا خطر ولا موقع للمال عندك في طلب

(١) وقيل أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم •

(٢) البهقي : تاريخ حكماء الاسلام ص ٥١ •

العلم ، بذلت مجهودي في تعليمك وارشادك • واعلم أن لا أجرة ولا رشوة ولا هدية في اقامة الخير ، ثم ودعه وانصرف^(١) .

ظل ابن الهيثم بالشام حتى بلغت أخباره الامام الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي ، وقيل ان ابن الهيثم اتصل بداعي دعاة الاسماعيلية في الشام وبعد مناقشات ومجادلات بينهما على ضوء المعتقدات الاسماعيلية ، اقتنع ابن الهيثم بما أورده داعي الدعاة من حقائق علمية ثابتة فأعلن اعتناقه المذهب الاسماعيلي ، وعرض على داعي الدعاة أن يبلغ الامام الحاكم عن رغبته بالاقامة في مصر ، وقيل انه قال : لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملا يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص ، لانني علمت أنه ينحدر من موضع عال وهو في طرف الاقليم المصري^(٢) فاستدعاه الامام الحاكم للاقامة في مصر ، وقيل أن الامام خرج بنفسه للترحيب به وقربه اليه وأكرمه •

وبعد أن استقر بعض الوقت كلفه بأن ينظر في أصول النيل عساه يستطيع أن ينفذ ما خطر له بالشام ، فرحل ابن الهيثم في النيل حتى بلغ الموضع المعروف (بالجنادل) قبل مدينة اسوان فتفحص الاعمال الهندسية التي قام بها قدماء المصريين فأيقن أنه لا يستطيع أن يأتي بأحسن منها ، فعاد الى القاهرة وقدم اعتذاره للامام الحاكم^(٣) فاقتنع الامام الحاكم وعرض عليه أن يتولى بعض الدواوين ، ولكنه فضل الانزواء في منزل خصص له لينصرف الى التأليف والعلم واعطاء الدروس ونسخ الكتب القديمة ، فجعل له الامام من يخدمه ويقوم بمصالحه^(٤) وما زال معتكفا في منزله حتى توفي سنة ٤٣٠ هجرية •

(١) نفس المصدر .

(٢) القفطي : ص ١١٤ ، دعاة الشام مخطوط اسماعيلي سوري ورقة ٣٠ .

(٣) القفطي : ص ١١٥ .

(٤) القفطي : ص ١١٥ ، ابن أبي اصيبعة : عيون الابناء في طبقات

الاطباء ٢/٩٠ .

أجمع المؤرخون على أن ابن الهيثم كان عالماً مثقفاً لعلوم كثيرة وله مؤلفات كثيرة في علم الهندسة ، أخذ عنه الناس واستفادوا من مؤلفاته لأنه كان أعظم الرياضيين والطبيين في العصور الوسطى قيل أنه صنف ٦٧ كتاباً ، وذكر أن له ما يقرب من ٢٠٠ كتاباً خلا رسائل كثيرة ، وكلها في الهندسة والطبيعات والفلك والحساب والجبر والطب والمنطق والاخلاق . وهو الذي أبطل علم المناظر الذي وضعه اليونان ، وأنشأ علم الضوء الحديث . كما لخص كثيراً من كتب ارسطاطاليس وشرحها ، وكذلك كتب جالينوس في الطب ، وكان فاضل النفس ، قوي الذكاء ، متفنناً في العلوم ، لم يماثله أحد من زمانه في العلم الرياضي ، وافر الزهد محباً للخير .

ومن مؤلفاته : كتاب السماع الطبيعي ويبحث في ستة أمور هي :

المبادئ الكونية والطبيعة ، والمكان ، والخلاء ، وما لا نهاية له .
والحركة ، والمحرك الاول .

وكتاب الكون والفساد ، وكتاب الآثار العلوية ، وكتاب النبات والحيوان ، وكتاب السماء والعالم ، وكتاب النفس ، وكتاب فيما بعد الطبيعة . ثم تفرغ ابن الهيثم لدراسة علوم الفلسفة ، وهي ثلاثة علوم : رياضية ، وطبيعية ، والهية (١) .

وقد بين لنا ابن الهيثم نفسه آثاره في الرياضيات فقال : « فما صنعته في العلوم الرياضية خمسة وعشرين كتاباً (أحدها) شرح أصول اقليدس في الهندسة والعدد وتلخيصه . وفي علوم الطبيعة (٢) والالهية أربعة وأربعين كتاباً ، وفي العلوم الطبية ثلاثين كتاباً (٣) » .

(١) ابن أبي اصيبعة : ٩٣/١

(٢) المصدر نفسه : ٩٤/٢ - ٩٥

(٣) المصدر نفسه : ٩٥/٢ - ٩٨

وبالرغم مما قام به ابن الهيثم من خدمات علمية عظيمة لم تلق مؤلفاته وعلومه النجاح بسبب تعصب أولئك الذين حكموا مصر بعد الفاطميين (الامويين والعباسيين) لانهم اعتبروا كل ما صنف في العهد الفاطمي مشحون على حسب زعمهم بالذندقة والكفر والالحاد ، لذا أوجبوا حرقه ، وهذا بالفعل ما حدث لمؤلفات وعلوم ابن الهيثم وغيره من كبار العلماء والفلاسفة والادباء الاسماعيلية ، وهذه الجرائم التي ارتكبت باسم الدفاع عن الدين لا يغفرها التاريخ ولا العلم ولا الادب ولا المعرفة •

وعلى العموم ان عد نيوتن رائد علم الميكانيكا في القرن السابع عشر فابن الهيثم جدير بأن يعتبر بحق رائد علم الضوء في مستهل القرن الحادي عشر للميلاد •

• وشبهه كثير من العلماء بالعلامة أنتشتين في عصرنا •



محمد شاه الحسيني (آغا خان الثالث)

يعتبر (آغا خان الثالث) أعظم شخصية لعبت دورا هاما على مسرح الحياة العالمية في القرن العشرين ، فكانت مرموقة في كل حركاتها وسكناتها ، وموقفة في جميع مراحل حياتها ، حلقت في الاجواء الرحبة المجنحة ، وتفتأت في ظلال المثل العليا تحوطها هالة من الاجلال والتقدير والاعجاب .

لم يكن آغا خان الثالث اماما للاسماعيلية وحدهم أو للمسلمين فحسب ، بل كان مرشدا وموجها للانسانية جمعاء ، ينفحها بايمانه المطلق بالمثل العليا ، وبآرائه القيمة ، وارشاداته الحكيمة ، ومداركة الواسعة ، وارادته الحديدية ، وأعصابه القوية الفولاذية ، وعقله الخلاق الجبار . احتك بالمجتمعات الغربية فضرب لهم مثلا أعلى ، وعلمهم ان في شرقنا نبوغا ، وانه لا يزال منبع الحضارات ، ومهبط العبقريات ، وضع بمصاف الفلاسفة العالميين ، والمصلحين الافذاذ ، والقواد العباقرة ، والحكماء المبدعين الذين سبقوا عصرهم بمراحل .

اهتم بالسياسة العالمية اهتماما بالغا سنين طويلة ، وكثيرا ما كان يستشار ، وكانت مشورته صائبة سليمة ، عمل بأمور وقضايا كان يتوقف عليها مصير أمم عديدة ، يؤمن بسياسة الاعتدال ، فكانت له صداقات حميمة مع ملوك وأمراء ومهرجات ونواب ملوك وقواد وعلماء وأدباء وفنانين ، بذل جهودا جبارة لزيادة قوة أتباعه المادية والروحية وليؤمن لهم الرفاهية والسعادة ، فبلغت الاسماعيلية درجة من الثراء والثقافة والتقدم الاجتماعي ما جعلت العالم كله يتحدث عنه .

ولد السلطان محمد شاه بن علي شاه الحسيني (آغا خان الثالث) في

(منزل شهر العسل) (هونيمون لوج) في كراتشي يوم الجمعة (١) في الثاني من تشرين الثاني عام ١٨٧٧ ميلادية الموافق الخامس والعشرون من شوال سنة ١٢٩٤ هجرية ، وكان ذلك اليوم مشهورا في مدينة (كراتشي) تخللته الحفلات والمهرجانات الشعبية الرائعة ، ولم تقتصر الحفلات والمهرجانات على مسقط رأسه فحسب بل امتدت الى كافة المناطق التي يقطنها الإسماعيليون ، واقبلت الجماهير الغفيرة تتدافع نحو المكان الذي انبثق منه ذلك النور السرمدي الوهاج ، الذي شع على العالم فأثار ظلمات القلوب ، وبعث الحياة في النفوس المجذبة الضعيفة(٢) .

وما كاد يسير على قدميه حتى أظهر اهتماما كبيرا بمختلف الالعب ، وجبا بالغا للحيوانات ، فاعتاد(٣) ان يطعم بيديه الطباء والوعول والمهارى ، ويركب الخيل ليتسلق الجبال العالية ، ولما بلغ الخامسة من عمره توفي جده (حسن علي شاه) (آغا خان الاول) وبعد ذلك بثلاث سنوات أي سنة ١٨٨٥ ميلادية توفي والده (علي شاه) (آغا خان الثاني) فتسلم الامانة المقدسة التي ولد من أجلها وأصبح اماما للإسماعيلية ، وتم تنصيبه في مدينة بمباي باحتفال مهيب(٤) .

ولقد ساعدته والدته التي كانت تمتاز برجاحة العقل وحسن التدبير والقدرة على تصريف الامور ، وكانت صوفية خالصة ، تنفق وقتا طويلا

(١) قيل يوم الاربعاء . نور مبین ، جبل الله المتين جنارا ص ٦٣١ ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية : مصطفى غالب ص ٢٧٣ .

(٢) الشيعة في الهند : Hollister : ص ٣٧١

History of the Ismailis By. A. S. Picklay. pp. 935

(٣) مذكرات آغا خان ص ٥٦ ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية : مصطفى غالب ص ٢٧٤ . الشيعة في الهند : Hollister ص ٣٧١ .

(٤) نور مبین جبل الله المتين : جنارا ص ٦٣٢ ، الشيعة في الهند ،

ص ٣٧٢ ، الطائفة الإسماعيلية : ١١٨ .

في الصلاة من أجل الاستنارة الروحية والاتصال بالله • تتذوق الشعر وتفهمه فهما عميقا ، متضلعة في الأدبين الفارسي والعربي ، تحفظ الكثير من الشعر العربي والفارسي حتى للشعراء المغمورين ، أقول ساعدته في ادارة شؤون الاتباع ، وضاعفت السهر عليه وأوكلت مهمة تثقيفه الى كبار المرابين الاختصاصيين والاساتذة الذين عملوا على تدريسه اللغات الاجنبية والفارسية ، وقرآءة الكتب ذات الفائدة العامة وقد وصف نظام حياته في ذلك الوقت فقال (١) : « والى القارىء الآن وصفا لنمط حياتي الثابت : كنت ادعى بين السادسة والسادسة والنصف الى تناول فطور الصباح ، وكان يتألف في العادة من شاي خفيف ، وخبز وزبدة ، ومرابي وحلوى فارسية • وفي السابعة سواء شئت أو أبيت ، كان عليّ ان اقضي ساعة في ركوب الخيل • ومن الثامنة حتى الحادية عشرة والنصف كنت ألتقى دروسي على اساتذتي الانكليز والفرنسيين ، ومن ثم ادعى الى تناول طعام الغداء وأبقى حرا الى الساعة الثانية من بعد الظهر ، وبعد ذلك كنت أقضي ثلاث ساعات في دراسة اللغة العربية ، ثم يسمح لي بالقيام بنزهة في السيارة أو بلعب التنس في الحديقة حتى يحين موعد العشاء في السابعة • وبعد العشاء كنت أخضع لافطع الفطائع ، ذلك انني كنت اجبر على الجلوس ساعتين لتعلم أصعب أنواع الخطر وأكثرها فتكا بالروح ••• وكان علي ان استقبل اتباعي يوم السبت من كل اسبوع وفي الاعياد والمناسبات المعتادة التي تجري فيها هذه الاستقبالات ، هذا هو النظام الذي اخضعت له وأنا بعد في الثامنة من عمري (٢) » •

ويذكر في مكان آخر فيقول (٣) : « كان لي ثلاثة أساتذة للانكليزية : مستر جالاغر ، وكان ايرلنديا ، ومستر لورنس ، ومستر كاني وكانوا رجلا

-
- (١) مذكرات آغا خان : ص (٦٥ - ٦٦) .
 (٢) مذكرات آغا خان : ص (٦١ - ٦٠) .
 (٣) المصدر نفسه ص ٦٥ .

ممتازين ، سموا بعقلي الى آفاق واسعة ، وفتحوا عيني على العالم الخارجي •
كانوا رجالا حكماء واسعي العقل يتمتعون بالقدرة على اثاره الشوق الى
المعرفة » •

وتحدث عن استاذة في الفارسية والعربية فقال : « لا أستطيع أن اذكر
الا بالشر ذلك الرجل الذي كان مسؤولا عن تثقيفي بالعربية والفارسية
وجميع الامور الاسلامية ، كان عالما كبيرا ، وأديبا بارعا ، وكان واسع الاطلاع
على الادب العربي والتاريخ الاسلامي ، ولكن علمه كله لم يسع عقله ولم
يدفعه قلبه • كان طائفيا متعصبا ، وبالرغم من مطالعته الواسعة ، فان
عقله كان من أظلم العقول التي لقيت في حياتي واضيقها • ولو ان الاسلام
كان فعلا ذلك الدين الذي بشر به ، لكان الله بالتأكيد قد أرسل النبي محمدا
لا ليكون نعمة وبركة للناس جميعا ، بل نقمة عليهم ولعنة ^(١) » • وهكذا
نرى ان تعصب مدرس (آغا خان) قد ولد في نفسه الكراهية والمقت لكل
من يتعصب للمذاهب والاديان ، مهما كان نوع هذا التعصب وشكله
وأصله • وها هو يقول أيضا : « أنا أعرف ان كرهني لكراهيته ، وتضلبي ،
وتعصبه قد صبغ حياتي كلها ، وانما وجدت جوابي في دعائي البسيط ، أن
يعفر الله بواسع رحمته ذنوب المسلمين جميعا ، القاتل منهم والمقتول ، كما
ابتهل ايضا ان تكون الجنة من نصيب المؤمنين بالله ايمانا حقيقيا صادقا ،
سواء كانوا مسيحيين ، أو يهودا ، أو بوذيين ، أو براهمانيين ، والذين يعملون
الخير ويتعدون عن الشر ، وان تشملهم الرحمة والمغفرة والسلام ^(٢) » •

ولقد أظهر (آغا خان) من النبوغ والفتنة ، ما يسر له الغوص بسهولة
كلية في اجتلاء الحقائق التاريخية ، والاعتراف من مناهل العلم الحقيقية
بمختلف غاياتها ومراميتها ، ولم يكذب يبلغ الثالثة عشر من العمر حتى أجاد

(١) مذكرات آغا خان : ص ٦٧ •

(٢) المصدر نفسه ص (٦٩ - ٦٨) •

الانكليزية والفرنسية والعربية والفارسية قراءة وكتابة وتكلما ، وأشرف بصيرته النفاذة على آفاق العلم وذخائر المعرفة وما حازته هذه اللغات من آداب سامية ، ومعارف رفيعة ، وفلسفة عميقة^(١) ، ولم يكن برنامجه اليومي الحافل بالدرس والمطالعة ، ليشغله عن القيام بأعباء مهمته الروحية كمرشد روحي لطائفة اسلامية كبرى ، فكان لتوجيهاته الصائبة وتبصره الواعي لقضايا أتباعه أثر كبير في تطورهم ، واضطراد تقدمهم في كافة ميادين الحياة ، فحقق بذلك صدق فراسة والده فيه عندما تنبأ له - وهو بعد صغير - بأنه سيقود أتباعه الى الأوج ، وبفضله ستمكن الاسماعيلية من التصاعد في معارج الرقي والازدهار . ولم تقتصر دراسة آغا خان على النواحي النظرية للعلوم التي كان يتلقاها على أيدي الاخصائيين ، بل كان كثيرا ما يعكف الساعات الطوال في مختبراته الخاصة ، يجري التجارب العلمية الواقعية ، ويشاهد بتأمل عميق مراحل التجربة ، متتبعا لملاحظاته باتتباها زائد ، دارسا الاسباب والنتائج ليستخلص العبرة فيها كي يعتمدها ذخيرة تعينه^(٢) في أداء مهمته المقدسة .

ولم يترك آغا خان مجالا للفراغ يمرح في ثنية صغيرة من عمره الطويل ، فقد كان يشغل سويغات فراغه بالمطالعة الدائبة والدرس المتواصل لمختلف الكتب ، ولعل المطالعة تشكل هواية متأصلة في نفسه رافقته منذ الصغر^(٣) .

وكان أول عمل جذري قام به آغا خان ، الموقف الحكيم الذي أقره بسبب النزاع الدامي المشهور الذي نشب في الحادي عشر من آب سنة ١٨٩٣ ميلادية بين الهندوس والمسلمين في بمباي وأشعل نار الفتنة الطائفية الكبرى

(١) الشيعة في الهند Hollister ص ٣٧٤ و نور مبین جبل الله المتین : جنارا .

(٢) الطائفة الاسماعيلية : كامل حسين ص ١١٨ ، تاريخ الاسماعيلية

لبكلي ص ٩٣ - ٩٧ .

(٣) تاريخ الاسماعيلية لبكلي ص ٩٧ - ٩٨ .

نتيجة لذبح بقرة ، اعتبرها الهندوس انتهاكا لشريعتهم . فحصلت مجازر كبيرة في مدينة بمباي قتل خلالها عدد من الاسماعيلية وخادمان من خدم آغا خان داخل بوابة قصره في (مازكان) وكان سموه بوقتها في مدينة (بونا) فأرسل تعليماته لاتباعه يأمرهم بوقف الخصام ، ولقد استطاع أن يسيطر على أعصابهم ، ويكبح جماح مشاعرهم^(١) ويقنعهم بأن العقل السليم والحكمة تقضي بمعالجة الامور بالمنطق السديد ، والرأي الصائب ، وان الانسياق في تيار العاطفة سيجر المزيد من المحن والمصائب على الطائفتين كليهما ، وان الواجب الانساني يحتم على الفرقاء المتخاصمين ان يتخلوا عن أحقادهم ويتجاوزوا التوافه من أسباب الشقاق كي يفسحوا المجال لاعادة العلاقات الاخوية بينهم كما كانت من قبل^(٢) فأوقف النزاع وفض الخصام وقدم الاسماعيلية جميع المساعدات والتسهيلات لاخوانهم الهندوس . وقد كان لموقف آغا خان السليم هذا ، أثره الفعال في اخماد الفتنة ، مما أكسبه منزلة رفيعة بين الهندوس والمسلمين على السواء ، وأصبح في نظر الجميع نبأا للحق والاخوة والعدالة الانسانية ، ورمزا وطنيا تتآخى في ظلّه قلوب الهندوس على اختلاف مللهم ونحلهم .

وفي سنة ١٨٩٧ ميلادية وقعت مجاعة كبيرة في الهند فساهم (آغا خان) في تخفيف الكارثة ، فوضع المخيمات في كل مكان لتخفيف المجاعة التي كان يموت من أثرها آلاف الناس في اليوم ، وكان يرسل المساعدات المستورة الى منازل من لا يرغبون الظهور في تلك المخيمات ، نظرا لمكاثمتهم المعروفة ، ونسبهم العريق ، وألقابهم الفخمة ، ولما انتهت المجاعة أمر بتوزيع البذار على المزارعين الذين يستحيل عليهم زراعة أراضيهم ، ولم يكتف بما

(١) SHI'A of india. J. N. Hollister : p.p.372 ، مذكرات آغا خان ص ٧٢ .

(٢) نور مبین جبل الله المتین : جنارا ص ٦٤٥ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية: مصطفى غالب ٢٧٦ .

قدمه من مساعدات بل خصص قصرا كبيرا من قصوره في (بونا) سماه (يرودا) وجعله ملجأ للفقراء والبائسين والمعوزين العاطلين عن العمل^(١) .

وما عثم ان انتشر الطاعون بصورة فظيعة فذهب بحياة الآلاف المؤلفة من الناس ، فكلفت الحكومة البريطانية العالم الجراثيمي البروفسور (هافكين) ليشرف بنفسه على مكافحة هذا الوباء الذي كان له أثر تاريخي بشع في أخلاق الناس ، فقد قل احترامهم للقانون والنظام ، وكثرت حوادث القتل والسلب ، وازداد السكر والفحش ، وحقد الناس على الحكومة لعجزها عن معالجة الوباء ، وبلغت الازمة ذروتها ، عندما اغتيل أحد كبار الموظفين البريطانيين المسؤولين عن التدابير الوقائية ضد هذا الوباء^(٢) .

ولقد حاول البروفسور (هافكين) فرض آرائه على السلطات الرسمية في بمباي ولكن دونما قدر كبير من النجاح ، وكان الناس يموتون كالذئاب^(٣) .

كان الامام آغا خان في ذلك الوقت في العشرين من عمره ، ففكر أن يعمل بسرعة ، فتبنى البرفسور (هافكين) وقدم له المساعدات والتسهيلات اللازمة لاجراء ابحاثه وتجاربه ، فوضع تحت تصرفه المطلق أكبر قصوره ، ولكن الناس أحجموا عن التلقيح ، فعمل (آغا خان) بسرعة وحزم ، وجعل من نفسه قدوة للجميع ، فعقد اجتماعا عاما لجميع سكان بمباي ، ولقح نفسه علنا ، ولما رأى الاسماعيلية ان امامهم قد لقح ، حذوا حذوه ، وأقبلوا على التلقيح جماعات ، فشعر الناس انه ليس من خطر الاقتداء بالامام واتباعه ، فارتفع معدل الشفاء ارتفاعا عظيما^(٤) .

(١) مذكرات آغا خان ص (٨٩ - ٩٠ - ٩١) الطائفة الاسماعيلية : كامل

حسين ص ١٨٩ .

(٢) تاريخ الاسماعيلية لبكلي ص ٩٧ - ٩٨ .

(٣) الشيعة في الهند لهولستر ص ٣٧٢ ومذكرات آغا خان ص ٧٢ .

(٤) نور مبين جبل الله المتين : جنارا ص ٦٤٥ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية:

مصطفى غالب ص ٢٧٧ .

ولقد وصف (آغا خان) نفسه هذه الحادثة وتأثيرها الفعال فقال : « ان معركة الانسان الاولى في حياته مهمة دائما . ولقد علمتني معركتي الاولى الشيء الكثير ، عن نفسي وعن غيري من الناس ، لقد حاربت الجمود والمحافظة الرسميين ، والخوف والجهل ، ان ماضي^١ قد تنبأ بمستقبلي ، وكان من نتائج النفوذ والسلطان اللذين مارستهما ، ان آخرين من غير الاسماعيليين قد زعموني عليهم^(١) » .

وفي سنة ١٨٩٦ ميلادية الموافق سنة ١٣١٣ هجرية كان قد أصبح سموه على حافة الرجولة ، فودع اساتذته ، وتزوج ابنة عمه (شاهزادي بيغوم) ابنة آغا جانجي شاه . ولما كان شديد الوله بالرحلات والتنقل ليختبر الحياة على نطاق واسع ، قرر أن يسافر الى أوروبا التي كان قد قرأ وسمع عنها الشيء الكثير ، فغادر بمباي في أول شباط سنة ١٨٩٨ ميلادية الموافق سنة ١٣١٥ هجرية عن طريق البحر الى مرسيليا ، وبعد أن أمضى عشرة أيام في الكوت دازور ، توجه الى باريس ومنها الى عاصمة الامبراطورية البريطانية لندن حيث استقبل رسميا من قبل ممثلي القصر الملكي ، وبعد أن قابل الملكة منحه لقب (كوماندور) للامبراطورية الهندية ، وكان أول هندي نال هذا اللقب .

وبعد ان انتهت جولته هذه الى أوروبا ، ذهب الى أفريقيا الشرقية لدراسة شؤون أتباعه ولوضع الحلول للمنازعات التي كانت ذرت قرنها بين السلطات المحلية والاسماعيلية وخاصة في دار السلام حيث كان الصراع على أشده بين السلطات الالمانية والاسماعيليين حول حقوق التجارة البرية ، ولما كان آغا خان يؤمن طيلة حياته بفض جميع الخلافات والمنازعات على أساس التسوية ، لانها بحسب رأيه أفضل من الخلاف الجاف الذي لا يؤدي الى شيء^(٢) ، فقد تمكن بالفعل بما أوتيته من حكمة سياسية ومقدرة فائقة وصبر

(١) مذكرات آغا خان الثالث ص (٩٠ ، ٩١ ، ٩٢) .

(٢) نور مبین جبل الله المتین ، جنارا ص ٦٤٧ ، مذكرات آغا خان

طويل من فض جميع الخلافات ، وبنفس الوقت قام باجراء تنظيمات جديدة خاصة باتباعه ، وأدخل أحدث الاساليب التي شاهدها خلال تجواله في أوروبا ، وتبرع بأموال طائلة لبناء الأندية والملاعب الرياضية •

وعاد الى أوروبا حيث أمضى بعض الوقت ثم توجه الى الهند عن طريق مصر ، وما كاد يحط الرحال في الهند حتى وصلته الانعامات السامية من سلطان زنجبار بوسام (نجمة زنجبار البراقة) وهو أرفع أوسمة تلك البلاد ، وتلاه امبراطور المانيا فاهداه وسام (التاج البروسي الملكي من الدرجة الأولى^(١)) •

وفي الهند رغب أن يوجه اهتمامه الكلي لتنظيم شؤون اتباعه ، وايجاد أنجع السبل لتقوية مداركهم الثقافية والاقتصادية والعلمية ، فشرع في تأسيس المجالس التعليمية والصحية والاجتماعية ، لأنه رأى بأن لا فائدة من النظريات والآراء اذا لم تدعم بالعمل والانتاج ، وان لا حياة لامة اذا لم تعب من منهل الحضارة العذب وتسير مع عجلة الزمن بسرعة نحو التطور والرقي ، وكانت الناحية الهامة بنظره^(٢) هي تنشئة الجيل الجديد وتدريبه على حمل المسؤوليات والشعور بالواجب ، فشجع الفرق الكشفية ، وروابط الطلبة وجمعيات رعاية الطفولة ، وانشاء أندية خاصة للصغار يتمرنون فيها على سلوك أنجع الطرق الكفيلة بنجاحهم واسعادهم ، ووجههم توجيهها علميا صحيحا ، ودعاهم لتعاطي اساليب التجارة الحديثة وطرق ابواب الاقتصاديات بأنواعها ، وشجع الهجرة الى أفريقيا والعالم ، فبدأ سيل^(٣) المهاجرين الاسماعيليين يتدفق من الهند الى باقي أقطار العالم ، هذا ما نشط الحركة التجارية فأستت البنوك والمصارف الصناعية والزراعية والتجارية ولم تمض فترة حتى استطاع بما

(١) تاريخ الاسماعيلية لبكلي ص ١٠٢ - ١٠٣

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب ص ٢٧٤ ، مذكرات آغا

خان ص ١٢٠ •

(٣) نور مبین جبل الله المتین : جنارا ص ٦٥٢ ، ٦٥٣ •

قدمه من خدمات أن يكتسب ثقة واحترام المسلمين وغير المسلمين ، فما من مشكلة وقعت للمسلمين في عهده الا وطرح عن نفسه الصفة المذهبية ، وتطوع للدفاع عن المسلمين، وتاريخه الطويل حافل بذلك^(١) .

وفي نفس العام قام بزيارة تفقدية لاتباعه في بورما حيث أحدث بعض التنظيمات الهامة •

وفي سنة ١٩٠٠ ميلادية عاد الى أوروبا حيث لقي شاه ايران مظفر الدين في باريس فاستقبله بترحاب ومنحه أرفع أوسمته (شمس الهمايون أو نجمة ايران) وقدم اليه هدايا من الحلبي الماسية^(٢) ومن باريس ذهب الى ألمانيا حيث اجتمع (بفون هولشتاين) الذي منحه الاوسمة والالقب ، ولكنه الح بان يمنح اتباعه حمايته وبعض الامتيازات الخاصة في مقاطعة (تانكانيكا) بأفريقيا ، وفي السنة نفسها زار تركيا فاستضافه السلطان عبد الحميد في القسطنطينية ، واجتمع به عدة مرات في قصر يلدز حيث تدارسا الشؤون الاسلامية ، وقضايا أتباعه الاسماعيلية في سوريا ، فمنحهم السلطان بعض الامتيازات ، كما انعم على آغا خان بأرفع وسام وهو (قمر تركية)^(٣) .

وبينما كان (آغا خان) في تركيا وصلته انباء حصول بعض الاضطرابات في حاشيته بالهند ، فعاد الى بمباي حيث اتخذ اجراءات مشددة وعمل على تنظيف الحاشية التي كانت خليطاً عجيباً من جميع الأجناس والطبقات ، فابعد المسنين منهم ، وأوجد الاعمال والمدارس للبقية^(٤) . وفي سنة ١٩٠٢ بدأ آغا خان يتدخل في شؤون الهند السياسية ويقدم أعظم الخدمات للشعب الهندي ، وما كاد صديقه الحميم (برنس اوف ولز) الملك ادوار السابع

(١) الطائفة الاسماعيلية : كامل حسين ص ١١٨

(٢) مذكرات آغا خان ص ١١٢ ، ١٢١ .

(٣) تاريخ الاسماعيلية لبكلي ص ١٠٢

(٤) مذكرات آغا خان ص ١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٣١ .

يعتلي العرش حتى انتخب (آغا خان) ليمثل الهند في حفلات التتويج ، وقد رفعت رتبة (آغا خان) ولقبه من K. C. I. الى رتبة G. C. I. E. واقيم استعراض بحري لهذه المناسبة في (سيتهد) حضره الملك بالذات وعدد كبير من الشخصيات البارزة .

وفي تشرين الثاني سنة ١٩٠٢ عاد آغا خان الى الهند حيث انتخب عضوا في مجلس نائب الملك التشريعي لمدة سنتين ، ورفض أن يجدد انتخابه ثانية . ومنذ ذلك الوقت أخذ يهتم بشؤون الثقافة الاسلامية في الهند ، ويعقد الاجتماعات ويلقي الخطب والمحاضرات ، التي يدعو فيها لانشاء جامعة اسلامية لتدريس الثقافات الاسلامية اسوة ببقية الجامعات الهندية ، وقد لاقت أفكاره بعض النجاح .

وكان للرحلات الدراسية المتواصلة التي قام بها الى أوروبا أثر كبير في جملة المشاريع التي حملها الى الهند ، وناضل باستمرار من أجلها ، كي تفيق القارة الهندية من غفوتها ، وتقتفي أثر الامم الناهضة باقتدائها الانظمة العصرية ، وانشائها المؤسسات الثقافية التوجيهية لمختلف أمور الحياة^(١) .

وكان آغا خان يدرك جيدا مدى المسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتقه تجاه جميع الهنود ، وكم هي مهمة شاقة أن يتحسس الزعيم نفسه وحيدا في ميدان النضال ، بعد أن فرضته الأقدار منقذا وحيدا لمجتمع تدب فيه الامراض من كل حذب و صوب . ولكن الثقة الواعية التي كان يتحلى بها آغا خان شددت في نفسه العزيمة ، وشحذت في روحه الهمة العالية ، فقبل طواعية أن يؤدي الرسالة مهما صعبت مسالكها ، وأن يخوض معركة لاهبة مع الجهل والفقر والمرض ، فطار الى عواصم العالم دارسا منقبا ، يبحث عن الحلول الجذرية لمشاكل الهند عامة ، واتباعه خاصة ، ويضع الخطط والتنظيمات

(١) نور مبین جبل الله المتین : جنارا ص (٦٦١ - ٦٦٠ - ٦٥٩)

التي تكفل الخلاص للجميع ، فركز اهتمامه على الاقتصاد باعتباره محور الحياة ، وعليه يتوقف تطور المجتمع بالدرجة الاولى ، فعاد الى الهند بعد أن غصت حقيقته بالمشاريع الحيوية ، والحلول المنقذة ، التي كان لها الفضل الاكبر في بعث الطائفة الاسماعيلية، قوية متماسكة الاطراف سليمة الاوصال ، فاحتل مكانة بارزة في نفوسهم ، واكتسب مرتبة الصدارة بين زعماء العالم ورجالات الدنيا ، فأينما حل ، وأيان ارتحل ، كانت الاستقبالات الفخمة تحيط به ، ومكان الاعجاب بشخصيته الفذة يدل على ما يتمتع به من مكانة مرموقة في مختلف الاوساط . ولم نكن فعالين اذا استشهدنا بأقوال أشهر الكتاب والسياسيين العالميين ، عندما قالوا : « ان آغا خان أمة كاملة جسدت في رجل واحد » .

تعرف آغا خان في احدى زيارته لاوروبا الى فتاة ايطالية في التاسعة عشرة من عمرها هي (تريزا ماغليانو) فغمرهما حب جارف لفترة من زمن وفي سنة ١٩٠٨ ميلادية صحبها الى مصر حيث عقد قرانه عليها وفقا لأصول الشريعة الاسلامية^(١) .

وفي عام ١٩٠٩ م رزق طفله الأول وسماه (مهدي) لكنه توفي في شباط من عام ١٩١١ ثم ولد ابنه الثاني (علي خان) في حزيران من العام نفسه^(٢) .

وفي سنة ١٩١٠ ميلادية قام بحملة شاملة طويلة من أجل المؤتمر الثقافي الاسلامي الذي عقد في (ناغبور) نفس العام ومن أهم بنود ذلك المؤتمر مشروع جامعة عليكرة الاسلامية في الهند .

أدركت انكلترا وهي المسيرة لشؤون الهند ، مدى الجهود التي يبذلها

(١) مذكرات آغا خان ص ١٦٩

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص ٢٧٩ ، مذكرات

آغا خان ص ١٦٩ .

آغا خان في خدمة الانسانية وتطوير المجتمع الهندي ، فأنعم عليه الملك جورج الخامس عندما زار الهند مع الملكة عام ١٩١٢ ميلادية بوسام G. G. S. T اعترافاً بأعماله الرائعة وخدماته الجليلة ، ووضعت جميع المشاريع الاصلاحية التي تقدم بها موضع التنفيذ ، مما دفع بعجلة التطور في الهند ، خطوات سريعة في مضمار التقدم والرقي (١) وانطلاقاً من ايمان آغا خان بأن الحياة على رحبها واتساعها هي مدرسة المدارس ، وفي مداها الرحب تكمن الحلول الناجمة ، فقد أكثر من زيارة البلدان ، والتجوال في العديد من بلدان العالم ومؤسساتها الكبرى ، فقام في سنة ١٩١٢ م بزيارة روسيا ، وقابل القيصر نقولا الثاني ، وعاد الى باريس اثر اندلاع الحرب في البلقان ، فكان محتماً على آغا خان ، وهو الزعيم الاسلامي الكبير أن يتخذ اجراء فعالاً يساعد تركيا ، البلد المسلم ، في حروب البلقان ، فعاد الى الهند ، ورمى بثقله في الميدان السياسي بعد أن أطلق صرخته المدوية معلناً مؤازرته ودعمه لتركيا بأقصى الطاقات ، مما ألهب مشاعر المسلمين في مختلف أرجاء الكون ووقفوا من ورائه مؤيدين تركيا ، وطيروا البرقيات لجميع المنتديات السياسية في العالم تعلن تضامن المسلمين مع تركيا ، وتحض الاترك على الاستمرار في الكفاح والصمود في ساحات الوغى ، مهما كان الثمن ، فكل شيء يهون دون الاستسلام الى الهزيمة والذل ، وبدهي أن يكون لهذه الضجة العالمية التي أحدثها آغا خان أثر كبير في سير مجرى المعارك (٢) .

وعلى الرغم من مهمات آغا خان العالمية ، فقد بقيت الهند شغله الشاغل وميدانه الرئيسي من حيث العناية والاهتمام ، فقد حز في نفسه الانقسامات المذهبية التي تفشت في صفوف المسلمين الهنود فعمد الى استئصال شأفتها بأن أسس الرابطة الاسلامية سنة ١٩٠٧ وانتخب رئيساً لها حتى سنة ١٩١٢

(١) تاريخ الاسماعيلية لبكلي ص ١٠٥

(٢) مذكرات آغا خان ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ .

ميلادية ، وتطورت الرابطة الاسلامية الى حزب سياسي تمخضت عنه فكرة انشاء دولة باكستان المسلمة ، وكانت نقطة تحول رهيبة في حياة الهند وكيانها^(١) .

وعلى الرغم من أن آغا خان كان يعارض فكرة تقسيم الهند طائفا الى دولتين ، الا أن مؤسس دولة باكستان محمد علي جناح ، كان على خلاف مع زعيمه في الرأي بالرغم من أنه من اتباعه في العقيدة الاسماعيلية ؛ لأن آغا خان كان يحرص على أن يبقى المسلمون والهنود في دولة واحدة كي يلعب المسلمون دور الطليعة في تطوير المجتمع الهندي بمجموعه ، ويكونوا القدوة المثلى لاخوانهم في الانسانية .

واعظم عمل خالد يذكره العالم انشاء أول جامعة للمسلمين بالهند ، فقد لاحظ آغا خان الفروق الاساسية في التاريخ الاجتماعي والثقافي والروحي للمسلمين والهندوس ، فحاول ان يوضح المرة بعد الأخرى ، ان التقدم الثقافي بين المسلمين يعتبر غاية في ذاته ، بل وسيلة لغاية ، فمن الواجب على المسلمين ان يملكوا المعرفة والعدة الثقافية التي تمكنهم من تحمل المسؤوليات السياسية التي يطمحون اليها ، فانشاء جامعة خاصة بهم يعتبر أمرا أساسيا جوهريا ، لانها السبيل الأفضل لانماء وحدة الاسلام الروحية .

ولقد كان امر اقناع الآخرين بهذا الرأي وتنميته لمؤازرة المشروع وجمع الأموال شاقا ، فطاف آغا خان جميع أرجاء الهند واتصل بجميع زعماء المسلمين الاغنياء والفقراء ، والامراء والفلاحين ، وكان أينما حل يخطب بالمسلمين ويدعو الى قضية جامعة (عليكرة) وقد جمع لهذه الغاية ثلاثة ملايين جنيه ، وتبرع بنفسه بمائة الف جنيه كدفعة أولى^(٢) .

(١) نور مبین جبل الله المتین : جنارا ص ٦٥٣ ، ٦٥٤ ؛ الطائفة الاسماعيلية :

کامل حسین ١١٩ .

(٢) نور مبین جبل الله المتین : جنارا ص ٥٦٣ ، ٦٥٤ .

وفي الاشهر الأولى من عام ١٩١٤ زار بورما مرة أخرى واتخذ اثناء زيارته خطوة على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للاسماعيلية ، فنصحهم بالاندماج بسكان البلاد اجتماعيا وثقافيا ، باعتبار بورما كانت ملحقة بالامبراطورية ، وكانت فيها الروح القومية والشعور الوطني يسيطران على المواطنين ، حتى انه طلب من الاسماعيليين أن يتخلوا عن اسمائهم الهندية وعن عاداتهم وتقاليدهم ، ويتخذوا اسماء اولئك القوم الذين يعيشون بينهم ؛ وعاد الى الهند حيث اتفق مع زوجته الاولى (شاهزادي) على الطلاق ، واختفت من حياته تماما . ولا بد لنا من الاشارة الى أن آغا خان عندما وقعت حروب البلقان أعاد وسام التاج الروسي (من الدرجة الاولى) الى القيصر تعبيراً عن احتجاجه وتضامنه مع تركيا الدولة الاسلامية^(١) .

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى زار لندن ، وهناك طلب منه ان يستخدم نفوذه لدى تركيا حتى لا تنضم الى الدول الوسطى وتحافظ على حيادها ، وبالفعل اتصل (آغا خان) بالوزير التركي توفيق باشا وطلب منه أن يدعو رجال تركيا الفتاة الذين كانوا قد تسلموا السلطة الى ارسال وفد وزاري الى لندن للدخول في مفاوضات مباشرة مع بريطانيا ، التي كانت مستعدة بالنيابة عن حلفائها ان تعطي الضمانات والتأكيدات لتركيا^(٢) .

وفي سنة ١٩١٧ ميلادية اصيب بمرض شديد فدخل أحد مستشفيات سويسرا ، واثناء وجوده في المستشفى ، استغلت السلطات الالمانية هذه الفرصة ، فدبرت مكيده للتخلص منه ، ففسد العملاء الالمان السم في القهوة، وزرعوا قنبلة في غرفته التي يرقد فيها ، غير أن الاقدار أبت أن يذهب الآغا خان ضحية القدر ، فاكشفت المؤامرة واضطر الى مغادرة سويسرا الى

(١) مذكرات آغا خان ص ١٩١ ، ١٩٥

(٢) تاريخ الاسماعيلية لبكلي ص ١٠٧

باريس لمتابعة الاستشفاء (١) .

لم يشن المرض آغا خان عن مهماته الجسام ، فعلى الرغم من اعتكافه مدة سنتين متواليتين بعيدا عن حمى السياسة وصخبها ، شرع في تأليف كتابه الشهير (الهند في مرحلة الانتقال) وقد بين فيه آراءه في مستقبل الهند وجميع بلدان آسيا الجنوبية والشرقية ، وضمنه النظريات القيمة التي بقي المسؤولون الهنود والساسة في آسيا يعتمدونها أساسا لمشاريعهم ، ومحورا لأفكارهم ، ويتخذون منها مقياسا لما يعترضهم من قضايا هامة (٢) .

عاد الآغا خان بعد أن أبل من المرض ، سيرته الاولى في التجوال متفقدا شؤون أتباعه ، دارسا الحلول الناجعة للاعلاء من شأنهم ، فقام بزيارة رسمية الى لندن حيث استقبل باحدى عشرة طلقة من المدفعية ، وكان أول أمير حاكم من أمراء الهنود يقام له استقبال حافل رسمي (٣) .

وكانت حالة أتباعه من الاسماعيليين في أفريقيا تدعوا الى القلق ، وبخاصة في مستعمرة كينيا حيث كان الاسماعيليون هناك محرومين من بعض الحقوق العامة ، كممارسة حق الانتخاب ، ومزاولة النشاط السياسي بحرية مطلقة ، فطار الى أفريقية لمعالجة تلك الحالات الشاذة ، وطالب السلطات بالاعتراف بالهنود كمواطنين أصليين في البلاد ، مستعدين لاداء واجبات المواطنة على الوجه الاكمل مقابل ضمان حقوقهم تامة غير منقوصة (٤) .

وأينما كان الآغا خان ، فانه يبقى على اتصال مستمر بكافة مؤسسات الدعوة الاسماعيلية في مختلف بقاع الدنيا ، ولم يكن ليعيقه أمر معالجة

(١) مذكرات آغا خان ص ٢٠٧ .

(٢) الشيعة في الهند ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

(٣) مذكرات آغا خان ص : ٢٠٦ .

(٤) نور مبین جبل الله المتین : ٦٧٣ ، ٦٧٤ .

قضية ما لدى اسماعيلي سوريا ، وهو في أفريقيا أو الصين مثلا . لذلك كان يحرص على التمسك في زعامته الدستورية ويشرف بصورة مباشرة على كل شاردة وواردة من أمور الاسماعيليين بصرف النظر عن اتساع رقعتهم وامتداد مجالاتهم .

وفي سنة ١٩٢٦ ميلادية أصيبت زوجة الآغا خان بمرض مميت توفيت على أثره وهي في السابعة والثلاثين من العمر . وما ان انقضى ثلاثة عشر شهرا حتى تزوج من (أندريه كارون) من مدينة (شامبري) في اكس لي بان وكانت في الثلاثين من عمرها فانجبت له صدر الدين في ١٧ كانون الاول سنة ١٩٢٩ ميلادية^(١) .

ومرة اخرى جذبته الحياة السياسية العالمية ، وعاوده نشاطه القوي فانتخب لتمثيل الهند في مؤتمر الطاولة المستديرة ، سنة ١٩٣٠ - ٣١ - ١٩٣٤ ، واسندت اليه رئاسة وفد الهند في مؤتمر نزع السلاح وفي اجتماعات عصبة الأمم ، حيث استطاع أن يبرهن عن شخصية فذة ، وذكاء خارق ، فانتزع اعجاب جميع الوفود ، ودفعهم لانتخابه رئيساً للعصبة سنة ١٩٣٧ م . فاشتهر اسمه في العالم أجمع ، وذاع صيته في مختلف الاوساط الراقية . وأدرك المشرفون على تصريف الأمور في الطائفة الاسماعيلية ، مدى الخدمات الجليلة ، والفوائد العظيمة التي قدمها زعيمهم الروحي آغا خان من أجل رفع مستواهم ورفقيهم ، فقرروا الاحتفال بيوبيله الذهبي عام ١٩٣٥ في ١٨ اغسطس في مدينة بمباي . وكانت الاحتفالات من الروعة والمهابة ، فقد توافدت مواكب الاسماعيلية من جميع انحاء العالم وتضمن برنامج الاحتفال وزن سموه بالذهب ، وبعد أن وافق آغا خان على قبول الذهب من أتباعه قال لهم : (انني أقبل بسرور عظيم هذا الذهب من أبناء الروحيين ، وأهديهم حبي وبركاتي الروحية) ، وقد قررت ان استعمل هذا الذهب لرفع شأن انبائي

(١) تاريخ الاسماعيلية لبكلي ص ١٠٩ - ١١٠

الروحيين لذا اعين لجنة لينفق بمعرفتها هذا الذهب ، وعلى هذه اللجنة ان تختار أنجع الطرق لاستخدام دخل هذا الذهب في رفع مستوى الاسماعيلية عن طريق منح المساعدات للنازحين من المقاطعات المكتظة بالسكان ولمساعدة الاطفال وغير ذلك من المشاريع الحيوية والخيرية ، وأعيد وزنه ثانية بالذهب في نيروبي سنة ١٩٣٧ ميلادية^(١) .

وفي خريف عام ١٩٣٧ ميلادية سافر الى برلين واجتمع بزعيم المانيا هتلر ، وحاول ان يقنعه بعدم اشعال نار الحرب العالمية الثانية وعندما خرج من مقر هتلر في (برختشادن) بعد مقابلة طويلة قال للصحفيين : ان هتلر يعمل للسلام ولا يريد الحرب ، ولكن على الحلفاء ان يعطوا المانيا حقوقها كاملة . . قالها غير خائف ولا وجل من دول تربطه بها صداقات وثيقة وصلات متينة . . ولو عمل الحلفاء بنصيحته وقتئذ لما وقعت الحرب الثانية ولتغير وجه التاريخ^(٢) .

وعرض عليه الانكليز عرش مصر عندما غضبوا على الخديوي فقال : « ان من يتربع على عرش قلوب عشرات الملايين من الناس ، وفي سويداء اعماقهم ، يأبى أن يجلس على عرش خشبي تكتنفه الصعاب وتحوطه الاهوال . . . »^(٣) .

واضطر الى العودة للهند على جناح السرعة بناء على طلب والدته المريضة وبعد أن لازمها عدة أيام نقلت بناء على رغبتها الى العراق حيث توفيت في كربلاء ودفنت في النجف الاشرف بضريح زوجها علي شاه .
وفي سنة ١٩٤٤ ميلادية حصل خلاف عائلي مع زوجته فطلقها ، وتزوج

(١) مذكرات آغا خان ص ٢٧٦

History of the Ismailis : A. S. Picklay : pp. 108

(٢) مذكرات آغا خان ص ٢٦٧ ، ٢٩٤ .

(٣) نور مبین جبل الله المتین : جنارا ص (٧١٠ ، ٧٠٩) .

بعد مدة من (ايفيت لابروس) التي كانت قد اعتنقت الاسلام في مصر قبل زواجهما ، وانتقل الى مرسيلا للاستجمام والراحة (١) .

وأعاد أتباعه الاسماعيليون وزنه بالماس سنة ١٩٤٦ ميلادية في مدينة بمباي في الهند ، وكرروا العملية بعد خمسة أشهر في مدينة دار السلام في افريقيا ، وذلك بعد أن لمسوا على يديه البركة ، وافاضة الخيرات وبلغوا من التوفيق والنجاح درجة كبرى (٢) .

لم ينقطع الأغا خان لحظة عن تتبع احداث رعيته والسهر على مصالح مريديه ، فانشأ جامعة اسلامية في تنجانيقا على غرار الجامعة الاميركية ، وحض على دعم الثقافة والمواظبة على تحصيل العلم ، مما أوجد بين الاسماعيليين طبقة مثقفة واعية وذوي اختصاص رفيع في مختلف مجالات العلوم ، حيث زاد في رقيهم ، ورفع من شأنهم لدى جميع البلدان التي توطنوا فيها ، وفي سنة ١٩٤٨ ميلادية أوجد آغا خان تنظيمات جديدة الغاية منها النهوض بالاسماعيلية ، ودستورا خاصا للاسماعيلية في افريقيا ، وبفضل هذه التنظيمات استطاعت أن تبعث من جديد ، وان تتحد اتحادا قويا جدا حتى صار لها هذه الشهرة الواسعة في جميع أنحاء العالم ، وذلك بفضل شخصية آغا خان وبعد نظره وصدق فراسته .

وفي سنة ١٩٥٠ ميلادية زار الباكستان لأول مرة بعد استقلالها فاستقبل استقبالاً عظيماً ، وألقى خطاباً طالب فيه حكومة الباكستان بأن تجعل اللغة العربية لغة الباكستان الرسمية .

وفي سنة ١٩٥١ ميلادية زار ايران ومنح أعظم وسام فيها ، كما زار سورية

(١) الشيعة في الهند ص ٣٧٥

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب ص ٣١٩ ، الطائفة الاسماعيلية : كامل حسين ص ١٢١ ، ١٢٢ .

ومنح وشاح أمية المرصع • وفي سنة ١٩٥٧ أحدث كرسياً للدراسات
الاسلامية في جامعة (هارفارد) في أميركا •

وفي سنة ١٩٥٤ ميلادية في الثالث من شهر شباط احتفل بيوبيله البلاتيني
باحتيال عظيم •

وفي سنة ١٩٥٥ ميلادية في شهر آذار احتفل بيوبيله البلاتيني في
مدينة القاهرة •

وفي سنة ١٩٥٧ أناب عنه ولي عهده الامير علي خان لحضور احتفالات
يوبيله البلاتيني في بمباي •

وفي يوم الخميس الساعة الثانية ظهرا الحادي عشر من تموز توفي في
قصره بسويسرا ، ونقل جثمانه جوا الى اسوان وفي ١٩ تموز من نفس العام
احتفل بوضع الجثمان في فيلانور السلام حتى تنتهي المقبرة التي شرع
بتشييدها على رأس ربوة الجبل الاصفر بقرب فيلانور السلام غرب مدينة
اسوان في مصر •

وفي ٢٠ شباط سنة ١٩٥٩ ميلادية تجمع الاسماعيلية من جميع أقطار
العالم حيث احتفل رسميا بنقل الجثمان الى مقره الاخير ، وترأس الاحتفال
آغان خان الرابع ، وكان لكاتب هذه السطور شرف المساهمة بهذا الحفل
الرائع العظيم •

هذه لمحة موجزة لحياة آغا خان الثالث سلطان محمد شاه الحسيني ،
الذي وهب نفسه وحياته لخدمة الاسلام ، وسيبقى أبدا مصدر الهام لاينضب
لاجيالنا الصاعدة المقبلة حتى نهاية العالم •

ولا غرو فقد تجلت عظمة هذا الامام في معاضدته للثقافة والعلم ،
ومساندته للنواحي الاجتماعية والاقتصادية والصحية ، وكان بالرغم من
المرض الذي تعرض له كثيرا في السنوات التي تلت نهاية الحرب العالمية الثانية

مشغولا دائما خارج جسده وذاته بالتطورات الجديدة العظيمة للطائفة
الاسماعيلية ونشاطها في العالم الاسلامي .

وكانت أمواله تنفق وتخصص دائما لخدمة المجتمع الاسماعيلي ، وقد
حرص طوال حياته على ان يكون لكل فرد من اتباعه منزلا خاصا به . ويمتاز
عهده في ذلك التطور السريع في حياة الاسماعيلية التي قفزت سريعا نحو
الامام ، فازدهرت ازدهارا شاملا في جميع المرافق ، حتى أصبحت مثالية
في كل شيء ، كيف لا وزعيمها ومرشدها كان مثاليا وانموذجا في حياته
وسلوكه ؟ ! .

وقد وجه عناية خاصة لاتباعه في سورية فوجههم وارشدهم ومنحهم
الاموال الطائلة لتأسيس المشاريع العمرانية الكبرى وستحدث عن ذلك في
غير هذا المكان .

والاسماعيلية عامة يحفظون عنه كثيرا من النصائح والارشادات والتعاليم ،
في الاقتصاد ، والثقافة ، والصحة ، والاجتماع ، والامور الدينية (١) .



(١) وضعت جميع تعاليمه وارشاداته في كتاب خاص اسمه (الدرر
الثمينة) نشره مؤلف هذا الكتاب بالعربية سنة ١٩٥٦ .

محمد الباقر

يعتبر الامام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المؤسس الأكبر للفقهاء الشيعي الذي استقى منه ولده الامام جعفر الصادق العلوم التي أظهرها فيما بعد .

كانت ولادته يوم الثلاثاء الثالث من صفر سنة ٥٧ هجرية في المدينة المنورة ، أمه أم عبد الله فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب . وما كاد يبلغ أشده حتى أصبح عالما كبيرا وفقهيا مرموقا ، وحجة في العلم ، يختلف اليه العلماء للتزود من ينبوعه الغزير الفياض بمختلف العلوم والمعارف ، وللدراسة عليه وسماع محاضراته ، وحججه وآرائه في مختلف العلوم الدينية (١) .

ذكر أنه ترك عدة مؤلفات منها : (٢)

- ١ — كتاب صفة الجنة والنار .
- ٢ — كتاب رسالة الى جابر الجعفي .
- ٣ — كتاب الكشف الكبير .

ونعتقد بأن هذه الكتب فقدت كغيرها من التراث الاسلامي الثمين نتيجة لموجات الفتوحات التي تعرضت لها البلاد الاسلامية في مختلف العصور . وقيل ان الامام الباقر كان يعرف الغيب وتنسب له احدى وثلاثون معجزة ، وكان محبا للسلام فقد أتى ابن سعد على كثير من أقواله التي تدل على ذلك

(٢) وفيات الاعيان ٢/٢٢١ .

(٢) المرشد الى الادب الاسماعيلي ص (٢٩) .

ومنها : (لا تنازعوا فيما بينكم فانه ينزع الايمان بالقرآن) ، ولقب بالباقر لتوسعه في العلم وتعمقه فيه^(١) .

تزوج أم فروه بنت القاسم بن محمد فولدت له جعفر الصادق وعبد الله و ابراهيم وعبيد الله ، عهد بالامامة من بعده لولده الاكبر جعفر الصادق ، وتوفي سنة ١١٤ هجرية في الحميمة ونقل جثمانه الى المدينة المنورة ودفن في روضة البقيع في قبر أبيه وعم أبيه الحسن بن علي وقيل انه أوصى أن يدفن بملابسه التي كان يصلي بها ، وبعد وفاته التف حوله قسم من الشيعة وكونوا الفرقة الباقرية .

وقد اختلفت المصادر في تحديد تاريخ وفاة الامام الباقر فقييل سنة ١١٣ أو ١١٤ أو ١١٧ أو ١١٨ هجرية والأرجح أنها كانت سنة ١١٤ هجرية^(٢) .



(١) وفيات الاعيان ٢/٢٢٢ تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٧٧ .

(٢) هامش كتاب اعماظ الحنفا للمقريزي ص ١٤ .

محمد بن علي بن حسن الصوري

يعتبر (الصوري) في طليعة دعاة الاسماعيلية الشعراء الذين اشتهروا بنظم الارجيز العقائدية الفلسفية ، واشتهرت صناعة الارجيز في العهود الفاطمية ، حيث استعملها الدعاة للدعاية والتعبير عن المواضيع الفلسفية والتعاليم العقائدية ، وقد نظم هذا الوزن شعراء كثيرون ، ودعاة أجراء ، عرف منهم القاضي النعمان بن محمد بن حيون ، وقد ذكر انه نظم قصيدتين في هذا الفن هما : « ذات المن » و « ذات المحن » ، كما ان داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي نظم قصيدتين على هذا الوزن . مطلع الأولى :

حمداً لرب قاهر السلطان فردليك باهر البرهان
اتقن كل صنعة واحكما من ذا يرد ما به قد حكما

والثانية :

بديع شكر ووسيع حمد لمبدع الكاف الرفيع المجد
أكمله سبحانه اذ أبدعه مبتدئاً واخترع النون معه

كما نظم الداعي علي بن حنظلة بن أبي سالم الوادعي قصيدة « سبط الحقائق » ويستدل من المصادر الاسماعيلية السورية أن أغلب الدعاة السوريين قد برعوا في هذا الفن .

ولد الداعي الأجل الشيخ محمد بن علي بن حسن الصوري من أبوين اسماعيليين في بلدة صور سنة ٤١٧ هجرية ، وتلقى علومه الأولية في مدارس الدعوة الاسماعيلية في مدينة (طرابلس الشام) ، ومن ثم توجه الى

القاهرة حيث أكمل علومه الدينية في دار الحكمة ، وقيل انه أقام فيها مدة عشر سنوات ، ثم عيّن داعيا في جبال السماق ، وظل يعمل متنقلا بين القلاع حتى اعلنت وفاة الامام المستنصر بالله ، فاعلن انضمامه كغيره من الدعاة السوريين الى جانب النزارية وتوفي سنة ٤٩٠ هجرية ، ودفن في جبال السماق •

نظم قصائد كثيرة ، ورسائل عديدة اشهرهم « التحفة الزاهرة » و«نفحات الأئمة » وقصيدته المشهورة (القصيدة الصورية)^(١) التي تعتبر من أقدم المصادر الاسماعيلية ، وتمثل العقائد أصدق تمثيل ، وتعد من أحسن المراجع في تاريخ قصص الانبياء ، وعدد الأئمة المنحدرين من علي بن أبي طالب حتى الامام المستنصر بالله الفاطمي ، وهي من الارجيز الرائعة ، تداولتها الايدي وحفظها الدعاة غيا •



(١) حققها وقدم لها عارف تامر ونشرها المعهد الفرنسي في دمشق سنة ١٩٥٥ ميلادية .

محمد بن علي بن نزار بن المستنصر بالله

في خضم الفتن والقلاقل والثورات ، التي اجتاحت فارس والعالم الاسلامي جلس محمد بن علي بن نزار على عرش الامامة الاسماعيلية بعد وفاة أبيه ، وكان أول عمل قام به أن نقل مقره الى قلعة « آلموت » ووجه اهتمامه لبعث الجيش الاسماعيلي (الفدائية) من جديد وتدريبه تدريبا كاملا ليستطيع الدفاع عن القلاع والحصون الاسماعيلية للوقوف في وجه الغزاة .

ولد الامام محمد بن علي بن نزار بن المستنصر بالله الفاطمي سنة ٥٠٠ هجرية في قلعة (لامستر) واصبح اماما للاسماعيلية بعد وفاة أبيه سنة ٥٣٠ هجرية ولقب (بالمهتدي) .

أعاد تنظيم المدارس المذهبية الاسماعيلية في جميع البلدان ، وأدخل الجدل والمناقشة في الفلسفة والفقہ الاسلامي والعقائد الاسلامية في تلك المدارس ، كما عمم نظام الشفرة أي المراسلة بواسطة أحرف خاصة في كافة الاتصالات الداخلية والخارجية ، فاستعملوا الاعداد للدلالة على الأحرف الابدائية^(١) .

وفي سنة ٥٣٢ هجرية تعرض الاسماعيلية لكثير من الهجمات الداخلية والغارات الخارجية ، وخرج لحربهم الخليفة العباسي (الراشد بالله) على رأس جيوش جرارة وقاتلهم حتى استولى على بعض القلاع بعد أن دافعوا عنها طويلا ، ولكنهم اضطروا للاستسلام بالنظر لوفرة جيوش الخليفة ولاقطاع الامدادات والمؤن عنهم ، ونهبت قلاعهم ، كما سبيت نساؤهم وقتل

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ١٩٠ .

اطفالهم ومثل فيهم ، وقيل انه لم يبق أحد منهم على قيد الحياة^(١) . وبعد عودة الخليفة الى بغداد أمر أن يقبض على الداعي (ابراهيم الاستربادي) وأعدم فوراً .

ولم يقف عند هذا الحد بل حرض العامة والغوغاء على الاسماعيلية فقتلوا منهم ستة آلاف ، كذلك سار لقتال الاسماعيلية السلطان السلجوقي كبريارق بجيوش جرارة فاحتل بعض القلاع الواقعة في بلاده بعد قتال شديد استمر عدة أشهر ودمر معالمها واحرق ساكنيها .

وفي سنة ٥٣٥ هجرية اعلنت وفاة شيخ الجبل الثالث (كيا بزرك أميد) وخلفه في أمور الدعوة ولده محمد كيا بزرك أميد فأصبح مقدا على قلعة آلموت وما جاورها .

وتنتيجة لتلك النكبات التي ألمت بالاسماعيلية تفرق عدد كبير منهم ودخلوا الاراضي السورية فانتشروا في مدنها وتوزعوا على القلاع الاسماعيلية في المنطقة الغربية ، كالكدموس ، ومصيف ، والمرقب ، والكهف ، والخوابي .

وتوجه قسم آخر بزعامه الداعي (بهرام) الى دمشق فساعدهم صاحب دمشق (طاهر بن سعد المزرغاني) وسلمهم قلعة بانياس في منطقة الحولة فعظم أمرهم فيها وتوسعوا في تلك المنطقة فخافهم صاحب دمشق ودبر مؤامرة للتخلص منهم ، وقيل انه أولم وليمة في دمشق دعا اليها كبار الاسماعيلية ، وقبل أن يدخلوا القصر أحاطهم بجنده وافنؤهم عن بكرة أبيهم ، وأمر عسكره أن ينادوا بقتل الاسماعيلية في أنحاء المدينة فقتل منهم عشرة آلاف اسماعيلي ونهبت أموالهم وشردت نساؤهم وأطفالهم . وهوجمت القلاع الاسماعيلية في فارس من قبل السلطان السلجوقي (مسعود) فدافعوا عنها حتى تمكنوا من دحر جيوشه والقضاء عليها ، وهاجموا خراسان فاحتلوا قسماً كبيراً من أراضيها .

(١) ابن الاثير ١٠/٢٢٥ ، نور مبین جبل الله المتین : لجنارا (ص٣٨٤-٣٨٥)

وتمكن الاسماعيلية من اغتيال الخليفة العباسي ، وصاحب دمشق وقائد جيوش الافرنج في طرطوس وغيرهم من القواد والامراء ، وبذلك تأروا لكرامتهم ممن كانوا السبب في ابادتهم •

ومما لا جدال فيه ان الدعوة الاسماعيلية بالرغم مما تعرضت اليه فارس وغيرها فقد بلغت الأوج في أكثر البلاد السورية ، فعظم أمرهم وخافهم الناس واشتد نفوذهم في حلب ، صور ، صيدا ، طرابلس ، قدموس ، مصياف ، المرقب ، الكهف ، بانياس ، سرمين ، بزاعة ، حماة ، حمص ، الخوابي ، وكانوا على صلة وثيقة في مركز الامامة في (ألموت) وكان الامام محمد المهدي يزودهم بالارشادات والنصائح والتعليمات ويرسل اليهم الدعاة الاكفاء لاجراء المناظرات وعقد المجالس واعطاء الدروس المذهبية والفلسفية^(١) •

ولقد عثرنا مؤخرا على عدة كتب بتوقيع الامام المهدي مرسله الى أتباعه في سورية ومنها استطعنا أن نستخلص بعض المعلومات التاريخية الهامة التي تدحض كل ما قيل أن أئمة ألموت كانوا من سلالة الحسن ابن الصباح أو من نسل (كيازرك أميد) فالحقيقة جلية ناصعة وكل ما قيل ويقال حول هذا الموضوع فمحض دس واقتراء قصد به تشويه سمعة الأئمة الاسماعيليين والظعن في نسبهم لابعاد الناس الذين كانوا يلتفون حولهم ويفدونهم بالارواح ، وليس من المعقول مطلقا أن يغتصب الامامة شخص كالحسن بن الصباح الذي أعدم ولديه لكونهما ارتكبا بعض الاخطاء التي تسيء الى سمعته كحجة للامام ، فهل بعد كل هذا يعمد كما قيل الى اغتصاب الامامة من أولاد نزار الذين بذل المستحيل لنقلهم من سجلماسة الى ألموت • وهل من المعقول أيضا أن يقبل (كيازرك أميد) بأن يقتل الامام من سلالة نزار ويولي ابنه مكانه ، كل هذه الروايات ليست الا بعض ما صنفه اعداء الاسماعيلية للظعن بنسب أئمتهم •

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية (ص ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١) •

محمد بن كيا بزرك أميد

تكاد أغلب المصادر التي بين أيدينا تجمع على أن الداعي محمد ابن كيا بزرك أميد كان خير الدعاة النزارية في عهد الحسن بن الصباح وكان من العلماء المبرزين في كافة العلوم الاسماعيليه ، فلا غرو ، فقد نشأ وترعرع في القلاع الاسماعيليه حيث تلقى العلوم الفلسفيه على أيدي كبار الدعاة العلماء ، ولما توفي الحسن بن الصباح وتسلم أبوه كيا بزرك أميد مكانه عينه حاكما لقلعة (رودبار) وما جاورها ، فأظهر نبوغا عظيما خوله لأن يحوز على رضا وثقة الجميع ، ولما أعلنت وفاة والده كيا بزرك أميد في سنة ٥٣٥ هجرية وقيل في جمادي الاول سنة ٥٣٣ هجرية^(١) وقع الاختيار عليه ليحل محل أبيه فتوجه الى مركز الدعوة في آلموت وتسلم جميع الامور فيها ، فكون جماعة منظمة تسير على نظام ثابت دقيق ، وأخذ ينشئ المجتمع الاسماعيلي تنشئة دينية قوامها الزهد والتقوى والعلم ، ونظم حدود الدعوة تنظيما روحيا متقنا ، وفي الامور العسكرية والسياسية نهج أبيه فأكثر من اقامة القلاع في جبال فارس وطبرستان وخراسان والشام^(٢) .

وتذكر المصادر التاريخية أن نوعا من الفتور قد حصل في عهده ، بينه وبين الاسماعيليه في بلاد الشام التي كان يتزعمها الداعي أبو محمد ، ولقد حاولنا بشتى الوسائل معرفة أسباب ذلك الاقطاع أو الفتور فلم تتمكن ، لان المصادر الاسماعيليه السوريه لم تشر الى شيء من هذا القبيل ولربما حصل ذلك بأسباب الحروب الكثيرة التي كان يتعرض اليها الاسماعيليه في

(١) الشيعة في الهند لنورمان ص ٣٠٩

(٢) دولة النزارية : لشرف : ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

جميع المناطق ، ولو فرضنا أنه وجد ذلك الفتور فإنه باعتقادي لم يستمر طويلا لأن العلاقات في أواخر عهد هذا الداعي الكبير كانت على أحسن مايرام والدليل على ذلك الرسائل التي كانت تصل باستمرار من مركز الدعوة النزارية في ألموت ومقر الامام محمد المهدي الى أتباعه في سورية ، وكانت تحمل في طياتها التعاليم والارشادات والنصح والوامر المتعلقة بالتنظيمات .

وعلى العموم لاقى حجة الامام محمد بن كيا بزرگ كما لاقى من تسلموا هذا المنصب من قبله بعض الصعوبات ، حيث كانت الثورات والاضطرابات والحروب والغارات على الاسماعيلية في جميع البلدان متوالية ، ومع كل هذا فقد أثبت جدارة وحكمة فقاد أتباعه من نصر الى نصر حتى توفي سنة ٥٥٧ هجرية ودفن في قلعة ألموت .

ولا بد من الاشارة الى ما قاله طه أحمد شرف بالحرف الواحد : (ولم يثر واحد من شيوخ الجبل الثلاثة على نزار وأبنائه ، بل كانوا مثلا عليا في حبهم والاخلاص لهم ، كما كانوا مثلا عليا في التقوى والاخلاق الطيبة ^(١)) وهذا أكبر دليل على بطلان كل الاقوال والروايات .



(١) دولة النزارية : ص ٢٢٢ .

محمد بن المسيّب العقيلي

وجه الخلفاء الفاطميون جهودا جبارة في سبيل نشر الدعوة الاسماعيلية في بلاد العراق بعد أن لاقى هذه الدعوة المعارضة الشديدة والمقاومة العنيفة ، حيث طارد الخلفاء العباسيون الدعوة وقتلوهم أينما وجدوهم ، وبالرغم من كل هذا فقد تسلم رئاسة الدعوة في الموصل الامير أبو الدرداء محمد ابن المُسيّب بن رافع بن المقلد العقيلي سنة ٣٨٢ هجرية فخطب على منبر الموصل للامام العزيز الخليفة الفاطمي ، وسير الدعوة الى الانبار والمدائن والكوفة (١) وساعده على نشر الدعوة وتقويتها قرواش العقيلي الذي اعلن خروجه على طاعة الخليفة العباسي .

أثار هذا العمل حفيظة الخليفة العباسي ، فلجأ الى محاربة الاسماعيلية عن طريق التشهير بسمعتهم في العالم الاسلامي ، فعقد اجتماعا دعا اليه الفقهاء والقضاة وبعض زعماء الشيعة ، وطلب منهم أن يصدروا محضرا يتضمن الطعن في نسب الأئمة الفاطميين ، والقدح في أنسابهم وعقائدهم وقرئت النسخ ببغداد ، وأخذت فيها خطوط القضاة والأئمة والاشراف (٢) وقيل ان من بين الذين وقعوا المحضروا واشتركوا في تنظيمه ، الشريف الرضي والمرتضى أخوه ، والامام أبو حامد الاسفرايني (٣) . ولكننا نستغرب كيف يشترك في هذا المحضروا الشريف الرضي وهو القائل من قصيدة له :

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ٤/٢٢٤ - ٢٢٧ .

(٢) نفس المصدر : ٤/٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٣) تاريخ بغداد : للبغدادي : ٤/٣٦٨ - ٣٧٠ ، ابن خلكان : وفيات

الاعيان ١٩/١ - ٢٠ .

ما مقامي على الهوان وعندى
 ألبس الذلّ في بلاد الأعادي
 من أبوه أبي ومولاه مولا
 لفّ عرقي بعرقه سيذا النا
 مقبول صارم وأنف حمي
 وبمصر الخليفة العلوي
 ي إذا ضافني البعيد القصي
 س جميعاً محمد وعلي

ولم يكن هذا ما فعله العباسيون بل نراهم يوعزون الى ولاتهم للقضاء على كل من تسول له نفسه اعتناق المذهب الاسماعيلي ، وبالرغم من كل هذا فقد تمكن الامير أبو الدرداء أمير الموصل من نشر دعوته وتقويتها ، فاطلق الدعاة الى فارس وسورية والبحرين ، وقد لاقت على يديه الرواج والازدهار ، مما ساعد على تسرب بعض الدعاة الى قلب بغداد فتمكنوا من استمالة أهل الكرخ ، الذين مدوا يد المساعدة فيما بعد للبساسيري عندما هاجم بغداد واحتلها . وقيل ان أبا الدرداء محمداً توفي في الموصل سنة ٤٠٧ هجرية .



محمد نور الدين بن غريب ميرزا

(الشهر بأبي ذر علي)

ذكرنا في ترجمتنا لحياة الامام غريب ميرزا والد الامام أبي ذر علي أنه حاول نقل مركز الامامة الى الهند نتيجة للفوضى الداخلية والقتال التي كانت تعم ايران ، ولكنه توفي قبل أن يحقق هذه الأمنية ، فعمد ولده أبو ذر علي بعد أن تسلم الامامة الى الانخراط في السياسة العامة لايرن ، حيث أعلن أثناء الاحتفالات بتنصيبه عن رغبته في التوسط لحل كافة الخلافات الداخلية بين الأمراء والقبائل والسلطة الحاكمة .

ولقد وافق الجميع على تحقيق هذه الرغبة لما كان يتمتع به الامام الاسماعيلي من ثقة لدى الجميع ، وبالفعل تمكن من فض المنازعات والمشاحنات مما قربه الى الاسرة الحاكمة الصفوية ، وزوجوه من الاميرة (صابرة خاتون) وبذلك توثقت العلاقات وازدادت الروابط بينه وبين الصفويين ، فاصبح يسيطر من وراء الستار على شؤون ايران السياسية ، مما ساعد على اعادة الامن والنظام الى ربوع البلاد (١) .

كانت ولادة الامام محمد نور الدين بن غريب ميرزا (الشهر بأبي الذر علي) سنة ٨٤٢ هجرية في مدينة (بابك) وجلس على اريكة الامامة الاسماعيلية بعد وفاة أبيه سنة ٩٠٢ هجرية ووجه اهتمامه لتقديم المساعدات المادية والمعنوية لاتباعه في جميع المناطق فازدهرت دعوته بعد أن تمكن من فض مشاكل ايران الداخلية وناسب العائلة المالكة . فوزع الدعاة الاكفاء وأعلن عن ترك التقية والستر واطهار الدعوة بصورة علنية ، وحظر على اتباعه

(١) نور مبین حبل الله المتین : جنارا : ص ٥٥٥ - ٥٥٦ .

في مختلف المناطق الاساءة الى الطوائف والفرق والمذاهب الاخرى ، وطلب منهم أن يحترموا المذاهب الاخرى حتى يحترم مذهبهم (١) .

وأقر على سورية الداعي (أبا فراس) الذي جعل مقره في قلعة المنيقة(٢)، وأخذ يعمل بجهد ونشاط على جمع العائلات الاسماعيلية التي كانت موزعة في المدن السورية تعيش بالتقية والكتمان ، وحشدتهم في القلاع الممتدة على طول الساحل السوري ، بعد أن حسن علاقاته السياسية والاجتماعية مع الطوائف المجاورة من النصيرية والسنية ، وتذكر المصادر ان قسما كبيرا من أتباع الفرقة (المؤمنية) المنشقة عن الاسماعيلية أخذوا يعودون الى كنف اخوانهم فعاشوا متضامنين متآزرين يسيطر عليهم الحب والاخاء . وكذلك زاد نفوذ الاسماعيلية في الهند فسيطروا على الاسواق التجارية وعلى الصناعات المحلية ، وابتعدوا كليا عن السياسة المحلية والخارجية (٣) .

وتوفي الامام أبو الذر علي سنة ٩١٥ هجرية ودفن في (انجودان) ولا يزال ضريحه حتى الآن وسط روضة غناء ويزار .



-
- (١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص ٢٤١ - ٢٤٢ .
 (٢) كتاب البستان : مخطوط اسماعيلي في مكتبتي الخاصة ورقة ٢١٧ .
 (٣) الشيعة في الهند : Hollister : ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .

أعلا محمد بن الحسن علي بن القاهر

كان الامام أعلا محمد علي نصيب كبير من المقدرة العلمية والادبية ،
والمعرفة الفلسفية ، قوي الحجج ، له مقدرة عجيبة على الاقتناع ، استطاع
أن يقنع أكبر فيلسوف عرفته فارس في ذلك الوقت وهو الفيلسوف الكبير
(فخر الدين الرازي) فاعتنق مذهبه ، وأصبح كبيرا لدعاته ورئيسا لمدارس
الدعوة الاسماعيلية في ألموت (١) .

ولد الامام الاسماعيلي الخامس - من سلالة نزار - أعلا محمد بن الحسن
علي ابن القاهر بقوة الله سنة ٥٥٣ هجرية في قلعة ألموت .

وما كاد يبلغ الثامنة من عمره حتى أعلنت وفاة أبيه فتسلم الامامة سنة
٥٦١ هجرية باحتفال كبير حضرته وفود كثيرة من كبار رجالات الدعوة
الاسماعيلية في بلاد فارس . وأتته البيعة من جميع القلاع والحصون ومن
مختلف المناطق الاسماعيلية في بلاد الشام والعراق والهند وغيرهما .

ولما كان الامام أعلا محمد صغيرا فقد أعلن مجلس الدعاة الاشراف
على أمور الدعوة وتنظيماتها السياسية والعسكرية ، وعين كبار العلماء
والفلاسفة المختصين ليشرفوا على تثقيف الامام وتعليمه ، ولم تمض فترة من
الوقت حتى استوعب كافة العلوم الدينية والفلسفية وتعمق في أصول الجدل
والاقتناع ، وأظهر نبوغا غريبا في العلوم الروحانية والتأويلية والفقهية . حتى
قيل ان علومه ومعارفه واحاديثه أصبحت تحير العقول (٢) . لذا تسلم كافة

(١) تاريخ الادب في ايران : لبراون : ص ٥٧٨ .

(٢) نور مبين حبل الله المتين : لجنارا : ص ٤٠٦ .

السلطات المنوحة له كامام وأعلن ان دور الستر قد انتهى وبدأ عهد الظهور والنور والعلم ، فوجه اهتمامه الى الدعوة فأحدث بعض التبديلات الجوهرية في نظمها وادخل نظام (المناظرات العلمية) وخصص يوما واحدا من كل اسبوع لاجراء المناظرات الفلسفية والفقهية بين الدعوة يحضرها بنفسه ليحكم بين المتناظرين ، فيعلمهم ويرقيهم في مراتب الدعوة حسب ما يظهرونه من كفاءة علمية ، ولقد تمكن الامام من افحام الفيلسوف الفارسي الكبير (فخر الدين الرازي) في احدى المناظرات ، فاقنع بحججه القوية واعتنق مذهبه ، فعينه الامام وزيرا ومشرفا عاما على العلوم والتدريس والجدل والمناظرات .

ويذكر التاريخ أن الاسماعيلية لم يتعرضوا في عهده لأية هجمات خارجية لما كان يتمتع به من سمعة علمية فائقة جعلته يكسب حب واحترام جميع الطوائف ، ولكن الاسماعيلية في سورية تعرضوا لغزوات بعض الأمراء الصليبيين ولتقمة صلاح الدين الايوبي الذي جرد عليهم الحملات ولكن حجة الامام في بلاد الشام (سنان راشد الدين) تمكن من رد جميع المحاولات فاضطر صلاح الدين الى توقيع معاهدة صداقة معه ، فتقرب اليه صلاح الدين فساعدته سنان في بعض حروبه مع الصليبيين وتوفي الامام أعلا محمد سنة ٦٠٧ هجرية ودفن في قلعة آلموت (١) .



(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : ص ٢١٠ .

القائم بأمر الله

محمد بن المهدي

تأسيس الدول وتركيز دعائم الحكم ، على أنقاض ثورات عنيفة لاهبة ، وحروب طاحنة ، يتطلب عقلية جبارة ، وقيادة حكيمة ، وشجاعة نادرة ، وصبر طويل ، خاصة اذا كانت البلاد واسعة مترامية الأطراف ، يعيش في مجتمعها القبلية والعشائرية ، ويسيطر على شعوبها التعصب الديني المقيت •

وبالرغم من كل هذه العوامل فقد استطاع الاسماعيلية أن يزللوا العقبات والمصاعب ، وان يستأصلوا جذور الفتن والفتن والقتل ، وبينوا دولة مثالية ، بفضل حنكة ودراية وشجاعة الامام المهدي وولده الامام القائم بأمر الله الذي رافق تأسيس هذه الدولة الفتية منذ اللحظة الاولى وخاض المعارك والحروب وقاد الجيوش من نصر الى نصر •

كانت ولادة الامام القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن المهدي في سلمية في شهر محرم عام ٢٨٠ هجرية رافق والده الامام محمد المهدي في رحلته المشهورة الى المغرب وعهد اليه بالامامة الروحية للاسماعيلية وبالخلافة الفاطمية وكان في الثالثة والاربعين من عمره عندما تمت له البيعة في عام ٣٢٢ هجرية ، فاقنقى اثر ابيه وخطى خطاه ونهج نهجه ، فعمل جاهدا على تعميم الدعوة لمذهبه ، والاعتناء بجيوشه وتنظيمها ، وتقوية البحرية فشكل اسطولا عظيما تمكن بواسطته من قهر العصابات البحرية المالطية التي كانت تأتي باعمال القرصنة للسلب والنهب والتخريب ، واحتل اسطوله (جينوه) و (لوبارتي) و (غرناطة) وغيرها من البلاد الايطالية التي كانت خاضعة لحكم الروم كما فتح جزيرة (صقلية) •

رغب الامام القائم بأن يتوسع في المغرب الاقصى ليتمكن من القضاء على الثورات الداخلية التي كان قد أشعلها أذنان وبقايا فلول العباسيين والأمويين المتوارين عن الانظار ، فسير جيشا كبيرا أسند قيادته (ليسور الفتى) لغزو المغرب الاقصى فوصل الى « فاس » والى « تكرر »^(١) وأرسل جيشا بحريا بقيادة (يعقوب بن اسحق) لقتال الروم فسبا وغنم في (جنوه)^(٢) وسير جيشا آخر بقيادة خادمه (زيدان) الى مصر فدخل الاسكندرية وتقابل مع جيش الاخشيدي وفي سنة ٣٢٣ هجرية أخرج الامام القائم الجيوش لضبط البلاد واعادة الأمن والاستقرار فيها ، فأرسل جيشا مع « ليسور الفتى » وآخر مع « بشرى الفتى » لمحاربة قبائل زناته التي شقت عصا الطاعة بقيادة زعيمها « أبي يزيد » فالتقى الجيشان في معركة حامية انهزم على أثرها أصحاب أبي يزيد بعد أن قتل منهم أربعة آلاف وأسر خمسمائة ارسلوا الى المهديّة في السلاسل فقتلتهم العامة^(٣).

جمع أبو زيد فلول جيشه المدحور فتوجه الى تونس في العشرين من صفر سنة ٣٣٤ هجرية فوصلها ونهب جميع ما فيها وسبى النساء والاطفال وقتل الرجال ، وهدم المساجد ، فالتجأ أكثر الناس الهاربين منه الى البحر فغرقوا ، وتمكن أبو يزيد من احتلال القيروان ورقادة فنهب وقتل وأحرق . ولما بلغت أخباره الامام في المهديّة أرسل له جيشا بقيادة ليسور الفتى فالتقى بأبي يزيد ، واشتد القتال بينهما ، وقتل ليسور ، وحمل رأسه الى أبي يزيد فانهزم عامة عسكره^(٤).

وسير أبو يزيد الكتب الى عامة البلاد يخبر بهذا الظفر ، وطيف برأس

(١) ابن خلدون العبر ١٣٥/٦ - ١٣٦ ابن الاثير ١٠٧/٨ .

(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزي ص ١٠٨ .

(٣) اتعاظ الحنفا ص ١١١ .

(٤) ابن الاثير ١٦٠/٨ اتعاظ الحنفا ١١٢ .

ميسور بالقيروان ، وأقام أبو يزيد شهرين وثمانية أيام في معسكرات ميسور، ومن ثم فتح سوسة بالسيف ، وقتل الرجال وسبا النساء ، وأحرق البلد ، وبقر أصحابه البطون واعتدوا على النساء ، حتى لم يبق موضع في افريقية معمور ، ولا سقف مرفوع ، ومضى جميع من بقي الى القيروان حفاة عراة فمات أكثرهم جوعا وعطشا (١) .

ولم يقف أبو يزيد عند هذا الحد بل رحل نحو المهديّة فنزل على بعد خمسة عشر ميلا منها ، وبث سراياه فاتهبوا ما وجدوا ، وقتلوا من أصابوا . فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الاولى من نفس السنة خرجت كتامة وأصحاب الامام القائم الى أبي يزيد ، فالتقوا على ستة أميال من المهديّة ، واقتتلوا حتى انهزم أصحاب أبي يزيد وقتل كثير منهم ، ولكن أبا يزيد جمع الصفوف وهجم بنفسه واقتحم قوم من البربر بباب الفتوح ، وأشرف أبو يزيد على المهديّة ، ووقف على الخندق المحدث ، وقاتل عليه حتى وصل الى باب المهديّة عند المصلى الذي للعيد ، وتفرق أصحابه في زويلة يهبون ويقتلون ، وحمل الكتاميون على البربر وهزمهم وقتلوا منهم .

وفي هذه الاثناء وصل زيري بن مناد فعظم القتال ، واشتد الحصار على المهديّة ، واقتحم أبو يزيد بنفسه الجموع حتى وصل قرب الباب ، فعرفه بعض العبيد فقبض على لجامه ، وصاح : « هذا أبو يزيد فاقتلوه » فأتاه بعض أصحابه وقطع يد العبد ، وخلص أبو يزيد ، واستنجد أبو يزيد بعامله على القيروان ، وبعد أن وافته النجدة زحف بهم على المهديّة ، فجرى قتال تشيب لهوله الولدان وانهزم أبو يزيد هزيمة منكرة وزحفت عساكر الامام القائم ففرقت الجموع وبعثت الصفوف . وتكررت الحروب بين الطرفين في أماكن متعددة من البلاد استمرت فترة طويلة ، ولقد تعرضت البلاد للخراب والتدمير والفقر ، خلال هذه الحروب العنيفة التي أشعل نارها أبو يزيد ،

(١) ابن الاثير ١٦٦/٨ .

ويستدل من المصادر التاريخية الكثيرة أن عهد الامام القائم كان عهد حروب وثورات وفتوحات لنشر الدعوة ولتركيز دعائم الملك ، وللقضاء على العناصر الهدامة التي كانت تعيث فسادا في البلاد ، ولصد غزوات القرصان الدائمة ، ومع كل هذا فقد استطاع هذا الامام المقدام أن يستأصل أكثر العناصر الثائرة ، ويخلق جيلا جديدا من المحاربين المدربين على كافة الامور الحربية وباعتبار أن أكثر المدن تعرضت للدمار والخراب والنهب والسلب نتيجة لتلك الحروب فقد اهتم الامام القائم بهذه الامور فوزع الاموال والهبات على الشعب المنكوب وقدم كل المساعدات لاعادة البناء والتعمير .

ولم يقف نشاط الامام القائم عند هذا الحد بل وجه اهتمامه الى تقوية مدارس الدعوة ، وتعميمها في مختلف الاقطار التي يقطنها الاسماعيلية ، فتخرج منها دعاة علماء وكتاب عظماء كان لهم أكبر الاثر في نشر الدعوة وازدهارها على أساس علمي صحيح ، وقد دخل في المذهب الاسماعيلي أكثر حكام النواحي والامصار .

واستمرت مدة خدمة الامام القائم اثنا عشر عاما تعرضت دولته خلالها لهزات عنيفة وحروب طاحنة ، لم تمكنه من أن يكرث جهوده الكلية للاصلاحات الداخلية ، ومع كل الظروف التي أحاطت به فقد عرف عهده بالمجد الحربي والانتصارات الرائعة التي حققها الاسماعيلية .

وتوفي الامام القائم في ١٣ شوال سنة ٣٣٤ هجرية ودفن بالمهدية .

وأولاده : أبو الطاهر اسماعيل ، وأبو عبد الله جعفر ، وحمزة ، وعدنان ، وأبو كنانة ، ويوسف ، وعبد الجبار ، وأربع بنات ، وترك سبع سراري .

وقال فيه خليل بن اسحاق لما بعثه لقتال أبي يزيد :

وما ودعتُ خيرَ الخلقِ طرا
ولكنني طلبت به رضاه
فعاش مملكا ما لاح نجم
ولا فارقتُه عن طيب نفس
وعفو الله يوم حلول رمس
على الثقلين من جن وانس

محمد بن هانيء الاندلسي

كان للمذهب الاسماعيلي ورموزه و اشاراته ومصطلحاته تأثير قوي في انتاج الشعراء الاسماعيلية ، فكانوا يمدحون الأئمة بالصفات التي صبغها المذهب عليهم ، فيستعملون المصطلحات التي أوجدها علماء المذهب ودعائه ، مما جعل بعض النقاد يعتبرون شعرهم غلوا وخروجاً عن الدين ، وكفراً والحادا ، مما كان له أكبر الأثر في اتلاف أو حرق انتاج أكثر الشعراء الاسماعيليين ، وخاصة في العهد الايوبي ، وتعود أسباب النقمة على الشعر الاسماعيلي لعدم معرفة النقاد ما يريده الشاعر لجهلهم بالتأويل الباطني لاقوال الشعراء ولو كلفوا أنفسهم وقاموا بدراسة المصطلحات الاسماعيلية العقائدية وخاصة نظرية المثل والممثول لرجعوا عن كثير مما اتهم به الشعراء الاسماعيلية .

ولد الشاعر الاسماعيلي محمد بن هانيء بن محمد بن سعدون الاندلسي الملقب بأبي القاسم ، وأحياناً بأبي الحسن بقرية (سكون) من قرى اشبيلية في بلاد الاندلس سنة ٣٢٠ هجرية (١) ، نشأ وتآدب في اشبيلية وارتاد دار العلم في قرطبة ، فقرض الشعر حتى مهر فيه وتجلت مواهبه الفلسفية .

اتصل بصاحب اشبيلية فأعزه وأكرمه وأقام معه حتى اتهم بمذاهب الفلاسفة الاسماعيلية فشاع أمره واشتهر بين الناس فنقموا عليه وحاول أهل اشبيلية قتله ، وأخذوا يسيئون الظن بالملك بسببه ، فأشار الملك عليه أن يترك المدينة ، فرحل عنها وله من العمر سبع وعشرون سنة (في سنة ٣٤٧ هجرية) الى المغرب حيث اتصل بأمر (المسيلة) جعفر بن علي بن حمدون فبالغ في اكرامه واحسن اليه ، فمضى خبره الى الامام المعز فطلبه من جعفر

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ١٣٦ .

فأرسل اليه ، فلما وفد على الامام المعز بالغ في الانعام عليه (١) .
 أقام ابن هانيء في بلاط الامام المعز حتى ارتحل الى مصر فودعه ابن
 هانيء وعاد الى المغرب لاخذ عياله وللحاق بمولاه (٢) .

أعد ابن هانيء العدة للرحيل ، وسار يريد مصر . فلما بلغ برقة أضافه
 شخص من أهلها ، فأقام عنده أياما في مجالس الأنس والطرب . وقيل انهم
 عربدوا عليه فقتلوه . وفي رواية أخرى ، أنه خرج سكران ، فنام في
 الطريق ، فوجد ميتا في الصباح وقيل مخنوقا بتكة سرواله وملقى على جانب
 البحر لا يدري من قتله وكان ذلك في أواخر رجب سنة ٣٦٢ هجرية (٣) .

ولما علم الامام المعز بوفاته تأسف عليه وقال : « لا حول ولا قوة الا بالله
 هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر ذلك » (٤) .

كان ابن هانيء فحل من فحول الشعراء ، ويعتبر أشعر شعراء المغرب
 على الاطلاق من المتقدمين والمتأخرين ، فلا غرو اذا لقب (بمتنبي الغرب) ،
 وقصائده الرائعة المدونة في ديوانه (٥) لأكبر دليل على مقدرته الشعرية ،
 وجل قصائده في وصف الفتوحات الاسماعيلية . ومدح الامام الاسماعيلي
 المعز لدين الله ، وقائده جوهر الصقلي ، والتحمس للمذهب الاسماعيلي :

قال مظهراً تشييعه معتزاً بمذهبه :

لي صارم وهو شيعي كحامله يكاد يسبق كراتي الى البطل
 اذا المعز معز الدين سلطه لم يرتقب بالمنايا مدة الأجل (٦)

-
- (١) ياقوت : ارشادات الاريب ١٢٦/٧ - ١٢٧ .
 (٢) ابن خلكان ٥/٢ ، المقري : نفع الطيب ١٠/٢ .
 (٣) ابن الاثير ٤٥٧/٨ .
 (٤) وفيات الاعيان : ابن خلكان ٥/٢ .
 (٥) نشره وطبعه في الهند الدكتور علي زاهد الاسماعيلي ص ٢٤٦ .
 (٦) ديوان ابن هانيء ص ١٨٢ .

وها هو يذكر كيف تلمس السبيل الى امامه المعز :

وظفقت أسأل عن أعزّ محجل
حتى دفعت الى المعز خليفة
جود كأن اليم فيه نفائة
وإذا الأنام جبلة دهماء
فعلمت أن المطلب الخلفاء
وكأنما الدنيا عليه غشاء (١)

ويقول في قصيدة رائعة قيل انها أول ما أنشد في مدح الامام المعز :

قد كان رشح حديده أجلا وما
وكأنما يلقي الضريبة دونه
هذا معد والخلائق كلها
هذا ضمير النشأة الاولى التي
وصواهل ، لا الهُضب يوم مغارها
عرفت بساعة سبقها لا أنها
وأجلّ علم البرق فيها أنها
في الغيث شبه من نذاك فكأنما
أما الغنى فهو الذي أوليتنا
وأذن له يفرق أمية معلنا
النور أنت وكل نور ظلمة
فارزق عبادك منك فضل شفاعة

صاغت مضاربه الرقاق قيون
بأس المعز أو اسمه المخزون
هذا المعز متوجا والدين
بدأ الاله وغييها المكنون
هُضب ، ولا البيد الحزون حزون
علقت بها يوم الرهان عيون
مرت بجانحته وهي طنون
مسحت على الانواء منك يمين
فكأن جودك بالخلود رهين
ما كل مأذون له مأذون
والفوق أنت وكل فوق دون
واقرب بهم زلفى فأنت مكين (٢)

وعلى هذا الشكل نظم ابن هانيء مدائحه في المعز ، معدداً مآثره ،
مشيداً بأحقية الفاطميين بالخلافة .

وأدخل في قصيدته بعض المصطلحات الاسماعيلية التي أطلقها على مولاه :

(١) الديوان ص ٧ .

(٢) ديوان ابن هانيء ص ٢١١ - ٢١٦ .

وهذه بعض الابيات من قصيدة أخرى طويلة :

هو علة الدنيا ومن خلقت له ولك الجواري المنشآت مواخرا
ولعلة ما كانت الاشياء فعنت لك الابصار واتقادت لك الأ
تجري بأمرك والرياح رخاء لا تسألن عن الزمان فانه
قدار واستحيت لك الأنواء في راحتك يدور حيث تشاء (١)

وواصل ابن هانيء مدح امامه المعز ف جعله في منزلة عيسى ومحمد وهذا
جزء من المصطلحات الاسماعيلية :

ندعوه منتقما عزيزا قادرا غفار موبقة الذنوب صفوحا
أقسمت لولا أن دعيت خليفة لدعيت من بعد المسيح مسيحا
شهدت ببفخرك السموات العلا وتنزل القرآن فيك مديحا (٢)

وها هو يعتز بالانتصارات التي أحرزتها جيوش المعز على جند البيزنطيين
في وقعة (المجاز) حيث قتل قائد الروم منويل :

يرم عريض في الفخار طويل ما تنقضي عزر له وحجول
لو أبصرتك الروم يومئذ درت أن الاله بما تشاء كفيلا
يا ليت شعري عن مقاولهم اذا سمعت بذلك عنك كيف تقول
ودوا ودادا أن ذلك لم يكن صدقا ، وكل تاكل مثكول
قل للدمستق مورد الجبع الذي ما اصدرته له قنا ونصول
سل رهط منويل وأنت غررته في أي معركة ثوى منويل
منع الجنود من القفول رواجعا تباله بالمنديات ققول
ان التي رام الدمستق حربها لله فيها صارم مسلول
ليت الهرقل بدا بها حتى اثنى وعلى الدمستق ذلة وخمول

(١) ديوان ابن هانيء (ص ٧ - ١١) .

(٢) المصدر نفسه ص (٣٤ - ٣٦) .

رمح اعق ولهذم مصقول
بجبال آل محمد موصول
ان الهداية دونه تضليل
وتصدق التوراة والانجيل
فاذا خصصت فكلهم مفضول
عدت ومن احسابك التنزيل
ما يستوي المعلوم والمجهول
ان البرية شاهد مقبول
فينا وآنت على الدليل دليل^(١)

ولا بد لنا ونحن تقترب من النهاية من أن تقدم بعض الايات من قصيدة ابن هانيء المشهورة التي جعلت أكثر النقاد يعدونه من الغلاة الملحدین بسببها، وليس هذا بغريب لأنهم لم يتوصلوا الى معرفة حقيقة ابن هانيء الذي كما ذكرنا يدخل المصطلحات المذهبية الاسماعيلية في كل قصائده معتمدا على نظرية المثل والمثول :

فاحكم فأنت الواحد القهار
وكانما أنصارك الانصار
في كتبها الأخبار والأخبار
قد دوخ الطغيان والكفار
وبه يحط الاصر والأوزار
حقاً وتخمد أن تراه النار
ينمي اليهم ليس فيه فخر
صحيان لا يخفيه عنك سرار

نخرت بها العرب الاعاجم انها
ما ذاك الا ان جبل قطنها
من يهتدي دون المعز خليفة
من يشهد القرآن فيه بفضل
كل الأئمة من جدودك فاضل
فافخر فمن انسابك الفردوس ان
وأرى الورى لغواً وانت حقيقة
شهد البرية كلها لك بالعلی
والله مدلول عليه بضعه

ما شئت لا ما شاءت الأقدار
وكانما أنت النبي محمد
انت الذي كانت تبشرنا به
هذا امام المتقين ومن به
هذا الذي ترجى النجاة بحبه
هذا الذي تجدي شفاعته غدا
من آل أحمد كل فخر لم يكن
كالبدر تحت غمامة في قسطل



(١) ديوان ابن هانيء ص ١٤٧ - ١٥٣

ومنها :

صدعت جيوشك في العجاج وعانشت
ملاوا البلاد رغائباً وكتائباً
وعواطفاً وعوارفاً وقواصفاً
وجداولاً وأجادلاً ومقاولاً
عسكوا الزمان عوائناً ودواخناً
سفروا فأخلت بالشموس جباههم

ليل العجاج فوردها اصدار
وقواضباً وشوازيماً ان ساروا
وخوائفاً يشتاقيها المضمار
وعواملاً وذوابلاً واختاروا
فالصبح ليل والظلام نهار
وتعجرت بغمها الأقمار

* * *

جلت صفاتك أن تحد بمقولٍ
والله خصك بالقرآن وفضله
ما يصنع المصداق والمكثار
واخجلتي ما تبلغ الاشعار (١)

وفي هذين البيتين من قصيدة قد تكون آخر ما نظمه ، وقد أرسلها الى
الامام المعز وهو في طريقه الى مصر فيقول :

وروح هدى في جسم نور يمهده
فاقسم لو لم يأخذ الناس وصفه
شعاع من الأعلى الذي لم يجسم
عن الله لم يعقل ولم يتوهم (٢)

* * *

(١) نفس المصدر ص ٩٦ .

(٢) نفس المصدر ص ١٨٨ .

محي الدين بن العربي

في العصور الاسلامية السابقة كانت تسود المجتمعات الاسلامية الفكرية مدرستان ، الاسماعيلية والصوفية ، وكان للحكومات السائدة في ذلك الوقت التأثير الكبير على سير هاتين المدرستين ، فعندما تكون الحكومة من أنصار المدرسة الاسماعيلية الفلسفية تطفئ الفكرة الاسماعيلية وتعاليمها على المدرسة الصوفية ، فيعتنق الطلاب الفلاسفة الصوفيون الافكار الاسماعيلية ويدخلونها في مدرستهم وبالعكس •

ونرى ذلك ظاهرا في سلوك ومؤلفات الكثيرين من اتباع هاتين المدرستين في العصور المختلفة ، هذا ما جعل أمر البت في الحكم على أي فيلسوف من فلاسفة ذلك الوقت ، ولأي هاتين المدرستين ينتمي من أصعب الامور التي لا يعرفها الا من تعمق في دراسة أصول وفلسفة الاسماعيلية والصوفية • ويعتبر مترجمنا من أكبر فلاسفة الاسماعيلية والصوفية الذين ظهوروا في العالم الاسلامي •

كانت ولادة الشيخ العلامة محي الدين العربي في بلاد الاندلس بمدينة (مرسية) سنة ٥٦١ هجرية ويذكر التاريخ أنه درس الفقه في اشبيلية سنة ٥٦٨ هجرية ثم غادر تلك البلاد سنة ٥٩٨ هجرية قاصدا المشرق فعاش في مصر فترة من الوقت ثم توجه الى الحجاز ومنها الى بغداد فالموصل • وهناك حسب ما تشير اليه المصادر الاسماعيلية تعرف على كبار الدعاة الاسماعيلية وبعد مجادلات ومناقشات أصبح منهم واعتنق مذهبهم ، وسار الى فارس مع العلامة الاسماعيلي الكبير سنان راشد الدين حيث عرجا على (ألموت) واتصلا بالامام الاسماعيلي الذي أمرهما أن يتوجها الى سورية

حيث^(١) عين سنان حجة له في حلب ومحي الدين في دمشق ، وعلى هذه الصورة سار مترجمنا الى دمشق واستقر فيها يؤلف ويصنف ويقوم بالمهمة التي أوكلت اليه حتى توفي خلال سنة ٦٣٨ هجرية •

كان الشيخ محي الدين العربي غزير الانتاج كثير الاخراج ، شاعراً مبدعاً ، قصائده غريبة وثمينة ، اتهم من قبل رجال الدين بالكفر والزندقة ، وقد حاولوا قتله في مصر عدة مرات لولا حماسة أتباعه العديدين • قيل انه ألف أكثر من ١٥٠ كتاباً ومن أشهر مؤلفاته :

١ - فصوص الحكم •

٢ - الفتوحات المكية •

كتب أولهما في مدينة دمشق في سنة ٦٢٨ هجرية ، والثاني عبارة عن موسوعة كبيرة جدا • وله ديوان شعر مطبوع على الحجر في ٢٤٤ صفحة وأكثر أشعاره الصوفية وردت في كتاب (نفح الطيب) واسلوبه غامض ومصطلحاته كثيرة لا يستطيع فهمها الا من تعمق في دراسة الصوفية والاسماعيلية •

وفيما يلي قصيدة من أشعاره نقلناها من كتاب (نفح الطيب^(١)) :

وما رأها بصري	حقيقتي همت بها
قتيل ذاك الحور	ولورأها لغدا
صرت بحكم النظر	فعدما أبصرتها
أبهيم حتى السحر	فبت مسحورا بها
لو كان يعني حذري	يا حذري من حذري

(١) نور مبين جبل الله المتين • جنارا ص

(٢) المقرئ : نفح الطيب : ١/٤٠٠

والله ما هينني
في حسنها من ظيية
اذا رنت أو عظفت
كأنما أنفاسها
كأنها شمس الضحى
ان أسفرت أبرزها
أو سددت غيبها
يا قمرأ تحت دمي
عيني لكي أبصرك

جمال ذاك الخفر
ترعى بذات الحمر
تسبي عقول البشر
أعراف مسك عطر
في النور أو كالقمر
نور صباح مسفر
سواد ذاك الشعر
خذي فؤادي وذري
اذا كان حظي نظري

وقيل ان محي الدين بن العربي كان على صلة بالشاعر الصوفي (عمر ابن الفارض) فسأله مرة أن يأذن له بكتابة شرح على تأييته ، ولكن ابن الفارض أجابه بأن (كتابك الفتوحات المكية) ما هو في الحقيقة الا شرح لهذه التائية ...



مراد ميرزا بن ابي الذرعلي

لعب الامام مراد ميرزا دورا فعالا في سياسة ايران الداخلية والخارجية لما كان يتمتع به من مكانة ممتازة لدى ملوك ايران الصفويين الذين يمتون اليه بصلة النسب من ناحية والدته (صفوة خاتون) وقيل انه أصبح المرشد الأول للملوك ايران ، وبذلك تمكن من تعيين بعض العلماء والفقهاء من أتباعه في مناصب عالية ومراكز ممتازة في الدولة^(١) .

وتذكر المصادر التاريخية ان الامام مراد ميرزا توسط لفض النزاع بين السلطان محمد شيباني في خراسان وبين الحكومة الايرانية ، وكذلك حسن العلاقات بين تركستان وطبرستان وافغانستان وبدخشان وايران في سلسلة من الاتحادات كان لها أكبر الاثر على استقرار الاحوال السياسية في تلك البلاد فترة من الوقت^(٢) .

كانت ولادة الامام مراد ميرزا سنة ٨٦٨ هجرية في (انجودان) وتسلم الامامة بعد وفاة والده سنة ٩١٥ هجرية ، باحتفال مهيب لم يسبق له مثيل من قبل ويذكر التاريخ أن وفود عديدة حضرت ذلك الاحتفال من جميع البلدان الاسماعيلية ، وكان وفد بلاد الشام من أكبر الوفود ، وقيل انهم أحضروا معهم الهدايا والتحف وبعض الكتب المخطوطة التي كانت لديهم منذ عهد الامام المستور (الوفي أحمد^(٣)) فسر بها الامام غاية السرور .

(١) نور مبین حبل الله المتین : جنارا : ص ٥٣١ .

(٢) نفس المصدر . ص ٥٣٢ .

(٣) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص ٢٤٤ .

وقد ألقى الشاعر الاسماعيلي الفارسي خاكي الخراساني في هذه المناسبة قصيدة عصماء مطلعها (١) :

على درجا مئة مولا مراد ست خداوند زين وعرش وآسمال
أي ان الامام مراد قد بلغ أقصى درجات الرفعة والاحترام عندما جلس
على أريكة الامامة •

وفور انتهاء الاحتفالات قام بجولة تفقدية لمنح البركات والارشادات
لأتباعه في هندوستان ، وبنجاب ، وكجرات ، والسند ، وافغانستان ، ومثلتان،
وقيل أنه أمر الاسماعيلية في تلك البلاد بالابتعاد كلياً عن السياسة ، واتباع
التجارة والصناعة والزراعة ، لتقوية اقتصادهم ، وبالفعل نشطوا في هذه
الحقول وأصبحوا بعد مدة وجيزة من أغنى التجار وأمهر الصناع في البلاد
التي يقطنوها • وبعد عودته من تلك الرحلة اجتمع بوفد من اسماعيلية سورية
كانوا قد وفدوا الى مركز الدعوة بعد اختلافهم على تعيين ممثلاً للامام خلفاً
لأبي الفوارس ، فاختار لهم الداعي أبا يزيد السرميني كونه كان يتمتع بثقة
الجميع ومعروفاً بحياده التام ونزاهته وتجرده وغزارة علمه •

وعلى العموم كان الامام مراد ميرزا من ألمع السياسيين في ذلك العصر
وأفقر العلماء ، محباً للخير والسلام يقضي لياليه ساهراً يرعى اتباعه ويرشدهم
الى طريق الخير والنجاح •

اصيب لكثرة تجواله بمرض شديد توفي على أثره في السابع من ذي القعدة
سنة ٩٢٠ هجرية ودفن في بلدة (انجودان) ولا يزال ضريحه هناك ويزار •



(١) ديوان خاكي خراساني : ورقة : ١٧ ، نور مبین جبل الله المتین :
جناراً : ص ٥٣٠ •

مزید الحلي الاسدي

أوجدت الدعوة الاسماعيلية شعراء كثيرين لعبوا دورا هاما في الحياة العقلية ، والادبية والفلسفية ، ودبجوا القصائد الطوال ، وصنفوا الكتب العديدة التي جاءت زاخرة بأنفس الاشعار وأطيب الاقوال .

ومن أشهر شعراء الاسماعيلية في منتصف القرن الخامس الهجري الامير مزید بن صفوان بن الحسن بن منصور (بهاء الدولة) بن ديبس (نور الدولة) ابن علي بن مزید الاسدي (أبي الحسن) صاحب الحلة العراقية^(١) .

نشأ هذا الشاعر الفحل في بيت امارة عربية عريقة ، هي امارة بني مزید الأسيديين في (الحلة) أو (بابل) أو (الجامعين) . فقرض الشعر حتى برع فيه وأصبح من الشعراء المشهورين الذين يشار اليهم بالبنان ، وامتازت قصائده بالقوة والجزالة ، والرقة والسلاطة ، وتدل أشعاره على انه كان شاعرا مبدعا مرهف الحس ، رقيق الشعور ، صادق العاطفة ، يعبر عن ألم دفين ، وحزن لاعج ، سببه فراقه لمسقط رأسه ، وذكر ما كان له فيها من مجالس انس وطرب ، وحب جامع . وتعطي قصائده الدليل الواضح على انه كان ضليعا في اللغة العربية وآدابها . عالما باصول الفلسفة الاسماعيلية .

وبالرغم من الجهود الكثيرة التي بذلناها لم نتوصل الى معرفة الاسباب التي دعت الى ترك بلده الحلة والاقامة في مصيف ، ولكننا نستنتج من قصائده بأنه كان شاعراً عقائدياً يحن الى التقرب من الأئمة أو ممن يمثلونهم ، لذا أعتقد ان مصيف هي دار هجرة وموطن الدعوة ومقل الأئمة بدليل قوله

(١) قال عنها ياقوت الحموي بمعجم البلدان : « انها مدينة في ارض بابل » وتسمى أيضا (الجامعين) وتدعى أيضا حلة بني مزید .

من قصيدة :

وجئنا الى مصياف سعيًا كما سعى

الى البيت قوم من قريشٍ وجرهم

لذا يجب على كل اسماعيلي أن يسعى اليها حاجاً كما تحج بقية الفرق
الاسلامية الى مكة ، والظاهر ان الاقامة في مصياف أعجبتة فظل فيها حتى
توفي سنة ٥٨٤ هجرية ولا يزال ضريحه قائماً للآن بجوار ضريح سنان
راشد الدين •

ويستدل من أشعاره انه كان غنياً وصاحب ثروة كبيرة ، وانه ترك أهله
وأقرباءه ، وظل وقتاً طويلاً يذكرهم بقصائده ويتفجع أسأ عليهم :

ألا كم ألوام النفس عند اذكاركم وحتام اخفي ما الاقي وأكتم
وفي كبدي للبين ناب ومخلب وحولي ذئاب" للحوادث حوّم
وكم ليلة قضيت ما ربي اعانق ربات الخدود وألثم
فيا دهر هل بعد التغير رجعة وهل يستفي من لاعج الشوق مغرم^(١)

وينقل بعد ذلك ليذكر مجالس الانس والطرب والندمان والخلائق
ووصف الخمرة والكأس ببيان عذب جميل :

وكنت اناجيه ، وقد غلب الكرى الا فاسقني خمرأ من الدن تهدم
ودرها لنا لا عيش الا بشربها اذا لاح ضوء الصبح أو هب انهم
مشعشة جلت على كل عاشق لبيب وان كانت على المرء تحرم
تراعت فلا تدري مصاييح راهب تلوح أو انقضت من الافق أنجم
ويرفعها الساقى فلست بعارف أيلزمها بالكف أم ليس يلزم
هي الشمس في الدوران والدين برجها ومشرقتها كأس ومغربها فم^(٢)

(١) ديوان مزيد الحلي نسخة خطية ورقة ٢٥ .
(٢) ديوان مزيد الحلي نسخة خطية ورقة ٢٥ .

وهذان بيتان من قصيدة ، فيهما طرافة في الغزل والنسيب :

أما والهوى لو عندها بعض ما عندي لما هجرت لكنما وجدها وجدني
وحق الهوى لو استطيع اذا مشت لأبسط ذلاً تحت أقدامها خدي^(١)

ثم نرى الامير مزيداً في أبيات من قصيدة طويلة يتحدث بلغة الحكمة والفلسفة والاجتماع ناهجاً نهج كبار الشعراء ، ولكننا نراه يفوقهم بايراد التعابير الفلسفية الاسماعيلية العميقة ، التي رضع لبانها صغيراً وبرع فيها كبيراً :

للعلم أهل وللإيمان ترتيب وللعقول وأهليها تجاريب
والدهر يومان مذموم وممتدح والناس اثنان ، ممدوح ومسبوب
والعلم صنفان ، منبوذ ومطلب والبحر بحران ، ممنوع ومركوب
وللعلوم أعاجيب مقادرة فيه تناهت اليهن الاعاجيب
فانظر بعينك ما عينته وعه واعرف بعقلك ان العقل موهوب^(٢)

وهذه قصيدة طويلة يستهلها بالبكاء على الطلول والتذكر والشوق والحنين الى مراتع الانس والطرب وذكرى شبابه الغض :

سل الربع كم من لاهفٍ بلٍ دمعته تراه فلم يستشفٍ بالدمعٍ لاهفٍ
ديارٍ عفت منها الرسوم فأصبحت هواطل تذريها الرياح العواصف
وباكرها ودق السحاب مبشراً برعدٍ تباريه البروق الخواطف

وينتقل ليقدم صورة عن حبيته وجمالها ، ووصف ما يعانیه في سبيلها :

تلوح وراء السجن من جانب الخبا مخدرة بل ربرب متهاليف
فتاة لها من سالف الليل طرة ومن طرة الصبح المنور سالف

(١) نفس المصدر ورقة ٦٣ .

(٢) نفس المصدر ورقة ٨٤ .

وبدر الدجى في لونه وهو كاسف
وانحف جسمي خصرها وهو ناحف
وادلف طرفي طرفها وهو دالف

ثم يصف حالة الوداع وما يتعرض له الحبيب من لهفة وحزن والتىاع :

ولا قلب الا وهو للبين راجف
الا ان من يعتز بالدهر تالف
فها انا بعد البين للدمع راشف
فها أنا للأحزان والههم آلف
فيهتف بي للوصول يا دهر هاتف
وتجمعني با « لجامعين » معارف (١)

ولا أرتضي ما ترتضيه الحوالمف
وقد نشرت لي بالبقاء صحائف
وتزهو من الدنيا لديه الزخارف

وينتقل في هذه القصيدة الى التبشير بالعقيدة ، فيورد التعابير الاسماعيلية الحقيقية الصحيحة التي تظهر طول باعه في معرفة اصولها وأسسها وطرقها :

بما جاني ذو العلى يعلمون
يرشقن قلبي بسهام العيون
بل أتم عن نورها تحجبون
لكنكم عن ضوئه تعمهون
في كتب الله التي تقرأون

ووجه يعيد الليل صباحاً بضوئه
اسال دموعي خدها وهو سائل
وامرض قلبي جفنها وهو ممرض

ثم يصف حالة الوداع وما يتعرض له الحبيب من لهفة وحزن والتىاع :

تودعني والبين يلعب بيننا
فحالت صروف الدهر بيني وبينها
وكت قويل البين أرشف ريقها
وكت أليفاً للسرور بقرها
فيا دهر هل بعد التفرق رجعة
وتسعدني بالسعدتين أحبتي

ومنها :

واني لراضٍ في هواهم بما رضوا
صحائف في دار الفناء طويتها
وشرُّ الورى من يشتري الفقر بالغنى

وينتقل في هذه القصيدة الى التبشير بالعقيدة ، فيورد التعابير الاسماعيلية الحقيقية الصحيحة التي تظهر طول باعه في معرفة اصولها وأسسها وطرقها :

يا ليت قومي بعد شط النوى
بحب أترابٍ كمثل الدمى
يخفقن شبه الشمس يحجبها
نور مضيء لم يزل ساطعاً
أسماء ذلك النور مسطورة

(١) نفس المصدر ورقة ٩٣

فانكم قوم به تجهلون
ادرك هذا الخلق ريب المنون
والجنب والنور الذي تنظرون
بل ما اولي العلم وما الشاهدون
ما الصوم ، ما الصائم ما المؤثرون
ما الطيبات الخلق ، ما الطيبون
بينهما ، لو كنتم تعلمون
ما الامر بالمعروف ، ما الأمرون
الكوكب ، ما المصباح لو تسألون
قوم ويحظى بالهدى آخرون
صم عن الداعي فلا تسمعون
في ظلمة الباطل لا تبصرون^(١)

تأملوا الذكر وآياته
ما وجه رب العرش باقٍ اذا
ما الاذن ، ما العين ، وما نفسه
ما الوارثون الارض ، ما ارثهم
ما المنفقون السر ، ما معلن
ما الكلم الطيب ، ما ضده
ما مرج البحرين ، ما برزخ
ما حجة الله على خلقه
ما النور ، ما المشكات ، ما ذلك
نور على نور ليشقى به
فأصغوا الى الداعي فهل أتم
لاح صباح الحق لكنكم

ومن قصيدة يورد شواهد وحججاً تثبت نظريته باعتقاده بامام معصوم ،
من نسل علي بن ابي طالب :

بهم الارض واعترتها السماء
مرتضى الحق ، امه الزهراء
ولبى والركن والبطحاء
وجاءت بفضل الانبياء^(٢)

لو خلا الارض من امام لمادت
جده المصطفى ، أبوه علي
وله المشعران قصداً لمن حج
نبأ أعظم به وعده الله

وفي هذه الايات تتجلى متانة اعتقاداته الباطنية ، فنراه يستعمل القوافي
الشعرية للرد على المتخلفين عن اتباع عقيدته الاسماعيلية ومدح الأئمة
الاطهار :

(١) ديوان مزيد الحلي مخطوط ورقة ٣٠ .

(٢) نفس المصدر ورقة ٤٨ .

يدوب جوى ، لولا عرى الدين تعضد
وقلبي في أرض الشام مقيّد
إذا أنا عن دين المحقين مُبعد
ولا آل الآء آل أحمد سؤدد
هم المالكون الامر والامر سرمد
هم شهداء الحق والله يشهد

لخالقه جهلاً ، وهذا مجسّد
ومصباح حقّ بينهم يتوقد
ولم يعقلوا إذ باطن القلب أسود
لما كان أمر حقه الذم يحمد
ورحمته والعين والجنب واليد^(١)

ومن قصيدة يمدح فيها قومه ومن يسلكون نهجه ، وينتهي لمدح السادة
الاطهار أهل البيت والأئمة :

لرسوم الدار رجع الجواب
بدره من هودجٍ وقباب
شمسه تحت برقعٍ ونقاب
لي نقا العاج حمرة العناب
كنت من بدره المنير كقاب
من الشمس بارداً من رضاب
شبابي في روض عصر التصابي
لا أرى لي مخيماً في قباب

يكاد فؤادي عند ذكر أحبتي
ففكري الى من بالعراق مشرّد
وما القرب من دار المحبين صالحاً
ولا شرف للمرء ان فاته التقى
هم الوارثون الارض والارث دائم
هم سبب الابداع والله مبدع
ومنها :

يخوضون في الآراء ، هذا منزه
كعمي اقاموا في ظلام ضلالةٍ
فلم يبصروا اذ ظاهر العين أبيض
فلو طلبوا الهادي لحكم اختلافهم
هو النور نور الله حقاً وفضله

اترجى رجع الجواب واني
ربّ ليلٍ بادرته فبدالي
ونهار لمحت فيه فلاحتي
وغزالٍ او ما اليّ فبانتي
فتجشمت ذلك الليل حتى
وطويت النهار ثم ترشفت
وذبحت الغزال ذبحاً بسكين
يا لقومي من آل ظبية مالي

(١) ديوان مزيد الحلبي نسخة خطية : ورقة ٧١ .

عمداً مشرقاً على أطناب
أو دعا الحرب كنتم أسد غاب
فهل لي اليكم من اياب
ق فيشي بلوعةٍ واكتئاب
ذو اتقالٍ من نطفة لتراب
ليس لي رغبة الى الاغتراب
القطع الاً مفارقاً للقراب

أتم خير من اقيم عليه
ان سطا الخطب كنتم ماء مزن
رمت صبراً عنكم فاعوزني الصبر
وزجرت القلب القريح عن الشو
لا ومن أنشأ البرية خلقها
ما تباعدت عنكم لملالٍ
غير ان الحسام لا يستطيع

ومنها :

اغفل بين الغواة في جلباب
بعد ركضي الى لموع السراب
والوارثين علم الكتاب
ن قصد اليوب من غير باب (١)

وأبى الله ان أضلّ وان
فهداني الى رحيق شرابٍ
فتمسكت بالأدلة للطالب
داخلا باب حطة حيث لايمك

وهذه دعوة تبشيرية بعقيدته الاسماعيلية :

توسّل لما عصى آدم
قريش ولم تحوه جرهم
اذن والصفاء وله زمزم
سماء ولا طلعت انجم
هو الغائب الحاضر المنعم
هو الجبل والجبل لا يصرم (٢)

هلموا فهذا الذي باسمه
وهذا الذي لم تحز فضله
له الركن والبيت والمشعرين
ولولاه ما خلقت في الورى
هو الأول الآخر المرتجى
هو النور والنور لا ينظفي

وفي هذه الايات يعلن بصراحة عن تمسكه بآل البيت :

وتمسكي بجبال آل محمد ما عشت لا بجبال الشيطان

(١) نفس الديوان : ورقة ٥٤ .

(٢) ديوان مزيد الحلي نسخة خطية : ورقة ١٢ .

وهم الممات اذا التقى الجمعان
والبارد السلسال للظمان
والواصلين بهم الى الرحمن (١)

فهم الحياة لكل قلب ميت
وهم الطريق لمن تبصر بالهدى
وهم الادلة للذين بحبهم

وهذه أبيات في الفخر والحماسة تتوافر فيها القوة والمتانة :

قد حان من حين الأوان أوان
عز وحب الغانيات هوان
في وقت ما تتهاضهم الفرقان
بين الرياض وتخفق العيدان
في وقت ما تتزاحم الفرسان
والنفس تبذل والحريم تصان (٢)

يا للرجال اتى الأوان فبادروا
كسب المعالي بالعوالي والظبي
ليس الفخار لفخر في مجلس
وتدور كأسات المدام عليهما
فالعز في طلب العلى بين الملا
وتدور كأسات الحمام مدارها

ومن قصيدة تتجلى فيها الصنعة الشعرية والرنة الموسيقية :

ولا سيما من فارق الاهل والخدرا
اليهم فصار الشهر في طوله دهرا

ومن فارق الاحباب حن لوصلهم
رحلت وكان الشرط شهرا وانثني

ومنها يمدح معلمه وحجته :

فهل يعدمن الورد من جاوز البحرا
وملح اجاج للذي يبتغي الشرا
وان رمت منه باطناً نلته دراً
ومن هز نخلأ مشراً أكل الثمرا
ففزنا به علماً وفاز بنا اجرا

ففي كل يوم اقتني منه حكمة
سوى انه عذب لمن رام علمه
فان نلت منه ظاهراً نلت ماءه
اذا نحن القينا السؤال اجابنا
واذا نحن أمسكنا حياء افادنا

(١) نفس المصدر : ورقة ١٨ .

(٢) نفس المصدر : ورقة ٥٧ .

امام اليه فوَضَّ اللهُ دينه
امام اعزَّهُ اللهُ تأييد نصره
ومزيد في مجال الغزل جولات
والجبال :

أم نرجس متكلم بجمان
أم في صحيفة كاتب نونان
نظموه في سلك من المرجان
ومنها :

او كلما عاينت طرفك في الكرى
اوترت قوسي حاجبيك كأني
يا بنت مختلس النفوس ترفقي
لولاك ما اتصل السهاد بمقلتي
ولما رأيت من العجيب مصارعا

وها هو يتغنى بذكر حبيته ويصف الحلة وايامه ومجالسه ولياليه فيها :

كم وقفة لي بالديار وقد عفت
فكأنما ليلي نهاري سرمد
ومنها :

ولها من الليل البهيم ذوائب
ولها من الصبح المنير وضوءه
ومرجح في واضح فكأنه
ولها محاجر مقلّة من نرجس

(١) الديوان ورقة ١١ .

(٢) ديوان مزيد الحلبي : ورقة ٢٨ .

ولها من البرد الصقيـل ترائب
ومنها :

أتعود ايامي بحلة بابل
أيام أسحب في رياض وصالها
فطن الزمان بنا فأصبح شملنا
وبقيت ارجو ما عهدت ولي به
من لي بذلك والفرات ودجلة
هيهات ايام مضت أتعود
برد الشباب الغض وهو جديد
متشتتاً والوصل فهو قعيد
امل يظن لما رجوت بعيد
ومهامه دون المزار وييد (١)

هذا هو الشاعر الاسماعيلي مزيد الحلي الاسدي قدمنا نماذج من شعره
لم تنشر من قبل لعلها تنال الاهتمام .



(١) ديوان مزيد الحلي : ورقة ٣٣ .

المستنصر بالله

عهد أبو تميم

يعتبر عهد الامام المستنصر بالله من أطول عهود الخلفاء الفاطميين ، حيث استمر حكمه ٦٠ عاما وأربعة أشهر وثلاثة أيام ، امتد سلطانه في القسم الاول من خلافته على بلاد الشام وفلسطين والحجاز واليمن وصقلية وشمال افريقية ، وكان اسمه يذاع على كافة منابر البلاد الممتدة من المحيط الاطلسي غربا الى البحر الاحمر شرقا ، وكذا في صقلية واليمن والحجاز والموصل وفارس وبغداد نفسها •

وفي القسم الثاني من خلافته حدثت أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية كان من أثرها تزعزع مركز الخلافة الفاطمية ، وبالرغم من كل هذا فقد تمتعت البلاد بالطمأنينة والرخاء وانتشار الثقافة •

ولد المستنصر بالله معد أبو تميم محمد بن الظاهر يوم الثلاثاء ١٦ جمادي الآخر وقيل العشرين منه سنة ٤٢٠ هجرية (١) في مدينة القاهرة ، وبويع بالخلافة يوم الاحد في ١٥ شعبان سنة ٤٢٧ هجرية وهو في السابعة من عمره • حصلت في عهده مجاعة دامت ثمان سنوات ، ففقدت المواد الغذائية من الاسواق ، وارتفعت الاسعار ، وتفشت الأوبئة فنكبت بها جميع الامم الاسلامية من مصر الى سمرقند ، وقيل ان الناس اضطروا الى أكل الكلاب والقطط ثم أكل بعضهم بعضا ، وقامت الفتن والحروب الاهلية (٢) واخرج الامام المنصور من خزائنه الاموال والثياب ووزعها لاعانة الشعب ، وحاولت

(١) خطط المقريري ٢/ ٢٧٩ •

(٢) ابن ميسر تاريخ مصر (١٣ - ٢٣ - ٣٤) •

بعض البلدان المحكومة الانتفاض وتفض البيعة واقامة الدعوة للخليفة العباسي فسير عليهم الجيوش وحصلت الحروب والثورات ، فاستقدم أمير الجيوش بدر بن عبد الله الجمالي وأسند اليه منصب الوزارة ولقب بالسيد الأجل كما أسندت اليه رئاسة الدعوة الاسماعيلية •

عمل بدر الجمالي جاهدا لاصلاح احوال البلاد وقضى على الثورات ، فاستقرت الامور وعم الهدوء والسكينة جميع أنحاء البلاد وتحسنت الحالة الزراعية وهبطت أسعار الحاجيات فعاش الشعب بالرخاء والطمأنينة •

وعهد المستنصر الى الداعي علي بن محمد الصليحي ليتولى رئاسة الدعوة الاسماعيلية في بلاد اليمن فسار الى (حصن مسار) بخيل جرار وأخذ يستميل الناس اليه حتى اجتمع من قبائل سنجان وهمدان وحمير خلق كثير (١) فجهزهم لاحتلال عاصمة اليمن (صنعاء) مقر دولة (نجاح) فاحتلها وقضى على نفوذ دولة نجاح في اليمن ، وضم اليه قبيلة زبيدة ، وخطب للامام المستنصر في جميع أنحاء اليمن وعلت مكاتته فيها وبسط سلطانه على جميع البلاد وأصبحت صنعاء عاصمة له ، وستحدث عن هذا الداعي العظيم في غير هذا المكان •

وفي سنة ٤٥٥ هجرية حدث فتنة في مكة فاخذها الصليحي بعد أن أمره الامام بالمسير اليها ، فتمكن من استمالة أهلها ونشر الأمن والطمأنينة فيها ، فطابت قلوب الناس وتدنّت أسعار الحاجيات وكسا الصليحي البيت الحرام بشباب بيض (٢) •

كذلك أرسل الامام المستنصر الداعي الحارث أرسلان البساسيري ، ليتولى شؤون الدعوة في بغداد فخرج سنة ٤٤٨ هجرية يدعو الناس للانضواء

(١) ابن خلدون ٤/٢١٥ •

(٢) أبو المحاسن ٥/٧٢

تحت العلم الاسماعيلي ، فعظم أمره وكبر شأنه وأقام الخطبة للمستنصر في بغداد ففر الخليفة العباسي القائم وغادر البلاد^(١) واهيتم الدعوة في البصرة وخطب للامام المستنصر فيها •

وفي سنة ٤٥٩ هجرية اغتيل رئيس دعاة اليمن الصليحي بينما كان في طريقه الى البيت الحرام ليؤدي فريضة الحج فاسندت رئاسة الدعوة لولده (المكرم أحمد) فتغلب على جميع العقبات والمصاعب التي اعترضته وتزوج بداعية صنعاء السيدة أروى بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحي وسلمها زمام الامور في اليمن وقد تحدثنا عنها وعن المكرم في غير هذا المكان •

ومن هنا يتضح لنا أن الدعوة الاسماعيلية في عهد المستنصر بالله كانت منظمة تنظيمًا دقيقًا ، يدير شؤونها دعاة أكفاء علماء كان لهم أكبر الاثر في القضاء على الثورات الداخلية واستئصال الفتن من الجذور ، فعظم أمرهم وانتشرت عقيدتهم في أغلب البلاد فاستعرت رقعة المملكة واستقرت أمورها الداخلية والخارجية^(٢) •

لبث البساسيري في بغداد حتى هوجمت من قبل (طغرل بك) فقتل البساسيري وأعيد الخليفة العباسي الى بغداد وكان ذلك سنة ٤٥١ هجرية •

وفي سنة ٤٧٩ هجرية أم القاهرة الداعي الاسماعيلي (ناصر خسرو) داعي بلاد خراسان وفارس ، و (الحسن بن الصباح) داعي جبال الطالقان والري وديار بكر والشام ، ليتلقوا دروسهم في دار الحكمة ولينشرفوا بالمثل بين يدي الامام المستنصر • وبعد أن انتهت مدة تدريبهم عقد الامام اجتماعا كبيرا ضم كبار الدعاة والعلماء والفقهاء ونص على امامة ولده نزار من بعده وكان ذلك سنة ٤٨٠ هجرية •

(١) وفيات الاعيان ١٥١/٢ خطط المقرئزي ٢٧٩/٢ •

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١١٧ •

وتوفي الامام المستنصر في ١٨ ذي الحجة سنة ٤٨٧ هجرية في ليلة الخميس بعد أن أقام بالخلافة ستين عاما توصل خلالها الى ما لم يتوصل اليه أحد قبله من الأئمة الذين تولوا شؤون مصر في العهد الفاطمي ، كما بلغت الدعوة الاسماعيلية الذروة وانتشرت في أغلب البلاد العربية على يد جماعة من أمهر الدعاة والفلاسفة والعلماء والفقهاء والادباء .

وتجمع المصادر على أن الامام المستنصر بالله كان شاعرا مبدعا ، وانه كان متمكنا من انشاد الشعر وارتجاله في المناسبات ، وقيل انه كان يرد على بعض الرسائل التي كانت ترد عليه بالشعر . وله مجموعة رسائل قيل انه كتبها الى علي بن محمد الصليحي باليمن .

يروى صاحب النجوم الزاهرة ان ناظر الدولة جاء بالاتراك سنة ٤٦٠ هجرية الى الوزير ابن كدينة ، وطالبوا الوزير بالمال ، فقال لهم الوزير : وأي مال بقي عندي بعد أخذكم الاموال واقتسامكم الاقطاعات ، فطلبوا من الوزير أن يرفع الامر الى المستنصر ، فكتب الوزير رقعة بما جرى وأرسلها الى الامام ، فأجاب المستنصر على الرقعة نفسها بخطه :

أصبحت لا أرجو ولا أتقي الا الهى وله الفضل
جدي نبي وامامي أبي وقولي التوحيد والعدل^(١)

ومما يروى عن المستنصر أيضا ان المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي بعد أن عاد سنة ٤٥٠ هجرية الى القاهرة منعه الوزير ابن المغربي من لقاء المستنصر ، فأخذ المؤيد يرسل اليه الكتب والرسائل وينشد فيه الشعر حتى بلغ المستنصر قول المؤيد :

أقسم لو أنك توجتني بتاج كبرى ملك المشرق

(١) النجوم الزاهرة ٨١/٤ وهناك من ينسبها الى الحاكم بأمر الله اما ابن خلدون فينسبها في تاريخه ٧١/٤ الى الامر بأحكام الله .

ونلتني كل أمور الوري
وقلت أن لا نلتقي ساعة
لأن ابعادك لي ساعة
من قد مضى منهم ومن قد بقى
أجبت يامولاي أن نلتقى
شيب فودي مع المفرق

فلما بلغت الرقعة التي فيها هذا الشعر الى المستنصر أجاب عليها بخطه :

ياحجة مشهورة في الوري
ما غلقت دونك أبوابنا
خفنا على قلبك من سمعه
شيعتنا قد عدموا رشدهم
فانشر لهم ما شئت من علمنا
ان كنت في دعوتنا آخرا
مثلك لا يوجد فيمن مضى
وطود علم أعجز المرتقى
الا لأمر مؤلم مقلق
فصدنا صد أب مشفق
في الغرب يا صاح وفي المشرق
وكن لهم كالوالد المشفق
فقد تجاوزت مدى السبق
من سائر الناس ولا من بقى (١)

وتنسب للإمام المستنصر بالله قصيدة وردت في مجموعة أشعار اسماعيلية
مطلعها :

كفى ملامك يا ابنة العمر
ما بال وقر أبيك من وفر (٢)

والخلاصة كان الامام المستنصر كما يتضح من مؤلفات الدعاة والعلماء
الذين عاصروه محبا للعلم ومشجعا للادب ، باعه طويلا في مختلف العموم ،
كان يشرف بنفسه على مؤلفات الدعاة والعلماء فيتناولها بالتوجيه والارشاد ،
وفي أكثر الاحيان كان يلغي بعض الفصول منها ويضيف اليها فصولا توافق
الموضوع الذي الفت فيه ، وهذا أكبر دليل على تمكنه العلمي والفلسفي ،
ومما لا جدال فيه أن الجهود الجبارة التي بذلها في عصره فاقت كل الجهود

(١) انظر ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة .

(٢) ورقة ٦٣ ب .

الذي بذلها آباؤه من الخلفاء الفاطميين ومما ساعده على ذلك المدة الطويلة التي عاشها كإمام وخليفة •

أما الأقوال التي جاء بها بعض المؤرخين بأن الإمام المستنصر كان ضعيف الإرادة لين العريكة سار بموجب السياسة التي خطتها له ولدته ، فقول مردود ليس له أية صحة ، فالمصادر التاريخية تدلنا على حسن إدارته وشدة سيطرته على ولاته ودعاته ، فالدعاة والعلماء والفلاسفة الذين عاشوا في عصره بلغوا أقصى درجات العلم والثقافة ، فكيف يقبلون السير والعمل بموجب سياسة تخططها لهم امرأة ، فالويل كل الويل لمن يأخذون المصادر على علاتها بدون أن يتبينوا الحقيقة •



المعز لدين الله

عهد

يعتبر عهد الامام المعز لدين الله من أزهى العهود الفاطمية ، عرف بالفتوحات والانشاء والتعمير والبناء ، وانتشار الثقافة والعلم في جميع أنحاء المملكة التي اتسعت رقعتها وزادت مساحتها بعد أن تم له تحقيق حلم آباؤه من الأئمة فافتتح مصر ونقل مركز الخلافة الى مدينة القاهرة التي شيدها في تلك البلاد .

ولا غرو فلقد كان الامام المعز مثقفا يجيد عدة لغات : منها اللغة التليانية التي تعلمها في صباه بجزيرة صقلية ، وكان ذا ولع بالعلوم ودراية بالادب ، فضلا عما عرف به من حسن التدبير واحكام الامور كما كان عليه آباؤه من قبل . وفي عهده دانت له كافة قبائل البربر ، ولا سيما قبيلتنا بني كملان وبني مليلة من قبائل هواراة ، وقد أبتأ أن تدعنا للخلفاء الفاطميين من قبله .

ويرجع الفضل في اكتساب الامام المعز طاعة قبائل المغرب على اختلافها الى السياسة الرشيدة التي سار عليها مما ساعد على اقرار خلافته ، وأتاح له القضاء على دولة الادارسة ، بعد أن حكمت المغرب الاقصى نحو قرنين^(١) .

كانت ولادة المعز لدين الله معز ابن الامام المنصور في ١١ رمضان سنة ٣١٩ هجرية^(٢) في مدينة المهديّة ، وبويع بالخلافة والامامة في ٧ ذي الحجة سنة ٣٤١ هجرية^(٣) . وبما أن الامور لم تكن قد استقرت بعد في بلاد

(١) المقرئزي ، انعاظ الحنفا ص (٥٩ - ٦١ - ٦٥) .

(٢) قيل ولد سنة (٣١٧) هجرية .

(٣) بويع المعز بولاية العهد في حياة ابيه في ٧ ذي الحجة ٣٤١ هجرية ولما قام بعد وفاة ابيه سنة ٣٤٢ جددت له البيعة .

المغرب . فلم يكن بد من أن يعمل المعز لدين الله على إخضاعها وإقرار الأمن في ربوعها ، وبذلك يستطيع أن يوجه جيوشه الى بلاد الاندلس ، ثم الى مصر ، ومد نفوذه الى المشرق .

فبذل المعز جهودا جبارة في سبيل إخضاع جميع بلاد المغرب وتم له ذلك بفضل شجاعة قواده الغر الميامين أمثال جوهر الصقلي وزيري بن مناد الصنهاجي . ولم يقف عند هذا الحد بل وجه عناية زائدة للبرابرة فأحسن اليهم ولم يسهم بأذى فاعتنقوا المذهب الاسماعيلي عن بكرة أبيهم ، ووزع الولاة المخلصين الأكفاء على الاقاليم وزودهم بتعليماته وارشاداته القيمة (١) .

وفي سنة ٣٤٨ هجرية سير الامام المعز جيشا ضخما أسند قيادته (لوزيره وقائده) جوهر الصقلي وكانت وجهة هذا الجيش بلاد تاهرت لتأديب واليهما (يعلى بن محمد الزناتي) بعد أن نقض البيعة واطهر إخلاصه للناصر الاموي . فاسره جوهر ثم قتله (٢) ومن ثم قصد اقليم فاس ، وسجل ماسة ، والتقى القبض على الولاة المتמרدين وأخضع كافة المدن التي كانت تدين لهم بالولاء ، وتقدمت جيوشه حتى أتى سواحل المحيط الاطلسي ، فأمر جوهر باصطياد الاسماك وجعلها في قلال الماء وأرسلها الى المعز اشارة منه بأنه أدى المهمة التي أوكلت اليه على أكمل وجه وطهر البلاد حتى البحر المحيط الذي لا عمار بعده (٣) ، ولما وصلت أخبار انتصارات جوهر الصقلي مع الهدايا الى الامام المعز وهو في مجلس يضم نخبة من رجال الدولة وبينهم الشاعر الكبير ابن هانيء الاندلسي قام هذا منشدا ومهنئا الامام المعز بهذا لنصر الكبير واصفا الهدية بقصيدة تقتطف منها هذه الايات (٤) :

(١) ابن الاثير ٣٧٤/٧ .

(٢) السللاوي : الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ١/٨٦ .

(٣) ابن خلدون ١٣٢/٢ المقرئزي ٢/٢٠٥ .

(٤) من ديوان ابن هانيء الاندلسي ص ٣٥٢ وقد عثر عليها في كتاب

عيون الاخبار للداعي ادريس عماد الدين في (السبع السادس) .

وأورد عن رأي الامام وأصدرا
وكان بما لم يبصر الناس أبصرا
الا هكذا فلتجنب الخيل ضمرا
ويركضن ديباجاً ووشياً محجرا
لسن يبيرين الرييع المنورا
عليهن زي الغانيات مشهرا
فعلمن فيهن الحسان تبخترا
فيستر أحلى منه في العين منظرا

ومنها :

يبعض الهدايا كالعجالة للقرى
لضاق الثرى والماء طرقا ومعبرا
وقد غصت اليبداء خفاً ومنسرا
وقد ماجت الجرد العناجيج أبحرا
لطائم ابل تحمل المسك اذفرا
لقد زان ايام الحروب مدبرا
فلن يسأم الهيجان ولن يتكسرا

لتصلح أن تسعى لتخدم جوهر
ولكن رأينا الشمس أبهى وانورا
فما زال مقصور اليبدين مظفرا
ملأت سماء الله باسمك مشعرا
بل الله في ام الكتاب تخيرا
فوكلت بالغيل الهزبر الغضنفرا
واعجلت وجه الغيب ان يتسترا

ألا هكذا فليهد من قاد عسكرا
هدية من أعطى النصيحة حقها
ألا هكذا فلتجلب العيس بدنا
مرفلة يسحبن أذيال يمنة
تراهن أمثال الطباء عواطياً
ويمشين مشي الغانيات تهادياً
وجررن أذيال الحسان سوابغاً
فلا يسترن الوشي حسن شياتها

ألا انما كانت طلائع جوهر
ولو لم يعجل بعضها دون بعض
أقول لصحبي اذ تلقيت رسله
وقد مارت البزل القناعيس جبلا
فظابت لي الانباء عنه كانه
لعمرى لئن زان الخلافة ناطقاً
هو الرمح فاطعن كيف شئت بصورة

ومنها :

وقد كانت القواد من قبل جوهر
على انها كانوا كواكب عصرهم
فلا يعدمن الله عبدك نصره
اذ حاربت عند الملائكة العدى
وما اخترته حتى صفا ونقى القذى
ولكنه بالجيش والامر كله
كانك شاهدت الخفايا سوافراً

فعرفت في اليوم البصيرة في غد
وما قيس وفر المال في كل حالة
فلا بخل يا اكرم الناس معشراً
فانك لم تترك على الارض جاهلاً
الا انظر الى الشمس المنيرة في الضحى
فائقب منها نار زندق للقرى
بلغت بك العليا فلم أدن مادحاً
وصدق فيك الله ما أنا قائل

ولم يعد القائد جوهر من تلك الرحلة الا بعد أن استأصل جميع الفتن التي قامت بالبلاد ، وكان قد أشعل نارها أنصار العباسيين والامويين في الاندلس ، ولم تبق مدينة أو قرية أو دسكرة الا واقمت فيها الدعوة الاسماعيلية وخطب فيها للامام المعز ، ثم عاد جوهر غانماً مظفراً ومعه صاحب سجل ماسة وفاس أسيرين في أقفاص من حديد ودخل بهما المنصورية في يوم مشهود^(١) . استقبل فيه استقبال الفاتحين ، وعمت الافراح المهدية من أقصاها الى أقصاها ، وقيل أن الامام المعز خرج بنفسه لاستقباله ، وفي سنة ٣٥١ هجرية أوعز الامام المعز الى أحمد بن الحسن نائبه على جزيرة (صقلية) بفتح القلاع التي بقيت للروم في تلك الجزيرة فغزاها وفتح (طبرمين) وغيرها من القلاع الحصينة .

وفي سنة ٣٥٤ هجرية حوصرت قلعة (رمطة) في جزيرة صقلية وجرت معارك عظيمة قتل فيها قائد الروم (منويل) وانهزم جيشه في المراكب ناجين بأنفسهم ، فتبعهم القائد الاسماعيلي العظيم الامير أحمد وجنوده فألقى الجنود الاسماعيليون نفوسهم في الماء وأحرقوا كثيرا من مراكب الروم

(١) اتعاظ الحنفا ص ١٣٥ الخطط للمقرئزي ١٦٧/٢ .

ففرقت وكثر القتل في عساكر الروم فولوا الادبار بعد أن اسر الف من عظمائهم ، ومائة بطريق من بطارتهم •

وغنمت الاسماعيلية غنائم كثيرة كان منها سيف هندي كتب عليه (هذا سيف هندي وزنه مائة وسبعون مثقالا طالما ضرب به بين يدي رسول الله) فارسل الى الامام المعز مع الاسرى (١) وتعرف هذه الواقعة بوقعة (المجاز) وقد وصفها الشاعر ابن هانيء بقصيدة عدد أبياتها ١١٣ بيتا تقتطف منها ما يلي :

يوم عريض في الفخار طويل
قل للمستق مورد الجمع الذي
سل رهط منويل وانت غررتـه
منع الجنود من القفول رواجعاً
ان التي رام الدمستق حربها
ليت الهرقل بدا بها حتى اثنى
نحرت بها العرب الاعاجم انها
ما ذلك الا ان جبل قطنها
من يهتدي دون المعز خليفة
من يشهد القرآن فيه بفضلـه
كل الأئمة من جدودك فاضل
فافخر فمن انسابك الفردوس ان
وأرى الورى لغواً وانت حقيقة
شهر البرية كلها بالعلى
والله مدلول عليه بصنعه

وكان من اثر هذه الانتصارات التي حققها الاسماعيلية في هاتين الموقعتين

(١) ابن الاثير ٤٠٤/٨ - ٤١٤ ابن خلدون ٢٠٧/٤ - ٢١١ .

أن أخذت المدن الثائرة في صقلية تسلم الواحدة تلو الاخرى • ولم يقف أثر هاتين الموقعتين عند ذلك الحد ، فقد استولى الفزع على أهل قلورية ، ففقدوا الهدنة مع أحمد بن الحسن الكلبي ، وتعهدوا بدفع الجزية للفاطميين •

وكان لهذه الانتصارات المتتالية أثرها في نفس الحسن بن أحمد الكلبي ، فقد سره تدفق الاسرى والغنائم الرومانية ، كما سره قدوم الجيوش الفاطمية المظفرة في بلرمو ، حاضرة هذه الجزيرة • وهكذا امتد نفوذ الامام المعز في صقلية وقلورية ، مما ساهم مساهمة فعالة في هزيمة الروم برا وبحرا ، وهزم أسطول الامويين في عقر داره •

وقد تخوف امبراطور الدولة الرومانية الشرقية من ناحية الفاطميين ، فعمل على تحسين العلاقة بينه وبينهم ، وعول على الاستعانة بالاسماعيلية لدفع الخطر الجرمانى عن ممتلكاته البعيدة في ايطاليا •

فأوفد سفيره تقولا الى افريقية سنة ٣٥٧ هجرية لمفاوضة الخليفة الفاطمي بغية عقد اتفاق عدم اعتداء فيما بينهم ، وكان وصوله في الوقت الذي كانت فيه جيوش الفاطميين تتأهب لغزو مصر •

وقد هال السفير ما شاهده من عظمة المعز ، وما رآه في قصره من مظاهر الأبهة ، فاتضح له أن الروم قد أخطأوا عندما سمو المعز (بملك المتبربرين) وأيقن بأن الامام الاسماعيلي المعز سوف يخلف العباسيين في امبراطوريتهم ، ولما مثل بين يدي الخليفة المعز قال : « بعثني اليك الملك تقفور فوكاس ، فرأيت من عظمتك وكثرة أصحابك ما كدت أموت منه ، ووصلت الى قصرك ، فرأيت عليه نورا عظيما ، غطى بصري ، ثم دخلت عليك فرأيتك على سريك ، فظننتك خالقا فلو قلت لي انك تعرج الى السماء لتحققت ذلك » (١) •

(١) ابن الاثير ٢٣٩/٨ تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٠٥ .

وقد أفادت هذه المعاهدة الامام المعز ، فأمن خطر غارات الروم المستمرة على بلاده في المغرب في الوقت الذي بعث فيه بجيوشه الضخمة الى مصر ، كما أن المعز استفاد من موقع صقلية الستراتيجي الحربي لصد جميع الحملات التي كان يوجهها الامويون والبيزنطيون نحو افريقية ، وبذلك امتد نفوذ الاسماعيلية الى ايطاليا نفسها ، فتحقق للمعز تنظيم القسم الغربي من دولته ، مما ساعده على اعداد العدة للمسير نحو الشرق ليجعل من القاهرة قاعدة لدولته الشاسعة الارحاء ويوجه منها ضرباته الى العباسيين والروم . وبنفس الوقت اتخذ الامام المعز من موانئ صقلية قواعد للاغارة على موانئ حوض البحر الابيض المتوسط^(١) .

احتلال مصر :

منذ تأسيس الدولة الفاطمية بالمغرب أخذ الأئمة بتوجيه عنايتهم لامتلاك مصر ، نظرا لما لها من الاهمية السياسية والحربية ، خصوصا وان الشام والحجاز كانتا تخضعان لولاة مصر ، وامتلاك مصر معناه امتلاك الشام والحجاز ، وتمهيد الطريق للاستيلاء على بغداد عاصمة الامبراطورية العباسية . فأرسلوا الدعاة الشيطيين الذين أخذوا يعملون بجد ونشاط لنشر المذهب الاسماعيلي فلاقت دعوتهم العطف والتأييد ، فكاتب المصريون الأئمة ودفعوهم الى غزو مصر ، وقد وعدوهم بالموازية والنصرة ، ولقد حاول المهدي والقائم والمنصور تحقيق هذه الامنية ولكن لأمر يريده الله لم يتمكنوا من فتح كافة البلاد نظرا لانشغالهم في تركيز دعائم الدولة في افريقية .

ولقد تعرضت مصر بعد كافور الى حالة من البؤس والشقاء لدرجة لم تعهدها من قبل نتيجة القحط والجفاف وهبوط مستوى النيل ، فاشتد الغلاء ، ونذر وجود الاطعمة ، وعم السلب والنهب للبلاد ، وكثرت الأوبئة

(١) تاريخ الدولة الفاطمية (١٠٩ - ١١٠) لحسن ابراهيم ابراهيم حسن .

والامراض ، وقيل أن الناس عجزوا عن تكفين ودفن موتاهم ففضلوا أن يقدفوا بهم في النيل .

تلك كانت حالة مصر بعد وفاة كافور ، وما صارت اليه البلاد من الفوضى والبؤس ، ولم يستطع الخليفة العباسي أن يمد لها المساعدة وهو يعاني من الضعف والتكليل الأمرين .

أبلغ الدعاة الامام المعز بالحالة التي وصلت اليها مصر ، فشرع يعد العدة لفتح مصر واتقاذها مما تعانیه فانشأ الطرق وحفر الآبار ، وأقام المنازل للاستراحة ، وجمع الاموال للاتفاق على الحروب وقيل أن الاستعدادات بدأت منذ عام ٣٥٦ هجرية .

وفي ١٤ ربيع الآخر سنة ٣٥٨ هجرية حشدت العساكر والجيوش وأسند الامام المعز قيادتها لجوهر الصقلي وخرج الامام بنفسه لوداع الجيش فخطب بالمشايخ الذين انضوا تحت لوائه قائلاً : « والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر . ولتدخلن الى مصر بالأردية من غير حرب ، ولتنزلن في خرابات ابن طولون ، وتبنى مدينة تقهر الدنيا » وقيل ان الامام أقام أياما في المعسكر^(١) كان يجتمع الى جوهر كل يوم ، ومن ثم استعرض الامام المعز الجيش وودع القواد والامراء ، وبعد أن قبّل جوهر يد الخليفة وحافر فرسه ، أذن له الخليفة بالمسير . ولما عاد الامام الى قصره ، بعث الى جوهر كل ما كان عليه من لباس خارجي عدا خاتمه^(٢) .

سارت جيوش المعز المنظمة تنظيماً دقيقاً ، والمزودة بالاموال الضخمة والرجال والعتاد والمؤن ، وتتجلى ضخامة هذه الحملة الاسماعيلية مما ورد على لسان أحد المصريين الذي قال فيها :

(١) ابن خلكان : ١٠٢/٢ .

(٢) ابن خلكان : ١٤٨/١ .

انها « مثل عرفات كثرة وعدة^(١) » ولقد وصف العرض العسكري الذي أجراه الامام المعز للجيش قبل مسيره الشاعر الاسماعيلي ابن هانيء الاندلسي خبير وصف فقال :

وقد راعني يوم من الحشر أروع
 فعاد غروب الشمس من حيث تطلع
 ولم ادر اذ شيعت كيف أودع
 واني بمن قاده الدهر مولع
 ولا لجوادي في البسيطة موضع
 غرار الكرى جفن ولا بات يهجع
 وما بين قيد الرمح والرمح أصبع
 فكيف قلوب الانس والانس أضرع
 تخب المطايا فيه عشراً وتوضع
 وتسجد من أدنى الخفيف وتركع
 وان سارعن أرض ثوت وهي بلقع
 فاقسمت الالاءم الجنب مضجع

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع
 غداة كأنّ الافق سُد بمثله
 فلم أدر اذ سلمت كيف أشيع
 وكيف أخوض الجيش والجيش لجة
 وأين ومالي بين ذا الجمع مسلك
 ألا ان هذا حشد من لم يذق له
 نصيحته للملك سدت مذهبني
 فقد ضرعت منه الروابي لما رأت
 فلا عسكر من قبل عسكر جوهر
 تسير الجبال الجامدات بسيره
 اذا حل في ارض بناها مدائنا
 سموت له بعد الرحيل وفاتني

ومنها :

وكل له من قائم السيف أطوع
 ويقدمه زي الخلافة أجمع
 به المسك في نشر الهدى يتضوع
 نسائج بالتبر الملمع تلمع
 كساه الرضي منهن ماليس يخلع

لقد جل من يقتاد ذا الخلق كله
 تخف به القواد والأمر أمره
 ويسحب أذيال الخلافة رادعا
 له حلل الاكرام خص بفضلها
 برود أمير المؤمنين بروده

(١) المقرئبي : اتعاظ الحنفا ص ٧١ .

ومنها :

فجاءته خيل النصر تردي وتمزع
وفي خده الشعرى العبور تطلع
وظل السلاح المنتقى يتقعقع

ونودي بالترحال في فحمة الدجي
فلاح لها من وجهه البدر طالعا
فكبرت الفرسان لله اذ بدا

ومنها :

بانك ذاك الهبرزي السيدع
فانت لها المرجو والمتوقع
فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع

وما جهلت مصر وقد قيل من لها
وانك دون الناس فاتح قفلها
فان يك في مصر رجال حلومها

ومنها :

وامنت منهم من يخاف ويجزع
لسائلها منهم وكيف التبرع
اعز من الاخشيد قدرا وارفع
ويصر من قارعته كيف يقرع
وغيرك في أيام دنياه يرتع

وكفكفت عنهم من يجور ويعندي
اذا لراوا كيف العطايا بحقها
وانساهم الاخشيد من شمس نعله
سيعلم من ناواك كيف مصيره
تحملت أعباء الخلافة كلها

ومنها :

وفي يدك الارزاق تعطي وتمنع
بلغت ولا كسرى الملوك وتبع
ترى الشمس فيها تحت قدرك تضرع
وهل خلف أفلاك السموات مطلع
ولا لجواد في لحاقتك مطمع

فأنت أمين الله بعد أمينه
وما بلغ الاسكندر الرتبة التي
سموت من العليا الى الذروة التي
الى غاية ما بعدها لك غاية
الى أين تبغي ليس خلفك مذهب

والجدير بالذكر ان هذا الجيش لم يكن بريا وحسب ، بل كان يصحبه
بعض القطع البحرية ، سار القائد جوهر فدخل الاسكندرية بلا حرب ثم عمد

الى الفسطاط فهزم من كان بها من العساكر الاخشيدية واستولى على المخاضة
بمنية شلقان ، ومنها عبر الى مصر فدخلها يوم الثلاثاء الخامس عشر من شعبان
سنة ٣٥٨ هجرية بعد العصر وأناخ في موضع القاهرة الآن واختط موضع
القصر •

وفي اليوم التالي جاء المصريون ليهنئوه فوجدوه قد حفر أساس القصر في
الليل ، وقيل كان فيه زورات جاءت غير معتدلة فلم تعجبه فقال : (خوت في
ساعة سعيدة فلا أغيرها) (١) واستمر دخول الجيش مدة سبعة أيام فاستقرت
به الدار وجاءته الهدايا فلم يقبل من أحد شيئاً ، ووزع الصدقة على المستورين
والفقراء وخطب في الجامع العتيق باسم الامام المعز وأمر ببناء مدينة القاهرة
وضرب النقود باسم المعز وخصص يوم السبت من كل اسبوع لينظر في المظالم
بنفسه وأرسل يخبر الامام بفتح مصر ، فوصلت البشارة الى المغرب في نصف
رمضان سنة ٣٥٨ هجرية فسر الامام سرورا عظيما واقامت الافراح في جميع
البلاد وانشد الشاعر ابن هاني الاندلسي قصيدة جاء فيها :

تقول بنو العباس هل فتحت مصر
وقد جاوز الاسكندر جوهر
وقد أوفدت مصر اليه وفودها
أفي الجيش كنتم تمترون رويدكم
وقد اشرفت خيل الاله طوالعاً
ذروا الورد في ماء الفرات لخيله
فبادوا وعفى الله آثار ملكهم
الا تلکم الارض العريضة أصبحت
فقد دالت الدنيا لآل محمد
معز الهدى والدين والرحم التي
فقل لبني العباس قد قضى الأمر
مُتطلعه البشرى ويقدمه النصر
وزيد الى المعقود من جسرهما جسر
فهذا القنا القراص والجحفل المجر
على الدين والدنيا كما طلع الفجر
فلا الضحل منه تمنعون ولا الغمر
فلا خبر يلقاك عنهم ولا خبرو
وما لبني العباس في عرضها قتر
وقد جررت اذيالها الدولة البكر
به اتصلت اسبابها وله الشكر

(١) ابن خلکان ٢١٢/١ اتعاظ الحنفا (١٥٨) خطط المقرئ ٢٠٤/٢

هو الوارث الدنيا ومن خلقت له
وكنزاً من العلم الربوبي انه
أهنيك بالفتح الذي أنا ناظر
وما ضر مصرأ حين ألفت قيادها
فلو سمع التشويب من كان رمة
لناديت من قدمات حي بدولة

من الناس حتى يلتقي القطر والقطر
اليك أقر النيل أم غاله جزر
اليه بعين ليس يعضها الكفر
هو العلم حقلا القيافة والزجر
رفاتاً ولبي الصوت من ضمه قبر
تقام لها الموتى ويرتجع العمر

ولم تقف جهود جوهر عند هذا الحد بل اذاع منشورا على الجند يحرم
فيه أن يقوموا بعمل من أعمال العنف والنهب ، فهدأت البلاد وسكن الناس ،
وعاد الأمن الى نصابه ، وفتحت الاسواق ، وعادت الاعمال التجارية الى
ماكانت عليه .^(١) وباشر جوهر باصلاح المساجد وتحسين السكة والغاء
السخرة ، ومنح للشعب الحرية التامة ، مسلمين كانوا أو ذميين في اقامة
شعائهم الدينية كل حسب دينه ومذهبه .

وهكذا زال سلطان الاخشيديين والعباسيين عن مصر ، واصبحت البلاد
ولاية اسماعيلية ، وبذلك امتدت الدولة الفاطمية الاسماعيلية من المحيط
الاطلسي غربا الى البحر الاحمر شرقا .

مكث القائد جوهر في مصر والياً من قبل الامام المعز فنظم شؤونها
الداخلية خير تنظيم ، وكان الغلاء شديدا فعدل الاسعار وحظر بيع الطحين
الا باشرافه غير أن بعض الطحانين خالفوا الأوامر فأمر بجمعهم في موضع
واحد وضرب احد عشر رجلا منهم وطيف بهم وقضى على مروجي الفتن
والقلاقل ، وأرسل جيشا بقيادة ابن فلاح فاستولى على الرملة وطبرية ودمشق
وخطب للامام في حلب وحمص .

وفي سنة ٣٦٠ هجرية هاجم القرامطة مصر فقاتلهم جوهر قتالا مريرا حتى

(١) ابن خلكان / ٣٤٣ .

هزمهم ونادى في جميع أنحاء البلاد من جاء بالقرمطي أو برأسه فله ثلاثة مائة ألف درهم وخمسون خلعة ، وخمسون سرجاً تحل على دوابها • وغزا الاسطول الاسماعيلي الساحل الفلسطيني فاتحته بكامله •

رأى جوهر الصقلي بعد أن استقر له الامر أن الوقت قد حان لحضور الامام المعز ليتسلم زمام الحكم • ويذكر ابن خلكان^(١) أن جوهرأ كتب بذلك الى الامام المعز اكثر من مرة ، ثم بعث اليه رسولا يحمل اليه خبر خضوع مصر والشام والحجاز لسلطانة ، وأن الدعوة قد أقيمت له في كافة أرجاء هذه البلاد • فقرر الامام أن ينقل عاصمته الى القاهرة ، فاستخلف (بُلْكِين) بن زيري بن مناد الصنهاجي على افريقية^(٢) وتوجه الى مصر بأموال كثيرة المقدار ورجال عظيمة الاخطار ، وحمل معه جثث آباءه الثلاثة الذين تولوا الخلافة قبله •

وخرج المعز من المنصورية دار ملكه يوم الاثنين ٢١ شوال سنة ٣٦١ هجرية ومرفي طريقه على بركة ودخل الاسكندرية يوم السبت ٢٣ شعبان سنة ٣٦٢ هجرية وهو ممتط جواده ، فقدم عليه القاضي أبو طاهر محمد ابن أحمد وأعيان البلاد ، وسلموا عليه • وجلس الخليفة المعز عند المنارة ذلك اليوم ، وخطبهم خطبة طويلة ؛ فقال انه لم يرد دخول مصر لزيادة في ملكه ولا لمال ، وانما أراد اقامة الحق وحماية الحجاج واعلان الجهاد ضد الكفار ، ووعظهم وأطال في الوعظ حتى استدر دموع الحاضرين ، وخلع بعد ذلك على القاضي وبعض من كان في جماعته ، وحملهم على الخيل المطهمة ، ثم انصرفوا^(٣) •

ثم غادر المعز الاسكندرية في أواخر شعبان ، فوصل الى ساحل مدينة

(١) ابن خلكان ١٣٤/٢

(٢) نفس المصدر ١١٥/١

(٣) نفس المصدر ١٣٤/٢

مصر المقابل للجيزة ؛ فخرج اليه القائد جوهر • وترجل عند لقائه وقبل الارض بين يديه • وأقام المعز في الجيزة ثلاثة أيام ؛ ثم أخذت عساكره في العبور الى ساحل مصر • وفي يوم الثلاثاء الخامس من شهر رمضان ، عبر المعز النيل ودخل القاهرة من غير أن يمر على مصر في طريقه ، وقد أقام له الاهلون معالم الزينة على جانبي الطريق ، ظناً منهم أنه سيشرفها بزيارته •

ولما وصل الامام المعز الى القاهرة ودخل القصر الذي بناه له جوهر وصار في احدى ردهاته ، خرّ ساجداً لله تعالى ؛ ثم صلى ركعتين ، وانصرف الناس عنه • وقد أطلق على المدينة اسم القاهرة نسبة الى الخليفة المعز^(١) وبعد ان تقبل الامام المعز ما قدم اليه من الهدايا والتحف ، أذن لجماعة المهنيين بالجلوس في مجلسه وأمر باطلاق جميع من اعتقلهم جوهر من الاخشيديين والكافوريين ، وكانوا نحو الألف •

وفي يوم الجمعة ١٧ محرم تسلم الامام المعز دواوين مصر وجباية أموالها والنظر في أحوالها •

وهكذا أصبحت مصر داراً للخلافة الاسماعيلية وأصبح المعز أول خليفة فاطمي فيها ، وغدت القاهرة بدل المنصورية مركزاً للدعوة الاسماعيلية ومقرّاً للخليفة الفاطمي •

عمل الامام المعز على ترقية العلوم والثقافة وأمر ببناء جامع الأزهر وجعله داراً للعلوم ومنهلاً للثقافة والفكر ، وشجع العلماء وخصص لهم المبالغ الطائلة فوفدوا عليه من كل قطر حيث وجدوا المساعدات والتشجيع ؛ ووجه الاعتناء الزائد لمكتبة القصر واشرف بنفسه على تأليف الكتب الاسماعيلية ، فتقدمت الفلسفة تقدماً باهراً وازدهرت علوم المذهب ، ونبغ في عهده شعراء وفلاسفة نهضت على كواهلهم الدعوة الاسماعيلية ، واهتم أيضاً

(١) ابن خلكان ١٣٥/٢ ..

بالتنظيمات الادارية وانشأ محكمة للنظر في المظالم ، كما عين الولاة والحكام المشهورين بنزاهتهم وحسن ادارتهم وقضى على الفوضى والمحسوبة والرشوة وعمل على تقوية الجيش وشيد دارا لصنع السفن البحرية ، هذا ما جعل الاسطول الفاطمي يصبح مفخرة الدول الاسلامية واعظم اسطول في الشرق . وكان الامام المعز أول من فخم الاحتفال بصلاة الجمعة ، وبالأعياد والمواسم وركوب الخليفة بالموكب الملكية أيام السبت والثلاثاء ، وأيام الجمع ، واقامة الاسمطة ، وتوزيع الانعامات الدينية والسياسية في المناسبات .

ويذكر التاريخ أن الامام المعز كان شاعراً ، عاقلاً ، حازماً أديباً ومن شعره :^(١)

أطلع الحسن من جنبك شمسا فوق ورد في وجنتيك أطالا
وكان الجمال خاف على الور دجفاً فمد بالشعر ظلا
وينسب اليه هذه الايات :

لله ما صنعت بنا تلك المهاجر في المهاجر
أَمْضَى وَأَقْضَى فِي النُّفُوسِ من الخاجر في الخاجر
ولقد تعبت بينكم تعب المهاجر في الهواجر^(٢)

وتحدث المؤرخ ابن اياس عن شعر المعز فقال :

ما بان عذري فيه حتى عذرا وبدا البنفسج فوق ورد أحمر
همت بقبلته عقارب صدغه فاستل ناظره عليها خنجرا^(٣)

(١) ابن خلكان وفيات الاعيان : ١٥٣/٢

(٢) نفس المصدر : ١٠٣/٢

(٣) تاريخ ابن اياس : ٤٨/١

ويذكر المستشرق الروسي ايخانوف في كتابه المرشد الى أدب الاسماعيلية
للإمام المعز عدة مؤلفات وهي : (١)

١ - كتاب الروضة - يبحث في العقائد والمذاهب وقد أملاه على القاضي
النعمان بن محمد •

٢ - الرسالة الى حسن القرمطي (وهي عبارة عن رسالة أدبية ارشادية)

٣ - الرسالة المسيحية •

٤ - كتاب المناجاة •

والاسماعيلية يعتبرون الامام المعز السابع المتمم للدور الذي تقدمه
لذا فهم يعدونه حاوي لقوة روحية تعادل مجموع القوى التي كان يتمتع بها
الأئمة الستة الذين تقدموه ، وهو سابع الاسبوعين أي ناطق الدور ، لان
كل سابع هو ناطق الدور ، وصاحب التشريع ، ولهذا أطلق عليه ابن هانئ
لقب الرسالة وشبهه بمحمد لأنه ناطق مثله فقال :

وكأنا أنت النبي محمد وكأنا انصارك الأنصار

وفي الحادي عشر من ربيع الاول سنة ٣٦٥ هجرية في يوم الجمعة انتقل
الإمام المعز الى جوار ربه بعد أن نص على امامة ولده العزيز ودفن في
القاهرة •

* * *

(١) المرشد الى الأدب الاسماعيلي ص ٣٦ •

معروف بن جمر

من أشهر قواد الفرق الفدائية الاسماعيليه في بلاد الشام ، أحيطت أعماله البطولية بهالة من الأساطير تناقلتها الألسن ، وكان لها الصدارة في المنتديات العامة ، وأصبح اسمه على كل شفة ولسان •

ويذكر التاريخ انه كان القائد العام للفرق الفدائية أثناء الحروب التي خاضها الظاهر بيبرس ، يرأس سبعين مقداما ، وكان كل مقدم يرأس ألف فدائي ، وهو مقدم على جميع المقدمين • ولد في قلعة الكهف سنة ٦٢٤ هجرية ، وقيل انه يمت بصلة النسب الى محمد بن الحنفية • انخرط في التنظيمات السرية للفدائية ، وتدرّب على أعمالها في مركز الدعوة بمدينة مصيف ، وفي سنة ٦٦٤ هجرية ترأس جيوش الفدائية الاسماعيليه التي حاربت الى جانب السلطان الظاهر بيبرس ، فأبلى البلاء الحسن في جميع المعارك التي خاض غمارها ، وفي احدى هذه المعارك وقع في الأسر غيلة ، وحمل الى مدينة (قيطان) حيث وضع في سجن سري رهيب ، ولقد تمكن المقدم جمال الدين شيجه ومساعدته سعد بن دبل من التخفي بزي جنود الاعداء والذهاب الى (قيطان) حيث تمكنا من اقاذه والاتيان به الى مصر ، فاستقبل استقبالاً عظيماً ، ومن ثم عاد الى حلب مع فدائيته للدفاع عنها والتمركز فيها ، تروي المصادر الاسماعيليه ان المقدم عرنوس بن معروف بن حمير الذي كان يعسكر مع جنوده في القاهرة قد اختلف مع الظاهر بيبرس فالتجأ الى بلاد الروم وتأمّر معهم لاحتلال مدينة حلب ، التي كانت تخضع للظاهر بيبرس ، والمكلف بالدفاع عنها والده المقدم معروف بن جمر ، اشتد الحصار على مدينة حلب ، فاغلقت أبواب المدينة ، فجعل المقدم معروف مقر قيادته في باب انطاكية ، بينما سلم مهمة الدفاع عن الابواب الاخرى لكبار المقدمين

الاسماعيلية ويذكر التاريخ ان الأبواب كانت تفتح في الصباح حيث يهاجم
الفدائية الاعداء بضراوة ، وفي المساء كانت تغلق الابواب ، وكان المقدم
معروف بن جمر يشرف بنفسه على الحراسة وفي ليلة من الليالي الحالكة وجد
ميتاً في مركز مراقبته في باب انطاكية ، فحزن عليه الاسماعيليون حزنا عميقا
وشيعت جنازته باحتفال مهيب ، ولما علم ابنه عنوس المنشق بوفاة والده
جمع أتباعه ليلا وشن هجوما ليليا على الروم فبعثر صفوفهم ودبت الفوضى
في جموعهم ، ففتحت ابواب حلب وعمل الفدائية بالروم قتلا حتى أجلوهم
عن حلب ، ولما بلغ الظاهر بيبرس الامر أصدر عفوا خاصاً عن المقدم عنوس
نظراً للخدمات الجليلة التي قدمها والده المقدم معروف ، وعاد الى صفوف
الفدائية •



معروف بن الفتح السرميني

يستدل من المصادر التاريخية على أن هذا الداعي قد لعب دوراً هامة في تنشئة الاسماعيلية في ولاية حلب ، وخاصة من الناحية الفكرية حيث كلف بالاشرافه على ادارة (دار الدعوة) في مدينة حلب في عهد مقدم الاسماعيلية (الحكيم المنجم) .

ولد الشيخ معروف بن الفتح السرميني في قرية (سرمين) الواقعة جنوب مدينة حلب وتلقى دروسه الاولية في مدارس الدعوة الاسماعيلية في حلب ومن ثم أرسل الى (آلموت) لاكمال دراسته المذهبية ، فاختص بالفقه والتأويل والفلسفة فظهر نبوغاً عجبياً وبعد أن أمضى ثلاث سنوات عين قاضياً للمذهب الاسماعيلي في حلب وجعل مقره الدائم في مسقط رأسه سرمين ، وبطبيعة عمله كان يكثر من التردد على حلب ويتجول في كافة المناطق والقلاع الاسماعيلية التابعة لها .

ولما قتل (الحكيم المنجم) الذي كان مقدماً على الاسماعيلية في ولاية حلب وخلفه أبو طاهر الصائغ اتخب الشيخ معروف ليكون نائباً له ومديراً عاما لمدارس الدعوة في ولاية حلب وعرف منذ ذلك الوقت بـ (أبي الفتح السرميني)^(١) وجه جل اهتمامه الى خلق جيل جديد من الشباب المتعلم الواعي المثقف ، المدرب على التضحية الفذة والشجاعة النادرة والتفكير الحر الطليق الذي لا يخضع الا لقوة العقل والمنطق ، ولا غرو فقد كان السرميني عالماً فاضلاً وشاعراً رقيقاً ، تدل قصائده التي عثرنا عليها في بعض المخطوطات الاسماعيلية السورية على طول باعه في علم التأويل والفلسفة .

(١) نسبة الى قرية (سرمين) التي تبعد مرحلة واحدة الى جنوب حلب .

وبعد أن وقعت بلدته سمرين في أيدي الصليبيين تمكن أبو الفتح من الفرار الى قلعة (أفامية^(١)) وذلك سنة ٤٩٩ هجرية ولجأ الى صاحبها خلف ابن ملاعب الكلابي الذي كان من الاسماعيلية المستعلية ، فوثق به واعتمد عليه وقيل اعتنق مذهبه وأصبح نزارياً .

وفي سنة ٥٠٠ هجرية توجه حاكم انطاكية (تنكريد) على رأس جيش جرار لمحاصرة (أفامية) وبعد قتال مرير عاد تنكريد بدون أن ينالها ، ولكنه أعاد الكرة ثانية فاحتلها في نفس التاريخ وأمر باعدام الشيخ معروف السرميني ونخبة من رجاله الاشائوس .

وقيل أن الذي حرض حاكم انطاكية على العودة ثانية الى أفامية هو مصبح بن خلف بن ملاعب الذي تمكن من التسلل أثناء الحصار حيث التجأ الى صاحب انطاكية وأطمعه في أخذها لقلعة القوت بها ، فنهض اليها ، ونزل عليها وضايقها ، الى أن تسلمها بالامان ، في الثالث عشر من محرم سنة ٥٠٠ هجرية ، فلما حصل أبو الفتح السرميني الباطني في يده ، قتله بالمقوبة^(٢) .



(١) تاريخ الاسلام : للذهبي : ٣ ورقة ٥٦١ .

(٢) ذيل تاريخ دمشق : ابن القلانسي : ص ١٥٠ .

منصور العزيري الجوذري

لا ندري شيئاً عن أبي علي منصور العزيري الجوذري وأصله وتاريخ ولادته ، وكل ما توصلنا الى معرفته ما ذكره هو نفسه في كتابه (سيرة الاستاذ جوذر) وما أورده المقريري : فهو يقول انه دخل خدمة جوذر كاتباً له سنة ٣٥٠ هجرية ، وأن جوذر « آثرني بما أنا لنيه من جزيل الرتبة وشرف المنزلة عنده ، وجعلني واسطة بينه وبين الخدام تحت يديه واستحفظني على ما يجري بينه وبين مولانا وسيدنا الامام المعز لدين الله صلوات الله عليه من الأسرار مما تضمنته التوقيعات وجرت به المشافهات والكتب الواردات عليه من كل الجهات حتى أنني لم أك شيئاً مذكوراً فجعل مني أشياء مذكورات» (١) .

ويذكر في آخر الكتاب : « ثم أسعدني الله بخدمتي له ، وأدركني من بركاته ما أوجب له في قلب وليه مولانا وسيدنا قدس الله روحه الرؤفة فصيرني مكانه مقدماً على أسبابه وجميع أصحابه ، والى الله أرغب بخالص الطلبة أن يختم لي بمثل ما ختم له ، وأن يعين على المفترض من طاعة وليه وابن نبيه وخيرته من خلقه وخالصة عبادته عبد الله ووليه نزار أبي المنصور الامام العزيز بالله أمير المؤمنين» (٢) هذا كل ما ذكره عن نفسه بنفسه في هذا الكتاب .

وتدل هذه المعلومات على أنه كان من الموالي وعلى الأرجح أنه صقلبي، دخل في خدمة جوذر وتولى الكتابة له ، وتعتبر وظيفة الكتابة من المراكز الكبيرة في النظم الاسلامية كانت تؤهل صاحبها الى أكبر مراتب الدولة حتى

(١) سيرة جوذر ص ٣٣

(٢) سيرة جوذر ص ١٤٧

الوزارة ، وهذه الصفة مكنته من أن يطلع على كافة الوثائق المتبادلة بين الأئمة وجوذر وعلى ما فيها من أسرار هامة ، وطبعي ان سيده كان يطلعه على كافة الوثائق التاريخية المتعلقة بالدولة .

ولقد وقع اختيار المعز عليه ليخلف مولاه جوذر نظرا لانه كان محلا لثقة الأئمة أنفسهم ، وكان مثلا أعلى في الطاعة والاخلاص والوفاء للأئمة . أما ما ذكره عنه المقرئ فيقول : « أبو علي منصور الجوزري الذي كان في أيام العزيز بالله وزادت مكاتته في الايام الحاكمة فأضيفت اليه مع الأحباس الحسبة وسوق الرقيق والسواحل وغير ذلك^(١) » ويعتبر من أصحاب فن السر في العهد الفاطمي ولكن أثره كله ضاع لولا أن خلده كتابه سيرة الاستاذ جوذر . ولقد أشار ايثانوف^(٢) الى هذا الكتاب ومؤلفه فقال « المنصور الجوزري كاتب الاستاذ جوذر موظف كبير في أيام المعز وكتابه سيرة الاستاذ جوذر ، من المرجح أنه كتبه في ذكرى مولاه . ومن كل هذا نستطيع أن نستخلص أن منصور الجوزري كان من أبرع كتاب السر ومن أخلص موالي الأئمة توصل الى مرتبة عالية من مراتب الدولة وكان موضع ثقة الجميع .



(١) خطط المقرئ : ٧/٣

(٢) المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ٤١

الحاكم بأمر الله أبو علي منصور

لا تزال آراء وأقوال المؤرخين متضاربة متناقضة أشد التناقض حول حياة الخليفة الفاطمي ، الحاكم بأمر الله ، أبو علي منصور ، وكل ما قيل ويقال لا يتعدى التخمين والاستنتاج ، والافتراض غير مدعوم بالحجج الدامغة والبراهين التاريخية الصادقة .

يذكر البعض ان الامام الحاكم بأمر الله كان ظالما يميل الى سفك الدماء ، وأنه كان مريضا في عقله ، مما جعله يتصرف تصرفات اعتباطية لاتصدر - حسب زعمهم - الا عن انسان مصاب بخلل في قواه العقلية . بينما نرى البعض الآخر يدحض هذه الآراء والأقوال وينفي تلك الفرضيات ، فيؤكد ان الامام الحاكم كان على عكس ما قيل فيه تماما ، فعنده عرف بالعدل المتناهي ، والجدود العظيم ، والصلوات الواسعة ، شجع العلم وحافظ على المجتمع من الفساد ، والانحلال ، والفسق والفجور ، وها هو الانطاكي ، الكاتب المسيحي ، المنصف ، يقول^(١) : « أظهر الحاكم من العدل ما لم يسمع به ، وكان له جود عظيم ، وعطايا جزيلة ، وصلات واسعة ، وكان نصيرا للعلوم والآداب » وقال أيضا عبد الله عنان الكاتب والمؤرخ متحدثا عن زهد الامام الحاكم وتواضعه : « كان الامام الحاكم يحتقر الألقاب ، كما يحتقر متاع هذه الدنيا ، اشتهر بالزهد والورع والتقوى ، أدهش الناس بتصوفه الفلسفي ، واقتصر طعامه على أبسط ما تقتضيه الحياة من القوت المتواضع » . ونحن الذين آلبنا على أنفسنا أن نطلق كلمة الحق عالية مجلجلة ، لا يسعنا الا أن نقول : ان كل ما احيط بشخصية الامام الحاكم لم يكن الا من قبيل

(١) تاريخ الانطاكي ص (٢٠٦ - ٢٠٧) .

الدس والتحامل والعصية الدينية المذهبية ، أو بالاحرى حكم بعض المؤرخين على الامور قبل التشبع من دراستها ، فامام ينحدر من العترة الطاهرة لا يمكن أن يصدر عنه الا الخير العميم لصالح البشرية جمعاء لانه وجد في الكون لا لتخليص الانفس من الادران التي علقت بها في عالم الكون والفساد ، ولانارة ظلمات القلوب وبعث الحياة في النفوس المجدبة .

ولد أبو علي منصور بن المعز لدين الله أبي تميم بالقصر الملكي في القاهرة المعزية ليلة الخميس^(١) الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة ٣٧٥^(٢) هجرية في الساعة التاسعة والطلع عن برج السرطان سبع وعشرون درجة . تولى الخلافة والامامة بعد وفاة أبيه وسلم عليه في مدينة بلييس بعد الظهر من يوم الثلاثاء العشرين من رمضان سنة ٣٨٦ هجرية ، وسار الى القاهرة يوم الاربعاء بسائر أهل الدولة وبويع بالامامة ولقب (بالحاكم بأمر الله) وكان عمره يومئذ ١١ سنة وخمسة أشهر وستة أيام . قام بواجبه نحو مملكته وأمه خير قيام ووجه اهتمامه الزائد للناحية العلمية فنشط الحركة الفكرية ، فراجت الثقافة ، وزخر البلاط الفاطمي بالعلماء والشعراء والادباء ، وجعل من المساجد مآباً للعلماء وخاصة فقهاء المذهب الاسماعيلي فكانوا يحاضرون الناس في عقائد المذهب وأصوله .

اشتهر الامام الحاكم بالسخاء والبذل ، انشأ ديوان (المنفرد) خاصة لاضافة الاموال المصادرة من الاغنياء والخارجين على القانون الى أموال الرعية ، وأصدر نظاما خاصا للبر والعطايا ، توزع بموجبه الاموال على الفقراء والمعوزين والمحتاجين^(٣) فكثرت الانعامات في عهده على جميع

(١) قبل ليلة الجمعة ٢٤ ربيع الاول والأصح ليلة الخميس .

(٢) وفيات الاعيان ١٨٥/٢ اتعاظ الحنفا للمقريزي ص (٢٩٩) .

(٣) وفيات الاعيان ١٨٥/٢

المستحقين مما جعل أمين الامناء حسين بن طاهر الوزان يتوقف عن صرفها
فكتب اليه الامام الحاكم بخطه بعد البسلة :

الحمد لله كما هو أهله :

أصبحت لا أرجو ولا أتقي الا الهى وله الفضل
جدي النبي وامامي أبي وديني الاخلاص والعدل

المال مال الله عز وجل ، والخلق عباد الله ، ونحن امناء في الارض أطلع
أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام^(١) .

وأمر بانشاء دار الحكمة لتكون جامعة علمية ففتحت أبوابها في ١٠
جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ هجرية وأوعز بنقل بعض الكتب الثمينة من مكتبة
القصر الى دار الحكمة ، وأما الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين ثقافتهم ،
فمنهم من كان يحضر لقراءة الكتب ، ومنهم من يحضر للنسخ ومنهم من يحضر
للتعلم ، وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الحبر والاقلام والورق^(٢)
وخصص قسما منها لاجتماع الدعاة والفقهاء لتنظيم الدعوة الاسماعيلية
وللقاء مجالس الحكمة التأويلية فدخل كثير من الناس في المذهب الاسماعيلي
وازدحمت دار الحكمة بالمستجيبين وقيل ان بعض الناس كانوا يموتون من
كثرة الازدحام ، وخصص يومين في الاسبوع لحضور تلك المجالس ، وكانت
دار الحكمة من أعظم وأفخم المؤسسات العلمية وأرقاها في ذلك العصر .
انفقت عليها الاموال الطائلة . وفرشت بأحسن الاساس ، وزينت بأجمل
النقوش ، وكان الامام يشرف بنفسه على اقامة المناظرات بين العلماء والفقهاء
ويهبهم العطايا والمنح^(٣) .

(١) خطط المقرئ ٨٤/٤

(٢) نفس المصدر ٣٣٤/٢

(٣) تاريخ الانطاكي ص ٢٠٦ - ٢٠٧ خطط المقرئ ٣٣٢/٢ - ٣٣٤

وأنشأ دار العلم سنة ٣٩٥ هجرية وجعلها جزءا من قصره وحضرها الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين ثقافتهم وكان الداعي يجلس فيها ويجتمع اليه من التلاميذ من يتكلم في العلوم المتعلقة بمذهبهم ، كما خصص مكانا لاجتماع داعي الدعوة بالدعاة والفقهاء لتنظيم أمور الدعوة ، وانتشرت الترجمة انتشارا يدعو الى الاعجاب ، وهكذا بلغت النهضة الفكرية أقصى درجات الازدهار مما جذب طلاب العلم الى القاهرة من كافة أرجاء البلاد الاسلامية ، فكان يقدم اليهم المأكل والمسكن وكل ما يوفر عليهم وسائل المعيشة وأسباب الراحة .

ولقد أجرى الخليفة الحاكم بأمر الله كثيرا من الاصلاحات والارشادات الاجتماعية كان لها الاثر الكبير في خلق مجتمع قوي صالح مؤمن بالقيم الروحية والانسانية ، وحرم بيع الخمر وشربها ، كما منع النساء من التبرج والخروج لزيارة القبور ، ودخول الحمامات العامة ومحي صورهن من الحمامات^(١) ومنع الرجال من التسكع في الشوارع والوقوف أمام الحيوانات وحرم أيضا تناول بعض الاطعمة كـ(الملوخية) وأمر بأن لا يقبل أحد الارض ولا يقبل ركابه ويده عند السلام عليه في الموكب ، ومنع الالقاب وأكثر من الخروج لوحده ليلا والجلوس مع المؤمنين الموحدين المخلصين^(٢) وفي يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الاول سنة ٣٩٣ هجرية بدأ في اكمال جامع الازهر وبنى جامع راشد وشيد عدة مساجد في مدينة القاهرة وحمل اليها من المصاحف والآلات الفضية والستور والحصر السامانية ما له قيمة طائلة .

وفي سنة ٤٠٣ هجرية أمر باحصاء المساجد التي لا غلة لها فوجدت ٨٣٠ مسجدا فرصدت لها النفقات اللازمة .

وفي سنة ٤٠٥ هجرية وقف الضياع والاموال على العلماء والفقهاء

(١) وفيات الاعيان ١٨٧/٢

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية ١٦٥

• والمستشفيات ووزع أمواله الخاصة على المساجد والفقراء ودور العلم .

هذا من ناحية التنظيمات الداخلية ، أما من الناحية الخارجية فقد عين الولاة الموثوق بهم على الاقاليم والجزر ونظم الدعوة الاسماعيلية تنظيما دقيقا فوزع الدعوة الاكفاء على الجزر والاقاليم والبلدان فانتشرت الدعوة الاسماعيلية بواسطتهم وعظم أمرها ونبع دعاة علماء كان لهم شأن عظيم في نهضة مصر العلمية .

ومع هذا لم يخل عهده من الثورات والحروب وكان يرسل الجيوش لقمعها بالشدة والحزم ، ولقد أرسل جيشا لقتال الروم في غزة وعسقلان بقيادة خادمه (يمن) فقتل من الروم خمسة آلاف ودخل جيشه مدينة (مرعش) كما قضت جيوش الحاكم على ثورة أبي ركوة الاموي وعسكره بعد أن قتل منهم ستة آلاف وأسر مائة وقبض على أبي ركوة فاعدم .

وفي سنة ٤٠٠ هجرية أرسل جيشا آخر بقيادة علي بن صالح الى بغداد فاجتاحها واستولى على بلاد فارس .

وفي سنة ٤٠٥ هـ وفد على مصر حمزة بن علي الزوزني ، وانتظم في سلك دعاة الفرس الذين كانوا يختلفون الى دار الحكمة وأخذ ينشر في الخفاء الدعوة الى تأليه الحاكم بأمر الله ، واجتمع اليه جماعة من غلاة الاسماعيلية ، وتلقب بهادي المستجيبين ، وفي سنة ٤٠٨ هجرية جهر حمزة بن علي بدعوة آلهوية الحاكم وصنف كتابا ذكر فيه أن روح الله متجسدة في الحاكم ، فانضم اليه الداعي الحسن بن حيدرة الفرغاني المعروف بالاخرم ، ومحمد ابن اسماعيل أنوشتكين البخاري الدرزي ، وقيل انهم كانوا عندما يشاهدون الحاكم في الشوارع يصيحون قائلين له (١) :

« أنت الواحد الاحد والمحي والميت ، ويخرون له سجدا ويقبلون

(١) ابو المحاسن ج ٢ رقم ١ ورقة ٦٨ - نهاية الارب : ٥٩/٢٦ للنويري .

الارض » مما أثار سخط الاهلين وخاصة الذين كانوا لا يزالون يناوئون سياسة الاسماعيلية ، فهب علماء الاسماعيلية ودعاتها للرد على دعاة تأليه الحاكم ، حتى ان الداعي الكبير والفيلسوف العظيم أحمد حميد الدين الكرمانى أكبر علماء المذهب الاسماعيلي حينذاك اضطر أن يترك مقره بالعراق، ويفد الى مصر ليهدىء ثورة الدعاة الاسماعيلية ضد فكرة تأليه الحاكم بأمر الله ، وان يفند آراء دعاة التأليه ، فكتب في ذلك رسالته (الرسالة الواعظة) يثبت فيها كفر والحاد كل من تحدته نفسه بتأليه الامام . وسرعان ما قامت ثورة في مصر ضد هؤلاء الدعاة وقتلوا اخ تكين وبعض أتباعه وهرب الدرزي وحزمة الى سورية حيث استطاعا أن يجدا شيئا من النجاح في جذب بعض قبائل بني كلب الى آرائهما ، وأوجدوا فرقة خاصة منشقة عن الاسماعيلية عرفت (بالدرزية) وقد اتخذت فيما بعد عقائد وآراء خالفت العقائد والآراء الاسماعيلية وستحدث عنها في غير هذا المكان .

اعتاد الامام الحاكم كما أسلفنا سابقا أن يخرج وحيدا لتفقد شؤون مملكته في الليل وللنزهة خارج مدينة القاهرة وفي ليلة الاثنين ٢٧ شوال سنة ٤١١ هجرية خرج الحاكم كعادته ولم يعد فأعلنت غيبته ووفاته في ذلك التاريخ .

وهناك اختلافات كبيرة وآراء متضاربة حول وفاة وغيبة الامام الحاكم بأمر الله لم يتفق عليها حتى الآن ، وكل ما ذكر بهذا الخصوص لا يتعدى الافتراض والاستنتاج : قال البعض من اولئك المؤرخين بأن شقيقة الامام قد دبرت مؤامرة سرية للقضاء عليه فلما خرج للنزّه فتنك به بعض الجهولين وأخفوا جسده عن الانظار ، وقيل أيضا ان بعض اللصوص قد اعترضوه وقتلوه ولما علموا انه الخليفة أخفوا جثته عن الانظار . والحقيقة التي لا غبار عليها ان وفاة الامام الحاكم لم تكن سوى وفاة طبيعية بعد أن سلم شؤون الامامة لولده الظاهر ، وهذه الوفاة حيرت عقول العلماء والمؤرخين الذين

لا يزالون حتى الآن يتحرون عن أسبابها وعلاقتها ، ونحن نؤكد لهم أنها نوع من الغيبة الجسدية ، أما الروح الطاهرة فقد سارح في عقبه وستظل تنتقل من واحد الى آخر حتى نهاية الوجود .

والخلاصة ان عهد هذا الامام يعتبر سلسلة من الاعمال الخيرية والاصلاحات الاجتماعية المتعددة منذ اللحظة التي بدأ بها مسؤوليته اماما للاسماعيلية وخليفة للمسلمين ، وفي عهده تقدمت الثقافة تقدما عظيما لم يعرف له التاريخ مثيلا ، كيف لا وقد كان الامام نفسه عالما وأديبا وشاعرا ينسب اليه صاحب النجوم الزاهرة هذه الايات^(١) :

دع اللوم عني لست مني بموثق

فلا بد لي من صدقه المتحقق

وأسقي جيادي من فرات ودجلة

واجمع شمل الدين بعد التفرق

وقيل انه كان يلذ له سماع الشعر ممن يحسنون النشيد . وكانت مدة

خلافته خمسا وعشرين سنة وشهرا .



(١) النجوم الزاهرة ١٩٦/٤

موسى بن حسن القصار

ظل الاسماعيليون يتمتعون بنفوذ كبير ، وأصبح ملوك الفرنجة يخشون بأسهم ، ويدفعون لهم الجزية ، ويقدمون الهدايا الثمينة لرئيس الدعوة في منطقة مصياف الشيخ نجم الدين الشعرائي^(١) وولده صارم الدين مبارك ابن الرضي صاحب قلعة (العليقة) .

ولما اجتاحت جيوش المغول بلاد الشام ، أظهر الاسماعيلية جرأة نادرة وشجاعة عظيمة حيث تمكنوا من اغتيال بعض قواد تلك الجيوش ، فاستاء منهم المغول ، وحاصروا قلعة مصياف والكهف والقدموس والخوابي سنة ٦٥٨ هجرية فترة من الوقت حتى سقطوا في أيديهم ، فنفرق شمل الاسماعيلية وتبعثرت قواهم ، فاضطروا الى الانزواء حتى أقبلت جيوش قطز المصرية فانضموا اليها مع من انضم الى تلك الجيوش من العرب والتركمان ، وواصلوا السير لملاقاة المغول ، فقابلوهم في (عين جالوت) وبعد أن أوقع المغول بالجيش المصري ، تعاون امراء العرب والمماليك والاسماعيلية بقيادة الظاهر بيبرس ، فدحروا المغول وقتلوا قائدهم (كتبغا) فارتدت القوات المغولية الى دمشق حيث انضمت اليهم حاميتها ، وثار أهالي دمشق فذبحوا المسيحيين لتآمرهم على زوال الاسلام . ولما دخل قطز دمشق أعاد الامن الى نصابه في جميع المدن المخربة ، كما أعاد امراء الايوبيين على ولاية حمص وحماء على أن يدفعوا الجزية ، وكافأ الاسماعيلية بأن أعاد لهم قلاعهم وأقر الشيخ نجم الدين الشعرائي رئيسا اداريا لتلك القلاع ومنحه بعض الامتيازات السياسية . وبعد مقتل الملك المظفر قطز وقع اختيار الامراء على الامير ركن

(١) عقد الجمان : العيني : ج ٢٠ المجلد الثالث ورقة ٥٢٩ المقريري :

السلوك ص ٥٤٣ .

الدين بييرس البندقداري ، فبايعوه في الصالحية قبل وصولهم الى القاهرة^(١) ولقب بالملك القاهر ركن الدين بييرس الصالحي ، فأشار عليه وزيره زين الدين ابن الزبير بتغيير هذا اللقب ، فاستمع بييرس لمشورته وتلقب بالملك الظاهر^(٢) ولم يصف الجو تماما لبييرس بعد اعتلائه عرش مصر ؛ اذ خرج بعض الامراء عن طاعته وطالبوا بالملك لأنفسهم . ومن هؤلاء علم الدين سنجر الحلبي نائب الملك قطز بدمشق . ولما علم بييرس بخروج سنجر عليه ، جهز جيشا لمحاربتة ؛ فوصل الى دمشق في صفر سنة ٦٥٩ هجرية ، والتقى بجيش سنجر الحلبي بظاهاها فتغلب عليه وفر الحلبي وأتباعه الى قلعة دمشق ، ومنها هرب ليلا الى بعلبك فتبعه العسكر وقبضوا عليه وحملوه الى مصر ، وولي الظاهر مولاه علاء الدين على دمشق .

وبعد أن وطد بييرس سلطنته في مصر وجه جل اهتمامه لطرد الصليبيين من سواحل الشام . فعقد عدة محادثات مع الدول المحيطة بمملكته ، وزحف بجيوشه من مصر الى بلاد الشام واقتحم عكا سنة ٦٦١ هجرية وشتت شمل الصليبيين ، ومن ثم سار ثانية الى بلاد الشام سنة ٦٦٣ هجرية على رأس جيش كبير لمحاربة التتر الذين هاجموا حلب ، وما كاد يصل الى غزة حتى بلغه أنهم طردوا من حلب فعاد الى القاهرة للقضاء على بعض الثورات الداخلية ، وبعد أن تم له ما أراد عاد الى بلاد الشام فنزل غزة ورحل منها الى صنف وسار الى دمشق ، والظاهر ان زعيم الاسماعيلية في جهات مصيف نجم الدين الشعراني وولده صارم الدين لم ينزلا لاستقبال الظاهر بييرس عندما نزل بالقرب من حماه كغيرهم من الرؤساء والزعماء ، فاستاء منهما وأمر بعزلهما ، وأرسل جيشا بقيادة الامير عز الدين العديمي لاحتلال قلاع الاسماعيلية في جهات مصيف .

(١) عيون التواريخ : ابن شاکر الکتبي : ج ٢٠ ورقة ١٨٦ .

(٢) ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ، ٢٠٨/٣ ، النجوم الزاهرة :

ابو المحاسن ١٨٦/٣ .

ولكن الاسماعيليين استقبلوا الامير عز الدين بالترحاب وأعلنوا عن صداقتهم للسلطان وانهم لن يدخروا وسعا في سبيل تقديم المساعدات التي يطلبها منهم ، وبعد أخذ ورد ومفاوضات عقدت بين السلطان الظاهر بيبرس والاسماعيلية في عموم بلاد الشام معاهدة صداقة ، وقيل ان السلطان بيبرس أقطع الاسماعيلية بعض الاراضي المصرية ليستوطنوها^(١) .

هذا ما حصل للاسماعيلية في جهات مصيف وتوابعا ، أما الاسماعيلية في ولاية حلب فقد ساهموا مساهمة فعالة في رد غارات التتر ، فازداد نفوذهم ، وانتشرت دعوتهم بفضل القيادة الحكيمة التي أظهرها زعيمهم العلامة الشيخ موسى بن حسن القصار .

كانت ولادة الشيخ موسى بن حسن القصار في بلدة شيزر من أعمال حماه سنة ٦٢٣ هجرية تلقى علومه الاولية على دعاة الاسماعيلية في مدارس الدعوة بحلب ، فأظهر نبوغا عجيبا مكنه من الانخراط في تنظيمات الدعوة السرية فأرسل الى (ألموت) في فارس لتلقي الدروس النهائية على أيدي كبار العلماء والفلاسفة الاسماعيلية ، ومن ثم عينه الامام شمس الدين رئيسا للدعوة في ولاية حلب فوصلها سنة ٦٥٥ هجرية ، وجعل مقره في مدينة حلب ، وكان أول عمل قام به أن استأصل شأفة الخلافات الداخلية بين الاتباع فوحد صفوفهم ، وتقرب الى السلطات الحاكمة واشترك مع نجم الدين الشعراني في التوقيع على معاهدة الصداقة مع السلطان الظاهر بيبرس ، الذي اعترف بموجها بصيانة حقوق الاسماعيلية واحترام عقائدهم والسماح لهم بمزاولة نشاطهم الديني والسياسي ، واختار منهم الوزراء والقواد وحرسه الخاص ، كما فرضت تلك المعاهدة على الاسماعيلية تقديم المساعدات العسكرية لمؤازرة السلطان في حروبه مع الصليبيين ، فساهم الاسماعيلية بسبعين مقدا من

(١) نهاية الارب : للنويري : ٢٨ ورقة ٢٥٤ - ٢٥٥ ، السلوك ، للمقريزي

جيشهم يرأس كل منهم ألف مقاتل ، وتولى الوزارة منهم (آغا شاهين^(١)) و (علاء الدين حسن) و (عز الدين ايك) كما اسندت قيادة الاسطول الى (محمد البطرني أبو بكر^(٢)) وعين العلامة بدر الغفير ممثلاً للسلطان لدى الامبراطورية الرومانية في روما . وقاد المقدمين ابراهيم بن حسن الحوراني ، وسعد بن دبل واسماعيل أبي السباع الفرق الاسماعيلية لاحتلال طرابلس الشام .

وفي سنة ٧١٥ توفي الشيخ موسى بن حسن القصار ودفن في مدينة حلب باحتفال كبير وقيل انه سار وراء نعشه عشرون ألف اسماعيلي بلباسهم العسكري . ولا تزال في باب الحديد بجانب قلعة حلب قاعة تحمل اسم هذا العالم الكبير . وخلفه في رئاسة الاسماعيلية المقدم معروف بن جمر صاحب حصن صهيون والذي مرت ترجمته .



(١) آغا شاهين الاخرم ، وقيل انه زوج ابنته الى المقدم ابراهيم بن حسن الحوراني .

(٢) مدفون في اللاذقية على شاطئ البحر وقبره مشيد ويزار حتى الان .

ميمون القداح

احتلت اسرة القداح مكانا مرموقا في تاريخ الدعوة الاسماعيليه في دورها الاول منذ عهد الامام جعفر الصادق ، وكان الأئمة يعتمدون على أفراد هذه الاسرة التي قدمت للاسماعيلية أعظم الخدمات •

وكان مؤسس هذه الاسرة الداعي الكبير ميمون القداح أول من اتخذه الأئمة المستوريون حجة ونائبا لهم ، ويذكر التاريخ أن الامام جعفر الصادق جعله حجابا وسترا على حفيده محمد بن اسماعيل أو الأئمة المستورين ، ولقد كان ميمون راوية للامام محمد الباقر وابنه الامام جعفر الصادق وقيل انه ينتسب الى عقيل بن أبي طالب ، وتقول المصادر الاسماعيليه أنه يرجع في نسبه الى سلمان الفارسي ، ويعرف بميمون بن غيلان بن بيدر بن مهران ابن سلمان الفارسي ، يكتنف ولادته الغموض والابهام ، ولكن بعض المصادر توضح أنه ولد في مكة وانتقل الى الأهواز ، وقيل أيضا انه جاء من محل في الأهواز يدعى قورج العباسي ونزل عسكر مكرم ثم ذهب الى ساباط أبي نوح ، ويذكر صاحب كتاب زهر المعاني (١) أن الامام جعفر الصادق شاء أن يقيم لولده حجا ومستودعا كما أوصى هارون موسى أن يقيم لولده كفيلا ، فاقام له يوشع بن النون سرا عليه وحجابا له ، فسلمه أعني مولانا محمد بن اسماعيل الى ميمون بن غيلان قدس الله روحه فرباه وأخفى شخصه وهو ابن ثلاث سنوات مع ميمون القداح ، وهو كفيلا له ومستودع أمره ، وميمون من أولاد سلمان ، وسلمان من أولاد اسحق بن يعقوب أهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والابلاغ ، أي أن ميمون وابنه عبد الله من بعده

(١) زهر المعاني ص (٤٧ - ٤٩) •

كانا حاجبين ومستودعين لأسرار أولاد اسماعيل بن جعفر الصادق •

ولقد ثارت عاصفة من النقاش التاريخي حول ميمون القداح وعلاقته بالأئمة الاسماعيليين استمر حتى عصرنا الحاضر ، ولقد اعتبر البعض أن ميمون القداح هو مؤسس الدعوة الاسماعيلية وأن أئمة هذه الدعوة ينتسبون اليه ، وقال البعض الآخر أن ميمونا كان يهوديا ديسانيا عمل على تهديم الدين الاسلامي ونشر الالحاد والزندقة وذهب آخرون الى القول بأن الفاطميين ينتسبون الى هذا الديصاني اليهودي ونحن في هذا الصدد لا يسعنا الا أن نقول بأن قصة انتساب الأئمة لميمون القداح خرافة لا يؤيدها المنطق ولا المراجع الاسماعيلية ، أو الحوادث التاريخية •

والقول في أن ميمونا ربما كان هو نفسه محمد بن اسماعيل الامام الاسماعيلي المستور فمردود لان المصادر الاسماعيلية تذكر أن ميمونا من نسل سلمان الفارسي ومحمد بن اسماعيل هو من نسل علي وفاطمة •

لما اشتد الضغط العباسي على الامام الاسماعيلي محمد بن اسماعيل توجه بصحبة ميمون القداح الى طبرستان ومنها الى فلسطين حيث انصرف ميمون التي التأليف وجذب الاتباع لاعتناق المذهب الاسماعيلي ومن ثم عاد الى سلمية حيث وضع اسس وتنظيمات الدعوة السرية ووزع الدعاة على مختلف البلدان والاقاليم ، وألف كتابه (الميزان) وكتاب (الهداية) وغيرهما من المؤلفات التي تشرح للمستجيبين اصول المذهب الاسماعيلي ، ويعتبر ميمون القداح أول فيلسوف عربي درس وتفهم الفلسفة اليونانية بعمق وخاصة فلسفة أفلاطون وارسطاطاليس وقد عمل على ادخال هذه الفلسفة في اصول المذهب الاسماعيلي •

والخلاصة كان ميمون القداح فيلسوفا وعالما من أبنغ علماء عصره ومن أعظم منظمي الدعوة الاسماعيلية ، وعلى يده ازدهر المذهب الاسماعيلي ازدهارا عظيما فأقبلت الجماهير على اعتناقه بقوة وحماسة منقطعة النظير •

ولا يزال هذا الفيلسوف العبقرى يحتل مكانا مرموقا لدى الاسماعيليين الذين يعتبرونه بحق أول من وضع أسس وتنظيمات دعوتهم التي شع نورها من سلمية فعم الجزيرة العربية وكافة البلدان المجاورة لها ، ومهما اختلف المؤرخون والعلماء في تحليل شخصية هذا الداعي الكبير فلم يكن سوى خادم أمين لامامة ولدعوته •

ومن الأرجح أنه استقر في سلمية في اواخر حياته للتأليف والتصنيف ومات فيها في نهاية القرن الثاني للهجرة ودفن فيها •



هرف النون

ناصر خسرو

تذكر بعض المصادر التاريخية ان كثيرا من الخرافات والاقاصيص قد نسجت حول شخص الشاعر الحكيم والفيلسوف الرحالة (ناصر خسرو) وجميعها مستمدة من السيرة التي توجد في مقدمة ديوانه الذي طبع في (تبريز) وهي عبارة عن أخبار اختلطت فيها بعض الخرافات المتعلقة بغيره من الرجال ، ثم انتهت بحكاية نسبها الى شقيق الفيلسوف ورووها عن لسانه ، وهي تذكر ان ناصر خسرو قد مات بعد أن بلغ من العمر ١٤٠ عاما وان الجن قد تولت حمل جنازته ودفنه ، ولا غرو أن تسج حول شخصية ناصر خسرو الذي يعتبر من أعجب الرجال وأنبغهم مثل هذه الخرافات التي لا تمت الى الحقيقة والواقع بأية صلة .

ولد الشاعر الرحالة وحجة خراسان الداعي الاسماعيلي الحكيم أبو معين الدين ناصر بن الحارث القبادياني ^(١) المروزي البلخي البدخشاني سنة ٣٩٤ هجرية في بلدة بلخ ، وقيل في (قباديان) . نشأ وترعرع في اسرة عرفت بميولها الاسماعيلية ، تأدب وتعلم على أيدي الفلاسفة والدعاة الاسماعيلية ، فظهر نبوغا عجيبا ، وشاعرية فذة ، وتفوق في علوم الرياضيات ، ثم التحق بخدمة السلطانين الغزنويين (محمود) ثم ابنه (مسعود) .

وبعد أن افلح السلاجقة بالقضاء على الدويلات الشرقية والأمارات الصغيرة ، وأصبح الامر لهم التحق بخدمة (جفري بك السلجوقي) حاكم خراسان وتولى أمر خزائنه في (مرو) وكان يدأب على قراءة آراء (الفارابي)

(١) نسبة الى قاديان ، ومرو ، بلدتان في فارس الاولى واقعة بالقرب من (بلخ) والثانية ولاية بالقرب من ترمز على نهر (جيحون) .

و (ابن سينا) واشتغل بتحصيل العلوم والبحث في الاديان والعقائد والاطلاع على الفضل والعلم والحكمة .

وباعتباره كان مرتبطا ارتباطا كليا بمنظمات الدعوة الاسماعيليه السرية فقد أوعز اليه حجة خراسان في ذلك الوقت أن يتوجه الى القاهرة ليمثل بين يدي الامام المستنصر وليحضر مجالس الحكمة التي ستؤمله فيما بعد ليحل محل الحجة المذكور . وبالفعل قام برحلته سيرا على الاقدام ، وقد وصف هذه الرحلة بكتاب سماه (سفرنامه) سنأتي على ذكره فيما بعد . وبعد عودته من القاهرة عرف (بحجة خراسان) وظل يعمل بنشاط في سبيل نشر مذهبه حتى شعر به امراء السلاجقة وعلماؤهم ، مما اضطره الى الهرب الى مدينة (فاربمکان) فظل فيها حتى توفي في صبيحة يوم الجمعة في الثامن والعشرين من ربيع الاول سنة ٤٨٠ هجرية وقد رثاه أخوه ابو سعيد فقال :

طويت بلاد الله عكمت حكمة	وحيرت بين الناس قرماً مجدا
وقد فقت بيلاغوس بأسوءِ حاله	والزمت افلاطون لهفأ مسددا
تحليت بالتقوى وما يعترى بها	ورقيت معراج السلاطين بالندى
وجاهدت خمسا وعشرين ليلة	وسافرت بالأبطاح كالطير تغتدى
ملأت الدنيا بالمدح والذم شاهداً	وصادفت مأمول البرية سرمداً
فأسكنت غور الغار غير مغائر	سوى رحمة الله الكريم وقد بدا
سقاك اله الناس سقياً مروياً	والبسك الغفران ياناصر الهدى ^(١)

ترك هذا الفيلسوف الحكيم والداعي الكبير مؤلفات كثيرة تعتبر من أشهر الكتب الادبية والفارسية التي صنفت في عصره ، ومن أهمها :

١ - كتاب (سفر نامه) وهذا الكتاب ذكر فيه رحلاته وقسما هاما من تاريخ حياته وقد ترجمه المستشرق (شيفر)^(٢) الى اللغة الافرنسية كما

(١) جامع الحكمتين - المقدمة ص ١٩ .

(٢) باريس سنة ١٨٨١ ميلادية وطبع ثانية سنة ١٣٠٤ هجرية .

نقله الى العربية الدكتور يحيى الخشاب^(١) لذا رأينا أن نستعرض بعض ما ذكره حول رحلته الى القاهرة نظرا لاهميتها التاريخية :

قال : « وفي خريف سنة ٤٣٧ هجرية رأى في منامه رجلا يحذره من شرب الخمر ، فأقلع عنها ، ثم عزم على الحج الى مكة ، وكان عمره اذ ذاك يقرب من الاربعين فاغتسل وتطهر وذهب الى جامع (جزجانان) ودعا الله أن يتقبل توبته ، وان يعينه على ترك المعاصي والسيئات ، ثم خرج في رحلته في يوم الخميس السادس من جمادي الآخر سنة ٤٣٧ هجرية » . ويذكر أنه سار بطريق (شبورغان) الى مدينة (مرو) وبعد أن استقال من عمله توجه الى مدينة (نيسابور) وخرج منها برفقة السيد « الموفق » فزار الشيخ الاسماعيلي وحجة خراسان (بايزيد البسطامي) في مدينة (قومها) ثم تركها وحيدا الى مدينة (سمنان) مارا بمدينة (دامغان) وهناك تعرف على شاب اسمه (الاستاذ علي النسائي) من تلاميذ (أبي علي سينا) كان يحاضر الطلاب على الحساب والهندسة والطب ، ثم اجتاز (قزوين) ووصل الى تبريز في ٢٠ صفر سنة ٤٣٨ هجرية وهناك تعرف بالشاعر قطران وفسر له جملة مقطوعات صعبة من أشعار الشعارين (الدقيقي) و (منجيك) ثم خرج من تبريز الى (وان) ثم (اخلاط) ثم (بطليس) ثم (ارزن) ثم (حيافارقين) ثم (آمد) ومنها الى حلب ثم عرج على معرة النعمان حيث تلاقى بالشاعر الفيلسوف (ابي العلاء المعري) وبعد أن قضى فترة وجيزة ارتاح فيها قليلا من عناء السفر ثم توجه الى (حماة) ثم الى طرابلس فيروت ، ثم الى صيدا وصور وعكا ثم الى حيفا ، فغادرها بطريق البحر متوجها الى مصر ولكن الرياح أجبرته على العودة فسار الى القاهرة عن طريق البر فوصلها يوم الاحد السابع من شهر صفر سنة ٤٣٩ هجرية وكان وصوله ابان خلافة الامام المستنصر بالله فرحب به وادخله دار الحكمة ليتلقى آخر تدريب فيه على

(١) نشر في القاهرة سنة ١٩٤٥ ميلادية .

اصول المذهب الاسماعيلي •

ظل ناصر خسرو في مصر ثلاث سنوات استطاع خلال هذه المدة ان يتحقق من عظمة الامام المستنصر بالله الخليفة الفاطمي وما اتصف به من عدل وادارة حكيمة متزنة ، وبعد أن أنجز دراسته استدعاه الامام المستنصر واعلمه بانه وقع اختياره عليه ليكون كبيرا للدعاة في (خراسان وبدخشان) وتوابعهما في الاقاليم الفارسية وانه منحه رتبة (الحجة) كما أبلغه بأن الامام من بعده سيكون ولده نزار • ولقد أجاد ناصر خسرو في كتابه (سفرنامه) عندما وصف القاهرة والجيش الفاطمي ، كما ادهشه مقدار الثراء الذي كانت تذخر به الاسواق في ذلك الوقت • وقد استغرقت رحلته منذ خروجه من موطنه الى وقت رجوعه سبع سنوات كاملة ، ابتدأت يوم الخميس السادس من جمادي الآخر سنة ٤٣٧ هجرية واتتهت يوم السبت السادس والعشرين من جمادي الآخر سنة ٤٤٤ هجرية وقد تمكن من اداء فريضة الحج خلال هذه الرحلة خمسة مرات •

٢ - « الديوان » كان يبلغ ثلاثين ألف بيت ولكنه الآن اثني عشر الف بيت (١) •

وهو مجموعة ما قال من أشعار ، والطبعة الاخيرة تتألف من ٢٧٧ صفحة تتضمن ٤٢٥ بيتا من الشعر •

ويستنتج من الديوان بعض الامور التي رواها الفيلسوف الشاعر عن حياته ، واغنى القصائد هي القصيدة السادسة والسبعون التي ذكر فيها ولادته ، وتحدث فيها ايضا عن رغبته الجامحة في ادراك معاني الباطنية للاوامر الدينية ، وبنفس الوقت يشكر الله على هدايته الى اتباع طريق الحق وجادة

(١) حققه تقي زاده - طهران سنة ١٩٢٩ . طبع على الحجر في تبريز سنة ١٢٨٠ هجرية . وطبع ثانية في طهران سنة ١٣٠٤ - ١٣٠٧ هجرية .

الصواب ، ويشير الى اعتناقه المذهب الاسماعيلي ، ويصف في الصفحة (١٨٢) مراسم ادخاله المذهب ويمين الولاء التي أقسمها^(١) ويتحدث عن تعينه « حجة خراسان ^(٢) » وانه حجة الامام المستنصر كما يشير الى غيره من الحجج وانه يعتبر واحدا من النقباء الاثني عشر^(٣) ويفخر بحياة الزهد والتقشف والعفاف التي عاشها ، ويذكر الدرجة العلمية التي حصل عليها ، ويعدد الاشعار التي برز منها والمكانة الادبية التي احتلها^(٤) ، ويذكر أيضا الكتب الكثيرة التي ألفها ، ويشير الى الاشعار التي نظمها بالعربية والفارسية ، كما يتعرض أيضا الى كتابه المعروف (بزاز المسافرين^(٥)) . ويشعر القارئ عندما يتصفح الديوان المذكور أنه يستعرض آراء دينية فلسفية صورها الشاعر فأبدع التصوير ، وتعتبر عقيدته الدينية المدار الاصلي الذي تدور عليها سائر اشعاره .

٣ - كتاب « وجه الدين » ترجمه وحققه كافياني ، برلين سنة ١٩٢٤ ميلادية .

٤ - كتاب « زاد المسافرين » ترجمه وحققه كافياني ، برلين سنة ١٩٢٢ ميلادية ونقله الى العربية الدكتور يحيى الخشاب سنة ١٣٦٤ هجرية .

٥ - كتاب « خوان الخوان » ترجمه وحققه الدكتور يحيى الخشاب القاهرة سنة ١٩٤٠ ميلادية .

٦ - كتاب « روشنائى - نامه » أو « الضياء » نشره (اتيه) وترجمه وعلق عليه في مجلة المستشرقين الالمان سنة ١٨٧٩ ميلادية وحققه المستشرق

(١) ديوان ناصر خسرو طبع سنة ١٣٠٧ هجرية صفحة (١١١ - ١١٢) .

(٢) نفس المصدر ص ٣٣ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٠٩ .

(٤) نفس المصدر (ص ٥ ، ١٠ ، ١٢٧ ، ١٥٨) .

(٥) نفس المصدر (ص ٩ ، ٢٣٣ ، ١٧١ ، ١٩٥) .

« ايفانوف » ونشرته الجمعية الثقافية الاسماعيلية في بومباي سنة ١٩٤٩ م •
٧ - « كشايش ورهايش » حققه السيد نعيبي بومباي - ليدن -
١٩٥٠ من منشورات الجمعية الاسماعيلية بومباي •

٨ - « جامع الحكمتين » ترجمة وتحقيق هنري كوربان ومحمد معين من
منشورات المعهد الافرنسي طهران ١٩٥٣ م •

٩ - « سعادة نامه » أو كتاب السعادة وقد نشره (فانيان) في الجزء
٣٤ من مجلة المستشرقين الالمان ص ٦٤٣ - ٦٧٤ •

١٠ - « أم الكتاب » نشره ايفانوف سنة ١٩٣٦ م وعلق عليه بمجلة
الدروس الاسلامية باريس •

١١ - « بستان العقول » ، ١٢ - (المفتاح والمصباح) ، ١٣ - (دليل
المتحيرين) ، ١٤ - (الدلائل) ، ١٥ - (لسان العالم) ، ١٦ - (اختيار
الامام واختيار الايمان) ، ١٧ - (كنز الحقائق) ، ١٨ - (تفسير القرآن) ،
١٩ - (ارشاد السالكين) ، ٢٠ - (اصول الآداب) ، ٢١ - (صحيفة
الناظرين) ، ٢١ - (روضة المعلمين) ، ٢٢ - (مطلب السائلين) ، ٢٣ -
(نصائح المؤمنين) ، ٢٤ - (نور نامه) • وله غير هذه الكتب كثير من
البحوث والمقالات وهو نفسه يقول :

« لا تنظر الى ضعف جسمي فقد قلت الكثير من الكلام

ولي من الآثار ما يربو عما في الفلك من النجوم »

وقال :

لم يبق نوع من العلوم كان جديرا الا استفدت منه قليلا وكثيرا

والخلاصة بعد أن عاد هذا العبقري الفيلسوف من القاهرة وأصبح من
أكبر دعاة الدعوة الاسماعيلية في بلاد فارس شعر الخليفة العباسي بنشاطه

ولاحقه فتوارى عن الانظار والتجأ الى قلعة جبل (ليمخان) وبقي يعيش فيها عيشة التقشف والزهد مرتديا الخشن من الثياب ويقنت بالاعشاب حتى انتقل الى جوار ربه . ولا بد لنا ونحن نقرب من نهاية بحثنا عن ناصر خسرو من أن نورد عدة آيات اخترناها من القصائد الخمس من ديوانه وقد ارعينا ان نضع تقطا صغيرة في مكان الايات التي أسقطناها .

— ان روحك هي السجل ، وأعمالك هي الكتابات التي تكتب في هذا السجل
 فلا تسطر في سجلك الا كل ما عز وجل
 — واكتب في كتابك كل طيب وجميل من أعمالك
 فللقلم . . يا أخي . . طوع لما تخطه يدك ويكتبه بنانك ! . . (١)

* * *

— أن كلام هو الله بحار الكلام الزاخرة
 قد امتلأت بالجواهر الكريمة واللآلئ الباهرة . . . (٢)
 — وظاهر « التنزيل » مالح كماء البحر المرير
 ولكن باطن « التأويل » حلو كاللآلئ لدى أصحاب التفكير !! . .
 — والجواهر واللآلئ ، مستقرة في جوف البحر وأعماقه
 فلا تقنع بالسير على شواطئه ، والتمس غواصا ماهرا يصل الى أعماق أطباقه
 — وهل تعرف لأي سبب وضع الله في قاع البحر والماء
 مثل هذه الجواهر واللآلئ ذات الرونق والبهاء ! . . . ?

(١) ديوان ناصر خسرو طبع طهران ص ١٤٩، سنة ١٣٠٤-١٣٠٧ هجرية .

(٢) نفس المصدر طبع طهران ص ٣ .

- وصفها هكذا لأجل « الرسول » وكأنما قال له : هذا المثل الاحتذاء
فاعط « التأويل » للحكماء واعط « التنزيل » للغوغاء !!٠٠٠!
- وإذا لم يعطك الغواص غير العكر والماء المالح والطين
فلأنه لم ير منك غير الحنق والكره والعداء الدفين
- فاطلب المعنى الحقيقي لظاهر « التنزيل » وكن كالرجال الاصفياء
ولا تكن كالحمير ، فتقع بالنهيق والاقوال الهراء !!٠٠٠!
- والزمان ألعوبة خاطفة تلتقف جميع الانام
ولا ينجو منها أرفع الاسياد ولا أحقر الخدام !!٠٠٠!
- وبعد ذلك اليوم ، لا يستطيع فرد من الكمأة
أن يجد لدى الحاكم العادل ملجأ أو منجاة !!٠٠!
- وينال جميع الناس ما يستحقون من مجازاه
ويستوى في ذلك الظالم والعادل بغير محاباة !!٠٠!
- وفي ذلك اليوم سأقدم في وسط الهول والفرع والدعاء
فأتعلق أمام الشهداء ، بأذيال الزهراء (فاطمة الزهراء)
- حتى ينتصف لي الله من أعداء أولاد الرسول
ويعطيني حقي كاملا ، وأنال منه الرضا والقبول !!٠٠٠! (٢)



« رأيت في الفلاه رجلا ، مزقت جسده الذئاب

فنهش النسر لحمه ، وطعم منه الغراب !!٠٠ »

« وتبرز النسر ، فتبرز في فتن الجبال والقفار

وتبرز الغراب • فتبرز في قاع الينابيع والآبار !!٠٠

فهل يستطيع ان يحيى مثل هذا الرجل في يوم الحشر والنشور ؟!!٠٠»

* * *

— لو كانت دورة الدهر تجري وفقا لفضلي ومداه

لما كان لي مستقر الا على قمة القمر في علاه !!٠٠

— ولكن من أسف أن الفلك والدهر لا يعرفان قيمة الفضل والصواب

وهكذا قال لي أبي في وقت الصبا والشباب !!٠٠

— والعلم خير من الضياع والمال والملك والجاه

وقد أفتاني بذلك عقلي ، كما أفتت به الحياة !!٠٠

— وخاطري يزدهي ، أكثر من القمر ، بالنور والضياء

ولا يصلح مقر القمر • لمقامي • في أوج السماء !!٠٠

— وفي مدافعتي لجيوش الزمان وسيوفه المصلتة القاطعة

اكتفي بالدين محبا والعقل ترسا من غوائله !!٠٠^(٣)

* * *

— فيا جسدي الحقير •• انك في هذا العالم نفاية الاشياء

ولم أجد قرينا أسوأ لي منك بين القرناء !!٠٠

(١) ديوان ناصر خسرو طبع تبريز ص ٥ - ٧ .

- وقد كنت أظنك دائما من أخلص الخلصاء
ولم يكن لي صديق غيرك في البر والبحر والارض والماء !!
— ولكنك نصبت لي الشركاء .. وناصبتي العدا
ولم يكن لي علم بما نصبت لي من أحابيل المكر والدهاء !!
— فلما وجدتي غافلا عنك ، مستأمنا لك في صفاء
قهرتني بمكرك وغدرك ، وغلبتني بقلة الوفاء !!
— ولو لم تنجدني رحمة الله ويدركني فضل الرحمن
لأوقعتي مكرك ، واكتسحتني حادثات الزمان !!



- وقد أصبح نصيبي من العمر وحظي من الزمان
أن أصوغ أشعاري فانظمتها عقدا من الذهب واللؤلؤ والمرجان !!
— ومن الحق ألا يكون لي على أعتاب الملوك مقام ومكان
وألا يكون مقري الا على باب الله واعتاب الرحمن
— ما دمت لا أظلم بأفعالي أحدا من العباد
فهل تنقصني عظمة العظيم . وهل أحتاج الى أياديه الشداد !!?^(١)



- وأربعة أشياء هي التي تؤنس روحي طوال الزمان
وهي : الزهد ، والعلم ، والعمل ، وترتيل القرآن !!

(١) ديوان ناصر خسرو طبعة تبريز ص ٨ - ١٠ .

- وعيني ، وقلبي ، وأذني ، أثناء الليل الطويل
نكرر النصح والموعظة لجسدي الضعيف الهزيل !!٠٠
 - فنقول العين : بربك احفظني من التطلع الى كل أمر حرام
وصنني من الوقوع في الشرور والخطايا والآثام !!٠٠
 - وتقول الأذن : أسدد على السبيل ، وأغلق على الطريق
حتى لا استمع للأكاذيب والباطيل المليئة بالتلفيق !!٠٠
 - ويقول القلب : بربك احفظني من الترددي في المطامع والأهواء
وصنني من نزعات الهوى .. كما يفعل الرجال الأصفياء !!٠٠
 - وأما العقل فيقول لي : لقد وكل الله اليّ أمر روحك وجسدك
وجعلني مسيطرا عليك ، وموكلا على شأنك !!٠٠
 - ولا شأن لك بجيوش المطامع والأهواء ،
فانا الموكل على محاربتها لأتمس لك النجاء !!٠٠
 - وكيف أستطيع أن أخرج رأسي من أنشودة العقل الدِّراك !!٠٠٠!
وقد فضلني الله على الحمير بالتمييز والعقل والادراك !!٠٠
 - وقد ربط « الشيطان » رأسي الى قطاره وقافلته
ولكن « العقل » هو الذي خلصني من ركابه ومتابعته !!٠٠
 - ولو لم يدركني « العقل » لياخذ بأعنتي من يد الشيطان
لاستمر « الشيطان » ممسكا بزمامي ، قابضا على العنان !!٠٠
- مون أشعاره يستنتج الابداع والعلم والامانة والتقوى والحماس الديني ،
واحتقار الدنيا والمنافقين وتظهر شجاعته المنقطعة النظير .



نزار الثاني بن خليل الله

ولد الامام نزار (الثاني) بن خليل الله علي سنة ٩٧٢ هجرية في مدينة (انجودان) وتسلم الامامة بعد وفاة والده سنة ٩٩٣ هجرية في احتفال كبير حضره جمهور غفير من الاسماعيلية من مختلف أنحاء العالم .

يعتبر عهده من أزهى عهود الأئمة الاسماعيليين الذين قطنوا في فارس ، حيث برزت فيه التقدمية البناءة ، والادارة الحكيمة ، التي تنهد الى خدمة المجتمع الانساني التواق الى التحرر والانطلاق .

ولقد أثبتت الوقائع والادلة التاريخية على أن الامام نزار الثاني كان في طليعة علماء عصره ، غزير المعرفة ، له باع طويل في علم الفلسفة والتأويل ، شجع العلم وجعل من قصره ندوة علمية يأتيها العلماء والفقهاء والفلاسفة والادباء من جميع أنحاء العالم لسماع المحاضرات وللإشتراك في الجدل والمناظرات (١) .

ولم يقف نشاطه عند هذا الحد بل شيد مدينة حديثة جعلها مقرا له ومركزا رئيسيا لدعوته واختار لبناء تلك المدينة مرجة خضراء بقرب جبل (بندي) تحيط بها السهول السندية المنبسطة من جميع الجهات ، وجعل المدينة الجديدة تتسع لآلاف الاسماعيلية ، وشيد في الجهة الجنوبية منها عددا من الابنية الضخمة لتكون مؤسسات علمية واجتماعية وأماكن للاجتماعات العامة ، وعلى مسافة بضعة أمتار من قصره بنى المكتبة العامة التي شحنها بآلاف الكتب التي تبحث في مختلف المواضيع العلمية (٢) .

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص ٢٥٤ .

(٢) نور مبين حبل الله المتين : جنارا : ص ٥٤٨ - ٥٤٩ .

وبعد أن شيد القصر انتقل ورجال دعوته اليه ومنذ ذلك الوقت سميت تلك المدينة (الكهك شاه نزار) ووجه عنايته للمناطق الزراعية الخصبة التي تحيط بالمدينة فغرسها بالاغراس المثمرة من جميع الاصناف والالوان .
وسميت تلك البقعة الزراعية بحداثتها وبساتينها ومزارعها (نزار آباد)
أو (باغ تخت) (١) .

وعلى العموم اعتبر عهد هذا الامام من أرقى وأزهى العهود التي وصلت اليها الاسماعيلية بعد انتقال دعوتهم من مصر ، وفي عصره نبغ شعراء كان لهم الفضل في تكوين النهضة الادبية في ايران ، نذكر منهم الشاعر الفيلسوف قاسم أميري ، والعلامة الشهير عبد النبي نامي ، والداعي الشاعر الفيلسوف العالم (نعمة الله شاه) الذي ينحدر من عائلة الامام .

والامام نزار بنفسه كان عالما وفقهيا لا يشق له غبار تعمق في دراسة كافة العلوم .

وتوفي الامام نزار الثاني الشهير (باآغا نزار شاه) سنة ١٠٣٨ هجرية في مدينة (الكهك شاه نزار) ودفن في روضة غناء تحف بها الاشجار من جميع الجهات ولا يزال ضريحه حتى الآن ويزار .



(١) الشيعة في الهند ، Hollister ، ص ٣٣٨ .

نور الدين شاه

بالرغم من الجهود التي بذلناها لمعرفة المزيد عن حياة ونشاط الامام نور الدين شاه في الحقل السياسي والمذهبي ظلت معلوماتنا قليلة جدا لاتفي بالغرض المطلوب ، وكل ما تمكنا من استنتاجه انه ولد في بلدة (انجودان) سنة ٨٩٣ هجرية وتسلم الامامة بعد وفاة ابيه الامام ذي الفقار علي سنة ٩٢٢ هجرية وكان لقبه (حق زمان) .

وجه اهتمامه لتحسين أحوال اتباعه من الاسماعيلية ، وقيل انه أولى الناحية العلمية والثقافية جل اهتمامه فانشأ لهم مكتبة عامة في قصره كانت تحتوي على أكثر من ستين ألف مجلد ، تبحث في الفلسفة والادب والاجتماع .

وتذكر بعض المصادر الفارسية ان العلاقات التي كانت تربط بعض الأئمة الاسماعيلية بالاسرة الصفوية قد اعترها الفتور في عهد هذا الامام ، مما اضطره الى الاعتكاف ببلدة (انجودان) للدراسة والقاء المجالس العلمية والاشراف على تنظيمات أتباعه في جميع البلدان ، وقيل انه لم يغادر (انجودان) الا مرة واحدة قام خلالها بجولة الى الهند وافغانستان وغيرها من المناطق استغرقت عدة سنوات (١) .

ولما توفي اسماعيل الصفوي ازدادت العلاقات سوءاً بين الاسماعيلية والصفويين ، وتحركت الفرق المعادية فأخذت تقوم بحملات دعائية مغرضة تطالب فيها باستئصال شأفة الاسماعيليين لخروجهم عن الدين . فصمم ملك ايران أن يوقع بالاسماعيلية لولا ظهور القاجاريين الذين هاجموا افغانستان،

(١) نور مبین جبل الله المتین : جنارا : ص ٥٣٧ .

فاضطر علي الصفوي الى اجراء الاستعدادات لاستقبالهم •

وفي تلك الفترة بالذات ظهرت قصائد رائعة للشاعر خاكي الخراساني يمدح فيها الامام نور الدين شاه ، مما أثار نقمة امراء ايران ، فأمروا بالقبض عليه ، فالتجأ الى معقل الامام في محلات ، وقيل أنه ظل هناك حتى توفي ، وهناك مصدر آخر يذكر انه قبض عليه في قصر الامام في (انجودان) ووضع في السجن حتى مات فيه (١) •

ومع كل هذه التطورات فقد نشط الاسماعيليون في الهند ، والسند ، وبنجاب وشكلوا قوة تجارية صناعية لا يستهيب بها ، وقيل انهم وجهوا دعوة للامام لينقل مركزه الى الهند حرصا على سلامته • ولكن الامام نور الدين ظل في (انجودان) قانعا بالعيش في قصره يشرف على الامور التعليمية ويولي القضايا الفكرية والمذهبية كل الاهتمام • ولم يستطع الامام نور الدين أن يفعل شيئا للاسماعيليين السوريين الذين اضطرت احوالهم •

وفي سنة ٩٥٧ هجرية توفي الامام نور الدين ودفن في المقبرة الخاصة بعائلته في (انجودان) •



(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية : مصطفى غالب : ص ٢٤٨ - ٢٤٩ •

العزير بالله

نزار بن المعز لدين الله

أجمع المؤرخون الذين عاصروا العزيز بالله على أن عهده كان من أزهى واعظم العهود التي مرت فيها الخلافة الفاطمية ، حيث عم البلاد اليسر والرخاء والتسامح الديني ، وبلغت الثقافة الفكرية والعلمية أقصى درجات الانتشار والازدهار ، لان الامام العزيز بالله كان ذكيا ، أدبيا ، شاعرا عالما مستنيرا ، وقائدا شجاعا ، وحاكما مدبرا ، وخليفة عادلا كريما يعفو عند المقدرة حسن الخلق قريبا من الناس • يجيد عدة لغات كأبيه الامام المعز ، شعره حسن ، روى الثعالبي (١) انه قال يوم عيد ، وقد مات ابنه وجلس للعزاء :

نحن بنو المصطفى ذوو محن يجرعها في الحياة كاظننا
عجبية في الأنام محتنتا أولنا مبتلٍ وخاتمتنا
يفرح هذا الوري بعيدهم طرًا وأعيادنا ماتمتنا

وهو في هذه الايات يعبر عن صدق العاطفة والالم الدفين والحزن العميق ، فهو لم يحزن لفقد ولده فحسب بل يتألم لما أصاب أهل البيت من محن وكوارث حتى أصبحت أعيادهم ماتمتنا ، وله أيضا :

ولما رأيت الدين رثت حاله وأصبح ممحو الضيا والمعالم
وأصبحت الاغنام من كل أمة تسوم عباد الله خزم المخاطم
وتحكم في أموالها ودمائها بغير كتاب الله عند التحاكم
غضبت لدين الله غضة ثائر غير عليها مانع للمحارم

(١) يتيمة الدهر ٢٢٣/١ والنجوم الزاهرة ١١٣/٤ .

وسيرت نحو الشرق بحر كتائب
 يقودون جرد الخيل تخطر بالقنا
 أنا ابن رسول الله غير مدافع
 لي الشرف العالي الذي خضعت له
 بنا فتحت أبواب كل هداية
 فقل لبني العباس مع ضعف ملكهم
 غصبتهم بني المروان ما غصبوه من
 ولم تحفظوا فينا وصايا محمد
 سنسقيكم كأساً كما قد سقيتم

تموج بأبطال رجال قماقم
 وبالمشرفيات الرقاق الصوارم
 تنقلت في الانوار من قبل آدم
 رقاب بنى حواء من كل عالم
 ومنا بحمد الله (خير الخواتم)
 بأنهم أسرى بأيدي الأعاجم
 مواريثنا ، سحقا لظالم ظالم
 ولا ما ادعيتهم من مناسب هاشم
 أوائلنا والله أعذل حاكم^(١)

وفي هذه الايات تظهر غيرة الامام العزيز على عقيدته ودينه ، شديد
 العداة لمن خالفه من العباسيين ، يتوعدهم بالانتقام لما آصاب آباءه وأجداده
 من محن على أيديهم ، وأشار الى صميم المعتقدات الاسماعيلية به كامام
 تنقل في الانوار من قبل آدم .

كانت ولادة الامام العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد في
 يوم الخميس الرابع عشر من محرم سنة ٣٤٤ هجرية بالمهدية ، قدم الى
 القاهرة مع أبيه المعز وولى عهده في يوم الخميس الرابع من ربيع الآخر سنة
 ٣٦٥ هجرية وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وكانت أمه أم ولد
 اسمها « درزاره » .

في عهده ترامت رقعة الامبراطورية الاسماعيلية من بلاد المغرب شرقاً
 الى ساحل المحيط الاطلسي غرباً ، ومن آسيا الصغرى شمالاً الى بلاد النوبة
 جنوباً ، وفي أيامه ازداد خطر القرامطة وأفتكين في الشام ، فحاول أن يستميل
 اليه أفتكين بالطرق السلمية واعدأ آياه بالمكافأة اذا ترك دمشق ، ولكن أفتكين

(١) من مجموعة اشعار اسماعيلية ورقة ١٦٣ نسخة خطية بمكتبتي الخاصة.

تحالف مع القرامطة واعلنوا الثورة على الامام ، الذي لم ير بدأ من أن يرسل لهم جيشاً لجباً بقيادة جوهر الصقلي ، فسار اليهم سنة ٣٦٦ هجرية ، ولما علم القرامطة وكانوا في الرملة ، هربوا الى الأحساء ، فدخل جوهر الرملة واحتلها ، وتوجه الى دمشق فحاصرها فترة من الوقت تمكن خلالها أفتكين من الهرب الى طبرية حيث انضم الى فلول القرامطة واستعد للقاء جوهر بعد أن جمع المؤن من حوران والبشينة ، عاد جوهر عن دمشق في ٣ جمادي الاولى سنة ٣٦٦ هجرية لمنازلة القرامطة في عسقلان فجرى بينهما قتال شديد استمر طويلا مما أجبر القائد جوهر الى العودة الى مصر وشرح الحالة للامام فخرج الامام بنفسه لمقاتلة القرامطة وافتكين بعد أن أعد العدة وحشد العساكر وزودها بالمؤن والذخائر .

وفي ١٣ محرم سنة ٣٦٨ هجرية تلاقى الجيشان وحمل وطيس القتال ودارت الدائرة على القرامطة وافتكين ، ويذكر التاريخ بان الامام قد حاول عدة مرات أن يستميل افتكين عندما شاهده بنفسه يخترق الصفوف ويجندل الفرسان ، ولكن افتكين أظهر التمرد مما اضطر الامام العزيز الى التلاحم معه أكثر من مرة ، وأخيرا تمكن أحد الشجعان من أسر افتكين بعد هرب قواته فاقنيد الى مصر مع الاسرى ، فأحسن اليهم الخليفة العزيز بالله وكساهم واسند اليهم الاعمال التي كانوا يولونها أيام افتكين ، ولما مثل افتكين بين يدي الامام المعز استقبله أحسن استقبال وبالغ في اكرامه وأسكنه دارا فسيحة واغدق عليه صلواته وعطاياه حتى مات سنة ٣٧٢ هجرية (١) .

وهكذا أصبحت سورية بعد القضاء على هذه الفتنة الخطيرة ولاية فاطمية عاصمتها دمشق . فوجه الامام العزيز الى هذه الولاية الجديدة الاعتناء الزائد فاختر لولايتها غلامه (بنجوكتين) التركي وأمره أن يفتح حلب وبالفعل سار بنجوكتين الى دمشق ومنها الى حلب فاصطدمت جيوشه بجيوش

(١) خطط المقرئزي ٦٧/٤ وفيات الاعيان لابن خلكان ١٥٣/٢

البيزنطيين على ضفاف العاصي فهزمهم وأسر قائدهم وطاردهم حتى انطاكية فقتل منهم خلق كثير ، وكان ذلك سنة ٣٨١ هجرية^(١) .

وبعد أن استقرت الاحوال في جميع أنحاء الامبراطورية الفاطمية ، رأى الامام العزيز بالله أن يحول جهوده الى النواحي الاصلاحية فانفق الاموال الطائلة على تشييد المباني ، وانشاء الجسور والمرافئ وتقوية الجيش والبحرية ، فازداد عدد الاسطول زيادة ملحوظة ، وعين الاتراك قواداً لجيشه كما عين يعقوب بن كلس وزيراً له ، وخلع عليه لقبه بالوزير الاجل وأثبت اسمه على الطراز ، واهتم الامام العزيز بانشاء دور للكتب وشحنها بالمؤلفات الضخمة التي تبحث في جميع العلوم ، ووجه اهتمامه الزائد لمكتبة القصر فرعاها بنفسه وانفق عليها الأموال الطائلة حتى قيل انها حوت مائة وسبعون ألف مجلدا جلّها في الفلسفة والطب والتاريخ والادب والفقّه ، كذلك شجع العلماء والشعراء والمؤلفين ووهبهم الاموال وخصص لهم المنح والعطايا ، وجعل من الجامع الازهر مدرسة علمية أنفق عليها من جيبه الخاص فتخرج منها علماء كان لهم شأن عظيم في عالم الفكر والتأليف^(٢) هذا ما جعل الشعراء يتسابقون في تخصيص القصائد الخالدة لمدحه ومن تلك القصائد مقال الشاعر الاسكندراني في قصيدته (ذات الدوحة) التي تقتطف منها عدة أبيات وسنقدمها كاملة عندما نأتي على ذكر هذا الشاعر في مكان آخر نظراً لما تتمتع به من مكانة سامية في عالم الأدب والشعر والفلسفة ولما تضمنته من المصطلحات الاسماعيلية :

سئمت من البين الذي ليس يصدق فليست بغير الحق والصدق أنطق
 أمّدح رهطاً غير رهط محمد وفي الجيد عهد للأمام موثق
 أئمة دين الله مدقام دينه وأنوار هذا الخلق من قبل يخلق

(١) ابن الأثير ٣١/٩

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص (١٥٩)

وعصيانهم كفر الى النار موبق
هم الغاية القصوى التي ليس تلحق
ولم يك في الدنيا ضياء وروثق
وباليمين والتقوى تظل وتسبق
اذا عد فضل فهو بالفضل يسبق

محبتهم فرض على الناس واجب
هم العروة الوثقى ، هم منهج الهدى
ولولاهم لم يخلق الله خلقه
هم دوحه الدين التي تثمر الهدى
فضائل مولانا العزيز جليلة

وها هو ذا الأمير تميم بن المعز لدين الله أخ الامام العزيز يصف امامه
وأخاه فيقول : (١)

وافى لميثاقه موسى على قدر
فزانها بضروب الروض والزهر
روح من القدس في جسم من البشر
تناهاها جاز حد الشمس والقمر
مثنوى ، وكنت ملك الانجم الزهر
بأنها عنك في عجز وفي حصر

جئت الخلافة لما أن دعنتك كما
كالأرض جاد عليها الغيث منهلا
ما أنت دون ملوك العالمين سوى
نور لطيف تناهى منك جوهره
لو شئت لم ترض بالدنيا وساكنها
ولو تفاظنت الألباب فيك درت

ومهما أوتى المرء من قوة التعبير لا يستطيع أن يوفي هذا الامام
العظيم حقه ، لما كان يتحلى به من السمائل النادرة ، والاخلاق الحميدة ، التي
حببته الى جميع القلوب ، وجعلت له مكانة سامية حتى في قلوب الاعداء
الذين عاصروه .

توفي الامام العزيز في مدينة بلبيس من مرض طويل في المثانة وقولنج ،
في اليوم الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٣٨٦ هجرية وهو في الرابعة
والاربعين من عمره ، ودفن في مقبرة القصر مع آبائه ، وكانت مدة خلافته
بعد أبيه المعز احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً . وكان نقش خاتمه :
« بنصر العزيز الجبار ، ينتصر الامام نزار » . وخلف من الأولاد : المنصور

(١) ديوان الأمير تميم ١٥٨ نسخة خطية .

وسيدة الملك ، وقيل أنه كان أسمر طوالا ، أصهب الشعر ، أعين أشهل ،
عريض المنكبين ، شجاعا كريما حسن العفو عند المقدرة ، لا يعرف سفك
الدماء ، له معرفة بالخيل ، وجوارح الطير ، مجبا للصيد ؛ وخاصة صيد
السباع^(١) .



(١) اتعاظ الحنفا ص ٢٩٦ : وفيات الاعيان ابن خلكان : ١٥٣/٢

المصطفى بالله

نزار بن المستنصر

يعتبر الامام المصطفى بالله نزار ضحية من ضحايا تلك المؤامرات الدنيئة التي كانت تمثل على مسرح هذا الوجود لاغتصاب حق شرعي أقره العرف والقانون ، وليس الامام نزار بالضحية الاولى من آل بيت رسول الله (ص) بل سبقه عشرات الضحايا والشهداء الابرار الذين سفكت دماؤهم الزكية الطاهرة في سبيل خدمة البشرية وسعادتها .

ولد الامام المصطفى بالله نزار بن الامام المستنصر^(١) في ١٠ ربيع الأول سنة ٤٣٧ هجرية في مدينة القاهرة وأصبح ولياً للعهد سنة ٤٨٠ هجرية بموجب النص عليه من والده بحضور نخبة من رجالات الدعوة الاسماعيلية واعلنت ولايته للعهد على الجمهور .

ولما توفي الامام المستنصر في ١٢ ذي الحجة سنة ٤٨٧ هجرية أقصى نزار عن الخلافة نتيجة لمؤامرة دبرها الوزير الافضل بن بدر الجمالي الذي كان يخشى ان يتسلم نزار الخلافة فيبعده عن الوزارة لما كان يتمتع به من سمعة سيئة ونفوذ عظيم في البلاد ؛ وتذكر المصادر التاريخية أسباب أقصاء نزار عن الخلافة فتقول : أن الأفضل دخل مرة أحد أبواب قصر الامام المستنصر راكباً بغلة ، فلما رآه نزار ، قال له : « انزل يا أرمل يانجس » فحقد عليه الافضل وانتهاز فرصة وفاة المستنصر وحال بينه وبين الخلافة ، فاجتمع بالأمرء وكبار رجال الدولة ، وأثار مخاوفهم من نزار ، وأشار عليهم بتولية أخيه الصغير أبي القاسم أحمد ولقبه (المستعلي بالله) واخذوا له البيعة من كبار رجال الدولة .

(١) تاريخ الدولة الفاطمية ١٧١ وهو أبو منصور المصطفى بالله نزار .

ولقد اتى المؤرخ ابن الأثير على ذكر اسباب نقمة الافضل فقال :

« كان الامام المستنصر قد عهد لولده نزار بالامامة والخلافة سنة ٤٨٠ هجرية ، الا أن الافضل رئيس الوزراء سعى لخلعه وبايع أخاه الاصغر أحمد المستعلي ، وسبب نقمة الافضل انه ركب مرة أثناء خلافة المستنصر ودخل القصر راكباً من باب الذهب بينما كان نزار خارجاً من نفس الدهليز فصاح به (انزل يا أرمني ياكلب عن الفرس اذا ماكنت داخلنا الى القصر ، ما أقل أدبك) فحقدتها عليه وخشي اذا ما اضحى خليفة أن يقضي عليه ويبعده عن الوزارة ، فسعى لخلعه خوفاً منه وبايع أخاه المستعلي » .

ولما رأى الامام نزار أن الخلافة اغتصبت منه بالقوة سار الى الاسكندرية مع أخيه عبد الله وابن مصال اللكي ، ونخبة من الدعاة الذين فضلوا المسير معه ، فاستقبله والي الاسكندرية ناصر الدولة أفتكين والقاضي جلال الدين ابن عمار وبايعوه ومن ثم أخذوا له البيعة من جميع أهل الاسكندرية ولقب (المصطفى لدين الله) وأتته البيعة وكتب الولاء من سائر بلاد فارس وسوريا وجبال الطالقان وغيرهما من البلدان^(١) الأخرى والقلاع الاسماعيلية ؛ فلما علم الأفضل بذلك خرج لقتال الامام نزار على رأس جيش لجب ، فدارت الدائرة على الأفضل وعاد مهزوماً الى القاهرة ، فأخذ يعد العدة لقتال نزار ونجح باستمالة بعض العربان من أتباع نزار ، ولما تم ذلك توجه ثانية الى الاسكندرية على رأس جيش كثير ففتح الاسكندرية والتقى القبض على حاكمها أفتكين وعلى القاضي جلال الدين وعدداً من رجالات الدعوة النزارية وقيل أنه قبض على الامام نزار فسلمه للمستعلي الذي أمر أن يبني عليه حائطاً فمات ، وقيل في رواية أخرى أن الامير نزار قتل في القاهرة سنة ٤٨٨ هجرية أما ابن مصال اللكي فقيل أنه جمع ماله وفر الى بلاد المغرب .

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية (١٧٢) .

غير أن أغلب المصادر التاريخية لا تؤيد هذه الأقوال وخاصة المصادر الاسماعيلية النزارية التي هي بين أيدينا إذ يقول أكثرها بان الامام نزار قد تمكن من مغادرة الاسكندرية سرا أثناء الحصار مع ابن مصال اللكلي وخمسة من الفدائيين الاسماعيلية الذين أوفدهم ابن الصباح من أجل مرافقة الامام نزار الى آلموت فيما لو أراد الحضور ، وتوجه الى بلاد فارس حيث استقر به المقام في جبال الطالقان واسس الدولة النزارية هناك .

ومنذ ذلك التاريخ انقسمت الاسماعيلية الى فرقتين : الاولى ظلت على اخلاصها للامام نزار فسميت بالنزارية وتعرف الآن (الآغاخانية) وهي موضوع بحثنا في هذا الكتاب والفرقة الثانية سارت وراء المستعلي فسميت (بالمستعلية) وتعرف الآن بطائفة (البهرة) في الهند و (الطيبة) باليمن .

ولا بد لنا من التعرض الى البواعث والاسباب التي دعت الى محاولة طمس تاريخ الدولة النزارية وذلك عن طريق الادعاء بأن نزاراً قد قتل في القاهرة مع أبنائه ، وبذلك تم للمستعلي القضاء على سلالته أو بالاحرى على عرقه ، أما الامام الذي أسس الدولة النزارية في فارس فليس من صلب نزار ولا من ابنائه انما قيل أنه من سلالة الحسن بن الصباح الداعي المعروف . كل هذه الادعاءات والاشاعات اطلقت بقصد ابعاد الاسماعيلية الذين تهافتوا على نزار عندما أصبح في آلموت ، ولكن الله لأمر يريد أظهار الحقيقة التي لا غبار عليها ، فمشرنا على مخطوطة اسماعيلية ضمن كتاب للداعي الاسماعيلي المغربي الشيخ محمد أبي المكارم^(١) ذكر فيه قصة فرار الامام نزار من الاسكندرية فقال :

عندما اشتد الحصار على الاسكندرية من قبل الجاحد المارق الذنديق الارمني الافضل غادرها مولانا الامام نزار عليه السلام مع أهل بيته متخفياً

(١) كتاب (الاخبار والآثار) ص ٢١٤ .

بذي التجار نحو سجلماسة حيث مكث عند عمته هناك بضعة أشهر حتى عادت اليه الرسل التي اوفدها لابلاغ الحسن بن الصباح عن محل اقامته فسار الى جبال الطالقان مع أهل بيته ومن بقي معه من دعائه وخدمه حيث استقر بقلعة ألموت بين رجال دعوته المخلصين ، وعمل الحسن بن الصباح على تأسيس الدولة النزارية وبعد أن تم له ذلك أصابه مرض شديد استدعى على أثره دعائه ونص على امامة ابنه (علي) وذلك سنة ٤٩٠ هجرية وتوفي في اليوم الثاني ودفن في قلعة ألموت .

ومهما يكن الأمر فان الحسن بن الصباح أيد الدعوة النزارية ومهد لها في فارس وخراسان فأصابته نجاحا بعيد المدى ، وأفلح الامام نزار في تكوين دولة جديدة بنظام جديد ، وخلق مجتمعات اسماعيلية بحتة تستقر في أماكن حصينة ، وتعمل بموجب تعاليم فلسفية وتنظيمات علمية ، وقد قسمت الدعوة النزارية الى مراتب ودرجات جعل أساسها المحبة والاخوة والمرحمة تقويها الروابط الوثيقة بين الافراد فأصبح لها دور كبير في السياسة والعلم ، والفلسفة ، في بلاد الهند ويران ، والشام ، وكان الحسن بن الصباح الساعد الايمن للأئمة النزارية والعقل المدبر لجميع الحوادث التي كانت تجري في العالم الاسلامي .

ومنذ ذلك التاريخ قطعت جميع الصلات والروابط التي كانت تربط بلاد فارس والشام بالخلافة الفاطمية بمصر وأصبحت الدولة الاسماعيلية الجديدة من ألد أعداء الخلفاء الفاطميين الذين اغتصبوا الحق الشرعي من نزار .



نصير الدين الطوسي

يعتبر من كبار الفلاسفة الذين كتبوا في الموضوعات الدينية والفلسفية والطبيعية والمسائل المتصلة بعلم الفلك ، ولد في مدينة (طوس) كما تدل على ذلك نسبه في سنة ٥٩٧ هجرية^(١) انتسب منذ نشأته الاولى الى المدارس الاسماعيلية التي كانت منتشرة بكثرة في بلاده وبعد أن ترقى في العلوم الدينية والفلسفية ، توجه الى (آلموت) مقر الدعوة في ذلك الوقت حيث أكمل دراساته العليا على كبار دعائها وفلاسفتها ؛ استطاع أن يحتل مكان الصدارة ويصبح مدرسا في مدرسة الدعاة ، فأقام في قلعة (آلموت) يصنف الكتب في مختلف العلوم ويلقي المجالس والمحاضرات ، ويشرف على المراصد الفلكية التي كانت موجودة فيها ، وظل على اخلاصه وتفانيه في خدمة العقيدة التي آمن بها ورضع لبانها منذ نعومة أظفاره حتى أخضع (هولوكو خان) قلعتي (آلموت) و (ميمون دز) فعثر على هذا الفيلسوف الكبير في مرصد القلعة ، فاقتاده الجند الى (هولوكوخان) ، ولما مثل بين يديه أكرمه وطلب منه أن يلتحق بخدمته كوزير له ، فرفض في بادئ الامر الا اذا أمن على أرواح وممتلكات الاسماعيلية فوعده خيرا شريطة أن يرافقه في حملته على بغداد . وهكذا انتقل هذا الفيلسوف العظيم الى خدمة هولوكو خان بعد أن أخذ العهد منه على المحافظة على الاسماعيلية .

وبعد أن تم لهولوكوخان احتلال بغداد أشار عليه بأن يقتل آخر خلفاء بني العباس (المستعصم بالله) حتى لا يغضب عليه الله ، واغتتم فرصة وجوده في بغداد فجمع كل ما تمكن من جمعه من الكتب النادرة . وقيل ان مكتبته

(١) ابن شاکر : فوات الوفيات : ١٤٨/٢ ويذكر بروكلمان انه ولد في سنة ٦٠٧ هجرية ولا ندري من اي مصدر علم ذلك .

أصبحت بعد فتح بغداد تضم أكثر من أربعمئة ألف مجلد^(١) . ولقد ساعد في بناء المرصد المشهور في مدينة (المراغة) مع جماعة من العلماء ذكر نصير الدين الطوسي أسماءهم في كتابه (زبيح ايلخاتي) ومات في بغداد سنة ٦٧٣ هجرية .

كان نصير الدين الطوسي كاتباً خصب الانتاج ذكر انه ترك ستة وخمسين مؤلفاً مكتوبة باللغة العربية أهمها :

- ١ — روضة التسليم .
- ٢ — مطالب المؤمنين .
- ٣ — تجريد العقائد .

وله جملة مؤلفات بالفارسية ، وكثير من الاشعار . ومن مؤلفاته التي كتبها بالفارسية :

- ١ — أخلاق ناصر : وهو كتاب مشهور في علم الاخلاق .
- ٢ — « بيست باب در معرفت اسطرلاب » أي عشرون باباً في معرفة الاسطرلاب .
- ٣ — (رسالة سي فصل) .
- ٤ — (تنسوق تامة ايلخاني) رسالة في المعادن والاحجار ولم يبق من اشعاره الفارسية الا أمثلة قليلة .

* * *

(١) ابن شاکر : فوات الوفيات : ١٤٩/٨

أبو حنيفة النعمان المغربي

هو أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي ، ويعرف لدى الاسماعيلية باسم (سيدنا القاضي النعمان) تميزا بينه وبين أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي المشهور^(١) اختلف العلماء والمؤرخون حول تاريخ مولده فقال بعضهم انه ولد سنة ٢٥٩ هجرية . الا ان الاستاذ آصف فيضي خالف الجميع وقال انه ولد في العشر الاخير من القرن الثالث ، وقيل انه كان مالكي المذهب ثم تحول الى الشيعة الاثني عشرية ثم انتقل الى الاسماعيلية الفاطمية^(٢) ويذكر آصف فيضي ان النعمان كان اسماعيلي المذهب منذ نعومة أظفاره وانه اتخذ التقية والستر خوفا على نفسه وعلى مذهبه ؛ دخل في خدمة الامام الاسماعيلي المهدي واتصل بالقائم بأمر الله طوال مدة حكمه وولي قضاء مدينة طرابلس . ولما بنى المنصور مدينة المنصورية كان النعمان أول من ولي قضاءها . وقد ولاه المنصور القضاء على سائر مدن افريقيا وأصبح شديد الصلة بالامام الاسماعيلي ومقربا منه ، وظل قاضي قضاة هذه المدن وتحت امرته قضاتها الى أن ولي المعز الامامة فاشتدت صلة النعمان به وكان يجالسه ويسايره وقل أن يفارقه ووضع النعمان كتابه المجالس والمسائرات جمع فيه كل ما رآه وما سمعه من امامه المعز ، وفي مؤلفات النعمان كثير من الدلائل تبين انه كان يعرض كتبه على الامام المعز قبل اذاعتها ونشرها بين الناس .

Fayrgee : the ismailian low of nut'a (J. B. B. R. A. S. 1929) (١)
p. 85

(٢) وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٦٦ المستدرك ج ٣ ص ٣١٣

ويعتبر القاضي النعمان (المشرع الاسماعيلي) لما له من أثر كبير في الحياة العقلية للدولة الاسماعيلية في مصر وتعتبر مؤلفاته من الدعائم القوية التي ركز عليها المذهب الاسماعيلي ولا تزال كتبه حتى يومنا هذا من أقوم الكتب لدى الاسماعيلية .

ويذكر ابن خلكان نقلا عن ابن زولاق ان النعمان بن محمد القاضي كان في غاية الفضل من أهل القرآن وبمعانيه ، وعالما بوجوده الفقه وعلم اختلاف الفقهاء ، واللغة ، والشعر الفحل ، والمعرفة بأيام الناس مع عقل وانصاف^(١) وأصبحت الكتب التي ألفها عمدة كل باحث في المذهب الاسماعيلي والاصل الذي يستقي منه علماء المذهب .

وقد أفاد الدعوة الاسماعيلية بكثرة مؤلفاته في الفقه ، والمناظرة ، والتأويل ، والعقائد ، والسير ، والتاريخ ، والوعظ ، ومن الثابت ان النعمان ألف بضعة وخمسين كتابا ، بقي منها حتى اليوم نحو من عشرين كتابا وضاع الباقي .

وقيل ان الامام المعز قال عنه : من يؤدي جزءا من مائة مما أداه النعمان أضمن له الجنة بجوار ربه^(٢) وأهم مؤلفات النعمان (دعائم الاسلام) ويبحث في الفقه الاسماعيلي ويقع في مجلدين ضخمين ، يشمل كل منهما على سبعمائة صفحة^(٣) ويذكر الداعي ادريس في كتابه عيون الاخبار ان الامام المعز هو الذي حث القاضي النعمان على تأليفه عندما مثل بين يديه مع كثير من الدعاة ، فتناولوا الكلام على الاحاديث الموضوعية ، والاختلاف في الرواية فذكر لهم الامام المعز الحديث المشهور (اذا ظهرت البدع في أمة ، فيلظهر العالم علمه ، والا فعليه لعنة الله) ونظر المعز لدين الله عليه الصلاة والسلام الى القاضي

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٦ وفيات الاعيان .

(٢) عيون الاخبار للداعي ادريس عماد الدين ج ٦ ص ٤١

(٣) حققهما العلامة آصف فيضي وتم نشرهما في مصر .

النعمان بن محمد ، رضوان الله عليه ! فقال : أنت المعني في هذه الاوراق يا نعمان ، ثم أمر بتأليف (دعائم الاسلام) وأصل أصوله • وفرع فروعه ، وأخبره بصحيح الروايات عن الطاهرين من آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) وأصبح كتاب دعائم الاسلام المرجع الاسماعيلي في الاحكام والفتوى وفي الحقيقة ان القاضي النعمان ترك للدعوة الاسماعيلية ثروة فكرية ثمينة بالرغم من ضياع أكثر مؤلفاته •

ويقول ابن خلكان : ان النعمان ألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف وأملح سجع ، وعمل في المناقب والمثالب كتابا حسنا ، وله ردود على المخالفين^(٢) ، وذكر البرفسور ايفانوف في كتابه (المرشد الى أدب الاسماعيلية) كتب القاضي النعمان وقسمها الى^(٣):

٢ - كتبه الفقه :

- ١ - كتاب الايضاح •
- ٢ - مختصر الايضاح •
- ٣ - كتاب الاخبار في الفقه •
- ٤ - مختصر الآثار فيما روي عن الأئمة الاطهار وهو كتاب متداول الآن بين طائفة البهرة •
- ٥ - الاقتصار^(٤) •
- ٦ - القصيدة المنتخبة •
- ٧ - دعائم^(٥) الاسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام •

(١) ادريس عماد الدين عيون الاخبار ج ٦ ص ٤٢

(٢) وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٦٦

(٣) المرشد الى أدب الاسماعيلية ص ٢٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ •

(٤) تحقيق الدكتور محمد ميرزا ، جامعة كنو - الهند •

(٥) تحقيق الدكتور آصف علي أصغر فيضي •

- ٨ - كتاب منهاج الفرائض •
- ٩ - كتاب الاتفاق والافتراق •
- ١٠ - المقتصر •
- ١١ - كتاب النبوع •

ب - كتب الاخبار :

- ١ - شرح الاخبار في فضائل الأئمة الاطهار في ستة عشر جزءا •
- ٢ - قصيدة ذات المحنة وهي منظومة في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي •
- ٣ - قصيدة ذات المنن منظومة في بعض حوادث وقعت للمعز •

ج - كتب الحقائق :

- ١ - دعائم الاسلام •
- ٢ - تأويل الشريعة •
- ٣ - أساس (١) التأويل •
- ٤ - شرح الخطب التي لأمر المؤمنين علي •
- ٥ - كتاب التوحيد والامامة •
- ٦ - اثبات الحقائق في معرفة توحيد الخالق •
- ٧ - حدود المعرفة في تفسير القرآن والتنبيه على التأويل •
- ٨ - نهج السبيل الى معرفة علم التأويل •
- ٩ - الراحة والتسلي •

د - في الرد على المخالفين :

- ١ - اختلاف اصول المذاهب •

(١) تحقيق عارف تامر .

- ٢ - الرسالة المصرية في الرد على الشافعي •
- ٣ - الرد على ابن سريج البغدادي •
- ٤ - ذات البيان في الرد على ابن قتيبة •
- ٥ - داعم الموجز في الرد على العنقي •

هـ - كتب في العقائد :

- ١ - قصيدة المختارة •
- ٢ - كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة •
- ٣ - كتاب الطهارة •
- ٤ - الأرجوزة •
- ٥ - مفاتيح النعمة •
- ٦ - كتاب الدعاء •
- ٧ - كتاب عبادة يوم وليلة •
- ٨ - كيفية الصلاة على النبي •
- ٩ - التعقيب والانتقاد •
- ١٠ - كتاب الحلي والشياب •
- ١١ - كتاب الشروط •
- ١٢ - منامات الأئمة •
- ١٣ - تأويل الرؤيات •
- ١٤ - التفریع والتصنيف •

و - كتب في الوعظ والتاريخ :

- ١ - رسالة الى المرشد الداعي بمصر في تربية المؤمنين •
- ٢ - المجالس والمسائرات والمواقف والتوقيعات •
- ٣ - معالم المهدي •
- ٤ - المناقب لأهل بيت رسول الله •
- ٥ - افتتاح الدعوة •

وتمتاز مؤلفات القاضي النعمان بعدم الاغراق في التأويل الذي نلمسه في كتب الدعاة الاسماعيلية التي وضعوها في أدوار الستر .

وأهم كتاب خالد للنعمان هو كتاب دعائم الاسلام وهو الكتاب الذي أمر الامام الظاهر بأن يحفظه الناس وجعل لمن يحفظه مالا جزيلا ، ويشتمل هذا الكتاب على قفه الاسماعيلية كله ، فدعائم الاسلام عندهم الولاية والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد ، ولكل فريضة من هذه الفرائض أصول وفروع وآداب ، تحدث عنها القاضي النعمان ، ويروي ما ورد في كل فريضة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وما جاء عن الأئمة الفاطميين ، وتظهر قيمة هذا الكتاب عند علماء المذهب الاسماعيلي ان داعيين من أكبر الدعاة ذكراه في كتبهما واعتمدا عليه ونوها به وهما أحمد حميد الدين بن عبد الله الكرمانني فقد ذكر في السور الاول من كتاب راحة العقل أسماء الكتب التي يجب أن تقرأ قبل قراءة راحة العقل وذكر بينهما كتاب دعائم الاسلام : وأما الداعي الثاني فهو المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي فقد ذكر في السيرة المؤيدية أنه كان يعقد مجلسا خاصا كل يوم خميس يقرأ فيه على السلطان أبي كالجار البويهبي فضلا من كتاب دعائم الاسلام .

والكتاب الثاني الهام أيضا من كتب النعمان فهو كتاب « تأويل دعائم الاسلام » واسم الكتاب الكامل كما ورد في متن الكتاب « كتاب تربية المؤمنين بالتوفيق على حدود باطن علم الدين في تأويل دعائم الاسلام » وهو في ذكر التأويل الباطني للحكام والفرائض التي وردت في كتاب دعائم الاسلام وهو من أهم كتب التأويل عند الاسماعيلية . وقد توفي النعمان قبل أن يتم كتابه هذا . ويحدثنا النعمان عن بعض كتبه فقال عن كتاب وضعه باسم « كتاب الدينار » : سألني بعض القضاة والحكام والطلبة بسط كتاب مختصر في قول أهل البيت (ص) لهم ، يقرب معناه ويسهل حفظه ، وتخف مؤوته ، فابتدأت شيئا منه وقدرت أن الكتاب اذا كمل قام على من يريد استساخه بدينار فما دونه ، وسميته كتاب الدينار وذكرت ذلك في بسط

افتتاحه ، ورفعت ما ابتدأته منه الى المعز لدين الله وطالعته فيه وسألته قراءته عليه وسماعه منه ليكون ماثورا عنه وكتبت مع ما رفعته منه اليه رفعة ذكرت فيها ذلك له . فوقع الي بخطه في ظهرها :

بسم الله الرحمن الرحيم . صانك الله يا نعمان ، وققت على الكتاب وتصفحته فرأيت ما أعجني في من صحة الرواية وجودة الاختصار ولكن فيه كلمات تعتاص على كثير من أوليائنا معرفتها فاشرحها بما يقرب منه أفهامهم فيستوي في معرفته والاحاطة بعلم ألقاظه الشريف والمشروف ؛ فانه يجيء طريقا قريب المأخذ وسه « كتاب الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمة الاطهار » فان ذلك أشبه به من كتاب الدينار لأن فيه من علم أولياء الله ما يحث على كافة الخلق طلبه بأرواحهم فضلا عن أموالهم ؛ وهذا الاسم يضع من قدره عند ذوي النعم ويرون أنهم يصلون اليه والى ما هو أجل منه ببذل اليسير من حطام دنياهم^(١) .

والخلاصة : لقد أدى القاضي النعمان للدعوة الاسماعيلية خدمات علمية جلّى كان لها الفضل الاكبر في تركيز دعائم الدعوة ولا غرو فقد كان اللسان الناطق للامام واستحق أن يتربع على عرش الدعوة العلمية وأن يورث أبناءه هذه الزعامة وكانت وفاته في شهر جمادى الآخرة سنة ٣٦٣ هجرية وصلى عليه الامام المعز لدين الله .



(١) المجالس والمسائرات ورقة ٧٤/ب

هرف الرها

المؤيد في الدين داعي الدعوة

هبة الله الشيرازي

لا يمكن للباحث المدقق أن يأتي على ذكر علماء الدعوة الاسماعيلية وفلاسفتها دون أن يتعرض لعالم فحل خدم الدعوة خدمات جلى ، فبلغت على يديه درجة عظيمة من الازدهار ، ذلك هو العالم الكبير المؤيد في الدين هبة الله داعي الدعوة الذي عرف في تاريخ الادب العربي بمنظرته مع أبي العلاء المعري في (تحريم أكل اللحم) •

جاء المؤيد في الدين الى مصر مقر الخلافة الفاطمية ، وأقام بها زهاء ثلاثين عاما ، عمل خلالها على نشر العقائد الاسماعيلية عن طريق القاء المحاضرات العلمية ، والمجالس التأويلية ، فاستمع له جمهرة من المصريين وأخذوا عنه علوم الدعوة وفلسفتها ، فكان له تأثير كبير في الحياة العقلية ، وعنه أخذ الدعوة اليمينيون فادانوا له بالاستاذية في علوم الدعوة ، وفي القاهرة أنشد المؤيد أكثر قصائد ديوانه ، وألقى مجالسه التي بلغت الثمانمائة مجلس ، تحدث فيها عن العقائد الاسماعيلية وعلوم دعوتها •

اسمه كما ورد في كتب التاريخ هبة الله بن أبي عمران موسى بن داود الشيرازي ، ولد في شيراز في القرن الرابع من الهجرة ، ولقد اختلف المؤرخون في السنة التي ولد فيها ، فذكر الهمداني انه كان في التاسعة والعشرين من عمره حين طلب اليه أن يغادر بلاده في سنة ٤٢٩ هجرية أعني ان ولادته كانت سنة ٤٠٠ هجرية^(١) ولكن الدكتور كامل حسين خالف هذا الرأي فقال ان ولادة المؤيد كانت على الأرجح سنة ٣٩٠ هجرية معتمدا في ذلك على بيتين

(١) مقاله في المجلة الاسيوية

من الشعر وردا في ديوان المؤيد يخاطب بهما الامام الاسماعيلي المستنصر بالله قال :

لي في هجرة اليك تمن قد تمنيته واني غلام
وتداني من أربعين لي السن ولم يقض للتمني زمام

وبذلك دل على أنه بلغ الاربعين من عمره سنة ٤٢٧ هجرية (١) .

ونحن ازاء هذه الآراء المتضاربة في تاريخ ولادته ، وباعتبار أننا لم نعر على أي مصدر يؤيد أو ينفي تلك الآراء لا يسعنا الا أن نأخذ بقول الدكتور كامل حسين . كانت ولادة المؤيد في اسرة اتخذت العقيدة الاسماعيلية مذهبا لها ، فأبوه كان حجة جزيرة فارس في عهد الامام الحاكم بأمر الله الفاطمي ، فنشأ ابنه هبة الله وأعد ليحتل مكان والده في الدعوة الاسماعيلية في ذلك الاقليم ، وما كاد يبلغ أشده حتى استوعب كل ما يخص الدعوة الاسماعيلية وأسرارها ، فكتب أبوه الامام الحاكم بأمر الله متوسلا أن يولي ابنه هبة الله أمر الدعوة في فارس من بعده ، وبالنظر لنبوغ هبة الله المبكر ونشاطه الملموس في خدمة الدعوة . أصبح حجة بلاد فارس بعد وفاة أبيه ، فكرث جهوده لرفع مستوى الدعوة في تلك البلاد ، وعمد الى تنظيمها تنظيما علميا بحثا ، فاقاد له أتباعه الانقياد كله ، وضحوا في سبيله بأرواحهم ، وازداد عددهم زيادة مخيفة ، مما جعل السلطان أبو كاليجار البويهبي يخاف سطوته ونفوذه ، فحاول أن ينفية مرارا من شيراز ، ولكنه كان يخشى ثورة أتباع المؤيد من الاسماعيلية ، الا ان المؤيد استطاع بما أوتي من مقدرة فائقة أن يتصل بأبي كاليجار ، فأقنعه بالاستماع اليه وأن يعقد مجالس المناظرة بين المؤيد وعلماء الشيعة والمعتزلة وأهل السنة ، فبرز المؤيد على خصومه ومناظريه ، مما اضطر السلطان أن يخضع لقوة بيان المؤيد ودفاع حجته ، ويدخل في دعوته .

(١) ديوان المؤيد في الدين ص ٢٢ .

ولقد ساعد دخول السلطان الدعوة المؤيد في الدين فأجهر بمعتقداته الاسماعيلية في بلد يدين للعباسيين دون خشية ، مما حمل قاضي الاهواز على ارسال كتاب الى الخليفة في بغداد يعني فيه الدولة العباسية وضياع خلافتها على يد المؤيد في الدين ، وبنفس الوقت ثار أهل السنة على أبي كاليبجار ، مما أجبر العباسيين على ايفاد الوزير العباسي ابن المسلمة للقبض على المؤيد ، ولكن المؤيد علم بالامر فسار متخفيا متجنبا الطرق العامة ، سالكا البراري والقفار حتى وصل الى مصر سنة ٤٣٧ هجرية . والمؤرخون مختلفون في تاريخ وصول المؤيد في الدين لمصر ، فقال المستشرق الروسي (ايفانوف) انه وصل سنة ٤٣٩ هجرية^(١) وذكر الدكتور همداني انه دخل مصر سنة ٤٣٠ هجرية الا ان المؤيد يذكر في سيرته أنه لقي بمصر عند وصوله : أبا سعيد التستري الذي قتل سنة ٤٣٩ هجرية . ويرى الدكتور كامل حسين أن المؤيد جاء الى مصر بين سنتي ٤٣٦ و ٤٣٩ هجرية وأخذ يتردد على أبي سعيد التستري ويتقرب اليه ، فلما قتل التستري في سنة ٤٣٩ هجرية تقرب المؤيد من الوزير أبي نصر الفلاحى الذي سهل له السبيل لمقابلة الخليفة وقد تحققت أمنيته ومثل بين يدي الامام في آخر شعبان سنة ٤٣٩ هجرية .

والمؤيد في سيرته يتحدث عن حياته في مصر وعن علاقته ببعض الوزراء ورجال بلاط المستنصر بالله ولقد وصف المؤيد أول مقابلة له للامام الفاطمي المستنصر بالله فقال :

« وكنت في مسافة بين السقيفة الشريفة والمكان الذي الملح فيه أنوار الطلعة الشريفة النبوية . فلم تقع عيني عليه الا وقد أخذتني الروعة وغلبتني العبرة ، وتمثل في نفسي أنني بين يدي رسول الله وأمير المؤمنين مائل ، وبوجهي الى وجهيهما مقابل . واجتهدت عند وقوعي الى الارض ساجدا لولي السجود ومستحقه أن يشفعه لساني بشفاعه حسنة بنطقه ، فوجدته

(١) المرشد الى الادب الاسماعيلي ص ٤٧ .

بِعُجْمَةِ المَهَابَةِ مَعْتَقُولًا ، وعن مزية الخطابة معزولا • ولما رفعت رأسي من السجود ، وجمعت عليّ ثوبي للقعود ، رأيت بناانا يشير اليّ بالقيام لبعض الحاضرين في ذلك المقام • فقطب أمير المؤمنين خلد الله ملكه وجهه عليه زَجْرًا ، على انبي ما رفعت به رأسا ، ولا جعلت له قدرا ، ومكثت بحضرتة ساعة ، لا ينبعث لساني بنطق ، ولا يهتدي لقول ، وكلما استرد الحاضرون مني كلاما ازددت اعجابا ، ولتعقبه ألقى اقتحاما • وهو ، خلد الله ملكه ! يقول : « دعوه حتى يهدأ ويستأنس » • ثم قمت وأخذت يده الكريمة فترشفتها ، وتركتها على عيني وصدري ، ودعيت وخرجت (١) » •

وبعد هذه المقابلة تقلد المؤيد ديوان الانشاء وزيد في رزقه ، وعلا قدره في نظر الامام المستنصر • وكان المؤيد بارعا في الكتابة بالعربية والفارسية ، فوسع نطاق الدعوة الفاطمية الى بغداد • فلما علم أن طغر لبك السلجوقي حاول أن يهادن البيزنطيين ويحالفهم من أجل الاستيلاء على أملاك الدولة الفاطمية في أعالي الجزيرة وبلاد الشام بعد أن دخل مدينة الري سنة ٤٤٤ هجرية راسل وزير طغر لبك الكندري يستميله الى الفاطميين • الا ان طغر لبك دخل بغداد في سنة ٤٤٧ هجرية • فهرب البساسيري ، ولكن سرعان ما اتصل به المؤيد وأبلغه ان الفاطميين مستعدون لشد أزره وامداده بالمال والسلاح • ومن ناحية ثانية أخذ يستميل العرب والاكراد ويخلع عليهم خلع الفاطميين ويفدق عليهم الاموال •

ونجحت خطة المؤيد ، فانتصرت جيوش البساسيري على جيوش طغر لبك ، وانتشرت الدعوة الاسماعيلية في العراق ، وخطب للامام المستنصر في بغداد • ولكن البساسيري ما لبث أن تفرقت جموعه ، ونجح طغر لبك في طرده من بغداد في سنة ٤٤٩ هجرية •

(١) السيرة المؤيدة ص ١٢٧ •

ولقد قدّر الامام الاسماعيلي الجهود التي بذلها المؤيد في نشر الدعوة فعينه داعيا للدعاة سنة ٤٥١ هجرية^(١) .

لم يمكث المؤيد في هذه المرتبة طويلا اذ خافه الوزراء ، فكادوا له وشاغبوا عليه حتى نفي من مصر ثم اعيد اليها وولي رئاسة الدعوة ثم عزل وولي ديوان الانشاء مرة ثانية ، وعاش حتى توفي في القاهرة سنة ٤٧٠ هجرية ودفن في دار العلم بجوار القصر وصلى عليه الامام المستنصر نفسه .

على هذه الصورة انتهت حياة هذا العالم الفحل الذي خدم الدعوة الاسماعيلية خدمات لن تنسى ودافع عنها بالقلم واللسان واستطاع أن يقنع الملوك والامراء للدخول في المذهب الاسماعيلي ، وحاول القضاء على الدولة العباسية بتأليب امراء العراق والشام على القائم بأمر الله العباسي ، ونجحت مساعيه في اقامة الدعوة لامامه المستنصر على منابر بغداد سنة ٤٥٠ هجرية ، ولولا أسباب لا طاقة له بدفعها لقضى على الخلافة العباسية قضاء تاما ، ولغير وجه التاريخ الاسلامي ، ولقد استطاع أن يعيد مدينة حلب الى أملاك الفاطميين بعد أن أعيت جيوشهم . هذه لمحة عن نشاطه السياسي الذي أهمله أصحاب التراجم في كتبهم ، وبالفعل ظلت حياة المؤيد مجهولة حتى قبض الله لها الدكتور حسين همداني سنة ١٩٣٢ فنشر بحثه عن تاريخ وأدب الدعوة الاسماعيلية في أواخر عصر الفاطميين^(٢) ثم قام المستشرق الروسي ايخانوف بنشر كتابه (المرشد الى الادب الاسماعيلي) . الذي جاء فيه على ذكر داعي الدعاة المؤيد في الدين فعدد الكتب التي ألفها والابحاث التي كتبها ، والمجالس التي عقدها ، وقال ان المؤيد في الدين كان عالما عظيما وكاتبا بارعا في الخوض في كافة المواضيع العقائدية ، وقد خلف عددا لا يستهان به من الكتب التي لا زالت تعتبر من امهات كتب الاسماعيلية الى اليوم ، زد على ذلك ان المؤيد

(١) ديوان المؤيد في الدين ص ٤٩ .

(٢) The history of the isma ili Do'wt ons its biterature Suring
the last phose of the fotinid Empire. j. R. A. S. port 1 /1932

كان شاعرا قويا صور في شعره العقائد الاسماعيلية تصويرا تاما . فتحدث عن الولاية والتوحيد ، ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من ذكر الولاية ، والاشارة الى ضرورة اطاعة الأئمة ومن ذلك قوله :

وهم أولو الأمر أئمة الهدى عصمة من لاذ بهم من الردى
مفروضة طاعتهم على الأمم قاطبة من عرب ومن عجم
اقرأ : أطيعوا الله والرسولا ثم أولي الأمر بهم موصولا
ثلاث طاعات غدت معلومة في آية واحدة منظومة^(١)

كما يبحث المؤيد في مبدأ التأويل واعجاز القرآن والرأي والقياس وتعرض لنظرية المثل والممثل فقال :

ان كان اعجاز القرآن لفظا ولم ينل معناه منه حفظا
صادفتهم معقودة محلولا من أجل ان أنكرتم تأويلا^(٢)

ولما كانت الامامة بنظر الاسماعيلية هي قيادة العالم ، وحمل معرفة الحقيقة اليه . اذن لا بد من وجود هذا المرشد في كل عصر حتى لا يبقى العالم جاهلا ، وان علياً والأئمة من ذريته هم الذين اختصوا بتأويل القرآن دون غيرهم من الناس . ويقول المؤيد :

وتأويله مستودع عند واحد وان لم تسائله فزورا تأولت
وأحمد بيت النور لا شك بابه أبو حسن والبيت من بابه يؤتى
للعلم قوم" به خصوا ، أقامهم ربّ الورى للورى في أرضه علما^(٣)

ويتعرض المؤيد أيضا الى الفقهاء الذين حرفوا القرآن الكريم لانهم لم يفهموا معناه وان فهموا لفظه فقال :

(١) ديوان المؤيد صفحة ٦١ .

(٢) ديوان المؤيد صفحة ١٠١ .

(٣) ديوان المؤيد ص ١٠٣ .

وهو الذي حرّف الكتاب
يثبت شيئاً ليس فيه
عن وجهه وجانب الصوابا
وحكم آي أحكمت ينفيه^(١)

وتحدث المؤيد في ديوانه أكثر من مرة عن الباطن والظاهر ونظرية المثل
والمثول مفسراً الامور العقلية غير المحسوسة بما يقابلها ويمثلها من الامور
الجسمانية المحسوسة ، فقال :

والذي قال في الكتاب تعالى
أقصد : حَمًا مَثولُه دون المثل
مَثَلٌ " ذاك تحتَه مَثول
ذا ابر النحل وهذا كالعسل^(٢)

كما رد المؤيد على الفرق المختلفة في تفسير رؤية الرحمن ، ورد على
الفرق التي أثبتت رؤية الرحمن أو انكرتها . فقسم الرؤية الى قسمين :
أحدهما محسوس والآخر معقول وهو رؤية العقل . فالبصر لا يتعدى
المبصرات الجسمية ، والعقل لا يدرك الا المدركات العقلية ، والرؤية اما
رؤية حس أو رؤية عقل . قال :

فالعقل للمرء أداة كالبصر
كلاهما يدرك بالمجاسة
وليس من جنس العقول الله
كما تعالى أن يكون كالصور
ذا : باطن فيه وهذا قد ظهر
مقالة صحت بلا ممارسة
يا قوم : كي تدركه حاشاه
مجسما كيما يلاقه البصر

ومجمل القول أن المؤيد كان من أكبر علماء عصره ، واسع الثقافة ،
ملماً المأمة تاماً بجميع العلوم التي عرفت في العالم الاسلامي في ذلك الوقت ،
قوي الحججة في مناظراته وجداله مع مخالفيه ، ولقد وضعه أبو العلاء المعري
أثناء المناظرة التي دارت بينهما بقوله : « وسيدنا الرئيس الأجل المؤيد في
الدين لازالت حجته باهرة ودولته عالية . . . ولو ناظر أرسطاليس لجاز

(١) ديوان المؤيد ص ١٠٤ .

(٢) ديوان المؤيد ص ١٠٧ .

أن يفحمه أو افلاطون لنبذ حججه خلفه^(١) وهكذا نرى ان الفيلسوف الكبير المعري قد اعترف له بقوة الحجة وفصاحة البيان وأنه ورث علم الاولين ، وعلى يديه بلغت علوم الدعوة الاسماعيلية الذروة ، ويعتبر المؤيد استاذ الدعوة في اليمن والهند ، كما يعد استاذ الفيلسوف الكبير ناصر خسرو ، ولقد خلف المؤيد مؤلفات قيمة نذكر منها (٢) :

١ - المجالس المؤيدية ويضم ثمانمائة مجلسا من مجالس الدعوة الاسماعيلية التي كان يلقيها المؤيد ، وقد رتب هذا الكتاب وقسمه الى أبواب حسب موضوعاته حاتم بن ابراهيم الحامدي الداعي اليمني وسماه (جامع الحقائق) وفي هذا الكتاب نرى مناظرات المؤيد وردده على المخالفين •

٢ - ديوان المؤيد في الدين : وهو عبارة عن مجموعة من القصائد التي أنشدها في مدح الأئمة ، وتعرض فيها لحياته ، كما وصف أحواله وأشار الى جهوده في نشر الدعوة الاسماعيلية وملاأ قصائده بالعقائد الاسماعيلية ومصطلحاتها •

٣ - السيرة المؤيدية ، وهو كتاب قيم يتحدث عن الحياة السياسية والاجتماعية في فارس والعراق ومصر من سنة ٤٢٩ هجرية الى سنة ٤٥٠ هجرية ويعتبر سجلا للوثائق التي تبودلت بين المؤيد وأمراء العرب ، وبينه وبين الوزراء المصريين ابان ثورة البساسيري •

٤ - كتاب شرح المعاد •

٥ - كتاب الايضاح والتبصير في فضل يوم الغدير •

٦ - كتاب الابتداء والانتهاء •

(١) معجم الادباء ج ٣ ص ٢٠٢

(٢) W. Ivanow. aguide to ismaili literature.p. 47 - 48 .

٧ - جامع الحقائق في تحريم اللحوم والالبان (مقتطف من المجالس المؤيدية) •

٨ - القصيدة الاسكندرانية •

٩ - تأويل الارواح •

١٠ - نهج العباد •

١١ - المسألة والجواب •

١٢ - ترجمة أساس التأويل الى الفارسية عن القاضي النعمان •

١٣ - المجالس المستنصرية وقد تعرض فيه للفلسفة الاسماعيلية وشرح عقائدها بايجاز •

هذا ما تمكنا من أن نستخلصه من حياة هذا الداعي الكبير ، والفيلسوف العظيم الذي قام بقسط وافر في سبيل رفع مستوى العقائد الاسماعيلية ونشرها في مختلف الاقطار والامصار فاستحق أن يحتل بجدارة المرتبة الكبرى التي حصل عليها بفضل علمه واخلاصه ، بالرغم من المكائد والاحاييل التي تعرض لها خلال الفترة التي قضاها في مصر كداعي دعاة •



حرف الباء

يحيى بن ملك بن مالك الحمادي

هذا علم آخر من أعلام الدعوة الاسماعيلية اليمنية الذين عرفوا بمقدرتهم العلمية وحجتهم القوية ، تولى رئاسة الدعوة بعد وفاة أبيه القاضي ملك ابن مالك الحمادي الهمداني ، وعمل مقتنيا أثر أبيه ، باذلا أقصى جهوده العلمية والفلسفية لتخريج دفعة ممتازة من الدعاة العلماء الذي انتشروا في مختلف أنحاء الجزيرة العربية ، ووصلت وفودهم الى بلاد الهند ، وقال عنه الداعي أدریس عماد الدين : (١) « ٠٠٠ فاستمر ينصب الدعاة ، ويوضح معالم الدين ، ويحيى مراسمه ويبين شريعته ، ويفسر تأويله وحقيقته » وبفضل النشاط الذي بذله تحت رعاية الملكة الحرة ، تمكنت الدعوة الاسماعيلية المستعلية ، من تثبيت أقدامها في بلاد اليمن وما انضاف اليها عمان والهند (٢) . ذكر ايفانوف له كتابا واحدا سماه : « فصل في بيان الارض وما عليها من الماضين » في الصفحة (٥٠) من المرشد الى أدب الاسماعيلية .

ولما توفي المستعلي سنة ٤٩٥ هجرية وخلفه ابنه الأمر ، قامت الملكة أروى الصليحي بالدعوة له خير قيام وساعدها في ذلك الداعي يحيى بن ملك « فاستقامت بهما أمور الدين في أقطار اليمن ، ووضحت بهما الفروض الشرعية والسنن ، ومضت بهما الاحكام ، واقامت شعائر الاسلام وعرف الحلال والحرام » (٣) .

ولما اتضح للملكة الحرة أن أركان دولتها أخذت تتزعزع اثر اغتيال

(١) عيون الاخبار : ١٤٤/٧ .

(٢) نفس المصدر ١٢٣/٧ .

(٣) عيون الاخبار ١٤٤/٧ ، السجلات المستنصرية رقم ٥٠ .

الخليفة الأمر باحكام الله بيد جماعة من الاسماعيلية النزارية ، قررت أن تفصل الدعوة عن الدولة فصلا تاما ، كما كان الحال في مصر ، حتى تباشر الدعوة نشاطها العملي والديني مستقلة عن تأييد الدولة ، ففصلت هيئة الدعوة كلية عن ادارة الحكومة ، فاصبح يقوم باعباء هذا النظام الثنائي رؤساء مختارون لادارة شئون الدولة والدفاع عن المملكة ، وآخرون للدعوة .

فأقام الداعي يحيى والملكة الحرة الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي الهمداني في رئاسة الدعوة وفي اختياره يقول ادريس : « اجتمع عدة من سلاطين اليمن الى قاضي القضاة وداعي الدعاة باليمن يحيى بن ملك . وكل من أولئك السلاطين يرى أنها ستقع اليه باقامة الدعوة الشريفة الاشارة ، ومتطلع الى أن يلي ايراد الامر فيها واصداره . والذؤيب بن موسى متواضع مع علو مرتبته لأبويه . . . فحين اجتمعوا عند القاضي ابن ملك أعلن بالتعريف بفضل الداعي الذؤيب وعالي مقامه ، وأنه المعاضد له ، وتلى على السلاطين والمؤمنين التقليديين من الحرة الملكة . . . ومن داعي الدعاة وقاضي القضاة يحيى بن ملك » ، واستمر ملك في وظيفته حتى توفي في ٢٨ جمادى الآخرة سنة ٥٢٠ هجرية .



يعقوب بن كلس

يعتبر أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس من أشهر علماء الدعوة الاسماعيلية الذين كان لهم أثر قوي في الحياة العقلية بمصر ، قيل أنه كان يهوديا ولد في بغداد ونشأ فيها وصحب أباه الى الشام ونزل الرملة ، وأقام بها وصار وكيلا للتجار ، ومن ثم توجه الى مصر فقربه (كافور الاخشيدي) ووثق به فعينه في ديوانه الخاص ، ولما رأى فيه النجابة والنزاهة أمر أن لا يصرف أصحاب الدواوين شيئا من المال الا بتوقيع ابن كلس وذلك سنة ٣٣٦ هجرية وفي سنة ٣٥٦ هجرية اعتنق ابن كلس الاسلام فزادت حظوته عند كافور ، ومن ثم لزم الصلاة وقراءة القرآن ورتب لنفسه رجلا من أهل العلم يدرس له أصول الدين الاسلامي (١) . واجتهد بالدرس والتحصيل حتى بلغ فيهما درجة عالية ، ولما توفي كافور سنة ٣٥٧ هجرية غادر مصر الى المغرب اثر خلاف نشب بينه وبين ابن الفرات ، واتصل بالامام المعز لدين الله ، فقربه وصحبه الى مصر بعد أن اعتنق المذهب الاسماعيلي .

وبعد أن استتب الامر في مصر ولي يعقوب الخراج وجميع وجوه الاموال والحسبة سنة ٣٦٣ هجرية واستمر في عمله حتى سنة ٣٦٥ هجرية فولاه الامام المعز بعد أن اكتسب ثقته جميع أموره في القصر ، ولما توفي الامام المعز فوض العزيز بالله ليعقوب النظر في سائر أموره وجعله وزيرا له وذلك في المحرم سنة ٣٦٧ هجرية ولقبه بالوزير الأجل ، فكان أول وزير في مصر الفاطمية .

وأدار شؤون الدولة بمهارة وعزم الى أن مرض في ٢١ شوال سنة ٣٨٠

(١) ياقوت : ارشاد ٨٤/٣ ، ابن خلكان : ٤٦١/٢ .

هجرية فذهب العزيز بالله يعوده وقال له : « وددت أنك تباع فابتاعك بمالي أو تفدى فأفديك بولدي^(١) » . وتوفي ليلة الاحد لخمس خلون من ذي الحجة سنة ٣٨٠ هجرية وقيل انه رثاه مائة شاعر .

ولقد أصبح يعقوب بن كلس علما من أعلام علماء الدعوة بعد أن تعمق بدراسة العلوم الاسماعيلية ، وعظمت مكاتته حتى كتب اسمه على الطرز وفي الكتب^(٢) وكان محبا للعلم والعلماء مشجعا لطلاب العلم ، يصدق عليهم المنح والعطايا ، ويساعد الكتاب والشعراء .

ويذكر ابن خلكان أن يعقوب « كان يجمع عنده العلماء ، وكان في داره قوم يكتبون القرآن ، وآخرون يكتبون كتب الحديث والفقه والادب والطب، ويعارضون ، ويشكلون المصاحف وينقظونها ، وكان ينصب كل يوم خوانا لخاصته من أهل العلم والكتاب وخواص أتباعه »^(٣) .

وبلغ درجة في الفقه الاسماعيلي أهله لان يؤلف الكتب ويعقد مجالس التأويل ، ورتب لنفسه مجلسا كل ليلة جمعة يقرأ فيه مصنفاة على الناس ، وكان يحضر هذا المجلس القضاة والفقهاء والقراء والنساخ والنحاة وجميع أرباب الفضائل والعدول وغيرهم من وجوه الدولة^(٤) ، كما نصب مجلسا في داره يحضره كل يوم ثلاثاء الفقهاء والمتكلمون وأهل الجدل للمناظرة بين يديه^(٥) ، وقيل انه كان متمسكا بشدة بالمذهب الاسماعيلي وذكر ان له عدة مؤلفات منها^(٦) :

-
- (١) المقرئزي ٩/٣ .
 - (٢) المقرئزي : ٨/٣ .
 - (٣) ابن خلكان ٣٣٤/٢ .
 - (٤) ابن خلكان ٣٣٤/٢ .
 - (٥) المقرئزي : ٣٣٤/٢ .
 - (٦) معجم الادباء لياقوت : ١١٨/١ ط .

- ١ - كتاب القراءات •
 - ٢ - كتاب في الابدان وصلاحها •
 - ٣ - كتاب في الفقه مما سمعه عن الامام المعز والامام العزيز •
 - ٤ - كتاب في الاديان وهو في الفقه •
 - ٥ - مختصر الفقه وهو المعروف (بالرسالة الوزيرية) الذي خصص الامام الظاهر جوائز لمن يحفظها •
 - ٦ - كتاب آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم •
- وذكر ايفانوف ^(١) كتابا آخر يدعى مناسك الحج الكبير وقال أن هذه المؤلفات أكثرها مفقود •

وقيل ان الناس كانوا يفتون بكتابه في الفقه ، ويعتبر ابن كلس أول من جعل من الازهر جامعة علمية ورتب لعلمائها الارزاق ، ورعى العلم والعلماء فاتسعت بفضلته الثقافة وازداد الاقبال على العلم ، وكان يجلس للمظالم كل يوم ، وكذلك شجع الشعراء فأغدق عليهم الهبات والعطايا ، ولعل أكثر الشعراء مدحا له هو الشاعر أبو حامد أحمد بن محمد الانطاكي المنبوز بأبي الرقعق وعبد الله بن محمد بن أبي الجرع ، ومن قصيدة لابن أبي الجرع قالها عندما أصاب ابن كلس مرض في يده :

يدا الوزير هي الدنيا فان ألت رأيت في كل شيء ذلك الألما
تأمل الملك وانظر فرط علتته من أجله ، واسأل القرطاس والقلما
وشاهد البيض في الأغمد هادئة الى العدى وكثيرا ماروين دما
هل ينهض المجد الا أن يؤيده ساق يقدم في انهاضه قدما

(١) المرشد الى الادب الاسماعيلي ص ٤١ •

لولا العزيز وآراء الوزير معا تحيقتنا خطوب تشعب الأمم
فقل لهذا وهذا أتما شرف لا أوهن الله ركنيه ولا انهدما
كلاكما لم يزل في الصالحات ابدا مسوطة ولسانا ناطقا وفما
وهذا يدل على مكانة الوزير في نفس امامه وفي نفوس معاصريه جميعا ،
لما عرف عنه من انصافه وكرمه وعلمه وشدة تمسكه بالمذهب .



تم بعونه تعالى طبع هذا الكتاب في غرة محرم الحرام من عام ١٣٨٤

الموافق لشهر ايار من عام ١٩٦٤

مراجع الكتاب

نورد فيما يلي المراجع العربية والاجنبية التي اعتمدنا عليها في تأليف هذا الكتاب :

المراجع العربية

- ١ — دعائم الاسلام — للقاضي النعمان
- ٢ — راحة العقل — احمد حميد الدين الكرمانى
- ٣ — مذكرات آغا خان — آغا خان
- ٤ — المجالس المؤيدية — المؤيد في الدين داعي الدعاة
- ٥ — ديوان المؤيد في الدين — المؤيد في الدين داعي الدعاة
- ٦ — سيرة المؤيد في الدين — المؤيد في الدين داعي الدعاة
- ٧ — المجالس المستنصرية
- ٨ — اسرار النطقاء على هامش جامع الحقائق
- ٩ — البيان لمباحث الاخوان — للشادلي
- ١٠ — الفترات والقمرات
- ١١ — الرسالة الدرية — الكرمانى
- ١٢ — تاريخ ابن الأثير
- ١٣ — التوبختي
- ١٤ — نهاية الأرب في فنون الادب — للنويرى
- ١٥ — اتعاظ الحنفا للمقرئى
- ١٦ — تاريخ الدولة الفاطمية — حسن ابراهيم حسن

- ١٧ - تاريخ الطبري
 ١٨ - التنبيه والاشراف للمسعودي
 ١٩ - خطط الشام - محمد كرد علي
 ٢٢ - تاريخ ابي الفداء
 ٢١ - ابن رزام النويري
 ٢٢ - المسالك والممالك
 ٢٣ - النجوم الزاهرة - لأبي المحاسن
 ٢٤ - تاريخ الدعوة الاسماعيلية - مصطفى غالب
 ٢٥ - معجم البلدان - ياقوت الحموي
 ٢٦ - سيرة جعفر الحاجب - مخطوط
 ٢٧ - الدول والملوك - ابن الفرات
 ٢٨ - ذيل تاريخ دمشق - ابن القلانسي
 ٢٩ - الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن
 ٣٠ - اثبات الامامة - أحمد النيسابوري
 ٣١ - الحسن بن الصباح - مصطفى غالب
 ٣٢ - مع المتنبى - طه حسين
 ٣٣ - الطوسي
 ٣٤ - ابن شهر اشب
 ٣٥ - منهاج المقال
 ٣٦ - لسان الميزان للحافظ
 ٣٧ - تاريخ الخلفاء - مقدم الديلم
 ٣٨ - سياسة نامه - نظام الملك
 ٣٩ - الفهرست لابن النديم
 ٤٠ - الأقوال الذهبية - للكرماني
 ٤١ - عيون الأخبار - أدريس عماد الدين

- ٤٢ - الرسالة الواعظة - الكرمانى
٤٣ - معجم الأدياء - ياقوت الحموى
٤٤ - زوبعة الدهور - مارون عبود
٤٥ - طائفة الاسماعيلية - كامل حسين
٤٦ - الرياض - الكرمانى
٤٧ - أساس التأويل - القاضي النعمان
٤٨ - زهر المعاني - أدریس عماد الدين
٤٩ - تاريخ الاسماعيلية السياسى - شرف
٥٠ - البندارى
٥١ - مجموع الرسائل - لابن القم
٥٢ - قرّة العيون - لابن الديبع
٥٣ - الكفاية والاعلام - للخزرجى
٥٤ - بامخرمه : ثغر عدن
٥٥ - عمارة ركاي
٥٦ - كتاب الازهار - مخطوط
٥٧ - رسائل اخوان الصفاء
٥٨ - فصول وأخبار - مخطوط
٥٩ - رسالة الأصول والاحكام للداعى ابو المعالى - مخطوط
٦٠ - اخوان الصفاء - للدسوقى
٦١ - حقيقة اخوان الصفاء
٦٢ - رسالة العسل المصفى
٦٣ - الاشارة الى من نال الوزارة
٦٤ - قلب اليمن لمحمد حسن
٦٥ - ديوان ابى عبد الله حسين بن على القمى
٦٦ - تاريخ حلب

- ٦٧ — الدولة النزارية
 ٦٨ — ابن الجوزي — مرآة الزمان
 ٦٩ — الملل والنحل — للشهرستاني
 ٧٠ — العبر وديوان المبتدا والخبر — لابن خلدون
 ٧١ — الكشي
 ٧٢ — عمدة الطالب في أنساب آل طالب
 ٧٣ — بلوشيه
 ٧٤ — دي خويه
 ٧٥ — وفيات الاعيان — للقاضي شمس الدين ابن خلكان
 ٧٦ — ابن أبي دينار
 ٧٧ — ابن العديم زبدة حلب
 ٧٨ — ديوان الامير تميم
 ٧٩ — سيرة الاستاذ جوذر
 ٨٠ — تاريخ الأدب في ايران — براون
 ٨١ — مناقب العارفين
 ٨٢ — الاستقصى لأخبار دول المغرب الأقصى
 ٨٣ — نزهة الأفكار — أدريس عماد الدين
 ٨٤ — خمس رسائل اسماعيلية — عارف تامر
 ٨٥ — كتاب المغرب — ابن سعيد
 ٨٦ — حسن المحاضرة — السيوطي
 ٨٧ — رسالتان اسماعيليتان — مصطفى غالب
 ٨٨ — افتتاح الدعوة — القاضي النعمان
 ٨٩ — كشف اسرار الباطنية
 ٩٠ — غاية المواليد
 ٩١ — زبدة الفكر للمنصوري

- ٩٢ — عقد الجمان
٩٣ — تهذيب تاريخ ابن عساكر
٩٤ — اصول الكافي للكليني
٩٥ — مسند الامام ابن حنبل
٩٦ — رياض الجنان
٩٧ — الفصول المهمة للمفيد
٩٨ — نور الابصار للشلبنجي
٩٩ — منهاج السنة النبوية
١٠٠ — أبو الشهداء — للعقاد
١٠١ — فتح الباري — للعسقلاني
١٠٢ — كتاب الشفا — عياض
١٠٣ — مقاتل الطالبين — للاصبهاني
١٠٤ — الاخبار الطوال — للدينوري
١٠٥ — فصل من اللفظ الشريف — مخطوط
١٠٦ — رحلة ابن جبير
١٠٧ — البستان — مخطوط
١٠٨ — مناقب سنان راشد الدين — مخطوط
١٠٩ — غزليات مختارة من ديوان شمس تبريز
١١٠ — من المثوي — سبرنجر
١١١ — تائية عامر البصري — مخطوط
١١٢ — خطط المقرئزي
١١٣ — عبقرية الامام علي — للعقاد
١١٤ — تاريخ الاسلام — للذهبي
١١٥ — مرآة الزمان ابن الجوزي

المراجع الاجنبية

- The origins of ismailism - Bernard Lewis
نور مبین جبل الله المتین — جنارا أوردي
- Muslim Theology.
قلائد الجواهر فارسي
ديوان الخاكي الخراساني فارسي
- The Shi'a of india - Hollister.
- History of the ismailis - Picklay.
- Quatremere J.A. Aout 1836.
- Gautier les siècle obscurs du Maghreb.
- Nizam El - Mulk : Siasset Naimeh.
- Grand maitre des assassins : guyard.
- Ferishila, op. cit.
- A guide to ismaili literatur : by ivanow.
- Gresch. S. Arab Litt. Brachelmawn.
- The Rise of the fatimids - W. Ivanow.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	الاهداء
٥	المقدمة
١٣	عقائد الاسماعيلية وتنظيماتها السرية
١٨	اسرار نظام الدعوة
٢٨	عقائد الاسماعيلية
٤٨	القرامطة والاسماعيليون
٦٢	سلمية
٨٣	أعلام الاسماعيلية

حرف الالف

٨٥	ابراهيم بن اسماعيل العجبي
٨٧	ابراهيم بن الحسين الحامدي
٨٩	احمد بن ابراهيم النيسابوري
٩١	ابو الطيب المنتبي - احمد بن الحسين
٩٥	احمد بن الحسين - دندان
٩٧	احمد بن حمدان الليثي - ابو حاتم الرازي
٩٩	احمد حميد الدين الكرمانلي
١٠٣	احمد بن عبد الله بن سليمان المعري - ابو العلاء
١٠٩	احمد بن عبد الله - محمد النقي
١١١	احمد بن عبد الله بن ميمون القداح

الصفحة

الموضوع

- ١١٤ احمد بن عبد الملك بن عطاش
 ١١٦ احمد بن قاسم - اسلام شاه
 ١١٨ الملك المكرم أحمد الصليحي
 ١٢٦ ابو الفوارس - احمد بن يعقوب
 ١٢٨ اخوان الصفاء وخلان الوفاء
 ١٣٧ ادريس عماد الدين القرشي
 ١٤٠ المظفر أرسلان البساسيري
 ١٤٣ السيدة الحرة - اروى الصليحي
 ١٥٤ ابو يعقوب اسحاق السجستاني
 ١٥٧ اسعد بن قاسم بن الحسن العجمي
 ١٥٩ اسماعيل آغا حسن شاه - سيد علي بن شاه نزار
 ١٦١ اسماعيل بن جعفر الصادق
 ١٦٦ المنصور اسماعيل بن القائم

حرف الباء

- ١٧١ بهرام بن موسى الاستربادي الفارسي

حرف التاء

- ١٧٣ الامير تميم بن المعز

حرف الجيم

- ١٨٠ جعفر بن فلاح
 ١٨٢ جعفر الصادق
 ١٨٥ جعفر بن منصور اليمن
 ١٨٧ جلال الدين الرومي

الصفحة

الموضوع

١٩٢

جمال الدين شيعة

١٩٤

جوهر الصقلي

حرف الحاء

١٩٧

حاتم بن ابراهيم الحامدي

٢٠١

حاتم بن محمود بن زهرة

٢٠٣

حسام الدين بن دملج

٢٠٥

الحسن بن ابراهيم الليثي - ابن زولاق

٢٠٧

حسن بن احمد بن علي المعدل

٢٠٩

جلال الدين حسن بن أعلا محمد

٢١٤

حسن علي شاه الحسيني - آغا خان الاول

٢٢٠

حسن علي شاه

٢٢٢

الحسن بن الصباح الحميري

٢٢٩

حسن علي ذكره السلاه

٢٣١

الحسن بن علي الكلبي

٢٣٣

ابو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب

٢٤٢

ابو سفيان الحسن بن القاسم

٢٤٤

حسن بن محمد بن علي بن نزار

٢٤٦

ابو عبد الله الشيعي - المعلم الحسين بن احمد بن محمد بن زكريا الصنعاني

٢٥٤

ابن سينا حسين بن عبد الله

٢٦٣

الحسين بن عبد الله - الملقب بعبد الله الرضي

٢٦٦

الحسين بن علي بن أبي طالب

حرف الخاء

٢٨٠

السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري

الصفحة

الموضوع

٢٨٣

خلف بن احمد القاشاني

٢٨٥

خليل الله علي

٢٨٧

خليل الله علي شاه الثاني

حرف الراء

٢٨٩

ركن الدين خورشاه بن علاء الدين

حرف الذال

٢٩٣

الذؤيب بن موسى الهمداني

حرف السين

٢٩٥

سنان راشد الدين

٣٠٤

سيد سهرب والي

حرف الشين

٣٠٦

شمس الدين بن احمد الطيبي

٣٠٩

شمس الدين التبريزي

٣١١

شمس الدين محمد بن ركن الدين خورشاه

٣١٣

ابو فراس شهاب الدين المينقي

٣١٦

شهاب الدين بن حبش السهروردي

٣١٩

شهربار بن حسن

٣٢١

طاهر شاه الدكني الجنيدي

حرف العين

٣٢٣

عامر البصري

٣٢٢

العباس بن عبد السلام - غريب ميرزا

الصفحة

الموضوع

٣٣٤	عبد السلام شاه
٣٣٦	أبو عبد الله بن احمد النسفي البردغي
٣٣٩	عبد الله بن عباس الشاوري
٣٤١	عبد الله بن علي بن احمد الحلواني
٣٤٢	عبد الله بن محمد بن اسماعيل (الوفي أحمد)
٣٤٥	عبد الله بن ميمون القداح
٣٤٨	عبيد الله المهدي
٣٥٩	علي بن أبي طالب
٣٧٣	علي بن حسن شاه (آغا خان الثاني)
٣٧٧	علي بن حماد
٣٧٩	علي بن حنظلة المحفوظي الوادعي
٣٨١	علي سلمون خان بن سلطان محمد الحسيني
٣٨٦	علي بن الفضل الجيشاني
٣٩٢	ابو الحسن علي شاه
٣٩٤	علاء الدين محمد بن جلال الدين الحسن
٣٩٨	المستنصر بالله الثاني علي شاه بن محمد بن اسلام شاه
٤٠٠	علي بن محمد بن طاهر الصائغ العجمي
٤٠٢	علي بن محمد الصليحي
٤٠٨	علي بن محمد بن الوليد الانف العبشمي القرشي
٤١٢	علي بن مراد ميرزا
٤١٤	الظاهر لاعزاز دين الله علي بن المنصور
٤١٧	علي بن نزار بن المستنصر بالله
٤٢٠	عمارة اليمني

الموضوع

حرف الفاء

- ٤٢٣ فريد الدين العطار
٤٢٥ فخر الدين الرازي

حرف القاف

- ٤٢٧ قاسم شاه بن شمس الدين محمد
٤٣٠ قاسم علي شاه
٤٣٢ قيس بن منصور الدايدي

حرف الكاف

- ٤٣٤ كريم بن علي بن محمد شاه الحسيني (آغا خان الرابع)
٤٣٧ كيا بزرگ اميد

حرف اللام

- ٤٣٩ ملك بن مالك الحمادي الهمداني

حرف الميم

- ٤٤٢ محمد بن احمد الرفنة
٤٤٥ محمد بن اسلام شاه
٤٤٧ محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق
٤٥٥ ابو علي محمد بن الحسن بن الهيثم
٤٥٩ محمد شاه الحسيني (آغا خان الثالث)
٤٨٠ محمد الباقر
٤٨٢ محمد بن علي بن حسن الصوري
٤٨٤ محمد بن علي بن نزار بن المستنصر بالله

الصفحة

الموضوع

٤٨٧	محمد بن كيا بزرگ آميد
٤٨٩	محمد بن المسيب العقيلي
٤٩١	محمد نور الدين بن غريب ميرزا (الشهير بأبي ذرعلي)
٤٩٣	أعلا محمد بن الحسن بن علي بن القاهر
٤٩٥	القائم بأمر الله محمد بن المهدي
٤٩٩	محمد بن هانيء الاندلسي
٥٠٥	محي الدين بن عربي
٥٠٨	مراد ميرزا بن ابي الذرعلي
٥١٠	فريد الحلبي الاسدي
٥٢٠	المستنصر بالله معد ابو تميم
٥٢٦	المعز لدين الله معد
٥٤٢	معروف بن جمر
٥٤٤	معروف بن الفتح السرميني
٥٤٦	منصور العزيزي الجوذري
٥٤٨	الحاكم بأمر الله أبو علي منصور
٥٥٥	موسى بن حسن القصار
٥٥٩	ميمون القداح

حرف النون

٥٦٢	ناصر خسرو
٥٧٣	نزار الثاني بن خليل الله
٥٧٥	نور الدين شاه
٥٧٧	العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله
٥٨٣	المصطفى بالله نزار بن المستنصر

الصفحة

الموضوع

٥٨٧

نصير الدين الطوسي

٥٨٩

ابو حنيفة النعمان المغربي

حرف الهاء

٥٩٦

المؤيد في الدين داعي الدعاة هبة الله الشيرازي

حرف الياء

٦٠٥

يحيى بن ملك بن مالك الحمادي

٦٠٧

يعقوب بن كلس

٦١١

فهرس المراجع

٦١٧

فهرس الموضوعات

ملاحظة هامة

وقعت أثناء طبع الكتاب بعض الاغلاط الطفيفة والتي لا تخفى على القارئ فنرجو لذلك المعذرة وقد ذكرنا هنا بعضاً منها راجين تصحيحها قبل قراءة الكتاب .

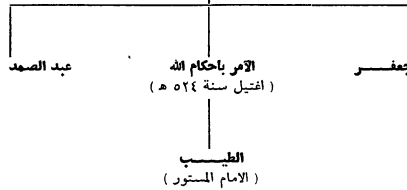
الصواب	الخطأ	ص	س
نهر الخوابي	نهو الخوابي	٧١	٢٥
كانت ترعى في (عين ٠٠٠	كانت ترعى) عين ٠٠	٧٤	٢١
على أعقابهم في اكثر المعارك	على أعقابهم أكثر المعارك	٧٧	٣
تشطب كلمة (ان الرسائل)		١٣٦	١٨
يشطب كامل السطر		١٣٦	١٩
يقرأ كما يلي : (الحجّة في مصطلح		١٤٥	١ هاشم رقم
الدعوة هي درجة من درجات الحدود			
تلي درجة الباب ٠٠٠ الخ)			
وانظر صحيفة ٢١			

الأئمة الإسماعيلية النزارية الإغاخانية

الرقم	الاسم والشهرة	تاريخ استلام الامامة		تاريخ الوفاة	
		سنة هجرية	سنة ميلادية	سنة هجرية	سنة ميلادية
١	علي بن أبي طالب	١١	٦٣٨	٤٠	٦٦٧
٢	الحسين بن علي بن أبي طالب	٤٠	٦٦٧	٦١	٦٨٨
٣	علي زين العابدين بن الحسين	٦١	٦٨٨	٩٤	٧٢١
٤	محمد الباقر بن علي زين العابدين	٩٤	٧٢١	١١٤	٧٤١
٥	جعفر الصادق بن محمد الباقر	١١٤	٧٤١	١٤٨	٧٧٥
٦	اسماعيل بن جعفر الصادق	١٤٨	٧٧٥	١٥٨	٧٨٥
٧	محمد بن اسماعيل بن جعفر	١٥٨	٧٨٥	١٩٧	٨٢٤
٨	عبد الله بن محمد بن اسماعيل (أحمد الوفي)	١٩٧	٨٢٤	٢١٢	٨٣٩
٩	أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل (محدالتقي)	٢١٢	٨٣٩	٢٢٥	٨٥٢
١٠	الحسين بن أحمد بن عبد الله (عبد الله الرضي)	٢٢٥	٨٥٢	٢٦١	٨٨٨
١١	عبيد الله بن الحسين (محمد المهدي)	٢٦١	٨٨٨	٣٢٢	٩٤٩
١٢	محمد بن عبيد الله المهدي (القائم بأمر الله)	٣٢٢	٩٣٤	٣٢٤	٩٤٥
١٣	اسماعيل بن محمد القائم (المنصور بالله)	٣٢٤	٩٤٥	٣٤١	٩٥٢
١٤	معد بن اسماعيل المنصور (المعز لدين الله)	٣٤١	٩٥٢	٣٦٥	٩٧٥
١٥	نزار بن معد المعز (المعز بن بالله)	٣٦٥	٩٧٥	٣٨٦	٩٩٦
١٦	أبو علي منصور بن نزار (الحاكم بأمر الله)	٣٨٦	٩٩٦	٤١١	١٠٢٠
١٧	أبو حسن علي بن منصور (الظاهر لأعزاز دين الله)	٤١١	١٠٢٠	٤٢٧	١٠٣٥
١٨	معد أبو تميم (المستنصر بالله)	٤٢٧	١٠٣٥	٤٨٧	١٠٩٤
١٩	نزار بن المستنصر بالله (المصطفى بالله)	٤٨٧	١٠٩٤	٤٩٠	١٠٩٧
٢٠	علي بن نزار بن المستنصر (الهادي)	٤٩٠	١٠٩٧	٥٣٠	١١٣٧
٢١	محمد بن علي بن نزار (المهدي)	٥٣٠	١١٣٧	٥٥٢	١١٥٩
٢٢	حسن بن محمد بن علي (القاهر)	٥٥٢	١١٥٩	٥٥٧	١١٦٤
٢٣	حسن بن حسن بن محمد (علي ذكره السلام)	٥٥٧	١١٦٤	٥٦١	١١٦٨
٢٤	محمد بن حسن بن حسن (أعلا محمد)	٥٦١	١١٦٨	٦٠٧	١٢١٤
٢٥	حسن بن محمد بن حسن (جلال الدين حسن)	٦٠٧	١٢١٤	٦١٨	١٢٢٥
٢٦	علاء الدين محمد بن جلال الدين	٦١٨	١٢٢٥	٦٥٣	١٢٦٠
٢٧	ركن الدين خيروشاه بن علاء الدين محمد	٦٥٣	١٢٦٠	٦٥٤	١٢٦١
٢٨	شمس الدين محمد بن ركن الدين خيروشاه	٦٥٤	١٢٦١	٧١٠	١٣١٧
٢٩	قاسم شاه بن شمس الدين محمد	٧١٠	١٣١٧	٧٧١	١٣٨٧
٣٠	اسلام شاه بن قاسم شاه	٧٧١	١٣٨٧	٧٦٨	١٤٢٧
٣١	محمد بن اسلام شاه بن قاسم شاه	٧٦٨	١٤٢٧	٧٦٨	١٤٢٧
٣٢	المستنصر بالله الثاني بن محمد بن اسلام	٧٦٨	١٤٢٧	٨٨٠	١٤٨٧
٣٣	عبد السلام شاه بن المستنصر بالله الثاني	٨٨٠	١٤٨٧	٨٩٩	١٥٠٦
٣٤	غريب ميرزا بن عبد السلام شاه	٨٩٩	١٥٠٦	٩٠٢	١٥٠٩
٣٥	أبو الدر علي بن غريب ميرزا	٩٠٢	١٥٠٩	٩١٥	١٥٢٢
٣٦	مراد ميرزا بن أبو الدر علي	٩١٥	١٥٢٢	٩٢٠	١٥٢٧
٣٧	ذو الفقار علي بن مراد ميرزا	٩٢٠	١٥٢٧	٩٢٢	١٥٢٩
٣٨	نور الدين علي بن ذو الفقار علي	٩٢٢	١٥٢٩	٩٥٧	١٥٦٤
٣٩	خليل الله علي بن نور الدين علي	٩٥٧	١٥٦٤	٩٩٣	١٦٠٠
٤٠	نزار الثاني بن خليل الله علي	٩٩٣	١٦٠٠	١٠٣٨	١٦٦٥
٤١	سيد علي بن نزار الثاني	١٠٣٨	١٦٦٥	١٠٧١	١٦٧٨
٤٢	حسن علي بن سيد علي	١٠٧١	١٦٧٨	١١٠٦	١٧١٣
٤٣	قاسم علي بن حسن علي	١١٠٦	١٧١٣	١١٤٣	١٧٥٠
٤٤	أبو الحسن علي بن قاسم علي	١١٤٣	١٧٥٠	١١٩٤	١٨٠١
٤٥	خليل الله علي بن أبو الحسن علي	١١٩٤	١٨٠١	١٢٣٣	١٨٤٠
٤٦	حسن علي شاه (آغا خان الاول)	١٢٣٣	١٨٤٠	١٢٩٨	١٨٨١
٤٧	علي شاه بن حسر علي (آغا خان الثاني)	١٢٩٨	١٨٨١	١٣٠٢	١٨٨٥
٤٨	سلطان محمد شاه علي (آغا خان الثالث)	١٣٠٢	١٨٨٥	١٣٧٤	١٩٥٧
٤٩	كريم شاه علي (آغاخان الرابع)	١٣٧٤	١٩٥٧	١٣٧٤	١٩٥٧

الإسماعيلية المستعيلة

أحمد المستعلي بن المستنصر بالله
(ت سنة ١٩٥ هـ)



دعوة الإسماعيلية المستعيلة الملقية

الرقم	اسم الداعي الملق وشهرته	الاستلامهجري	الاستلامميلادي	الرقم	اسم الداعي الملق وشهرته	الاستلامهجري	الاستلامميلادي
١	ذؤب بن موسى	٥٤٦	١١٥١	١٤	عبد المطلب	٧٥٥	١٣٥٤
٢	إبراهيم بن حسين	٥٥٧	١١٦٢	١٥	عباس بن محمد	٧٧٦	١٣٧٨
٣	حاتم بن إبراهيم	٥٦٦	١١٦٩	١٦	عبد الله بن علي	٨٠٦	١٤٠٧
٤	علي بن حاتم	٦٠٥	١٢٠٩	١٧	حسن بن عبد الله	٨٢١	١٤١٨
٥	علي بن محمد	٦١٢	١٢١٥	١٨	علي بن عبد الله	٨٣٢	١٤٢٨
٦	علي بن حفظة	٦٢٦	١٢٢٩	١٩	أدریس بن حسن	٨٧٢	١٤٦٨
٧	أحمد بن المبارك	٦٢٧	١٢٣٠	٢٠	حسن بن أدریس	٩١٨	١٥١٢
٨	حسين بن علي	٦٦٧	١٢٦٨	٢١	حسين بن أدریس	٩٣٣	١٥٢٧
٩	علي بن حسين بن علي	٦٨٢	١٢٨٤	٢٢	علي بن حسين	٩٣٣	١٥٢٧
١٠	علي بن حسين	٦٨٦	١٢٨٧	٢٣	محمد بن حسن	٩٤٦	١٥٣٩
١١	إبراهيم بن حسين	٧٢٨	١٣٢٨	٢٤	يوسف بن سليمان	٩٧٤	١٥٦٧
١٢	محمد بن حاتم	٧٢٩	١٣٢٩	٢٥	جلال بن حسن	٩٧٥	١٥٦٧
١٣	علي بن إبراهيم	٧٤٦	١٣٤٥	٢٦	داهود بن أجب	٩٩٩	١٥٩١

البهرة الهاودية

البهرة السليمانية

١٦١٢	١٠٢١	داهود برهان الدين	٢٧	١٥٩٧	١٠٠٥	سليمان بن حسن	٢٧
١٦٢١	١٠٣٠	شيخ آدم سيف الدين	٢٨	١٦٤٠	١٠٥٠	جعفر بن سليمان	٢٨
١٦٣١	١٠٤١	عبد الطيب زكي الدين	٢٩	١٦٧٧	١٠٨٨	علي بن سليمان	٢٩
١٦٣٢	١٠٤٢	علي شمس الدين	٣٠	١٦٨٣	١٠٩٤	إبراهيم بن محمد	٣٠
١٦٤٤	١٠٥٤	قاسم زين الدين	٣١	١٦٩٧	١١٠٩	محمد بن اسماعيل	٣١
١٦٤٦	١٠٥٦	قطب خان قطب الدين	٣٢	١٧٤٧	١١٦٠	هبة الله بن إبراهيم	٣٢
١٦٥٥	١٠٦٥	بيرانخ سوجا الدين	٣٣	١٧٧٠	١١٨٤	اسماعيل بن هبة الله	٣٣
١٦٧٤	١٠٨٥	اسماعيل بدر الدين	٣٤	١٧٧٥	١١٨٩	حسن بن هبة الله	٣٤
١٦٩٩	١١١٠	عبد الطيب زكي الدين	٣٥	١٧٨١	١١٩٥	عبد المولى	٣٥
١٧١٠	١١٢٢	موسى كليم الدين	٣٦	١٨١٠	١٢٢٥	عبد الله بن علي	٣٦
١٧١٨	١١٣٠	نور محمد نور الدين	٣٧	١٨١٩	١٢٣٤	يوسف بن علي	٣٧
١٧٣٧	١١٥٠	اسماعيل بدر الدين	٣٨	١٨٢٦	١٢٤١	حسين بن حسين	٣٨
١٧٥٤	١١٦٨	إبراهيم وجه الدين	٣٩	١٨٤٠	١٢٥٦	اسماعيل بن محمد	٣٩
١٧٧٦	١١٩٣	هبة الله المؤيد في الدين	٤٠	١٨٤٦	١٢٦٢	حسن بن محمد	٤٠
١٧٨٥	١٢٠٠	عبد الطيب زكي الدين	٤١	١٨٧٢	١٢٨٩	حسن بن اسماعيل	٤١
١٧٩٨	١٢١٣	يوسف نجم الدين	٤٢	١٨٨٩	١٣٠٦	أحمد بن اسماعيل	٤٢
١٨١٧	١٢٣٢	عبد علي سيف الدين	٤٣	١٩٠٥	١٣٢٣	عبد الله بن علي	٤٣
١٨٢١	١٢٣٦	محمد عز الدين	٤٤	١٩١٣	١٣٣١	علي بن هبة الله	٤٤
١٨٣٧	١٢٥٢	طيب زين الدين	٤٥	١٩٣٦	١٣٥٥	علي بن محسن	٤٥
١٨٤٠	١٢٥٦	محمد بدر الدين	٤٦	١٩٣٨	١٣٥٧	غلام حسين	٤٦
١٨٨٥	١٣٠٢	عبد القادر نجم الدين	٤٧	١٩٣٩	١٣٥٨	حسين بن أحمد	٤٧
١٨٩١	١٣٠٨	عبد الحسين حسام الدين	٤٨	علي بن حسين	٤٨
١٩٠٦	١٣٢٣	محمد برهان الدين	٤٩				
١٩١٥	١٣٢٣	عبد الله بدر الدين	٥٠				
.....	ظاهر سيف الدين	٥١				

